بسم الله الرحمن الرحيم

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

تصدر عن

مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية والثقافية / العتبة الحسينية المقدسة

العدد الحادي عشر

السنة الثالثة (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية

الهيئة الاستشارية

آية الله الشيخ محمد السند

آية الله السيد عادل العلوي

آية الله الشيخ محمد جواد فاضل اللنكراني

آية الله السيد منير الخباز

آية الله السيد رياض الحكيم

العلّامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقدسي

العلّامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الإصلاح الحسيني

رئيس التحرير:

الشيخ قيصر التميمي

مدير التحرير:

الشيخ صباح عباس الساعدي

هيئة التحرير:

د. السيد حاتم البخاتي

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

الشيخ محمد الكروي القيسي

الشيخ أسعد التميمي

الشيخ حيدر الساعدي

المقابلة وتقويم النص:

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

التصميم والإخراج الفني:

السيد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

معتمد الترجمة الإنجليزية:

بدر شاهين

الإشراف العام:

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

التنسيق العام:

السيّد صالح التنكابني

د. علي البديري

رحاب عارف العبادي

زيد فرج الله الأسدي

إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدسة)

معاونية المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدسة)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: ISSN: 978-964-984-240-7

هوية المجلّة

مجلّة علمية فصلية تخصصيّة تُعنى بالبحوث المتخصّصة في مجال النهضة الحسينيّة، وكذا الدراسات العلمية في حقول المعرفة الدينيّة. تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينيّة في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

اهتمام المجلّة

تهتم المجلّة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينيّة وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

كما تهتم المجلّة أيضاً باستقطاب ونشر البحوث والدراسات الدينيّة التخصّصية ذات الجوانب التجديديّة والإبداعيّة، وذلك في كافّة الحقول والمجالات، فتمتدّ لتشمل الدراسات القرآنية والعقديّة والفكريّة والتاريخيّة والفقهيّة، وكذا ما يرتبط بالتراث الديني، من الأدعية والزيارات والنصوص الدينيّة بشكل عام.

فالمجلّة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحسّاسة في أبواب العلوم والمعارف الدينيّة، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

أهداف المجلّة

١ـ إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينيّة من خلال البحوث والدراسات.

٢ ـ نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينيّة.

٣ ـ إحياء التراث الديني والحسيني.

٤ ـ فتح نافذة علميّة لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينيّة.

٥ ـ الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكِّرين.

٦ـ استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلميّة القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.

٧ ـ فسح المجال أمام الباحثين والمفكِّرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلّة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.

٨ ـ التصدّي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول الدين بصورة عامّة والنهضة الحسينيّة بصورة خاصّة.

ضوابط النشر

تدعـو المجلّة العلماء والأسـاتذة والباحثـين وكل مَن لديه اهتـمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتاجاتهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأُمور التالية:

- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص الـمجلّة وأركانها.
- ألّا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلّة.
- أن تكون ضمن المناهج العلمية المتَّبعة.
- أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
- أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبِّر بالضرورة عن رأي الـمجلّة.
- لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنشَر.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
- إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات الـمجلّة.
- للمجلّة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
- كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
- تتّبع الـمجلّة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- تعتبر الأولوية في الـمجلّة للمقالات والبحوث الحسينيّة.
- الـمجلّة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

مراكز النشر

* النجف الأشرف: الروضة الحيدرية ـ معرض الكتاب الدائم.
* النجف الأشرف: شارع الرسول صلى الله عليه وآله ـ مكتبة دار الهلال.
* النجف الأشرف: قرب مشروع الماء ـ مكتبة العراق الجديد.
* النجف الأشرف: سوق الحويش ـ دار الغدير.
* كربلاء المقدسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينيّة المقدّسة.
* بغداد: شارع المتنبّي ـ مكتبة العين.
* البصرة: العشار ـ مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
* إيران قم المقدسة: صفائية ـ سوق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ مكتبة فدك.
* إيران قم المقدسة: سوق كذرخان ـ مكتبة الهاشمي.

المحتويات

مقال التحرير

سياسة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الإرهاب الحكومي/ القسم الثاني (دراسة وثائقية)

الشيخ قيصر التميمي ١٣

ملف العدد

النهضة الحسينية في مواجهة التطرّف والإرهاب (٢)

التطرّف الفكري في المجتمع الإسلامي (مظاهره وتداعياته المدمّرة في عصر النهضة الحسينية)

سماحة العلّامة الشيخ علي الكوراني ٥٣

أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف (القسم الثاني)

د. الشيخ طلال الحسن ٦٧

نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ودوره في صناعة الإرهاب (فاجعة كربلاء أُنموذجاً)

الشيخ محمد الكروي القيسي ٩١

انتهاك حرمة الأجساد الطاهرة في كربلاء

الشيخ أحمد العلي ١١٧

تغييب القيم وانتهاكها في سياسات الحُكم الأُموي

د. السيّد خالد سيساوي ١٥٧

المعسكر الأُموي في كربلاء (غياب القيم والمبادئ)

الشيخ عبد الرزاق النداوي ١٨٥

العنف والإرهاب في أصول الإسلام الوهابي (الهجوم على مدينة كربلاء أُنموذجاً)

الشيخ ماهر الحكاك ٢٠٥

أخلاق الحرب في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عدي السهلاني ٢٢٧

الفصل بين التطرف والثورة (قراءة فقهية في مشروعية النهضة الحسينية)

د. الشيخ صفاء الدين الخزرجي ٢٥٥

دراسات في النهضة الحسينيّة

عُمق النهضة الحسينيّة وملامحها في عصر ما قبل النهضة

د. الشيخ عبد المجيد فرج اللّه ٢٩٧

شهادة الإمام الحسين عليه السلام والتفاعل الكوني

الشيخ غزوان العتابي ٣٢٥

دراسات دينية

التوحيد والشرك في الفكر التكفيري

د. الشيخ فلاح الدوخي ٣٤٣

خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ٣٧١

مقال التحرير

سياسة الإمام الحسين عليه السلام
في مواجهة الإرهاب الحكومي

القسم الثاني

دراسة وثائقية

سياسة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الإرهاب الحكومي

القسم الثاني (دراسة وثائقيّة)

الشيخ قيصر التميمي*

مارست الحكومات الأُمويّة سيئة الصيت أبشع ألوان القمع والإبادة والجريمة المنظّمة، وارتكبت أقسى صور العنف ومشاهد الإرهاب بحقّ المواطنين الأبرياء الآمنين في مُختلف البلدان الإسلاميّة، وأضحت تلك السيرة السوداء لبني أُميّة من الثوابت والحقائق الواضحة، الغنيّة عن تجشّم عناء البحث والتنقيب في منابع الإثباتات والوثائق التاريخيّة.

وعلى خطّ المواجهة وفي معترك الصراع بين الحقّ والباطل وقف الإمام الحسين عليه السلام بحزم؛ ليُعلن عن انطلاق نهضته الإصلاحيّة المباركة، ويكشف للملأ العام أوراق الإرهاب الأُموي، الذي يستهدف سلب إرادة الأُمّة والاعتداء على حريّتها وكرامتها ومعتقداتها الدينيّة. فكيف تصدّى الحسين عليه السلام؛ لمحاربة هذا اللون من الإرهاب في العصر الأُموي؟ هو التساؤل الذي نسعى للإجابة عنه في هذا المقال.

لكن ما يؤسفني ويؤلمني كثيراً هرطقة الأقلام المصنوعة من نفايات التاريخ، التي كانت ولا زالت تكتب سفهاً عن ازدهار الحياة السياسية في العصر الأُموي، خصوصاً في زمن معاوية بن أبي سفيان وابنه الفاجر يزيد، وتتّهم الحسين عليه السلام

---

* أُستاذ في الحوزة العلمية، رئيس تحرير مجلة الإصلاح الحسيني، من العراق.

بالضعف في علوم السياسة وأُصول الحكم، وأن منهجه السياسي الخاطئ والضعيف هـو الذي قاده إلى مقتله ومصيره المأسـاوي. إن هذا النمط الأعوج في التفكير هو ما دعانـا للكتابة والبحث في إرهـاب الحكم الأُموي، اسـتناداً إلى النصوص والمواقف الحسينيّة الخالدة.

وقـد وجدنا من تلـك الأقلام العارية عـن أخلاق البحث العلمـي أقلاماً تصنع مجـداً أُموياً لا يخطر في بـال معاوية ويزيد، وتطعن في حركـة الإصلاح العُظمى التي قادهـا الإمـام الحسـين عليه السلام وضحّى في سـبيلها، وأكتفـي في المقام بمـرور موجز على صفحـات رسـالة بدرجة (ماجسـتير)، كُتبـت في الجامعـات السـعودية وطُبعت في مطابعهـا، ونوقشـت بتاريخ: ١٣/ ٧/ ١٤١٣هـ، وأُجيزت بتقديـر ممتاز، ووصفها ناشرهـا في أعلى العنوان بأنّها (من كنوز الرسـائل العلميـة)!! وجاءت تحت عنوان: (مواقـف المعارضـة في عهـد يزيد بـن معاوية)، ونكتفـي فيما يلي بعـرض جانب من الهذيـان والتخريـف الذي كتبه صاحب هذه الرسـالة في خصـوص معارضة الإمام الحسين عليه السلام وطبيعة تعامله مع الحكم الأُموي، مع رعاية جانب الإيجاز والاختصار، ومَـن أراد التفصيل فعليه أن يُلاحظ أصل الرسـالة. يؤكّـد الكاتب في مُجمل فصول رسالته على:

أنّ الدّولة الأُمويّة قد تميّزت بالحنكة والخبرة السياسيّة العالية، وخصوصاً في زمن معاويّـة، وأنّ مـن أهمّ المواقف السياسـيّة الحكيمة والصائبة في تلـك الفترة تنصيب معاوية ابنه يزيد خليفة على المسلمين من بعده، ذلك حينما «**أنس معاوية من ولده يزيد حرصاً على العدل وتأسّياً بالخلفاء الراشدين**»!! خصوصاً وأنّ يزيد كان يمتاز عن غيره «**بأعظـم ما تحتاج إليه الدّولة، أي: القوة العسـكريّة**»!! «**ومَن يضع نفسـه مكان معاوية يُدرك الخطر المحدق بالأُمّة لو تُرك الأمر من غير اختيار أو تُرك لأبناء علي بن أبي طالب أو غـيره، فالفتنـة المتربّصة بالأُمّة كانـت تحتاج لامتداد حكم معاوية حتى تسـتقيم أُمور**

الأُمّة، ولم يكن بُدّ من اختيار ابن معاوية اجتهاداً من معاوية باستمرار عهده وحكمه أملاً في موت الفتن»!! و«**لمّا كانت العصبيّة والقوّة في بني أُميّة، فقد أصبح تصرّف معاوية بتولية يزيد أمراً طبيعياً، يُقرّه المنصفون ويحرص عليه العقلاء»!! فـ«معاوية اجتهد للأُمّة؛ خوفاً عليها من الانقسام والفتن»!!** وكان تدبيره هذا «**أضمن لسلامة الدّولة**»، وإن هذا الأمر قد تمّ بعد استشارة أهمّ البلدان الإسلاميّة آنذاك؛ ولأجل الحفاظ على وحدة الأُمّة وسلامتها «**نظر معاوية إلى ابنه يزيد على أنه المرشّح الذي سيحظى بتأييد أهل الشام الذين يُمثّلون العامل الأقوى في استقرار الدّولة**»، فبدأ باستشارة أهل الشام؛ لأن «**أهل الشام الذين انتصروا لقتل عثمان أثبتوا أنهم أُناس مخلصون لمبادئهم وأهدافهم؛ ولهذا حقّق بهم معاوية بإرادة الله انتصاراته على العراق»!! «فمعاوية طرح اسم المرشّح يزيد واستشار المسلمين، فأجمع أهل الشام وكبار أهل العراق وباقي الأمصار على قبوله، ولم يخالف إلّا بعض أهل المدينة لأسباب، بعضها فقهية والأُخرى شخصيّة، وقد عبّرت هذه المصالح الشخصيّة عن نفسها بصورة عملية في فترة لاحقة»**، وكان من جملة ذوي المصالح الشخصيّة الحسين عليه السلام؛ ولذا ترك معاوية استشارته في هذا الأمر «**ولعل السبب يعود إلى أن معاوية أدرك أن الحسين طالب رئاسة، وأن أهل العراق يكتبون للحسين يمنّونه بالخلافة من بعد معاوية»!!** فتأثّر الحسين أمام «**إغراءات زعماء أهل الكوفة له**» فـ«**لم يبقَ إلّا الحسين كان يُغرّر به أهل الفتن في حياة معاوية، ونهاه الحسن عنهم»!!** وحينما مانع الحسين من بيعة يزيد لم يُبد سبباً واضحاً لممانعة البيعة!! ومع ذلك كلّه كان معاوية يوصي ولده يزيد بالحسين، وقد كانت وصيّته «**عن معرفة أكيدة... فهو السياسي البارع الذي بلغت الدّولة في عهده أوجها وقوّتها»!!** وإنّ «**يزيد حاول أن يترسّم خُطى والده في السياسة ويكون حكيماً حتى آخر لحظة، وأن يعمل بوصيّة والده؛ وذلك بالرفق بالحسين ومعرفة حقّه وقرابته من رسول الله»!!** وعلى طول الحركة الحسينيّة المعادية للحكومة الأُمويّة، يزيد «**كان يجنح إلى استخدام الرفق مع**

الحسين؛ لـذا نجد يزيد لم يُحرك سـاكناً، واكتفـى بمراقبة الموقف عن بُعـد»!! وفي نهاية المطاف يختم هذا الكاتب بحثه حول التواصل الحسيني مع أهل الكوفة بالقول: «**وفي نظري أنّ مسـلم بن عقيل والحسـين بن علي يجهلون كثيراً من أُمور السياسة»!!** وأن «**ما قصده** [الحسـين] **من تحصيل الخير ودفع الشر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشر بخروجه وقتلـه.. وهـذا كلّـه مما يُبيّن أن مـا أمر به النبيّ مـن الصبر على جور الأئمـة وترك قتالهم والخـروج عليهـم أصحّ الأُمـور للعباد في المعاش والمعـاد، ومَن خالف ذلـك مُتعمّداً أو مُخطئاً لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد»!!**[1].

لا تسـتغرب عزيـزي القـارئ وأنـت تطالع حماقة هـذه السـطور وصاحبها، ولا تسـتغرب حينما تقرأ فكراً مقلوباً منكوسـاً في قعر عقول همجيّة عمياء أُمويّة، فهؤلاء هـم دواعـش الفكر والعقيدة وصُنّـاع فتاوى التكفـير، وبهذا الفكر الملغـوم وأمثاله يُذبح يوميّاً أحبّاء الحسين عليه السلام وأتباعه. ولك أن تتصوّر كيف سيكتب هؤلاء الحمقى عن بطولات الخليفة يزيد لولا نهضة الحسـين عليه السلام، فشكراً للحسين عليه السلام على تضحيته ودوره العظيم في إحياء العقول وتطهيرها من كنيف الفكر الأُموي.

ونحن نحاول فيما يلي أن نعرض الرؤية الصحيحة تجاه النهج الحكومي الأُموي، وأساليبه وممارساته القمعيّة بحقّ الأبرياء، وسُبل مواجهتها، من خلال النظر والتأمّل في كلـمات الإمام الحسـين عليه السلام ومواقفـه العظيمة؛ ليكـون ردّاً واضحاً عـلى تفاهات وأدغـال ما جاء في الرسـالة المذكـورة ونظائرها مـن الكتب التي عبـدت الطاغوت وسجدت أقلامها لبني أُميّة[2]، وقد دوّنا مقالنا هذا في إطار الأبحاث التالية:

---

(١) أُنظر: الشيباني، محمد بن عبد الهادي بن رزّان، مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية.

(٢) ستكون لدينا ـ إن شاء الله تعالى ـ ردودٌ تفصيليّة مُحكمة لأمثال هذه الشبهات والمزاعم الباطلة، وذلك في قسم الردود والإجابات عن الشبهات المثارة حول النهضة الحسينيّة، في مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصيّة في النهضة الحسينيّة.

البحث الأوّل: عناصر الإرهاب الحكومي الأُموي في كلمات الإمام الحسين عليه السلام

ذكرنا في المقال الماضي مجموعة من العناصر الأساسيّة التي تُساهم في تحديد حقيقة الإرهاب الحكومي بصورة عامّة؛ استناداً إلى بعض التعريفات الإنسانيّة والدينيّة لهذا النوع من الإرهاب، ونحاول فيما يلي أن نتلمّس أهمّ العناصر التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام للتعريف بالإرهاب الأُموي، والتي استحقّ بموجبها المواجهة؛ لنرى مدى التطابق بينها وبين العناصر الماضية، مع ملاحظة نقاط الافتراق أو الإضافة إن وجدت:

العنصر الأوّل: ممارسة الأساليب العنيفة والمنظّمة في قمع الشعب

ذكرنا في القسم الأوّل من هذا المقال أن من أهمّ العناصر التعريفيّة للإرهاب الحكومي كونه يُمثّل أُسلوباً عنيفاً إيديولوجيّاً مدروساً ومنظّماً، ويُعدّ وسيلة من الوسائل القمعيّة، ذات الطبيعة الإجراميّة وغير القانونيّة، تنشر الذعر والفزع والرعب بين أفراد الشعب الآمنين.

وهذا ما رصده الإمام الحسين عليه السلام وأعلنه بشكل واضح وصريح في أقواله وخُطبه ومكاتباته ورسائله الخاصّة، حينما تصدّى لمواجهة الإرهاب الحكومي الأُموي، ونحاول فيما يلي أن نطالع بإيجاز بعض النصوص الحسينيّة المرتبطة بهذا العنصر الأساس والمهمّ من عناصر الإرهاب:

١ـ من الأساليب الإجراميّة المنظّمة وغير القانونيّة التي انتهجتها الحكومة الأُموية لإخافة الناس وترويعهم، قتل الأبرياء بالظنّة والشبهة، وأخْذهم واعتقالهم وتعذيبهم لمجرّد الفِرية والتُّهمة، وتهجيرهم وتشريدهم من بلدانهم وأوطانهم، من دون أيّ دليل شرعي أو مُستند قانوني لإدانتهم ومُعاقبتهم، وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يستنكر هذا النهج الأُموي ويُدينه بأشدّ العبارات وأغلظها، خصوصاً في مخاطباته ورسائله المتبادلة مع معاوية، فمن ذلك قوله عليه السلام: «**وَاتَّقِ اللهَ يا مُعاوِيةُ! وَاعْلَمْ**

أَنَّ لله كِتاباً لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرةً إِلّا أَحْصاها، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِناس لَكَ قَتْلَكَ بِالظِّنَّةِ، وَأَخْذَكَ بِالتُّهْمَة»[1]. وفي نص آخر يقول عليه السلام: «وَلَيْسَ اللهُ بِناسٍ لِأَخْذِكَ بِالظِّنَّةِ، وَقَتْلِكَ أَوْلِياءَهُ عَلَى التُّهَمِ، وَنَقْلِ أَوْلِيائِهِ مِنْ دُورِهِمْ إِلى دارِ الْغُرْبَة»[2]. ولا شك بأنّ ممارسة السلطة الحاكمة لأساليب العنف المنظّمة والمتنوّعة، باعتقالها الناس وقتلهم وتهجيرهم واضطهادهم لمجرّد الظنّ والتّهمة، بلا مُستند ولا دليل للإدانة، يُعدّ من أبرز عناصر الإرهاب الحكومي، المستنكر والمرفوض في شريعة السماء وحكم العقلاء، والإمام الحسين عليه السلام قد أدان بكلامه هذا حكومة معاوية بن أبي سفيان لممارستها تلك الجرائم الإرهابيّة بحقّ الأبرياء من المواطنين الآمنين.

٢ـ كانت هذه النصوص الآنفة الذكر قد صدرت استنكاراً من الإمام عليه السلام وإدانةً منه للأعمال الإجراميّة والقمعيّة التي مارسها معاوية بحقّ المؤمنين الصالحين والأبرياء الآمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام وأتباعهما ومحبّيهما، الذين تمّ التخطيط لتصفيتهم وقتلهم على المعتقد والهويّة الدينيّة، وهذا ما دوّنه الإمام الحسين عليه السلام في رسالة شديدة اللهجة، أجاب فيها على كتاب أرسله إليه معاوية، يهدّده فيه بالقتل والاغتيال إن استمرّ على منهجه الصريح في مواجهة السلطة الأُمويّة، ومن جملة ما جاء فيها قوله عليه السلام: «أَلَسْتَ الْقاتِلَ حُجْرَ بْنَ عَديٍّ أَخا كِنْدَةَ وَالمصَلّينَ الْعابِدينَ الَّذينَ كانُوا يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْبِدَعَ، وَلا يَخافُونَ فِي الله لَوْمَةَ لائِم، ثُمّ قَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدْواناً مِنْ بَعْدِ ما كُنْتَ أَعْطَيْتَهُمُ الأَيْمانَ الْمُغَلَّظَةَ، وَالمَواثيقَ الْمُؤَكَّدَةَ، وَلا تَأْخُذَهُمْ بِحَدَث كانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَلا بِإِحْنَة تَجِدُها في نَفْسِكَ؟! أَوَ لَسْتَ قاتِلَ عَمْرِو بْنِ الحَمْقِ صاحِبِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله الْعَبْدِ الصّالِحِ الَّذي أَبْلَتْهُ الْعِبادَةُ، فَنَحَلَ جِسْمُهُ، وَصَفَرَتْ لَوْنُهُ، بَعْدَ ما أَمَّنْتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ عُهُودِ الله وَمَواثيقِهِ، ما لَوْ أَعْطَيْتَهُ طائِراً لَنَزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ، ثُمَّ قَتَلْتَهُ جُرْأَةً عَلى رَبِّكَ، وَاسْتِخْفافاً بِذلِكَ

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٧.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص٢٥٧ـ٢٥٨.

الْعَهْدِ... وَلَقَدْ نَقَضْتَ عَهْدَكَ بِقَتْلِكَ هؤُلاءِ النَّفَرِ الَّذينَ قَتَلْتَهُمْ بَعْدَ الصُّلْحِ وَالأَيْمانِ وَالْعُهُودِ وَالمَواثيقِ، فَقَتَلْتَهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا قاتَلُوا وَقَتَلُوا، وَلَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ بِهِمْ إِلّا لِذِكْرِهِمْ فَضْلَنا، وَتَعْظيمِهِمْ حَقَّنا، فَقَتَلْتَهُمْ مَخافَةَ أَمْرٍ لَعَلَّكَ لَوْ لَمْ تَقْتُلْهُمْ مِتَّ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوا، أَوْ ماتُوا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوا»(١).

والأسباب التي ذكرها الإمام الحسين عليه السلام لارتكاب معاوية تلك المجازر المدروسة والمنظّمة بحقّ المؤمنين الأبرياء، هي:

أوّلاً: إنّ هؤلاء المؤمنين كانوا يستنكرون الظلم والجور، الذي أضحى منتشراً ومستشرياً في زمن معاوية، ويستعظمون البدع والمنكرات الاجتماعيّة التي شاعت وذاعت في ذلك الزمان ويحاربونها بكلّ شجاعة وبسالة، من دون أن تأخذهم في الله لومة لائم أو طغيان حاكم، وهذا ما يُثير حفيظة معاوية، الذي بنى سياسة حكمه وسلطانه على غير تلك الأخلاق والمُثل والقوانين الإنسانيّة والإسلاميّة، فانتهج القمع أُسلوباً لإسكات معارضيه.

ثانياً: إن هؤلاء المؤمنين كانوا يُذكّرون الناس بفضل أهل البيت عليهم السلام، ويُعظّمون حقّهم في المجتمع بالطرق والأساليب السلمية، بلا قتل ولا قتال، ما جعل معاوية يخشاهم على سلطانه؛ إذ قد تؤدّي هذه الحركة التثقيفيّة والتوعويّة في الأُمّة إلى ظهور الحقّ ورجوعه لأهله، وتسنّم أهل البيت عليهم السلام زعامة المسلمين، ولعلّ هذا هو الأمر الذي أبهمه الإمام الحسين عليه السلام في آخر كلامه.

وقد كان لهذه المسيرة الدامية امتدادها الطبيعي في حكومة يزيد الجائرة، وفي وصف هذه الحقيقة التاريخيّة الواضحة يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**وَيَزيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ، شارِبُ خَمْرٍ، قاتِلُ النَّفْسِ المُحَرَّمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلي لا يُبايِعُ لِمِثْلِهِ**»(٢).

٣ـ كانت ملاحقة معاوية لشيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ومطاردتهم وترويعهم

---

(١) المصدر السابق: ص٢٥٢ـ٢٥٣.

(٢) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤.

وتشريدهـم وقتلهـم تحـت كلّ حجـر ومـدر لمجـرّد انتمائهـم الدينـي والمذهبي من الذائعـات الواضحـة، التـي لا تحتـاج إلى البيان أو برهـان؛ وهذا مـا نطالعه بصريح العبارة حينما خاطب الإمام الحسـين عليه السلام في زمن معاوية جمعاً من الصحابة والتابعين في مكـة المكرّمـة بالقول: «**أَمّا بَعْدُ، فَـإِنَّ هذَا الطّاغِيَةَ** [معاوية] **قَدْ فَعَلَ بِنا وَبِشـيعَتِنا ما قَـدْ رَأَيْتُـمْ وَعَلِمْتُـمْ وَشَـهِدْتُمْ**»[1]. ولا يخفى ما في لفظ (الطاغية) من معاني الشـجب والإدانة والاستنكار لجرائم معاوية، بمحكم القول وجوامع الكلام.

ويؤكّـد ذلـك أيضاً مضمون الكتاب الـذي بعثه أهل الكوفة للإمام الحسـين عليه السلام بعـد هلاك معاوية، حيث جاء فيه قولهم: «**فالحمد للهّ الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد، الذي انتزى على هذه الأُمّة، فابتزّها أمرها، وغصبها فيئَها، وتأمّر عليها بغير رضىً منها؛ ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبُعداً له كما بعُدت ثمود**»[2].

٤ـ كان الإمام الحسـين عليه السلام وفي مناسبات كثيرة ينتقد خنوع الأصحاب والتابعين وأعيان الأُمة وكبرائها، وينعى عليهم سـكوتهم المذلّ عن الظلم والجور والاسـتبداد والإرهـاب الأُمـوي، الذي يذهـب ضحيّته الأبريـاء والفقراء والمسـاكين في أغلب البلـدان الإسـلاميّة، ومن جملة ذلـك مخاطبته إياهم بالقـول: «**فَأَسْـلَمْتُمُ الضُّعَفاءَ في أَيْديهِـمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْـتَعْبَد مَقْهُور وَبَيْنَ مُسْـتَضْعَف عَلى مَعيشَـتِهِ مَغْلُـوب... فَالأَرْضُ لَـهُمْ شاغِرَةٌ، وَأَيْديهِمْ فيها مَبْسُوطَةٌ، وَالنّاسُ لَـهُمْ خَوَلٌ لا يَدْفَعُونَ يَدَ لامِس، فَمِنْ بَيْنِ جَبّار عَنيد، وَذي سَطْوَة عَلَى الضَّعَفَةِ شَديد، مُطاع لا يَعْرِفُ الْمُبْدِئَ الْمُعيدَ. فَيا عَجَباً! وَما لي لا أَعْجَبُ؟! وَالأَرْضُ مِنْ غاشٍّ غَشُوم ومُتَصَدِّق ظَلُوم، وَعامِل عَلَى الْمُؤْمِنينَ بِهِمْ غَيْرِ رَحيم، فَاللهُ الْحاكِمُ فيما فيهِ تَنازَعْنا، وَالْقاضي بِحُكْمِهِ فيما شَجَرَ بَيْنَنا**»[3].

---

(١) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص٣٢٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦١.

(٣) الحرّاني، ابن شعبة، تُحف العقول: ص٢٣٨ـ٢٣٩.

٥ـ تحدّث الإمام الحسين عليه السلام كثيراً وفي مواقف ومناسبات مختلفة عن الأساليب الإجراميّة التي مارسها بحقّه جلاوزة يزيد بن معاوية وأعوانه، حتى أضحى خائفاً يترقّب، غير آمن على نفسه الشريفة وعرضه وحرمه الطاهر وماله ومكانته الدينيّة والاجتماعيّة، يلاحقونه في كلّ مكان، وقد أصدر يزيد حكم الإعدام بحقّ الحسين عليه السلام إن لم يبايع[١]، فخرج من مدينة جدّه خائفاً يترقّب، وهو يقرأ حين خروجه[٢] قوله تعالى [حكاية عن خروج موسى وهجرته من مصر]: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، والنصوص الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام في هذه النقطة متواترة، فمنها على سبيل المثال:

● قوله عليه السلام على مشارف كربلاء: «**اللّهُمَّ، إنّا عِتْرَةُ نَبيِّكَ مُحَمَّد صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وآله، قَدْ أُخْرِجْنا وَأُزْعِجْنا وَطُرِدْنا عَنْ حَرَمِ جَدِّنا، وَتَعَدَّتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَلَيْنا، اللّهُمَّ فَخُذْ لَنا بِحَقِّنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الظّالِمِينَ**»[٤].

● وقوله عليه السلام لابن عباس: «**يَا بْنَ عَبّاس، فَما تَقُولُ في قَوْم أَخْرَجُوا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنْ دارِهِ وَقَرارِهِ وَمَوْلِدِهِ، وَحَرَمِ رَسُولِهِ، وَمُجاوَرَةِ قَبْرِهِ، وَمَوْلِدِهِ، وَمَسْجِدِهِ، وَمَوْضِعِ مَهاجِرِهِ، فَتَرَكُوهُ خائِفاً مَرْعُوباً لا يَسْتَقِرُّ في قَرار، وَلا يَأْوي في مَوْطِن، يُرِيدُونَ في ذلِكَ قَتْلَهُ وَسَفْكَ دَمِهِ، وَهُوَ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئاً، وَلا اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيّاً، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ عَمّا كانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ؟!**»[٥].

● وقوله عليه السلام في يزيد وجلاوزته: «**إِنَّ هؤُلاءِ أَخافُوني**»[٦].

---

(١) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٠.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٥٤.
(٣) القصص: آية٢١.
(٤) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج١، ص٣٣٧.
(٥) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢٤.
(٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٨.

● وقوله عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية حينما ناشده البقاء في مكّة: «**يا أَخي، قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتالَني يَزيدُ بْنُ مُعاوِيَةَ في الحَرَمِ، فَأَكُونَ الَّذي يُسْتَباحُ بِهِ حُرْمَةُ هذَا الْبَيْتِ**»(١).

● وأيضاً قوله عليه السلام لعبد الله بن عمر: «**هَيْهاتَ يا بْنَ عُمَرَ! إِنّ الْقَوْمَ لا يَتْرُكُوني [وَ] إِنْ أَصابُوني، وَإِنْ لَمْ يُصيبُوني فَلا يَزالُونَ حَتّى أُبايِعَ وَأَنَا كارِهٌ، أَوْ يَقْتُلُوني**»(٢).

● وقوله عليه السلام لعبد الله بن الزبير وجمع ممن كان بحضرته: «**وَالله، لاَن أُقْتَلَ خارِجاً مِنها [مكّة] بِشِبْرٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقْتَلَ داخِلاً مِنْها بِشِبْرٍ! وَأَيْمُ الله، لَوْ كُنْتُ في جُحْرِ هامَّةٍ مِنْ هذِهِ الهَوامِّ لاَسْتَخْرَجُوني حَتّى يَقْضُوا فِيَّ حاجَتَهُمْ! وَالله، لَيَعْتَدُنَّ عَلَيَّ كَما اعْتَدَتِ الْيَهُودُ في السَّبْتِ**»(٣).

● وحينما قال له الفرزدق: يا بن رسول الله! ما أعجلك عن الحجّ؟ أجابه عليه السلام بالقول: «**لَوْ لَمْ أُعَجِّلْ لأُخِذْتُ**»(٤).

● وأيضاً قوله عليه السلام لأبي هرّة الأزدي: «**يا أَبا هِرَّةَ، إِنَّ بَني أُمَيَّةَ أَخَذُوا مالي فَصَبَرْتُ، وَشَتَمُوا عِرْضي فَصَبَرْتُ، وَطَلَبُوا دَمي فَهَرَبْتُ، وَأَيْمُ الله، يا أَبا هِرَّةَ، لَتَقْتُلُنِي الْفِئَةُ الْباغِيَةُ وَلَيُلْبِسُهُمُ اللهُ ذُلّاً شامِلاً وَسَيْفاً قاطِعاً**»(٥).

والإمام الحسين عليه السلام قد أكّد في هذه النصوص وغيرها على ثلاثة أُمور مهمّة في هذا العنصر الأوّل من عناصر الإرهاب الحكومي:

الأوّل: إن الحكومة الأُمويّة قد مارست معه عليه السلام أُسلوب الجريمة المنظّمة والحرب النفسيّة المدروسة بمختلف أشكالها وطرقها، من قبيل محاولات الإخافة والتهديد وممارسة أعمال الرعب والإزعاج النفسي والبدني.

الثاني: الهجرة القسريّة؛ لفقدان الأمن وعدم الاستقرار في الوطن.

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٣٩.
(٢) ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٣٧٤.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٨٩.
(٤) المصدر السابق: ج٤، ص٢٩٠.
(٥) ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٧١.

الثالث: المطاردة المستمرّة، وإصدار الحكم بالإعدام من دون إدانة بذنب أو جناية، سوى رفض المبايعة ليزيد.

ثم إن تلك المضايقات والتهديدات والممارسات الإجراميّة الكثيرة والمتواصلة قد خُتمت بفاجعة مؤلمة لا نظير لها في التاريخ، حين أقدمت الحكومة الأُموية على قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وسبي عياله وسلب أمواله وانتهاك حرمته، في مشهد إرهابي دمويّ مُرعب. هذا والحسين عليه السلام كان يُمثّل الشخصية الأُولى في الإسلام، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره، فكيف حال سائر المسلمين المعارضين من أفراد الشعب؟! إنّ هذا يعني أنّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام قد رسم لنا صورة تعريفيّة بليغة تشرح للأجيال طبيعة الأساليب غير الإنسانيّة التي كانت تُمارسها السلطات الجائرة آنذاك مع المواطنين الأبرياء. وفي هذه النقطة بالخصوص يقول عليه السلام: «**يا أُمَّةَ السَّوْءِ! بِئْسَما خَلَّفْتُمْ مُحَمَّداً في عِتْرَتِهِ، أَما إِنَّكُمْ لَنْ تَقْتُلُوا بَعْدي عَبْداً مِنْ عِبادِ اللهِ الصّالحين فَتَهابُوا قَتْلَهُ، بَلْ يَهُونُ عَلَيْكُمْ عِنْدَ قَتْلِكُمْ إِيّايَ**»[1].

وقد وقفت عقيلة الهاشميين زينب ابنة علي عليهما السلام في بلاد الشام وقفة بطولة وشموخ، أدانت فيها إرهاب الطاغية يزيد بن معاوية في مجلسه وعاصمته إدانة مباشرة، وحمّلته مسؤوليّة الجرائم البشعة التي اقترفها بحقّهم، في خطبة طويلة عصماء، تقول فيها: «**لعمري، لقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإراقتك دم سيّد شباب أهل الجنّة... اللّهم خذ بحقّنا، وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبك على مَن سفك دماءنا ونقض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنّا سُدولنا**»[2]. فأغلقت عليها السلام بذلك الأبواب على كلّ مَن يحاول أن يبرّئ يزيد من دم الحسين عليه السلام.

---

(١) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٩.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٣٦.

العنصر الثاني: تسليط الأجهزة القمعيّة على أفراد الشعب

من العناصر التعريفية الأُخرى لمفردة الإرهاب الحكومي هي: ممارسة الدّولة والحكومة لهذا النحو من الإرهاب بواسطة الأجهزة القمعيّة المرتبطة بها، إمّا من جهة انتسابها إليها، أو الإشراف عليها، أو حمايتها ورعايتها، أو نحو ذلك.

وهذا ما امتازت به الحكومات الأُموية المتعاقبة، وخصوصاً في زمن معاوية، حيث سلّط عُتاة هذه الأُمّة وأجلافها الجفاة على رقاب المسلمين، يسومونهم سوء العذاب، وهذا ما صرّح به الإمام الحسين عليه السلام في كتابه إلى معاوية، حينما قال: «**أَوَ لَسْتَ الْمُدَّعي زياداً فِي الإسْلامِ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبي سُفْيانَ، وَقَدْ قَضى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: أنّ الولد للفراش، وللعاهر الحجر. ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلى أَهْلِ الإسْلامِ يَقْتُلُهُمْ، وَيُقَطِّعُ أَيْديَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلاف، وَيُصَلِّبُهُمْ عَلى جُذُوعِ النَّخْلِ؟! سُبْحانَ الله يا مُعاوِيَةُ، لَكَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ، وَلَيْسُوا مِنْكَ، أَوَ لَسْتَ قاتِلَ الحَضْرَميّ الَّذي كَتَبَ إِلَيْكَ فيهِ زيادُ أَنَّهُ عَلى دينِ عَليٍّ؟! وَدينُ عَليٍّ هُوَ دينُ ابْنِ عَمِّهِ صلى الله عليه وآله**»[1].

وفي نصّ آخر يخاطبه عليه السلام بالقول: «**أَوَ لَسْتَ الْمُدَّعي زِيادَ بْنَ سُمَيَّةَ الْمَوْلُودَ عَلى فِراشِ عُبَيْدِ ثَقيف.. ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلَى الْعِراقَيْنِ، يَقْطَعُ أَيْدِي الْمُسْلِمينَ وَأَرْجُلَهُمْ، وَيُسَمِّلُ أَعْيُنَهُمْ وَيُصَلِّبُهُمْ عَلى جُذُوعِ النَّخْلِ، كَأَنَّكَ لَسْتَ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ، وَلَيْسُوا مِنْكَ؟! أَوَ لَسْتَ صاحِبَ الحَضْرَميّينَ الَّذينَ كَتَبَ فيهِمُ ابْنُ سُمَيَّةَ أَنَّهُمْ كانُوا عَلى دينِ عَليّ عليه السلام، فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ: أن اقتل كلّ مَن كان على دين عليّ. فَقَتَلَهُمْ وَمَثَّلَ بِهِمْ بِأَمْرِكَ؟!**»[2]. وقد سبقه عثمان بن عفان إلى هذا الأمر، حيث ولّى المجرمين من بني أُميّة وغيرهم على رقاب الناس، وكان ذلك هو السبب الرئيس في ثورة المسلمين وانقلابهم عليه؛ ما أدّى إلى مقتله على يد الثوار، في سابقة هي الأُولى من نوعها، واستمرّ هذا النهج

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص٢٥٣ـ٢٥٦.

الأُمـويّ في زمن يزيد، حينما سـلّط عبيـد الله بن زياد على العراقَين، والتاريخ شـاهد عـلى الجرائم الكبرى التـي اقترفها ابن زياد بحقّ الأبرياء مـن المؤمنين والصالحين في البصرة والكوفة.

العنصر الثالث: غايات الإرهاب الحكومي

إنّ الغاية من ممارسة هذا النوع من الإرهاب هو تغليب الرؤية السياسية الحاكمة، المرفوضة والمستنكرة شعبيّاً، والتي لا تتمكّن الحكومة من تحقيقها بالوسائل المشروعة. ومن الغايات أيضاً فرض السيطرة على المجتمع ومفاصل الدّولة، وتخويف المعارضة وإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام للنظام الاستبدادي الحاكم.

ويؤكّـد الإمـام الحسـين عليه السلام على أنّ هـذه الغايـات كانت تـدور في رأس معاوية، وهـي التـي دفعته لممارسـة أبشـع مظاهر العنـف والإرهـاب الحكومي آنـذاك، وقد تضمّنـت النصوص السـابقة وغيرها التصريح بمثل تلـك الغايات، فكانت حكومة معاوية قائمة على أسـاس الظلم واسـتحداث البدع والمنكـرات في الدين؛ لإضعاف المجتمع الإسـلامي، فانتشرت في زمانه ظاهرة الكذب والافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإشـاعة العقائد والأفـكار الباطلة، ومقارفة كبائر المحرّمـات، كشرب الخمر والزنا والغناء وغيرها، وكانت هذه الأهداف والغايات تسـتند إلى رؤيّة سياسـيّة مدروسة لدى قيادات الحكم الأُموي، فتصدّى لهذه الممارسـات والسياسـات المنحرفة ثلّة من المؤمنـين والصالحين «**الَّذيـنَ كانُوا يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْـتَعْظِمُونَ الْبِـدَعَ، وَلا يَخافُونَ فِي اللهِ لَوْمَـةَ لائِمٍ**»، وكانت حركتهم سـلميّة توعويّة محضة، فقتلهم معاويـة «**مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا قاتَلُوا وَقَتَلُوا**»[1].

كذلك كانت من الغايات الرئيسـة في سياسة معاوية فرض السيطرة على المجتمع ومفاصـل الدولة، والحفاظ على كـرسيّ الحكم بأيّ ثمن، فكان يقتـل الأبرياء الذين

(١) المصدر السابق: ج١، ص٢٥٢ـ٢٥٣.

يُذكّـرون الناس بفضل أهل البيت عليهم السلام وحقوقهم في الأُمّة؛ شـعوراً منه بأن ذلك قد يؤدّي لانقلاب مجتمعيّ ضدّ سـلطته الجائرة كما أشرنـا، وللحفاظ على حكمه وقمع المعارضة وإسـكات صوتهـا في الأُمّة انتهج معاوية منهج القتـل والعنف والإرهاب بحق الشعب المقاوم، وهذا ما أكّده الإمام الحسين عليه السلام في نصّ سابق، حيث قال: «**وَلَمْ تَفْعَـلْ ذلِكَ** [القتل] **بِهِـمْ إِلّا لِذِكْرِهِمْ فَضْلَنا، وَتَعْظيمِهِمْ حَقَّنا، فَقَتَلْتَهُمْ مَخافَةَ أَمْرٍ لَعَلَّكَ لَوْ لَمْ تَقْتُلْهُمْ مِتَّ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلُوا، أَوْ ماتُوا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوا**»[1].

ثـم إنّ الإمام الحسـين عليه السلام مع أنّه كان يُـصرّح لحكومة معاوية مـراراً وتكراراً بأنّ حركته في الأُمّة سـلميّة تثقيفيّة، وليست عسـكريّة مُسلّحة، كقوله لمعاوية: «**وَما أُريدُ لَكَ حَرْباً وَلا عَلَيْكَ خِلافاً**»[2]، مع ذلك كلّه كان معاوية يُرسـل للحسـين عليه السلام رسائل الوعيد والتنكيل والتهديد بالقتل، وكان الإمام الحسـين عليه السلام يُجيبه بالقول: «**فَكِدْني ما بَدا لَكَ، فَإِنّي أَرْجُو أَنْ لا يَضُرَّني كَيْدُكَ فِيَّ، وَأَنْ لا يَكُونَ عَلى أَحَدٍ أَضَرَّ مِنْهُ على نَفْسِكَ**»[3].

ويقـع في السـياق ذاته ممارسـة أعمال القمـع والإكراه والعنف بهـدف أخذ البيعة ليزيـد، وإجبار الإمام الحسـين عليه السلام على مبايعته، وفي هذا المجـال يقول عليه السلام مخاطباً قبر جـدّه الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله: «**لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ جَوارِكَ كُرْهاً، وَفُرِّقَ بَيْني وَبَيْنَكَ حَيْثُ أَنّي لَمْ أُبايِعْ لِيَزيدَ بْنِ مُعاوِيَةَ**»[4].

ويقول عليه السلام أيضاً حينما هدّده عبيد الله بن زياد وخيّره بين القبول بالذلّ والخضوع للحكـم الأُموي وبـين القتل: «**أَلا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعيّ قَدْ تَرَكَني بَيْنَ السِّـلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهاتَ لَهُ ذلِكَ مِنّي، هَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّة**»[5]، ويكشـف هذا النصّ عن أنّ من الغايات

(١) المصدر السابق: ج١، ص٢٥٣.
(٢) المصدر السابق: ج١، ص٢٥٢.
(٣) المصدر السابق: ج١، ص٢٥٧.
(٤) الطريحي، فخر الدين، المنتخب: ص٤١٠. وبالمضمون ذاته: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٥٤.
(٥) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤.

الأساسيّة التي كان يستهدفها الأُمويّون في ممارستهم جرائم الإرهاب الحكومي، هو السعي لإذلال المعارضين أو القضاء عليهم.

العنصر الرابع: التمييز بين مكوّنات الشعب على أُسس غير قانونيّة

إنّ من جملة الأُسس التي قد يتمّ على أساسها التمييز بين مكوّنات الشعب الواحد، وممارسة القمع والقوّة غير الشرعيّة في حقّ مكوّن دون آخر، هي الأُسس السياسيّة أو الاجتماعيّة أو العرقيّة أو الدينيّة أو الثقافيّة أو المناطقيّة.

ولا شك في أنّ من الأمثلة الواضحة للتمييز المناطقي والديني والثقافي وقمع مكوّن ومحاباة مكوّن آخر من منطلق تلك الأُسس الإثنيّة هي تلك الأساليب القمعيّة التي مارسها معاوية في فترة حكمه، والتي اختصّت ببعض البلدان الإسلاميّة، وذلك حينما أقدم على ترشيح زمرة من الأدعياء المجرمين، وتسليطهم على المناطق التي لا تخضع لإرادته ونظامه السياسي الفاسد، وتحتضن المعارضين والمناوئين والمقاومين لحكومته الظالمة وغير الشرعيّة، كما هو حال العراقين: الكوفة، والبصرة، يقول الإمام الحسين عليه السلام في وصف هذا العنصر من عناصر الإرهاب الحكومي: «**ثُمَّ سَلَّطْتَهُ** [زياد ابن أبيه] **عَلَى الْعِراقَيْنِ، يَقْطَعُ أَيْدِي المسْلِمينَ وَأَرْجُلَهُمْ، وَيُسَمِّلُ أَعْيُنَهُمْ وَيُصَلِّبُهُمْ عَلى جُذُوعِ النَّخْلِ**»[1]، ولم تكن أمثال هذه الجرائم الوحشيّة مألوفة آنذاك في الشام ولا في مكّة ولا المدينة ولا غيرها، بل كان النظام الأُموي يُمارسها في خصوص العراق وأهله على يد المجرم زياد ابن أبيه، ومارسها أيضاً مع أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبّيهم خاصّة أينما وجُدوا، كما فعل السفّاح بسر بن أرطاة مع المؤمنين من أهل مكّة والمدينة واليمن.

وأيضاً فيما يخصّ التمييز على أُسس دينية وعقديّة، يقول الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً معاوية بن أبي سفيان: «**أَوَ لَسْتَ صاحِبَ الحَضْرَميّينَ الَّذينَ كَتَبَ فيهِمُ ابْنُ سُمَيَّةَ أَنَّهُمْ كانُوا عَلى دينِ عَليّ** عليه السلام**، فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ: أن اقتل كلّ مَن كان على دين عليّ.**

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص ٢٥٦.

فَقَتَلَهُمْ وَمَثَّلَ بِهِمْ بِأَمْرِكَ؟!»[1].

وأما التمييز في النظام الأُموي على أساس عرقي، فكان أوضح من أن يخفى، حيث اختصّت الأُسرة الحاكمة بالأموال والمناصب والمكانة الاجتماعية، في الوقت الذي يواجه سائر الناس حرماناً واضطهاداً وقمعاً بلا رحمة ولا شفقة، وفي إشارة إلى هذه الحقيقة يقول الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية: «**وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتّى أَفْرَطْتَ، وَاسْتَأْثَرْتَ حَتّى أَجْحَفْتَ، وَمَنَعْتَ حَتّى مَحِلْتَ، وَجُرْتَ حَتّى جاوَزْتَ، ما بَذَلْتَ لِذي حَقٍّ مِنِ اسْمِ حَقِّهِ بِنَصيب، حَتّى أَخَذَ الشَّيْطانُ حَظَّهُ الأوفَرَ**»[2].

العنصر الخامس: تجاوز القوانين الدّولية والعرفية

إن المراد من عدم قانونيّة العنف الذي تُمارسه الحكومة بحقّ شعبها، هو تجاوز القوانين الدّولية والعرفية والإنسانيّة التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم.

ولا شك بأنّ ما أوردناه من أعمال للعنف والقمع والإرهاب، والتي مارسها النظام الأُموي الحاكم بحقّ الأبرياء من المواطنين الآمنين في البلدان الإسلاميّة، منافية بأجمعها للقوانين والمقرّرات الدّولية والعرفية والإنسانيّة، ولا شك أيضاً بأنّ العُرف البشري والقانون الدّولي يستنكر بشدّة:

١ ـ ملاحقة الأبرياء واعتقالهم وتهجيرهم وإصدار أحكام الإعدام بحقّهم وقتلهم لمجرّد التُّهم والافتراءات الباطلة، ومن دون أيّ مُستند قانونيّ أو شرعيّ.

٢ ـ قمع المواطنين الآمنين المسالمين، وتصفيتهم بسبب انتمائهم الديني والعقدي.

٣ ـ التمييز الاجتماعي والديني والعرقي والمناطقي الجائر وغير المنصف بين مكوّنات الشعب.

٤ ـ تسليط المرتزقة والأجهزة الإجراميّة لقمع الأبرياء من أفراد الشعب.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٠٨.

٥ ـ فرض نظام الحكم الفاسد والجائر بالقوّة والإكراه.

٦ ـ إجبار المواطنين وإكراههم بالعنف والقوّة على مبايعة الفاسدين وغير المؤهّلين لإدارة شؤون الدّولة.

٧ ـ قمع كلّ أشكال المعارضة، بما في ذلك المعارضة السلميّة غير المسلّحة.

٨ ـ نقض المعاهدات، وخرق المواثيق المبرمة مع الأطراف المعارضة، وعدم احترامها.

هذا وغيره من الجرائم التي ارتكبها النظام الأُمويّ الحاكم بحقّ الأبرياء، تنطبق عليها كلّ العناصر التعريفيّة للإرهاب الحكومي، وتُعدّ منافية للقوانين والأعراف البشريّة، وقد استنكرها وأدانها الإمام الحسين عليه السلام قديماً بالقول الصريح والموقف الواضح والجريء.

البحث الثاني: عناصر إضافيّة تعريفيّة للإرهاب الحكومي في كلمات الإمام الحسين عليه السلام

هناك مجموعة أُخرى من العناوين المهمّة والعناصر التعريفيّة الإضافيّة لمفردة الإرهاب الحكومي، ذكرها الإمام الحسين عليه السلام في سياق استعراضه للعناصر التعريفيّة التي عُرِّف بها الإرهاب والعنف الحكومي في زمانه، ووحدة السياق مع ذكر العناصر السابقة تكشف بوضوح عن ارتباط هذه العناصر الجديدة ارتباطاً وثيقاً بمحلّ البحث، لكننا مع ذلك لا نلمس التركيز عليها في التعاريف المتداولة لهذا الصنف من الإرهاب، وفيما يلي بيان موجز لأهمّ تلك العناصر المضافة في كلمات الإمام عليه السلام:

١ ـ الظلم والجور والعدوان

يُعدّ هذا العنوان المرفوض والمستنكر في المجالين الديني والإنساني من العناوين العامّة والواسعة التي تستوعب في سعتها مجموعة كبيرة من أعمال العنف والقمع

غـير القانـوني، ما قد يشـمل بعمومه جملة من العنـاصر التعريفيّـة الماضية، بالإضافة إلى عناصر أُخرى أهملتها تعاريف الإرهاب سـتأتي الإشـارة إلى بعضها لاحقاً. فكلّ حيـف وجور وتجاوز وعدوان وسـلب للحقـوق العامّة والخاصّة يقـع في دائرة هذا العنـوان العريـض، وهو مـن العناوين المتكـرّرة كثيراً في كلمات الإمام الحسـين عليه السلام، فحيثـما كان ينتقـد بصـورة مُعلنـة ومبـاشرة رأس الحكم الأُمـوي ويُدين بشـدّة كلّ مظاهر الإرهاب الحكومي التي يُعاني منها الشـعب آنذاك، كان عليه السلام يُصرّح أيضاً بأن تلك المظاهر والممارسات واقعة تحت دائرة الظلم والجور والعدوان، وقد أشرنا سابقاً إلى بعض تلك النصوص الحسينيّة المباركة، وكان منها ما ذكره عليه السلام في ضمن توصيفه الجرائم البشعة التي مارسها معاويّة وعصاباته بحقّ أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنـين عليه السلام، حيث قـال عليه السلام: «**فَقَتَلْتَهُمْ ظُلْـماً وَعُدْواناً**»[1]. ومن ذلـك أيضاً قوله عليه السلام مخاطباً الجيش الكوفي في كربلاء: «**وَنَحْنُ أَهْلُ البَيْتِ وَأَوْلى بِوِلايَةِ هذَا الأمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هؤُلاءِ الْمُدَّعينَ ما لَيْسَ لهمْ، وَالسّـائِرينَ فيكُمْ بِالْجورِ وَالْعُدْوانِ**»[2]. ومنه أيضاً ما جاء في حديثـه عليه السلام مع كبـار الصحابة والتابعين في مكّة المكرّمة، حيـث يقول: «**فَيا عَجَباً! وَمـا لي لا أَعْجَـبُ؟! وَالأَرْضُ مِنْ غاشٍّ غَشُـوم ومُتَصَدِّق ظَلُوم، وَعامِـل عَلَى الْمُؤْمِنينَ بِهِـمْ غَيْرِ رَحيم**»[3]. وفي هذا المجال أيضاً اسـتدلاله عليه السلام على ضرورة الخروج لمواجهة طغيان الحكم الأُموي بقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**مَن رأى سـلطاناً جائراً مسـتحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يُدخله مدخله**»[4].

وهـذا هـو ذات المنطق والمنهـج الإلهي الوحيـاني الذي نصّت عليه آيـات القرآن

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٦.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٣.
(٣) الحرّاني، ابن شعبة، تُحف العقول: ص٢٣٩.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٤.

الكريم، فإنّ الله عزّ وجلّ قد وصف الإرهاب والقمع الحكومي الذي كان يمارسه فرعون وجلاوزته مع طائفة من الشعب، وهم بنو إسرائيل بالظلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾[1]. وفي نصّ قرآني آخر يقول الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]. وحينما اضطرّ موسى للهجرة ومغادرة أراضي الحكومة الفرعونيّة، قال: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]. وأيضاً في المجال ذاته كلام: ﴿ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]. فالظلم والجور من أهمّ العناوين العامّة والأجناس العالية المعتبرة في تعريف حقيقة الإرهاب الحكومي، وهو ما أكّد عليه الإمام الحسين عليه السلام في كلامه السابق.

٢ ـ الفساد في الأرض

إنّ هذا العنوان المهمّ هو أيضاً من العناوين التعريفيّة العامّة، الشاملة بعمومها لعدد وافر من العناصر والأمثلة والتطبيقات البيانيّة المؤثرة في تعريف حقيقة ومعنى الإرهاب الحكومي، وهو كسابقه مُستنكر ومرفوض في المستويين الشرعي والإنساني، وقد أكّد الإمام الحسين عليه السلام على خطورته وآثاره المدمّرة في سياق استعراضه للعناصر التعريفيّة السابقة واستنكاره لجرائم العنف الأُموي بحقّ الأبرياء في بلاد الإسلام، ومن تلك الموارد الكثيرة قوله عليه السلام بصدد فضح السياسات الإجراميّة للزمرة الأُمويّة الحاكمة: «**إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسادَ**

(١) الأنفال: آية ٥٤.
(٢) القصص: آية ٤٠.
(٣) القصص: آية ٢١.
(٤) التحريم: آية ١١.

في الأَرْضِ، وَأَبْطَلُوا الحُدُودَ، وَشَرِبُوا الخُمُورَ، وَاسْتَأْثَرُوا في أَمْوالِ الْفُقَراءِ وَالمساكينَ، وَأَنا أَوْلى مَنْ قامَ بِنُصْرَةِ دينِ اللهِ وَإِعْزازِ شَرْعِهِ وَالْجِهادِ في سَبيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا»[1].

وقد جاء أيضاً هذا العنصر التعريفي العامّ بشكل واضح وصريح ومتكرّر في مواضع كثيرة من آيات القرآن الكريم، وخصوصاً في مجال الحديث عن الإرهاب الحكومي، ولعلّ من أهمّ الموارد البارزة في المقام ما أشرنا إليه من سياسة فرعون القمعيّة واضطهاده لشعبه من بني إسرائيل، وبهذا الصدد يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]. ويقول تعالى أيضاً: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[3]. وهذا يعني أنّ عنوان (الفساد في الأرض) هو الآخر معدود من الأجناس العالية والعناوين العامّة المعتبرة في تعريف مفردة الإرهاب الحكومي، وقد ذكره الإمام الحسين عليه السلام في السياق ذاته.

٣ ـ نقض العهود والمواثيق

إنّ من الطبيعي جدّاً أن تواجه الحكومات القمعيّة والأنظمة المستبدّة معارضة ومواجهة شديدة من قبل طبقات الشعب الحرّة والواعيّة، وهذا ما واجهته بالفعل الحكومة الأُموية الظالمة، فالأحرار من الصحابة والتابعين والمؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام كان لهم صوتاً مرتفعاً وموقفاً حازماً مقاوماً بوجه الإرهاب الأُموي، وقد كان لهم تأثيرهم الواضح في الأوساط الشعبية المؤمنة، وهذا ما كان يخشاه

(١) ابن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢١٧.
(٢) القصص: آية٤.
(٣) يونس: آية٨٣.

معاوية كثيراً، وللقضاء على تلك الأصوات المعارضة وإسكاتها مارس أبشع الجرائم الوحشيّة، وهذا ما اضطر المعارضة في بعض الأحيان للدخول في هُدنة مع السلطة، ومعاوية لخوفه الشديد من تفاقم هذه الحركات المعارضة كان يُعطيهم الأمان والعهود والمواثيق والأيمان المغلّظة بعدم مطاردتهم أو التعرّض لهم، مُقابل جلوسهم وسكوتهم عن التعرّض لحكومته، ومع كلّ ذلك كان معاوية يخون عهده وينقض تلك المواثيق، وكأنّها لم تكن، فيغتال معارضيه ويقتلهم بدم بارد، وقد عُرف معاوية بهذا الأُسلوب وهذه الطريقة من زمن أمير المؤمنين عليه السلام، حينما خان عهده في مسألة التحكيم المشهورة، وكذلك خيانته المعروفة لبنود صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام.

والإمام الحسين عليه السلام وفي سياق ذكره لعناصر الإرهاب الحكومي يُشدّد على مسألة نقض العهود والمواثيق، ويُدرجها في العناصر التعريفيّة للإرهاب الحكومي الذي كان يمارسه معاوية بحقّ معارضيه، وقد أشرنا إلى بعض تلك النصوص الحسينيّة المباركة في البحث السابق، والتي كان منها قوله عليه السلام: «**فَقَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدْواناً مِنْ بَعْدِ ما أَعْطَيْتَهُمُ المَواثيقَ الْغَليظَةَ، وَالْعُهُودَ المُؤَكَّدَةَ جُرْأَةً عَلَى الله، وَاسْتِخْفافاً بِعَهْدِهِ**»[1].

وأيضاً يقول عليه السلام في نص آخر سابق: «**ثُمّ قَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدْواناً مِنْ بَعْدِ ما كُنْتَ أَعْطَيْتَهُمُ الأَيمانَ المُغَلَّظَةَ، وَالمَواثيقَ المُؤَكَّدَةَ، وَلا تَأْخُذَهُمْ بِحَدَث كانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَلا بِإِحْنَة تَجِدُها في نَفْسِكَ... وَلَقَدْ نَقَضْتَ عَهْدَكَ بِقَتْلِكَ هؤُلاءِ النَّفَرِ الَّذينَ قَتَلْتَهُمْ بَعْدَ الصُّلْحِ وَالأَيمانِ وَالْعُهُودِ وَالمَواثيقِ**»[2]. وتمثّل هذه النقطة بالخصوص عنصراً مهماً من عناصر الإرهاب الحكومي، لم يتمّ التركيز عليها في التعريفات المتداولة في العصر الحاضر.

٤ـ سرقة أموال الشعب والاستئثار بالفيء

إنّ سرقة الحكومات الفاسدة لأموال شعوبها والسطو على حقوقهم العامّة كان ولا يزال يُمثّل ظاهرة مألوفة في كثير من البلدان الإسلاميّة والعربيّة وغيرها من

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ص٢٥٢ـ٢٥٣.

البلدان التي تحكمها أنظمة فاسدة ومُستبدّة ودكتاتوريّة، وتُعدّ هذه الظاهرة المقيتة والمدمّرة من أهمّ وأبرز أسباب انتشار الظلم والفقر والتخلّف والجريمة والخراب في المجتمع؛ ولذا نرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أدرج هذا العنصر الحساس في ضمن العناصر التعريفيّة لمفردة الإرهاب الحكومي، فالحكومة التي تعتدي على أموال شعبها حكومة إرهابيّة وداعمة للجريمة والإرهاب في المجتمع، وتُعدّ هذه الفكرة التعريفيّة امتيازاً وسِبقاً معرفيّاً مُستفاداً من كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لم يُلتفت إليها إلى هذه اللحظة، بالرّغم من سعة البحوث والدراسات في هذا المجال، وبخصوص هذا العنصر المهمّ من عناصر الإرهاب الحكومي يقول الإمام عليه السلام في حديثه مع معاوية، الذي استأثر بأموال المسلمين ومنعها مستحقّيها من الفقراء والمساكين ـ: «**وَلَقَدْ فَضَّلْتَ حَتّى أَفْرَطْتَ، وَاسْتَأْثَرْتَ حَتّى أَجْحَفْتَ، وَمَنَعْتَ حَتّى مَحِلْتَ، وَجُزْتَ حَتّى جاوَزْتَ، ما بَذَلْتَ لِذي حَقٍّ مِنِ اسْمِ حَقِّهِ بِنَصيب حَتّى أَخَذَ الشَّيْطانُ حَظَّهُ الأَوْفَرَ**»[1]. ويقول عليه السلام أيضاً في المقام ذاته استنكاراً وإدانة للمنهج الأُمويّ الفاسد: «**إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لَزِمُوا طاعَةَ الشَّيْطانِ... وَاسْتَأْثَرُوا في أَمْوالِ الْفُقَراءِ وَالمَساكينَ**»[2]. وفي نص آخر يقول عليه السلام: «**وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيءِ**»[3]. وقد جاء هذا الشجب والاستنكار في سياق الحديث عن إرهاب السلطة في العصر الأُموي.

ولا شكّ في أنّ الإمام الحسين عليه السلام يتّبع في هذه الرؤية الدقيقة ذات المنهجيّة القرآنيّة المباركة؛ إذ إنّنا نلاحظ بأنّ القرآن الكريم قد تحدّث وبوضوح عن قصّة الفساد المالي لحكومة فرعون وملئه من المستكبرين في سياق إرهابهم وإجرامهم الحكومي مع شعبهم، حيث كانت الكابينة الفرعونيّة الحاكمة تستأثر بالأموال والامتيازات الخاصّة والعامّة، في الظرف الذي يرزح الشعب فيه من بني إسرائيل

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص٢٠٨.
(٢) ابن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢١٧.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٤.

تحت خطوط الفقر والعوز والجوع والحاجة، وقد شكّل هذا العنصر بالخصوص أحد الموانع والعقبات الكبيرة التي تقف أمام الإصلاح المجتمعي الذي بُعث به موسى عليه السلام لقومه؛ ولذا طلب موسى عليه السلام من الله تعالى بصريح القول أن يُدمّر تلك الترسانة الماليّة الضخمة غير الشرعيّة لفرعون وجلاوزته، والتي وظّفوها بإتقان للقضاء على الحركة الإصلاحيّة لموسى عليه السلام في المجتمع، كما جاء النصّ على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[1]. وقد استجاب الله تعالى دعوة نبيّه قائلاً: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾[2]. والتاريخ شاهد على أنّ هذا الترف والبذخ المالي المبني على أكتاف الفقراء كان من أبشع ألوان الإرهاب في حكومة فرعون الفاسدة، استنكره القرآن الكريم وأدانه بشدّة، وحكومة معاوية قد مارست أيضاً هذا الصنف من أصناف الإرهاب الحكومي بصورة مفرطة، وفي المقابل واجه الإمام الحسين عليه السلام هذه الظاهرة الوبائيّة بحزم وقوّة، متّبعاً في ذلك ذات النهج الإلهي مع فرعون وحكومته الظالمة.

٥ـ تنصيب غير الكفوئين في المناصب السياديّة

إنّ هذا العنصر التعريفي المأثور في كلمات الإمام الحسين عليه السلام هو الآخر من العناصر المهمّة والمؤثرة في تحديد مفردة الإرهاب الحكومي، وتتجلّى أهمّيته أكثر عندما نطالع ما واجهته وتواجهه الشعوب والبلدان على مرّ التاريخ، من كوارث إنسانيّة مدمّرة؛ نتيجة ترشيح عديمي الكفاءة وتمكينهم من المناصب السياديّة وتسليطهم على رقاب الناس، والإمام الحسين عليه السلام يرى بأنّ من أمثلة الإرهاب الحكومي البارزة وضع غير

(١) يونس: آية٨٨.
(٢) الأعراف: آية١٣٧.

الكفوئين في المناصب السياديّة والحسّاسة، وهذا بالتحديد هو ما فعله معاوية حينما ولّى الفاسدين والمجرمين والمنحرفين على مقدّرات وشعوب البلدان الإسلاميّة، من أمثال زياد ابن أبيه وبسر بن أرطاة وغيرهما، وكذلك الحال بالنسبة إلى مسألة أخذ البيعة بالخلافة وولاية العهد من بعده لولده يزيد الفسق والفجور، وقد استنكر الإمام الحسين عليه السلام هذه الظاهرة الخطيرة وحذّر من تداعياتها، وأدانها بشدّة في مواقف ومناسبات كثيرة، والنصوص الواردة في هذه النقطة بالخصوص متضافرة، فمن ذلك قوله عليه السلام لمعاوية: «**أوَ لَسْتَ المُدَّعي زياداً فِي الإِسْلامِ... ثُمَّ سَلَّطْتَهُ عَلى أَهْلِ الإِسْلامِ يَقْتُلُهُمْ**»[1]. وأيضاً قوله عليه السلام في مسألة أخذ البيعة ليزيد: «**لا أعْلَمُكَ إلّا وَقَدْ خَسِرْتَ نَفْسَكَ، وَبَتَرْتَ دينَكَ، وَغَشَشْتَ رَعِيَّتَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمانَتَكَ**»[2]. وهكذا في نصّ آخر يقول عليه السلام: «**ثُمَّ وَلَّيْتَ ابْنَكَ وَهُوَ غُلامٌ يَشْرَبُ الشَّرابَ وَيَلْهُ بِالْكِلابِ، فَخُنْتَ أَمانَتَكَ وَأَخْزَيْتَ رَعيَّتَكَ، وَلَمْ تُؤَدِّ نَصيحَةَ رَبِّكَ، فَكَيْفَ تُوَلّي عَلى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله مَنْ يَشْرَبُ المُسْكِرَ، وَشارِبُ المُسْكِرِ مِنَ الْفاسِقينَ، وَشارِبُ المُسْكِرِ مِن الأَشْرارِ، وَلَيْسَ شارِبُ المُسْكِرِ بِأَمين عَلى دِرْهَم، فَكَيْفَ عَلَى الأُمَّةِ؟!**»[3]. وبالمضمون ذاته أيضاً قوله عليه السلام: «**وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِناسٍ لَكَ قَتْلَكَ بِالظِّنَّةِ، وَأَخْذَكَ بِالتُّهْمَةِ، وَإِمارَتَكَ صَبِيّاً يَشْرَبُ الشَّرابَ، وَيَلْعَبُ بِالْكِلابِ، ما أَراكَ إِلّا قَدْ أَوْبَقْتَ نَفْسَكَ، وَأَهْلَكْتَ دينَكَ، وَأَضَعْتَ الرَّعيَّةَ**»[4]. وحينما فشل معاوية في إقناع كبار الصحابة والتابعين بخلافة يزيد من بعده، واستشعر وعي الأُمّة ومعرفتها بعدم كفاءة ابنه لمنصب الخلافة وقيادة الأُمّة وإدارة شؤونها، حاول جاهداً أن يُوهم الناس البسطاء بأنّ ابنه هو الأصلح للأُمّة، وأنه يُتقن فنّ السياسة وإدارة الدّولة، وعالم بشؤون الحكم والسلطة، وأقدم على نشر

(١) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٦.
(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص ٢٥٩.
(٣) القاضي النعمان، دعائم الإسلام: ج٢، ص١٣٣.
(٤) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٧.

هذه الأفكار بنفسه في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، فتصدّى الإمام الحسين عليه السلام لردّه وردعه بكلام واضح وصريح، لا يدع أيّ مجال لما يزعمه ويدّعيه معاوية من مديح لا يستحقّه ابنه يزيد، حيث خاطبه عليه السلام بالقول: «**وَفَهِمْتُ ما ذَكَرْتَهُ عَنْ يَزيدَ مِنِ اكْتِمالِهِ وَسِياسَتِهِ لأُمّةِ مُحَمَّد، تُريدُ أَنْ تُوهِمَ النّاسَ في يَزيدَ، كَأَنَّكَ تَصِفُ مَحْجُوباً، أَوْ تَنْعِتُ غائِباً، أَوْ تُخْبِرُ عَمّا كانَ مِمَّا احْتَوَيْتَهُ بِعِلْم خاصٍّ، وَقَدْ دَلَّ يَزيدُ مِنْ نَفْسِهِ عَلى مَوْقِعِ رَأْيِهِ، فَخُذْ لِيَزيدَ فيما أَخَذَ بِهِ مِنَ اسْتِقْرائِهِ الْكِلابَ الْمُهارِشَةَ عِنْدَ التَّحارُشِ، وَالحَمامَ السُّبَّقَ لِأَتْرابِهِنَّ، وَالقيّانِ ذَواتِ المَعازِفِ، وَضَربِ المَلاهي، تَجِدُهُ باصِراً، وَدَعْ عَنْكَ ما تُحاوِلُ، فَما أَغْناكَ أَنْ تَلْقَى اللهَ مِنْ وِزْرِ هذَا الخَلْقِ بِأَكْثَرَ مِمّا أَنْتَ لاقيهِ**»[1]. فالإمام الحسين عليه السلام قد استشرف خطورة تولية يزيد الفاسد على شؤون هذه الأُمّة ومقدّراتها، وكان الأمر كما قاله عليه السلام؛ إذ لم تَرَ الأُمّة من يزيد إلّا مزيداً من مظاهر القتل والظلم والدمار. وفي هذا السياق أطلق الإمام الحسين عليه السلام كلمته المشهورة: «**وَعَلَى الإسْلامِ السَّلامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الأُمَّةُ بِراعٍ مِثْلِ يَزيدَ**»[2].

ولأنّ الحكم الأُموي المتمثّل بحكم معاوية كان هو الأخطر على الأُمّة الإسلامية كما تبيّن من مُجمل العناصر الماضية للإرهاب الحكومي بحقّ الشعب، خاطبه الإمام الحسين عليه السلام بالقول: «**وَإِنّي لا أَعْلَمُ فِتْنَةً أَعْظَمَ عَلى هذِهِ الأُمَّةِ مِنْ وِلايَتِكَ عَلَيْها**»[3].

البحث الثالث: المبادئ والأساليب العامّة في مواجهة الإرهاب الحكومي

لا نريد الخوض في غمار هذا البحث على سعته، وإنّما نسعى لقراءة كلمات الإمام الحسين عليه السلام الواردة في هذا الشأن بالخصوص، واستطلاع ما ذكره عليه السلام من مبادئ وأساليب عامّة لمواجهة مخاطر الإرهاب الحكومي، وفي هذا الإطار احتوى

(١) المصدر السابق: ج١، ص١٦٠ـ١٦١.
(٢) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٧.
(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص ٢٥٧.

كلامه القدسي على أفكار قيّمة وعناوين مهمّة، تفسح المجال واسعاً أمام المفكّرين والباحثين المختصّين بدراسة مظاهر العنف والإرهاب في البلدان والمجتمعات، وتضع في متناول الشعوب المعارضة والرافضة لسياسات حكوماتها القمعيّة المناهج الصحيحة والخطط المحكمة للوقوف بوجه جرائم السلطات الحاكمة ومكافحتها، ونستعرض فيما يلي بإيجاز أهمّ تلك المبادئ والأساليب في دائرة العناوين التالية:

١ـ الصبر

لا شكّ في أنّ الصبر قرين الأعمال والمشاريع الكبيرة، والحركات الناجحة والمثمرة، وكلّما ازدادت ضخامة العمل والمشروع كان أصحابه أشدّ احتياجاً وفاقة إلى التحلّي بالصبر والتحمّل والثبات، ويُعدّ الصبر من أهمّ الصفات الأخلاقيّة والملكات النفسانيّة التي أوصى الله تعالى بها الأنبياء والمرسلين والأوصياء والمؤمنين كافّة، والآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة التي تعرّضت لهذه الصفة وحدودها ودرجاتها وأهمّيتها وشرائطها وآثارها فوق حدّ الحصر والإحصاء، ولا يسعنا المجال للخوض في تفاصيل مبدأ الصبر ودوره المحوري في تكامل الإنسان وبناء شخصيّته، لكنّنا نؤكّد هنا على أن اختيار خطّ المعارضة ومنهج المواجهة مع السلطات الفاسدة والظالمة بحاجة إلى همّة عالية ودرجات متقدّمة من التحمّل والصبر.

ولأنّ خطّ الأنبياء الرسالي ومنهجهم الإصلاحي في المجتمع كان يستدعي الوقوف بحزم وثبات بوجه الطغاة والمتسلّطين الفاسدين من حكّام الظلم والجور، كان الله تعالى يُوصيهم ويأمرهم بالصبر كثيراً، ويُوصي نبيّه الأكرمﷺ أن يحذو حذو الأنبياء السابقين، ويتسلّح دائماً بهذه الصفة العظيمة، يقول الله تعالى مخاطباً نبيّنا الكريم محمّداًﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]. وهكذا يخاطب الله تعالى المؤمنين الذين هم على نهج الأنبياء وخط الرسالة بالقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) الأحقاف: آية٣٥.

﴿ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1].

وكان موسى عليه السلام أيضاً يُوصي قومه من بني إسرائيل بالصبر والتحمّل والثبات؛ للوقوف بحزم وقوّة أمام أشرس إرهاب حكومي مارسه معهم الطاغية فرعون والمستكبرون من قومه، يقول الله عزّ وجلّ بهذا الصدد: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ * قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[2]. وقد أوصى الله تعالى بمبدأ الصبر ومدحه وحثّ عليه في أكثر من مائة مورد في القرآن الكريم، وأمّا الأحاديث فيعجز الباحث عن إحصائها، كلّ ذلك يؤكّد أهمّية الصبر ومحوريّته في الحركات والمشاريع الإصلاحية.

وكان من أبرز الشخصيات الإصلاحيّة الرائدة التي عُرفت في زمانها بمعارضتها الصريحة للفساد والإرهاب الحكومي الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه)، وخصوصاً في فترة خلافة عثمان بن عفان، حيث انحرفت خلافته كثيراً عن مبادئ الإسلام وأُصوله؛ ما أدّى إلى استياء واسع في الأوساط الشعبيّة، ومعارضة شديدة للجهاز الحاكم وسياسته الظالمة والمجحفة، وكان أبو ذر يقف في الواجهة بقوّة وحزم مُعارضاً لاستبداد عثمان وولاته وتفرّدهم الجائر بالسلطة، وقد دفع ضريبة كبيرة إزاء منهجه المعارض وسيرته الرافضة والمقاومة للجور والظلم، وواجه في سبيل ذلك مُختلف صنوف التعذيب والضرب والإهانة والتهجير والطرد من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى مات غريباً مظلوماً مهضوماً في صحراء الربذة ورمضائها، وقصّته معروفة ومشهورة، وحينما أصدر الخليفة عثمان قرار طرده وتهجيره خارج المدينة المنوّرة، خرج لمشايعته وتوديعه في مظاهرة سلميّة أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، ومعهم عقيل بن أبي طالب وعمّار بن ياسر، وقد حاولوا أن

(١) آل عمران: آية٢٠٠.

(٢) الأعراف: آية١٢٧ـ١٢٨.

يخفّفوا عنه آلام العنف الذي واجهه في حكم عثمان والغربة المؤلمة التي سيعيشها بقيّة حياته، ضريبة مكافحته للإرهاب، ومن جملة ما تكلّم به الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموقف العصيب هو التأكيد على مسألة الصبر والتحمّل، وأنّ مواجهة الإرهاب الحكومي ينبغي أن يكون مقروناً بملكة الصبر، ولا نصر إلّا مع الصبر، حيث خاطبه عليه السلام بالقول: «**يا عمّاهْ، إنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالى قادِرٌ أَنْ يُغَيِّرَ ما تَرى، وَهُوَ كُلَّ يَوْم في شَأن، إنَّ الْقَوْمَ مَنَعُوكَ دُنْياهُمْ وَمَنَعْتَهُمْ دينَكَ فَما أَغْناكَ عَمّا مَنَعُوكَ، وَما أَحْوَجَهُمْ إلى ما مَنَعْتَهُمْ، فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ؛ فَإنَّ الخَيْرَ في الصَّبْرِ، وَالصَّبْرُ مِنَ الْكَرَمِ، وَدَعِ الجَزَعَ فَإنَّ الجَزَعَ لا يُغْنيكَ**»[1]. وفي نصّ آخر قال عليه السلام: «**فَاسْأَلِ الله الصَّبْرَ وَالنَّصْرَ، واسْتَعِذْ بِهِ مِنَ الجَشَعِ وَالجَزَعِ؛ فَإنَّ الصَّبْرَ مِنَ الدّينِ وَالْكَرَمِ، وَإنَّ الجَشَعَ لا يُقَدِّمُ رِزْقاً، وَالجَزَعُ لا يُؤَخِّرُ أَجَلاً**»[2].

وكان الإمام الحسين عليه السلام يلهج دائماً بالصبر في مواجهة الطغاة إلى لحظاته الأخيرة، حينما وقع على تربة كربلاء، وبقي ثلاث ساعات من النهار ملطّخاً بدمه الشريف، رامقاً بطرفه إلى السماء وينادي: «**يا إلهي، صبراً على قضائك، ولا معبود سواك، يا غياث المستغيثين**»[3]. وفي زيارة الناحية المقدّسة يخُاطبه الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف بالقول: «**وقد عجبتْ من صبرك ملائكة السماوات**»[4].

٢ـ الشجاعة

«**الشجاعة بنفسها ملكة يُقتدر بها على خوض الأهوال، ومعاركة الأبطال، وتلزمها جرأة وقوّة قلب**»[5]. وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**جُبلت الشجاعة على ثلاث طبائع، لكلّ واحدة منهن فضيلة ليست للأُخرى: السخاء بالنفس، والأنفة من**

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٢٠٧.
(٢) الجوهري، أحمد بن عبد العزيز، السقيفة وفدك: ص٧٩.
(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٨٢.
(٤) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص٥٠٤.
(٥) النراقي، أحمد بن محمد مهدي، مستند الشيعة: ج١٨، ص٨٨.

الذلّ، وطلب الذكر، فإن تكاملت في الشجاع كان البطل الذي لا يُقام لسبيله والموسوم بالإقدام في عصره»[1].

ومن الواضح أنّ الوقوف بوجه الطغاة والظالمين ومواجهة الحكومات الإرهابيّة يتطلّب مستويات عالية من ملكة الشجاعة والجرأة والإقدام، وواضح أيضاً أنّ صفات الضعف والخوف والجبن لا تتوافق أبداً مع اختيار طريق الرفض والمعارضة ومقاومة الأنظمة الاستبداديّة الجائرة، الذي يتطلّب في كثير من الأحيان المواجهة المسلّحة والتضحية بالغالي والنفيس، فالضعيف الخائف الجبان سُرعان ما يتراجع ويخضع أمام إرهاب السلطات القمعيّة؛ ولذا نرى أنّ الله تعالى خاطب نبيّه موسى عليه السلام حينما أرسله للوقوف بوجه الطاغية فرعون بالقول: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[2].

وقد تجلّت الشجاعة والرجولة والبسالة بأوضح أشكالها وأعلى درجاتها في كلمات أبي عبد الله الحسين عليه السلام ومواقفه الحازمة والحاسمة، وخصوصاً في المراحل المتنوّعة لنهضته المباركة، حيث سطّر عليه السلام على صفحاتها أروع ملاحم البطولة والشجاعة والإقدام والتضحية في سبيل التغيير والإصلاح ومحاربة المفسدين، وكان من جملة تلك المواقف الصامدة والخالدة حديثه الصريح والجريء مع الطاغية معاوية، الذي يُهدّده فيه ويتوعّده عليه السلام بالثورة ضدّه والخروج المسلّح لإسقاط حكومته إن لم يرتدع عن أعماله العدوانيّة والإجراميّة تجاه الشعب، وقد سبقت الإشارة إلى مقاطع من حديثه عليه السلام المناهض لظلم معاوية وحكومته الفاسدة، ومن ذلك أيضاً قوله عليه السلام لمعاوية: **«وَإِنّي وَاللهِ، ما أَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْ جِهادِكَ، فَإِنْ أَفْعَلْ فَإِنَّهُ قُرْبَةٌ إِلى رَبّي، وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْهُ فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِديني، وَأَسْأَلُهُ التَّوْفيقَ لِما يُحِبُّ وَيَرْضى»**[3]. وحينما هلك معاوية

(١) الحرّاني، ابن شعبة، تُحف العقول: ص٣٢٢.

(٢) النمل: آية ١٠.

(٣) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٦.

وأمـر يزيد واليـه على المدينـة أن ينتزع البيعة من الحسـين عليه السلام طوعـاً أو كرهاً، أجابه الإمام الحسين عليه السلام بكلمة ملؤها الرجولة والشهامة والبطولة، حينما قال: «**يَزيدُ رَجُلٌ فاسِـقٌ، شـارِبُ خَمْر، قاتِلُ النَّفْسِ المُحَرَّمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلي لا يُبايِعُ لِمِثْلِهِ**»[1]. وقال أيضاً عليه السلام: «**وَاللهِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنيا مَلْجَأٌ وَلا مَأْوىً، لَمَا بايَعْتُ يَزيدَ بْنَ مُعاوِيَةَ أَبَداً**»[2]. وفي ساحات البسالة والصمود والتضحية قال عليه السلام: «**مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقاءِ اللهِ نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ مَعَنا؛ فَإِنّي راحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شاءَ اللهُ**»[3]. وحينما عرض عليه ابن زياد الخضوع له والبيعة ليزيد وهو عليه السلام محاصر في كربلاء، قال: «**لا أُجيبُ ابْنَ زِيادَ بِذلك أَبَداً، فَهَلْ هُوَ إِلّا المَوْتَ، فَمَرْحَباً بِهِ**»[4]. ولا شـكّ في أنّ هذه هي قمّة الشـجاعة والبطولـة كما تقدّم عن الإمام الصادق عليه السلام، ويقـول أمير المؤمنين عليه السلام: «**معالجة النِّزال تُظهر شجاعة الأبطال**»[5].

وهكذا كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في قمّة الشجاعة والبطولة، وقد وصفهم هـو عليه السلام لأُختـه زينب عليها السلام بالقـول: «**أَمـا وَاللهِ، لَقَـدْ نَهَرْتُهُمْ وَبَلَوْتُهُـمْ، وَلَيْـسَ فيهِمُ إِلّا الأَشْوَسَ الأَقْعَسَ، يَسْتَأْنِسُونَ بِالمَنِيَّةِ دُوني اسْتِئْناسَ الطِّفْلِ بِلَبَنِ أُمِّهِ**»[6].

٣ـ العزّة والإباء

العزّة التي تُقابلها الذلّة من الصفات الإلهيّة الذاتيّة العظيمة، وهي ثانياً وبالتبع من صفات نبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله ومَن سار على هُداه من المؤمنين، قال الله تعالى في الردّ على المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

(١) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٤.
(٢) المصدر السابق: ج٥، ص٢١.
(٣) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٧٠.
(٤) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٥٤.
(٥) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: ص٤٨٨.
(٦) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٩٣.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. وهـذا هـو منهـج الطغـاة والمفسـدين وطريقتهم في التعامل مع الفقراء والمستضعفين، يسعون لإذلالهم وتحقيرهم والنيل من كرامتهم بشتّى الوسـائل والسُّبل، لكـنّ الله تعالى يُخبرنا بأنّ العـزّة صفة وملكة نفسـانيّة شـامخة في البشر، لا يمتلكها إلّا الأماثل من الأنبياء والرُّسـل وأتباعهم من المؤمنين والهداة والمصلحين، والمنافقون هم الأذلّاء الذين يخشون كلّ شيء، ويحسبون كلّ صيحة عليهم من الذلّة وشدّة الخوف.

ثـمّ إنّ ملكـة العـزّة من أهمّ شرائـط النصر في مواجهـة القمع وإرهاب السـلطة وفسـادها، ولا نصر ولا غلبة على الأعداء إلّا مع صفات العزّة والكبرياء والكرامة، ويبقـى الذليـل عبداً خانعاً خاضعـاً للطغاة، لا نصيب له من الظفـر والنصر والفوز على عدوّه.

وقد تجلّت في نهضة الإمام الحسـين عليه السلام وثورته ضدّ الطغاة والمفسدين كلّ مظاهر العـزّة والكرامة والإباء، وكانت كلماته عليه السلام ومواقفه الرشـيدة طافحة بتلك الصفات الكريمة في طول مسـيرته الإصلاحيّة، كما في قولـه عليه السلام: «**مَوْتٌ في عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَياة في ذُلٍّ**»[2]. وقولـه عليه السلام حينما نزل أرض كربلاء وأحاطت به الأعداء ـ: «**لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ في لِقاءِ اللهِ مُحِقّاً، فَإِنّي لا أَرى الْمَوْتَ إِلّا شَهادَةً، وَلاَ الْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلّا بَرَماً**»[3]. وقوله عليه السلام حينـما خـيّروه في كربلاء بـين القتل أو الخضـوع لابن زيـاد وإعلان البيعـة ليزيد بن معاويـة ـ: «**أَلا وَإِنَّ الدَّعِـيَّ ابْـنَ الدَّعيّ قَدْ تَرَكَني بَيْنَ السِّـلَّةِ وَالذِّلَّـةِ، وَهَيْهاتَ لَهُ ذلِكَ مِنّـي! هَيْهـاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ**»[4]. وحينما خاطبه قيس بن الأشـعث بالقول: أو لا تنزل على حكـم بني عمّك؟! أجابه عليه السلام قائلاً: «**لا وَاللهِ، لا أُعْطيهِمْ بِيَدي إِعْطاءَ الذَّليلِ، وَلا أُقِرُّ**

(١) المنافقون: آية٨.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٢٤.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٠٥.

(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤.

إقْرارَ الْعَبيدِ»[1]. وهكذا أضحت هذه الكلمات المنيرة أناشيد خالدة يُردّدها الأحرار والأُباة من مختلف الألوان والمذاهب والجنسيّات.

وقد بلغت العزّة والكرامة في الحسين بن عليّ عليهما السلام مبلغها حين أيقن بالقتل، وطلب ثوباً لا يرغب به أحد، يجعله تحت ثيابه، كي لا يُسلب منه، فجاءوه بتبّان[2]، فرفضه، وقال: «**ذاكَ لِباسُ مَنْ ضُرِبَتْ عَلَيْهِ الذّلة**»[3]، وأخذ ثوباً آخر، فخرّقه وجعله تحت ثيابه.

٤ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الإصلاح وتوعية الأُمّة بالطرق السلميّة)

لا شكّ في أنّ كوارث المعارك والحروب هي أسوأ ما تواجهه البشريّة في هذه الحياة؛ لما تخلّفه من آثار الخراب والدّمار الشامل وهلاك الحرث والنسل، ومن هذا المنطلق نفهم لماذا أنّ خوض الحروب والمواجهات المسلّحة مع العدو كانت هي الخيار الأخير بيد الهداة والمصلحين، فحيثما كان هناك مجال للسلم والهدنة والصلح، كان هو الحلّ الأسبق المتقدّم على سائر الحلول العسكريّة، وهذه قاعدة سماوية عامّة، يأمر الله تعالى نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله ويُلزمه بها في مسيرة إصلاح الأُمّة وهدايتها، يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[4].

وهذا هو الأصل الذي كان يحكم مسيرة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحيّة، حتّى اللحظات الأخيرة، فكان عليه السلام يرى بأنّ: «**الحَرْبَ شَرُّها ذَريعٌ، وَطَعْمُها فَظيعٌ، وَهِيَ جُرَعٌ مُسْتَحْساةٌ**»[5]. وكان يؤكّد لمعاوية بأنّ حركته في الأُمّة سلميّة توعويّة، ويكتب له قائلاً: «**وَما أُريدُ لَكَ حَرْباً وَلا عَلَيْكَ خِلافاً**»[6].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٣.

(٢) السروال القصير.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢٢١.

(٤) الأنفال: آية٦١.

(٥) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص١١٥.

(٦) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج١، ص٢٥٢.

وفي هذا الضوء كان عليه السلام ينطلق مُنطلقاً سلميّاً في توعية الأُمّة وهدايتها إلى الحقّ، ويؤكّد كثيراً على المبدأ القرآني في هداية الناس، وهو مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يقول عليه السلام بعد الاستشهاد بطائفة من الآيات القرآنيّة المباركة: «وَقالَ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1]، فَبَدَأَ اللهُ بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ فَرِيضَةً مِنْهُ؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّها إِذا أُدِّيَتْ وَأُقِيمَتْ اسْتَقامَتِ الفَرائِضُ كُلُّها هَيِّنُها وَصَعْبُها؛ وَذلِكَ أَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ دُعاءٌ إِلَى الإِسْلامِ مَعَ رَدِّ المَظالِمِ، وَمُخالَفَةِ الظّالِمِ، وقِسْمَةِ الْفَيْءِ وَالْغَنائِمِ، وَأَخْذِ الصَّدَقاتِ مِنْ مَواضِعِها، وَوَضْعِها في حَقِّها»[2]. وقد أطلق عليه السلام ذلك المبدأ الإلهي شعاراً حينما خرج لإصلاح الأُمّة، قائلاً: «وَأَنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلا بَطِراً، وَلا مُفْسِداً وَلا ظالِماً، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي صلى الله عليه وآله، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهى عَنِ الْمُنْكَرِ»[3].

وكان هذا هو أُسلوبه ومنهجه عليه السلام في مواجهة طغيان معاوية، يُرشده إلى الصلاح ويأمره بالتقوى ويعظه بعاقبة أمره، ويخاطبه قائلاً: «وَاتَّقِ اللهَ يا مُعاوِيَةُ، وَاعْلَمْ أَنَّ لله كِتاباً لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إِلّا أَحْصاها»[4].

وحينما جمع الإمام الحسين عليه السلام كبار الصحابة والتابعين أيّام الحجّ في مكّة المكرّمة قبل هلاك معاوية، حاول أن يشرح لهم أبعاد نهضته التصحيحيّة، ويُطلعهم على أحقيّته ومنزلته الخاصّة في الإسلام، فخاطبهم قائلاً: «وَإِنّي أُرِيدُ أَنْ أَسأَلَكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنْ صَدَقْتُ فَصَدِّقُوني وَإِنْ كَذِبْتُ فَكَذِّبُوني، وَأَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ الله عَلَيْكُمْ وَحَقِّ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وَقَرابَتي مِنْ نَبِيِّكُمْ لَمّا سَيَّرْتُمْ مَقامي هذا، وَوَصَفْتُمْ مَقالَتي وَدَعَوْتُمْ أَجْمَعينَ في أَمْصارِكُمْ مِنْ قَبائِلِكُمْ مَنْ أَمَنْتُمْ مِنَ النّاسِ»[5]. وشرع بعدها عليه السلام في تفصيل الأدلّة

(١) التوبة: آية ٧١.
(٢) الحرّاني، ابن شعبة، تُحف العقول: ص٢٣٧.
(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٢٩.
(٤) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٧.
(٥) الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ص٣٢٠.

الصريحة الدّالة على فضل أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم وأحقيّتهم بالأمر والخلافة من غيرهم، والتذكير بالمأساة التي تمرّ بها الأُمّة في ظلّ الحكم الأُموي الجائر، محذّراً من تفاقم الأزمة قائلاً: «**فَإِنَّكُم إِلّا تَنْصُرُونا وَتُنْصِفُونا قَوِيَ الظَّلَمَةُ عَلَيْكُمْ، وَعَمِلُوا في إِطْفاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ**»(١).

ولمّا رفض عليه السلام البيعة ليزيد وأقدم على تغيير الحكم في الكوفة شرح للناس حقيقة الأمر وبصّرهم به قائلاً: «**لَعَمْري، مَا الإِمامُ إِلّا الْعامِلُ بِالْكِتابِ، وَالآخِذُ بِالْقِسْطِ، وَالدّائِنُ بِالحَقِّ، وَالْحابِسُ نَفْسَهُ عَلى ذاتِ الله**»(٢).

وبالمنطق ذاته خاطب عليه السلام أهل الكوفة في كربلاء قائلاً: «**وَإِنْ أَنْتُمْ كَرِهْتُمُونا وَجَهِلْتُمْ حَقَّنا، وَكانَ رَأْيُكُمْ غَيْرَ ما أَتَتْني كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ**»(٣).

فكان عليه السلام متمسّكاً بالخيارات السلميّة التوعويّة، رافضاً للخيار العسكري، ولم يكن ليبدأ القوم بقتال أبداً.

٥ـ الهجرة في سبيل الله

الهجرة في سبيل الله واحدة من أهمّ المبادئ والأُصول القرآنيّة المؤثّرة في مواجهة الإرهاب الحكومي؛ وذلك لأنّ الشعب المستضعف الذي يرزح تحت ظلّ الحكومات والسلطات الإرهابيّة لا يقوى أبداً على المعارضة والسعي للإصلاح والتغيير، فيتحتّم عليه البحث عن ملاذ آمن لمواصلة مسيرته الجهاديّة؛ ومن هنا يدعو القرآن الكريم الشعوب المستضعفة للهجرة والعمل في مقاومة الحكومات الجائرة من الخارج، وذلك لاكتساب القوّة والقدرة على المواجهة، كما في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

(١) الحرّاني، ابن شعبة، تُحف العقول: ص٢٣٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٢٦٢.
(٣) المصدر السابق: ص٣٠٣.

﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾[1]. ويمدح الله تعالى المهاجرين في سبيله بالقول: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾[2]. وبالقول أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[3].

ومن هذا المنطلق؛ أمر الله تعالى نبيّه الأكرم محمّداً صلى الله عليه وآله بترك مكّة المكرّمة والهجرة مع أصحابه المؤمنين برسالته إلى بلد آمن ينطلق منه للعمل على إصلاح الأُمّة ودعوة الناس إلى دين الله عزّ وجلّ، وبالفعل تحقّقت الإرادة الإلهية، وجاء نصر الله والفتح من بلد الهجرة، المدينة المنوّرة، انطلاقاً إلى سائر البلدان الأُخرى بما فيها مكّة المكرّمة، حاضنة الإرهاب الجاهلي آنذاك.

وهذا تماماً ما قام به الإمام الحسين عليه السلام حينما هاجر من المدينة إلى مكّة، ومنها إلى الكوفة، كلّ ذلك تحت وطأة الإرهاب الحكومي والمطاردة من قبل الجهاز الحاكم لبني أُميّة، فكانت هجرة الحسين عليه السلام الشرارة الأُولى التي فجّرت الثورة بوجه الطغاة إلى يومنا هذا.

٦ـ الجهاد في سبيل الله (الخيار العسكري المسلّح)

حينما تَفْقد المواعظ والكلمات أثرها، وتعجز الطرق السلميّة والتوعويّة عن إيصال رسالتها، وتعمى الأبصار، وتفقد الآذان سمعها، وتُوضَع على أبواب القلوب أقفالها، ويُصبح الباطل والمنكر معروفاً بين الناس، ويبيت الحقّ والمعروف منكراً مهجوراً لا يُعمل به، ويُمسي الدين مدروسة معالمه، منكوسة أعلامه، مطموسة سننه وأحكامه، حينها لا يبقى أمام الهداة والمصلحين وسيلة للهداية والإصلاح سوى

(١) النساء: آية٩٧.
(٢) آل عمران: آية١٩٥.
(٣) النحل: آية٤١.

الخيار العسكري والجهاد المسلّح في سبيل الله، وهذا هو المنهج والأُسلوب القرآني في رسم حدود التعامل مع جرائم الإرهاب الحكومي، ومن أمثلة ذلك الآيات القرآنيّة التي أذن الله تعالى فيها للمسلمين أن يقاتلوا ويجاهدوا في سبيله، بعد استنفاد كافّة الطرق التبليغيّة والسلمية في التحاور مع طغاة قريش، كما في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[1].

وكان هذا أيضاً هو ذات المنهج الحسيني المتبّع في التعاطي مع الأزمات التي يمرّ بها المجتمع الإسلامي، جرّاء الأعمال الهمجية والاعتداءات الإجراميّة التي يُمارسها طغاة بني أُميّة مع الأبرياء، فكان عليه السلام يُهدّد معاوية صريحاً بالخيار العسكري إن استمرّ في منهجه القمعي، حيث يُخاطبه بالقول: «**وَإِنّي وَاللهِ، ما أَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْ جِهادِكَ، فَإِنْ أَفْعَلْ فَإِنَّهُ قُرْبَةٌ إِلى رَبّي**»[2]. وهكذا في المجال ذاته يقول عليه السلام حينما خرج ثائراً على فساد يزيد وإجرامه وطغيانه: «**وَأَنا أَوْلى مَنْ قامَ بِنُصْرَةِ دينِ اللهِ وَإِعْزازِ شَرْعِهِ وَالْجِهادِ في سَبيلِهِ، لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا**»[3]. وقد كان صموده عليه السلام في كربلاء وجهاده في سبيل الله إلى الرمق الأخير خير شاهد على ما نقول.

٧ـ التضحية بكل شيء

التضحية بالغالي والنفيس والتفاني في سبيل الحقيقة والعدالة والنزاهة من أهمّ مقوّمات مواجهة الطغاة والمفسدين، فلا يهاب الموت ولا يخشى الفوت مَن يختار العيش في عزّة وكرامة وإباء، وأمّا من يعتزّ بالعيش في الدنيا والبقاء على سطحها بأيّ ثمن، وينشغل بأمواله وأهله وعياله، عزيزاً كان أم ذليلاً، فإنه لا يقوى أبداً على

(١) الحج: آية٣٩ـ ٤٠.
(٢) الدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١، ص١٥٦.
(٣) ابن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢١٧.

سلوك سبيل المعارضة والمقاومة والنضال والمواجهة بشجاعة وجرأة وإقدام.

والتاريخ يشهد كيف تجلّت معالم التضحية والفداء في الثورة الحسينيّة بأوضح وأروع صورها؛ حيث ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بكل ما يملك في هذه الحياة، نفسه الشريفة المقدّسة، وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه الكرام المنتجبين؛ فهو المنادي في الملأ حينما أعلن الثورة والخروج من مكّة إلى الكوفة في خطبته المشهورة: «**مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقاءِ الله نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنا؛ فَإِنّي راحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شاءَ اللهّ**»[1]. وهو القائل حقّاً وصدقاً حينما أحاطت به الأعداء: «**أَلا وَإِنَّ زاحِفٌ بِهذِهِ الأُسْرَةِ عَلى قِلَّةِ الْعَدَدِ، وَكَثْرَةِ الْعَدُوِّ، وَخَذْلَةِ النّاصِرِ**»[2]. فكان عليه السلام المثل الأعلى في درب التضحية والفداء، دفاعاً عن كرامة الإنسان وحرّيته.

٨ـ السعي لإقامة الحكومة العادلة

واحدة من أهمّ الأهداف المصيريّة والحسّاسة التي قد تسعى المعارضة لتحقيقها هي إسقاط الأنظمة الإرهابية الظالمة، واستبدالها بنظام آخر عادل ونزيه وقويّ، يحفظ لأبناء الشعب حقوقهم بمختلف صنوفهم البشريّة وطبقاتهم الاجتماعيّة، وهذا بالتحديد ما سعى الإمام الحسين عليه السلام لتحقيقه حينما أجاب أهل الكوفة على رسائلهم بالإيجاب، وبعث إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل رسولاً عنه؛ ليُمهّد له الأُمور، وقد أوصاه عليه السلام قائلاً: «**وَادْعُ النّاسَ إِلى طاعَتي، وَاخْذُلْهُمْ عَنْ آلِ أَبي سُفْيانَ**»[3]. وقد فصّلنا الحديث حول هذه النقطة بالخصوص في مقالات ماضية، فلاحظ.

فتحصّل: أن من المبادئ والأهداف المهمّة للنهضة الحسينيّة مكافحة الإرهاب الحكومي الأُموي، الذي كاد أن يقضي على الأُمّة الإسلاميّة، ويُهلك الحرث والنسل، لولا التضحيات الكبيرة التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام في تلك النهضة المباركة.

---

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص٧٠.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٥.

(٣) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٣١.

ملف العدد

النهضة الحسينية في مواجهة التطرف والإرهاب (٢)

- التطرّف الفكري في المجتمع الإسلامي (مظاهره وتداعياته المدمّرة في عصر النهضة الحسينية)
- أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف ق٢
- نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ودوره في صناعة الإرهاب (فاجعة كربلاء أنموذجاً)
- انتهاك حرمة الأجساد الطاهرة في كربلاء
- تغييب القيم وانتهاكها في سياسات الحُكم الأُموي
- المعسكر الأُموي في كربلاء (غياب القيم والمبادئ)
- العنف والإرهاب في أُصول الإسلام الوهابي (الهجوم على مدينة كربلاء أنموذجاً)
- أخلاق الحرب في سيرة الإمام الحسين عليه السلام
- الفصل بين التطرف والثورة (قراءة فقهية في مشروعية النهضة الحسينية)

التطرّف الفكري في المجتمع الإسلامي

(مظاهره وتداعياته المدمّرة في عصر النهضة الحسينية)

العلامة الشيخ علي الكوراني*

إتماماً لملف (النهضة الحسينية في مواجهة التطرّف والإرهاب)، وتعميقاً لهذا البحث المهم، وإيماناً منها بضرورة عرض النتاج الفكري لعلمائنا ومفكرينا، والإفادة من رؤاهم المعمّقة؛ استثمرت مجلتنا فرصة الحوار مع سماحة العلّامة الشيخ علي الكوراني العاملي، فكان لنا معه هذا الحوار.

الإصلاح الحسيني: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطاهرين المعصومين، نرحّب بسماحة العلّامة الشيخ علي الكوراني، ونقدّم له فائق الامتنان على إتاحة الفرصة لنا لإجراء هذا الحوار.

الشيخ الكوراني: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطاهرين. أنا سعيد جداً بأنّ العتبة الحسينية؛ عتبة الإمام الشهيد المظلوم سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام تقوم بأدوار مهمّة، ومن تلك الأدوار المهمّة: الدور الفكري والثقافي. وفي هذا المضمار لها أنشطة متعدّدة ومتنوعة، ومن جملتها: (مجلّة الإصلاح الحسيني).

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، نودّ أن نستمع منكم إلى لمحة تاريخية حول نشوء ظاهرة التطرّف في المجتمعات البشرية عموماً، والإسلامية على وجه التحديد. وما هي المنطلقات التي تدعو المفسدين الظلمة إلى المساهمة في صناعة التطرّف الفكري

---

* مفكر إسلامي، أُستاذ في الحوزة العلمية.

في تلك المجتمعات؟

الشيخ الكوراني: التطرّف الفكري هو التطرّف الذي ينتج عن أفكار خاطئة. وهو بهذا المعنى ظاهرة قديمة بقدم التاريخ والإنسان، ودافعه الأساس هو اتباع هوى النفس.

وللإجابة الدقيقة عن هذا السؤال نقول: هناك طبيعة في الإنسان (غير المنضبط بعقيدة صحيحة) هي حبّه لذاته، وتقديمه هواه على كل شيء، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[1]، فاتّباع الإنسان لهواه هو أساس ومنشأ التطرّف، وهو لا يقف عند حدّ معينّ؛ لذا فالإنسان المصاب بهذا الداء سيكون مفرطاً لا محالة، فيتطرّف في الحب والبغض.

وكمثال على ذلك ما ورد في قصّة ابني آدم عليه السلام، فإنّ قابيل قتل أخاه هابيل اتّباعاً لهوى نفسه؛ إذ كما هو معلوم إنّ آدم عليه السلام أوصى لولده هابيل، فحسد قابيل أخاه، واتّبع هوى نفسه الأمّارة بالسوء، فكان ما كان.

ومن الأمثلة الأُخرى لظاهرة التطرّف والانحراف الفكري هم بنو إسرائيل، فقد ورد أنّهم كانوا يقتلون من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، ثمّ يجلسون في أسواقهم ومحالهم كأنّهم لم يفعلوا شيئاً[2]، والدافع هو الدافع؛ إذ الأنبياء يقفون سدّاً حصيناً بين الإنسان وهواه، لكن هوى بني إسرائيل جعلهم يرون أنفسهم أكثر تديّنا من أنبيائهم.

إذن؛ فظاهرة الانحراف والإفراط والتطرّف الفكري موجودة من ذلك الوقت، وخلفيتها الأساسية هي تقديم هوى النفس على كل شيء.

أمّا في الإسلام فقد بدأ الانحراف برئيس الخوارج[3] ذو الثديّة (حرقوص بن

(١) الكهف: آية ٢٨.

(٢) أُنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص١١٧. والحلّي، ابن نما، مثير الأحزان: ص٢٩.

(٣) «وقد روى المحدثون أنّ رجلاً تلا بحضرة علي عليه السلام هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ فقال علي عليه السلام: أهل حروراء منهم». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٣٣، ص٣٥٢.

زهـير). وقد نقل لنا التاريـخ أنّ حرقوصاً هذا جاء يومـاً فوقف على رأس النبيﷺ وقال له: «**يا محمّد، اعدل، فإنّك لم تعدل. فقال لهﷺ: ويحك، فمَن يعدل إذا لم أعدل**»[1].

وقـد نُقِـل أنَّ النبـيﷺ كان جالسـاً يوماً في المسـجد مـع بعض الصحابـة، وإذا بـ(حرقـوص بن زهـير) هذا دخل إلى المسـجد، فلم يُسـلِّم، وذهب للصـلاة، فنزل الوحي على النبيﷺ، فقال لأصحابه نادوه، فقال لهﷺ: «**أنشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: ما في القوم أحد أفضل منّي، أو خير منّي؟ قال: اللّهمّ نعم**»[2]، وقد أشـار القرآن الكريم إلى هذا: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾[3]. فهذه حالة من الإفراط، بأن يرى الإنسان نفسه متديّناً ومنصفاً وعادلاً أكثر من النبيّ الذي آمـن به، وهذه الحالة تنشـأ من حـبِّ تحقيق الذات ولو بالباطل، ومن حبِّ الإنسـان لنفسه بحيث يرى أن لا أحد في الوجود أفضل منه.

فمن هنا ينشأ أصل الانحراف؛ إذ إنّ للإنسان قابلية الطغيان فيما إذا لم يلتزم بعقيدة صحيحة منبعها السماء، أو يستشعر الخوف من ربّه، والدين القويم هو أساس كل ذلك.

إنّ كل مفسـد ظالم إنّما يرتكز أمره على أُسـس معيّنة، ومنها إشـاعة روح التطرّف في المجتمـع، لأنَّ أمـره قائـم عـلى ذلك، وهـذه حالة سـارية إلى يومنا هـذا؛ وكمثال عـلى ذلك أيضاً في عصرنـا الحاضر المدعو أبو بكر البغـدادي (عدنان الحمداني) فهو يريد أن يقول: أنا أفضل المسـلمين قاطبة، ويجب على كل المسـلمين طاعتي، ومَن لا يفعـل ذلـك يُقتَل، فالأصل في جميع ما يقوم به هـو محاولته تحقيق ذاته، واتِّباعه لهواه، والإفراط في كل ذلك، فهو يصرّح ويقول: «**الذي لا يبايع مزقوا رأسه بالرصاص**»[4].

إذن؛ أصـل الإرهـاب والتطرّف والتكفير، هو التلوّث بحالـة عبادة الذات، وقد

(١) أُنظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج٣، ص١٠٩. والحميدي، عبد الله بن الزبير، مسند الحميدي ج٢، ص٥٣٥.

(٢) أُنظر: ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة: ج٢، ص٣٤١.

(٣) غافر، آية ٥٦.

(٤) أُنظر: موقع www.babnet.net.

وصف النبيﷺ أصحاب هذه الحالة- كما في الحديث - بأنّهم **(كلاب أهل النّار)**[1]، وقال فيهمﷺ: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[2]؛ أي: ليس فيهم رائحة الدين، لأنّهم دخلوا في الدين بسرعة، وخرجوا منه بسرعة. فأصل الانحراف الفكري في الإنسان هو وجود نزعة شيطانية لتحقيق ذاته بأيّ وسيلة كانت، فيتصوّر بأنّه ملكيّاً أكثر من الملك، ومتديّناً أكثر من النبي، وهذه النزعة موجودة عند الوهابيين في عصرنا الحاضر، بعضهم يصرّح بها، وبعضهم يكتمها في نفسه، ولكنّها تظهر في تصرّفاته وطيّات لسانه.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، هل يُعتبر حرمان أهل البيتعليهم السلام من حقهم الطبيعي في إدارة شؤون المجتمع الإسلامي عاملاً أساسياً لتفشّي ظاهرة التطرّف الفكري في المجتمعات الإسلامية؟

الشيخ الكوراني: نعم؛ إذ نعتقد أنّ قضية الانحراف في العالم الإسلامي بدأت منذ أن أُبعد أهل البيتعليهم السلام، وأُتي بآخرين بحجج مختلفة، حينئذ بدأ التجاوز والاعتداء على حقوق الإنسان؛ إذ نقرأ أنّ أنظمة الخلافة لم تحترم الإنسان المسلم أبداً، فكانت البيعة في بداية نشوء تلك الدول تحت ظلال السيوف، والبيعة بالسيف تطرّف لا محالة.

إنّ من ميزات التطرّف عدم احترامه لإرادة الآخرين، كما أنّه لا يقف عند حدود معيّنة، فتلاحظ أنّ الخليفة الوحيد الذي لم يُجبر الناس على بيعته أو القتال معه هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام؛ لذا نستطيع أن نقول وبكل اطمئنان أنَّ النبيﷺ وأهل بيتهعليهم السلام فقط هم الذين كانوا يحترمون إرادة الإنسان المسلم، أمّا غيرهم من الحكّام في الحقب السالفة فقد داسوا تلك الإرادة بأقدامهم، وتجاوزوا عليها.

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٤٨٧. وابن ماجة، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة: ج١، ص٦٢.

(٢) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج١، ص١٤٩. والبخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٤، ص١٧٩.

ولذلك أكّد الرسول الأكرمﷺ في حجة الوداع ذلك المعنى أيّما تأكيد، فقد ورد عنه قولهﷺ: «**أيّها الناس، اسمعوا ما أقول لكم واعقلوه عنّي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا. ثم قال: أيّ يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر، قال: فأيّ بلدٍ أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهمّ اشهد**»[1]، ثمَّ يؤكد على الحرمة فيقول: «**ويلكم [ويحكم] أُنظروا، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[2]؛ أي: لا تتعدّوا هذه الحرمة، فالنبيﷺ قد أخذ البيعة من الناس على أن لا ينازعوا الأمر أهله. فالقيادة لهذا الدين لها أهلها، إلّا أنّ الأمر صار خلاف ذلك؛ إذ أغلب القوم لم يحفظوا تلك الوصية، فتجاوزوا على ذلك الحق الذي أشار إليه النبي الأكرمﷺ، فتأسّست البيعة على خلاف وصية رسول اللهﷺ، إذ كانت قائمة على القهر والإجبار، ومن حينها أصبح للإرهاب أرضية مناسبة.

والشيء بالشيء يُذكر، فإنني قلت لأحد الوهابيين: «**إذا أتاك آتٍ وشَهَرَ بوجهك سلاحه وقال: بعني سيارتك، وإلّا قتلتك. فهل هذا البيع صحيح؟ قال: لا، بيع باطل جزماً**». فإذا بطل بيع سلعة عادية بسبب الإكراه، فما بالك بالبيعة التي تعني إدارة شؤون المجتمع ككل؟!

الإصلاح الحسيني: عندما نقرأ التاريخ الإسلامي نرى أنّ الحقبة التاريخية التي عاصرت الإمام الحسينعليه السلام، أو التي حفّت بحياته الشريفة، قد بلغت الذروة في التآمر من قبل الجهاز الحاكم، فساهمت مباشرة في تفشّي ظاهرة التطرّف، حبذا لو أشرتم إلى الشخصيات التي كانت وراء تلك المؤامرة والذين يمكن أن يكونوا قد

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٧، ص٢٧٣.
(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٥، ص١٢٦.

ساهموا في صنع ذلك التطرف؟

الشيخ الكوراني: ممّا لاشكّ فيه أنّ قريشاً كانت ثلاثاً وعشرين قبيلة، فيها القبائل القوية المنيعة التي يمكن أن يظهر منها قادة، لكنّها نصرت الباطل، ووقفت موقف العداء من الإسلام، وكان منهم أئمّة الكفر، فهؤلاء أخزاهم الله تعالى، واستأصل شأفتهم، وكسر شوكتهم في المعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله معهم، ببركة سيف أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أشار القرآن لذلك في محكم كتابه المجيد، قال تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾[1]، فإنّ بني عبد الدار قد فُنوا وبادوا، وبني مخزوم أيضاً كذلك، وكذا بنو سهم الذين كان منهم سهيل بن عمرو.

فالقبائل التي كانت فيها شخصيات يمكن أن تحكم هم بنو هاشم وبنو أُمية؛ لذا فإنّ أبا سفيان لمّا رأى تربّعَ أبي بكر على سُدّة الحكم، وجيء به بعنوان أنّه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أقبل وهو يقول: «**أما والله، إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم! يا لعبد مناف فيم أبو بكر من أمركم! أين المستضعفان؟ أين الأذلان!** [يعني علياً والعباس]، **ما بال هذا الأمر في أقلّ حيٍّ من قريش. ثم قال لعليّ: ابسط يدك أُبايعك، فوالله، إن شئت لأملأنّها على أبي فصيل يعني أبا بكر خيلاً ورجلاً، فامتنع عليه علي عليه السلام، فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمِّس:**

ولا يقيم على ضيم يراد به ... إلّا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يُشج فلا يرثي له أحد[2]

ولأسباب معلومة عديدة منها بذل الأموال لشراء الذمم، ومنها الترهيب والاغتيال السياسي، ومنها بذل المناصب والولاءات، ومنها حبّ الدنيا خضع

(١) آل عمران: آية ١٢٧. وورد في تفسير الآية: «إنه قُتل منهم يوم بدر سبعون من صناديدهم وأُسر سبعون، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: أو يخزيهم، والكبت: شدّة غيظ، أو وهن يقع في القلب. ﴿فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: فينهزموا منقطعي الآمال». الفيض الكاشاني، محمد محسن، التفسير الأصفى: ج١، ص١٧١.
(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٢٢.

السواد الأعظم من القرشيين لسيطرة بني أُمية، وفارقوا بني هاشم، بل وناوؤهم، فسيطروا على مقاليد الحكم، فجاء أمير المؤمنين علي عليه السلام حين بويع، ليصحّح وضعاً خاطئاً، ويُرسي أُسساً للتصحيح، لكنَّ الموجة الأُموية غلبت، ففي وقعتي الجمل وصفّين لم يكن من قريش مع أمير المؤمنين عليه السلام إلّا النزر اليسير كمثل الملح في الطعام، وكان الأعم الأغلب من قريش مع معاوية، فلذلك سيطر بنو أُمية، وهكذا كان عصر الإمام الحسين عليه السلام يعيش موجة أُموية مدعومة من قبل قريش كلّها، ولولا أن ثار الإمام الحسين عليه السلام، لكان بنو أُمية قد أسّسوا أُسراً كأُسر الفراعنة، يحكمون بلا منازع أبداً، لكن الإمام الحسين عليه السلام هو الذي هزّ ضمير الأُمّة وأيقظها بدمه المبارك لمواجهة الفرعنة الأُموية.

إذن، يمكننا القول: إنَّ بني أُمية ـ وعلى رأسهم معاوية ـ وكل مَن مهَّد لهم ساهموا جميعاً في صناعة التطرّف والإرهاب.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، لسائل أن يسأل: لماذا اختارت الشخصيات الأُموية مثلاً طريق التطرّف، مع إمكانهم أن يستفيدوا من الإسلام ويصلوا إلى مآربهم؟

الشيخ الكوراني: قال تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾[1]، فكما قلنا سابقاً: إنّ أساس التطرّف هو تحقيق الذات، ومن لوازم ذلك أن يرى المتطرّف نفسه أفضل الجميع، وقد ذكرنا لكم قصّة (حرقوص بن زهير) كيف تعامل مع النبي صلى الله عليه وآله، فلا يمكن لهكذا إنسان أن يكون سوياً، أو يفكّر تفكيراً طبيعياً.

---

(١) «أمّا كلمة ﴿كِبْرٌ﴾ في الآية فقد فسرها بعض المفسرين بالحسد. وبذلك اعتبر هؤلاء أنّ سبب مجادلتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله، هو حسدهم له ولمنزلته ومقامه المعنوي الظاهري، لكن ﴿كِبْرٌ﴾ لا تعني في اللغة المعنى الآنف الذكر، لكنّه يمكن أن يلازمها، لأنّ مَن يتكبر يحسد؛ إذ لا يرى المتكبّر المواهبَ إلّا لنفسه، ويتألم إذا انصرفت لغيره، حسداً منه وجهلاً.
ثم تضيف الآية: ﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾. إنّ هدفهم أن يروا أنفسهم كباراً، يفاخرون بذلك ويفتخرون على غيرهم، لكنّهم لن يحصدوا سوى الذلة والخسران، ولن يصلوا بطريق التكبّر والغرور والعلو والمجادلة بالباطل إلى ما يبتغونه». الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٥، ص٢٩٣.

وكـذا معاويـة حينما مـرض مـرضَ الموت اسـتمر مرضه ثلاثـة إلى أربعة أشـهر وأُصيـب باللقوة[1] كان يصيح: «... **ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشـدي**»[2]، وهو يعرف تماماً أنّه غارق في هواه أبداً، بل مات وهو على ذلك الهوى والضلال. بل نُقِل أنّه جاءه أخو زياد لأُمّه ويُدعى (أبو بكرة)[3]، فدخل عليه، فقال له معاوية: «**حدِّثنا يا أبا بكرة، فقال** [أبو بكرة]: **إنّي سمعت رسول الله**ﷺ **يقول: الخلافة ثلاثون ثمّ يكون المُلك. قال**[الراوي]: **فأمر بنا فوجئ في أقفائنا حتى أُخرجنا**»[4].

إذن؛ هؤلاء يريدون ذواتهم، فهم عبدة ذواتهم؛ لذا فقد علوا في طغيانهم، وكل مَن خالفهم لا قيمة له، وليس له إلّا القمع والاضطهاد، وهذا هو الانحراف والتطرّف، وكل ذلك مخالف لمنطق الإسلام، مناقض له تماماً، فلا يمكن للمتطرّف العابد لذاته، المتّخذ منها صنماً، أن يدعو لمبادئ الإسـلام القويم، أو يسـتفيد منها على طول الخط؛ لأنّهـا لا بـدّ أن تتعارض يوماً مع ذاتـه المنحرفة، فيضطر حينهـا أن يُضحّي بأرخص

---

(١) «اللقوة: هي مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه». ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٤، ص٢٦٨.

(٢) اُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٥، ص٢٨. وابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص١٢٦.

(٣) «أبو بكرة: نفيع بن الحرث، أو مسروح، الصحابي، تدلى يوم الطائف من الحصن ببكرة، فكنّاه النبيﷺ أبا بكرة... وعن أُسد الغابة أعتقه النبيﷺ، وإنّه معدود في موالي رسول الله، وكان من فضلاء أصحاب رسول الله، وصالحيهم، وكان كثير العبادة، توفّي بالبصرة سنة ٥١ أو ٥٢، وأوصى أن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي، وكان أولاده أشرافاً في البصرة بكثرة المال والعلم والولايات. ونُقل عن الطبري أنّه خطب بسر [بن أرطاة] على منبر البصرة فسبَّ علياًعليه السلام، ثم قال: «ناشدت الله رجلاً علم أني صادق إلا صدقني أو كاذب إلا كذبني»، فقام أبو بكرة فقال: «اللهم لا أعلمك إلّا كاذباً» فأمر به فخُنق، فقام أبو لؤلؤة الضبّي، فرمى بنفسه عليه، فمنعه. وأخرج ابن عبد البر، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: «وفدت مع أبي على معاوية فقال [الأب؛ أي: أبو بكرة لمعاوية]: إنّي سمعت رسول اللهﷺ يقول: الخلافة ثلاثون، ثم يكون الملك، فأمر بنا فوُجِئنا في أقفائنا حتى أُخرجنا»». القمي، عباس، الكنى والألقاب: ج١، ص٢٩.

(٤) ابن عقيل، محمد، النصائح الكافية: ص١٩٥.

الأمرين عليه وهو الإسلام ولا يضحّي بعبادته لذاته.

ومنطق بني أُمية بالأمس، هو نفسه منطق الوهابيين اليوم، وهو منطق الإرهاب، الذي انبثقت منه القاعدة و(داعش) والنصرة وغيرها من الحركات المتطرّفة.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، كما تعلمون أنّ للتطرّف ظواهر متعدّدة، فأيّ من تلك الظواهر ساهمت في قتل الإمام الحسين عليه السلام؟

الشيخ الكوراني: من المعلوم الذي لا شك فيه أنّ أغلب العرب كانوا قبل الإسلام قبائل متفرقة، بل وكثير منهم كانوا من البدو الرحّل، يمتهنون الغزو والإغارة، كما أنّ حنيفية إبراهيم عليه السلام لم يكن لها ذلك التأثير القوي فيهم كي تدير شؤونهم، بل كانت الحالة القبَليّة والبدوية هي التي لها الريادة في أدارة شؤون المجتمع آنذاك، لذلك فقد كان أحد أهم أهداف النبي صلى الله عليه وآله هو تهذيب ذلك المجتمع، وجعله قدوة ومثالاً يُحتذى به، ولكن بعد رحيله صلى الله عليه وآله، رجعت تلك الحالة القبلية، ورجع نفس ذلك القانون (الحق لمن غلب)؛ وهو ما يُعبَّر عنه في الفقه السنّي بـ(الشوكة)؛ أي: كل مَن غلب تصير الشرعية (المدّعاة) له، فمثلاً: إذا تصارع اثنان على الحكم وتقاتلا، فأحدهما وهو الضعيف المغلوب خارج على الإمام الشرعي، وهو يعدُّ باغياً على إمام زمانه، فإذا انتصر على ذلك الذي كان غالباً، صار هو صاحب الشوكة والإمام الشرعي الذي تجب طاعته، أو إذا استطاع المغلوب قتل الحاكم الشرعي، يصير حينئذٍ هو الحاكم الشرعي، أمّا في الوقت الذي يتصارع مع الحاكم الشرعي فهو باغٍ لا محالة!

ولذلك حاول بنو أُمية عن طريق الإجرام والإرهاب، أن يُلبسوا حكمهم وما اغتصبوه بالقوة والظلم بلباس الدين والشرعية الدينية؛ فمعاوية مثلاً أراد أن يُلبس تطرّفه الأعمى بلباس ديني؛ لذا تراه يخطب في جموع أهل الكوفة قائلاً: «**إنّي والله، ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون**»[1]، فأُنظر لقوله: «**وقد**

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١٤.

أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون»، فهذا تبنٍّ واضح لفكر القدرية والجبرية[1].

ومن هذا المنطلق تم حرف المسيرة الإلهية، وعاد حكم القبيلة مقدَّماً على حكم الله تعالى، وعمَّ الظلم باسم الدين، وحُرِّفت شرعة سيّد المرسلين؛ وعليه قام الإمام الحسين عليه السلام لإبطال ذلك المشروع الأُموي حتى استُشهد.

الإصلاح الحسيني: الكثير من الخوارج نجدهم شاركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام، كشمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وغيرهما، فما هو دور أُولئك في واقعة كربلاء؟

الشيخ الكوراني: لا شكّ في أنّ أُولئك كلّهم كانوا أدوات لابن زياد، وابن زياد أداة ليزيد، فاستغلهم يزيد، فهم إمّعات[2] مسلوبو الرأي والفكر، فزياد بن أبيه كان ذيلاً من ذيول معاوية، خدعه معاوية، وغرّه باستلحاقه بأبي سفيان[3]، لكن مع شديد الأسف نرى أنّ بعض المحدّثين يُسمّون زياداً هذا بـ(زياد بن أبي سفيان)، ضاربين عرض الجدار الحديث النبوي المستفيض الذي كاد أن يصل حدّ التواتر: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**»[4]، وإلى الآن تقرأ في صحيح البخاري قوله: روي عن زياد

---

(١) «ويتلخص مذهب القدرية أو الجبرية: بأنّ مسؤولية الإنسان عن أعماله وجرائمه محدودة، أو منتفية؛ لأنّ الخير والشر من الله تعالى، وكل شيء مكتوب ومقدّر منه تعالى!! ومن الواضح أنّ هذين المذهبين... أحدهما مكمل للآخر في تخفيف مسؤولية الإنسان؛ لأنّ جوهرهما واحد وهو (تعويم) قانون العقوبة الإلهي، بل تطمين الناس بأنّه قد تمَّ شطبه !!». مركز المصطفى، العقائد الإسلامية: ج٣، ص٣٤٧.

(٢) الإمّعة: «أمع: الإِمَّعةُ والإِمَّعُ، بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رأْي له ولا عَزْم، فهو يتابع كل أَحد على رأْيِه ولا يثبت على شيء، والهاء فيه للمبالغة وفي الحديث: اغْدُ عالماً أَو مُتعلِّماً ولا تكن إِمَّعةً». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٨، ص٣.

(٣) لعلّ من أقبح المخازي في تاريخ بني أُمية قضية استلحاق معاوية لزياد بن أبيه، وجعله ابناً لأبي سفيان؛ إذ إنّ أبا سفيان كان قد زنى بسمية أُم زياد بن أبيه أيام الجاهلية، وهي على ذمة زوجها عبيد، ومع أنّها جريمة زنا أوّلاً، وثانياً: إنّ ولد الزنا لا يُلحق بالزاني شرعاً، لكن لأجل المصالح الدنيوية، تخطّى معاوية كل الحدود الشرعية والعرفية، وألحق زياداً بأبي سفيان، مع إنّ مقتضى الشرع أن يلحق زياد بأبيه عبيد، لذلك تجد ترجمته في بعض المصادر السنيّة باسم (زياد بن عبيد). اُنظر: الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج٥، ص١٩٤. وابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٩، ص٢٠٢.

(٤) اُنظر: البهبهاني، سيد علي، الفوائد العليّة: ج٢، ص٤٠٤.

بن أبي سفيان[1]، وفيما بعد قتل معاوية زياداً هذا[2]؛ لأنّه أحسَّ بطمعه في الخلافة، وأنّه أراد منافسة ولَده يزيد. فأولئك إنّما كانوا بيادق بيد معاوية يحرّكهم تبعاً لمصالحه كيف شاء، وبهم استطاع هو وأسلافه الاستحواذ على مقدّرات الأُمّة. فهؤلاء الخوارج وكل مَن لفّ لفّهم إنَّما كانوا أدوات بيد بني أُمية، من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، هل إنشاء هذه الظواهر المتطرّفة يُعدّ أمراً مدروساً، أم إنّها نشأت ثم استُغلّت لمصالح دنيوية؟

الشيخ الكوراني: يمكن القول بأنّ كلا الأمرين ممكن، بل كلا الأمرين واقع وليس ممكناً فقط؛ فتارةً ترى أنّ الظلمة يوجِدون حركات تصلح لتحقيق مآربهم، وأُخرى تنشأ تلك الحركات لظروف معينة، كردّ فعل لبعض الأحداث، أو لسذاجة وبساطة البعض، أو لأسباب أُخرى، فإذا نشأت تلك الحركة أو المنظمة، تلقّفتها أيادي المتربّصين بالإسلام الشر، فتُستغل أبشع الاستغلال من قِبَلهم، فمثلاً اعتقادنا الشخصي أنَّ المسؤول عمّا جرى في (١١ سبتمبر في أمريكا) بالأساس هم الوهابية والمتطرّفون، فهم كانوا يفكرون هذا التفكير، ولكن اخترقتهم الصهيونية، وأدارت مخططهم، لذلك أُخرِجَ اليهود من المركز التجاري الأمريكي، ولم يُصب أيُّ يهودي في تلك الحادثة، وفسحوا المجال للوهابيين المتطرّفين لينفّذوا ذلك المخطط، لأجل تأجيج الصراع بين المسلمين والغرب (المسيحي)، وليبقى اليهود في مأمن، فاليهود على مرِّ التاريخ هم مَن يوقد نار الحرب.

كما أنَّ ادّعاء المهدوية في العراق من ذلك القبيل؛ إذ تلاحظ ظهور حركات تدّعي المهدوية، في غضون سنوات، وهو أمر مثير للريبة.

إنّ نمط تفكير الوهابية يتناغم مع التفكير الصهيوني، فالطرفان قد أحسّا أنّ سرَّ قوة التشيّع يكمن في ولائهم وذوبانهم في الإمام الحسين والإمام المهدي عليهما السلام،

(١) أُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٢، ص١٨٣، باب الوقوف بعرفة.
(٢) أُنظر: الكوراني العاملي، علي، جواهر التاريخ: ج٢، ص٣٢٩.

واتّباعهم للمرجعية؛ لذلك فإنّهم يبحثون دوماً عن حركات مضادّة لذلك، ليقوموا بدعمها وتضخيمها.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، في عاشوراء صدرت عدّة صيحات من جيش عمر بن سعد، مثلاً: «**نقاتلك بغضاً لأبيك**»[1]، أو «**لا تذوق الماء حتى ترد الحامية**»[2] وغيرها. فهل الهدف من صدور تلك الكلمات في ذلك الوقت كان يراد منه صناعة تطرّف، أم هي ناشئة من نفس الفكر المتطرّف الذي كان يحمله مطلقو تلك الكلمات؟

الشيخ الكوراني: إنّ تلك الصيحات كانت بلا شك تتناغم مع فكر الدولة، فأصحابها إنّما أرادوا التزلّف والتقرّب بذلك إلى الدولة؛ لنيل فتات موائدها، ولعق فاضل طعامها، حالهم في ذلك حال أمير الجيش عمر بن سعد، الذي فقد حتى شرفه العسكري، وشخصيته القيادية، وأصبح كالسوقة العبيد حين رمى أوّل سهمٍ تجاه معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وقال: «**اشهدوا لي عند الأمير، أنّي أوّل مَن رمى**»[3]، وكذا قوله: «**يا حسين، إنّك لن تذوق من الفرات قطرة حتى تموت أو تنزل على حكم الأمير**»[4]، فكل أولئك إنّما كان دافعهم التملّق والتقرّب للسلطة، حبّاً لحطام الدنيا ومتاعها الفاني، لا حبّاً لتلك السلطة؛ ظناً منهم أنّ السلطة تُشبع ذلك الهوى والهوس. ومنه نرى أنّ الشريعة الغرّاء قد نهت عن الركون إلى الظلمة، واتباعهم، والاشتراك معهم في ظلمهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[5].

الإصلاح الحسيني: ماذا فعل الإمام الحسين عليه السلام من أجل الوقوف بوجه ظاهرة التطرّف الفكري؟

---

(١) أُنظر: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٩٣.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٦٢٠.
(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٢٢.
(٤) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢١٤.
(٥) هود: آية ١١٣.

الشيخ الكوراني: إنّ الإمام الحسين عليه السلام نجح نجاحاً منقطع النظير في إنشاء خطٍّ مقابل الخط المنحرف الذي سعى لتأسيسه بنو أُمية، فأسس عليه السلام خط النهضة، مقابل خط الطغيان والفرعنة الأُموية، وتبلور ذلك الخط الإلهي ـ خط أمير المؤمنين علي، وابنه الحسن عليهما السلام ـ بعد الإمام الحسين عليه السلام، وأصبح أكثر وضوحاً للعامة، وذلك ببركة دم الحسين عليه السلام ونهجه.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، هل التيارات المتطرّفة التي نراها في هذا العصر هي امتداد لتلك التيارات المتطرّفة الموجودة في زمن الإمام الحسين عليه السلام، وما تأثير ذلك التطرّف على ما نراه في يومنا هذا؟

الشيخ الكوراني: يمكننا أن نشخّص بوضوح ثلاثة تيارات على الساحة الإسلامية في حاضرنا المعاصر:

الأوّل: التيار المتطرّف الذي يُعدّ امتداداً لتيار بني أُمية، والذي تمثّل الوهابية مصداقه الواضح، فالوهابية اليوم مهيمنة على الكثير من بقاع العالم الإسلامي، وبيدها زمام الأُمور في بعض تلك البلدان، وإعلامها هو السائد في أغلب الأحيان.

الثاني: أتباع أهل البيت عليهم السلام، الذين يمثّلون الاعتدال والوسطية والابتعاد عن التطرّف والإرهاب، تبعاً لأهل البيت عليهم السلام، ولا بدّ لهذا التيار أن يكشف زيف التيار الأوّل؛ لأنّ التيار الأوّل يدّعي أنّه هو الإسلام الأصيل، كما ادّعى بنو أُمية ذلك في صدر الإسلام.

الثالث: التيار الحيادي، وهذا التيار يعتبر الحيادية نوع شجاعة ودهاء؛ لأنّه استطاع أن يحفظ أتباعه ويجعلهم محايدين قبال الوهابية، التي تسلّطت بفعل عوامل خارجية وداخلية على زمام الأُمور، وتناسى أنّ الدفاع عن وجود الإسلام وأصله لا حيادية فيه.

فنفس هذه الخطوط وهذه الفئات التي كانت في زمن أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام هي موجودة الآن، وتبقى إلى ظهور الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، ألا تؤثّر تلك التصرّفات الشنيعة التي تقوم بها الوهابية وأتباعها على صورتها في العالم الإسلامي؟

الشيخ الكوراني: لا شكّ، ولا ريب في أنّ كل تلك الأعمال التي يندى لها جبين الإنسانية تؤثّر على صورتهم في العالم ككل، لكن لحسابات ومصالح خاصة تستمر بعض الدول ـ أعني الحكومات بالخصوص ـ في تأييدها للوهابية، فأُنظر الآن إلى اليمن، فقد دمّرتها آلة الحرب السعودية المدعومة من أمريكا وإسرائيل، مع ذلك ترى أنّ أغلب الدول العربية إن لم تشترك في الحرب إلى جانب السعودية تلزم موقف الحياد واللامبالاة.

الإصلاح الحسيني: لماذا يحاول التيار المتطرّف، تيار بني أُمية الحديث، أن يُعيد ذلك التاريخ المظلم بكل ما فيه من تطرّف؟

الشيخ الكوراني: الوهابيون لم يُعيدوا تاريخ بني أُمية، بل هم يعيشون ذلك التاريخ؛ لأنّ أساس حركتهم قائمة عليه، إذ إنّ حركتهم قامت زمن الإنجليز، وبدعم خاص منهم، على أساس إحياء ذلك التيار؛ لأنّه يخدم مصالحهم ومصالح الإنجليز تماماً، لذا قامت حركتهم على أساس تكفير العثمانيين وكل المسلمين، واتهامهم بأنّهم عبّاد قبور، وأنّهم مشركون يجب قتالهم، وأنّ بني أُمية هم وجه الإسلام الناصع الذي يجب أن يبرَّز، فهم ـ أي: الإنجليز وآل سعود ـ أحيوا خطّ بني أُمية، وصنعوا لهم دولة في حاضرنا الراهن، خدمة لمصالح كلا الطرفين؛ لذا يُفتي مفتيهم أنّ أمير المؤمنين (يزيد) مظلوم، والإمام الحسين عليه السلام خارج عليه، وطبعوا كتاب في السعودية بعنوان (أمير المؤمنين المظلوم يزيد بن معاوية)، فالذي ظلمه كما يدّعون هو الحسين عليه السلام، وهذا تبنٍّ للفكر الانحرافي المقيت.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ نختم حوارنا معكم بكلمة أخيرة.

الشيخ الكوراني: أتمنى أن تواصلوا عملكم الثقافي والعلمي هذا، وأن تستفيدوا من تجارب العلماء وخبراتهم، حتى يتكامل هذا المشروع المبارك، حفظكم الله ودمتم موفّقين إن شاء الله.

الإصلاح الحسيني: نشكركم سماحة الشيخ على إتاحة هذه الفرصة الكريمة، متمنّين لكم دوام الموفقيّة والتسديد.

أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف

(القسم الثاني)

د. الشيخ طلال الحسن*

مقدمة

في قبال ما تقدّم في القسم الأوّل من أخلاق المقاتِلِينَ في إطارها الإيجابي، تقع الأخلاق الأُخرى في إطارها السلبي، وهي مجموعة الأخلاق التي يجب على المقاتل الاجتناب عنها؛ لأنّها تتقاطع تماماً مع سلوك المقاتِل الرسالي، بل إنّها تتقاطع مع أصل البُعد الإنساني العام فضلاً عمّا يُوجبه الإسلام والإيمان.

من هنا؛ وجدنا أهمّية بالغة لعرض هذا المستوى من المقابلة ليكون المقاتِل الرسالي على يقظة وحذر شديدين منها، فإنَّ الوقوف في مواجهة الأخلاق السلبيّة ومجاهدتها لا بدّ أن يكون على نفس القدر من التمسّك بالأخلاق الإيجابية، ففي الإيجاب قوّة التمسّك، وفي السلب قوّة الترك، ولمّا كنّا قد تعرّضنا إلى الإيجاب منها ضمن عناوين خاصّة، فإنّ مقتضى المقابلة هو عرض نفس العناوين ولكن في إطارها السلبي، وإذا صحّ ما قيل من كون الأشياء تُعرف بأضدادها، فإنَّ ما تقدَّم يكون قد وضع أمامنا توضيحات كثيرة تُغنينا عن الإطناب في التفاصيل، ولذلك سوف يبتني هذا القسم على أساس الاختصار اعتماداً على ما تقدّم. وسنقسّم بحثنا في هذا القسم على محاور عدّة؛ تتميماً للفائدة وتنظيماً لعرض المطالب:

---

* دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، أُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

المحور الأوّل: الملامح العامة للجُنديّة المنحرفة

إنَّ عنوان الجُنديّة لا ينطبق على الجُنديّة المنحرفة إلّا من باب المشابهة في الألفاظ، وإلّا فالجُنديّة الحقيقيّة لا مصداق لها سوى ما تقدَّم في بُعدها الإيجابي، ومنه يتّضح أنَّ جميع ما تقدّم في مقوّمات الجُنديّة الصحيحة سنجده منعكِساً بصورة مخالفة تماماً في شخصيّة الجُنديّ المنحرف، وهذا يغنينا عن الخوض في عرض الصفات المضادّة، ولذلك سنحاول التركيز على نقاط أُخرى يُمكن أن نقرأها في الجُنديّة المنحرفة.

لكن قبل ذلك يمكن أن يقال إجمالاً: إنَّ ما عدا الصحّة البدنيّة والتدريب والخبرة والمهارات الفردية، فإنّنا سنجد غياباً كبيراً للصحّة النفسيّة، نتيجة استفحال حال الاضطراب والقلق النفسي بسبب فقدان الإيمان، وهكذا في تحقيق رسوم الطاعة للقادة، فإنّها لا تُسجِّل حضوراً في السرّ والعلن، فاحتمالات الخيانة قائمة فيهما، بل هي متحقّقة بالسرّ بأبشع صورها.

وأمّا الشجاعة، فقد تجد جرأة وإقداماً، ولكنّها حيوانيّة المنشأ والأثر، وفاقدة للروح الإنسانيّة، وأمّا التضحية والفدائيّة فلا يُمكن تصوّرها بالمعنى الإيجابي فيه.

وأمّا روح الانتصار، فإنّها مفقودة تماماً، وما نلاحظه فيه ممّا يوقع التوهّم فيها، فما هي إلّا ضرب من الغرور والكِبر، ولذلك فإنّ هذا الجندي تنخر فيه الانهزامية، وسرعان ما تنتهي به إلى اليأس والقنوط.

وأمّا انحصار الخيار بين الشهادة والانتصار، فهو الآخر مفقود، بل هو من باب (السالبة بانتفاء موضوعها)؛ إذ الجندي المنهزم في داخله لا يعتقد بقيمةٍ اسمها الشهادة.

وأمّا الانتصار، فهو مجرّد غلبة القويّ المتغطرِس.

وأمّا الإيمان بالقضية التي يُقاتَل من أجلها، فهو لا يملك قضية يعيش أو يموت من أجلها، وإنّما هو يعيش لأهداف صغيرة ومنافع زائلة.

أمّا الحبّ والمودّة للقائد، فهو في واقعه خوف شديد منه يترجمه إلى حبٍّ ومودّة نفاقية.

وأمّا بذل قصارى الوسع والجهد، فإنّه إن وقع منه فيقع خشية العقوبة أو طمعاً بالجائزة.

ويمكن عرض ملامح الجندية المنحرفة وما يميّزها ـ ومصداقها الواضح هو معسكر ابن زياد في الطف ـ في النقاط التالية:

النقطة الأُولى: حضور الحالة النفاقيّة

لقد عمَّت حالة النفاق في معسكر ابن زياد الذي يمثل المصداق الأتم للجندية المنحرفة ابتداءً من قائد الجيش عمر بن سعد الذي ما ذهب للقتال إلّا طمعاً بولاية الرّي، ومروراً بقادته الكبار، من قبيل شبث بن ربعي[1]، وعمرو بن حُرَيث[2]، وقد دلَّت سيرة هؤلاء على نفاقهم قبل ظهورهم في كربلاء، فقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أنّه لمّا أمر أهل الكوفة بأن يعسكروا في المدائن لحرب الخوارج تأخّر عنه قوم، منهم شبث بن ربعي وعمرو بن حُرَيث والأشعث بن قيس، فلمّا وصلوا بعد حين قال لهم الإمام عليه السلام: «**لئن كان مع رسول الله منافقون فإنَّ معي منافقين، أما والله، يا شبث، ويا بن حُرَيث، لتقاتلان ابني الحسين، هكذا أخبرني رسول الله** صلى الله عليه وآله»[3].

---

(١) شبث بن ربعي التميمي، كان مؤذِّن سجاح المتنبئة، ثمّ أسلم وصار من أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ثمَّ تحوّل بعد صفِّين خارجياً، ثمَّ حضر كربلاء وشارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام، إذ وضعه ابن سعد على الرجّالة. وله وَلد اسمه عبد القدوس، المعروف بأبي الهندي، شاعر سكّير زنديق، وحفيده صالح بن عبد القدوس الزنديق، قتله المهدي العباسي على الزندقة وصلبه على جسر بغداد. اُنظر: الصدوق، محمّد بن عليّ، الخصال: ص٣٠١. وأيضاً: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٣٩.

(٢) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي، صحابي، التحق بالإمام عليّ عليه السلام في صفِّين، ثمَّ ارتدّ وصار خارجياً، ثمَّ التحق بابن زياد، وكان ممَّن شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وقد كان ممَّن ولّاهم زياد على الكوفة، ثمَّ استخلفه عبيد الله بن زياد على الكوفة فترة. اُنظر: الأمين، محسن، عجائب أحكام أمير المؤمنين عليه السلام: ص١٣٤.

(٣) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح: ج١، ص٢٢٦. واُنظر: الشمالي، أبو حمزة، تفسير أبي حمزة الشمالي: ص٢٣٥. الشريفي، محمود، كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص١٤٣، رقم٤٠.

وهـذه شـهادة صريحـة بنفاقهـم، وأيُّ نفاق أعظـم وأدهى من كونهـم ممَّن كاتب الإمام الحسـين عليه السلام طالبين منه الحضور، بعـد أن أخبروه بأنّ الثمار قد أينعت، وأنَّ له جنوداً مُجنَّدة، ثمَّ انقلبوا عليه وخيَّروه بين أن يُسـلِّموه لابن زياد أو يقاتلوه[1]، وهذه الحالـة منطبقـة على جميع الذين كاتبـوه في ذلك ثمّ تخلّوا عنـه وخذلوه، وهم كثيرون جدّاً، ويكفي في تصوّر عددهم وعدد كُتُبِهم إذ بلغت خرجين كبيرين ما جاء في لقاء الإمام الحسين عليه السلام بالحرّ والآخر بعبد الله بن مطيع[2].

ولم يقتصر الأمر على أهل الكوفة، فقد كاتبه أهلُ البصرة وكثير من رؤساء القبائل العربيّة في العراق وأطرافه للقدوم إلى العراق وانتزاع الحُكم من الفسقة الفجرة.

النقطة الثانية: حضور الحالة الانتهازيّة

لمّـا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وعرف أنَّ مسـلم بـن عقيل عليه السلام يقود ثورة ضد حكومة يزيد، وأنّه يصلّي بالمسجد وخلفه أكثر من ثمانية عشر ألف مقاتل، شهر بوجه أهل الكوفة سيفين ماضيين، سيف جيش الشام، وسيف المال، فمنهم مَن خاف ولزم بيته، ومنهم مَن سال لعابه لدنانير ابن زياد، وكانت المحصّلة هي تفتّت الأنصار، بل صيرورة الجزء الأعظم منهم أعداءً يسوقهم الخوف والدينار والدرهم، ولمّا لوّح ابن زياد بجائزة لمن يأتيه بمسلم هبّت جموع منهم بقيادة محمد بن الأشعث بن قيس، لتطويق بيت طوعة وقتل مسلم لا لشيء إلا نيل الجائزة، ولعل بعضهم كان لخساسته ما كان يطلب مالاً، وإنّما يطلب كلمة رضا من ابن زياد ليكفِّر بها عن وقوفه السابق مع مسلم!

إنَّ هـذه الصور الانتهازية متكرّرة في كلّ عصر ومصـر، فأصحابها هم وجودات حربائيّة سريعة التلوّن، لها القدرة على الانتقال من اليمين إلى اليسـار ومن اليسـار إلى اليمين بسـرعة البرق، لا يحتكمون إلى منهج ثابت في حياتهم سوى منهج التلوّن نفسه،

(١) أُنظر: السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٣٣.
(٢) أُنظر: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٧٨.

ولا يعطون لأنفسهم فرصة للتأمّل والتفكّر؛ لأنّهم لا ينظرون أبعد من طرف أنوفهم، وهم ليسوا سُذَّجاً وإنّما حمقى وساقطون، لا يملكون احتراماً حقيقيّاً لأنفسهم، ولا يتأمّلون فيما ينجرّون إليه، يقودهم السلوك الجمعي وتنخر فيهم قِيَم القبليّة.

النقطة الثالثة: حضور الحالة الإسقاطيّة

ونعني بالحالة الإسقاطيّة مجموعة القَبَليات الحاكمة فتصنع لهم عقائد وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً، ولو اطّلعنا على الكثير من تصرّفات جيش ابن سعد لوجدنا صوراً إسقاطيّة كثيرة، عاشها القادة والجنود الرعاع معاً، فلم يُرعَ دين الله في أوضح الأُمور، وكأنهم لم يسمعوا بالإسلام أبداً؛ فقد هجموا على معسكر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي وكان سعيد بن عبد الله الحنفي يقف أمام الحسين عليه السلام، وكانوا يستهدفون الإمام عليه السلام بالسهام والنبال فيقيه سعيد بنفسه، ولم يتزحزح عن مكانه، وقد كان يقوم بين يدي الإمام كلّما أخذ عليه السلام يميناً وشمالاً، فما زالوا يرمونه حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللّهم، العنهم لعن عاد وثمود، اللّهم، أبلغ نبيك السلام عنّي، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح؛ فإنّي أردت بذلك نصرة ذرّية نبيِّك. ثمّ مات رحمه الله فوُجِد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح[1].

وهذا عمر بن سعد تحكمه الحالة الإسقاطيّة المنتمية لعالم الجاهلية في أوّل شروعه بالمعركة، حيث رمى بسهم نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام ثمَّ قال: «**اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل مَن رمى. ثمَّ رمى النّاس فلم يبقَ من أصحاب الحسين عليه السلام أحد إلّا أصابه من سهامهم**»[2].

وفي موقف آخر له يعكس جاهليته وإسقاطيّته البالغة، حيث نجده يصيح بجُنده وهو يحثّهم على الإمام الحسين عليه السلام: «**هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب!**»[3].

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص٢٦٤. الشريفي، محمود، كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٤٤، رقم٢١٣.
(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٣٥.
(٣) المصدر السابق: ص٢٧٥.

بل إنّهم لم يحتفظوا حتى بالقِيَم الجميلة القليلة التي كانت تعيشها الجاهلية، منها: إنَّ أهل الجاهلية الأُولى كانت تمنعهم حَمِيَّتُهم أن يعتدوا على النساء أو الأطفال، فهذا الفعل يُلحِق بصاحبه العار إلى آخر حياته، بل يسري إلى أولاده وأحفاده، ولكنّنا نجد حالة التعدّي هذه في أوغاد ابن سعد، وذلك عندما أمرهم بحرق الخيام وإرهاب النساء والأطفال في الوقت الذي كان فيه الإمام الحسين عليه السلام يقاتلهم، ولذلك قال لهم عليه السلام لمَّا حالوا بينه وبين رحله: «**ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرُباً كما تزعمون، إنّي أقاتلكم وتقاتلوني، والنساء ليس عليهنَّ جُناح، فامنعوا عتاتَكم وجهّالَكم وطغاتَكم من التعرُّض لحرمي ما دمت حياً**»[1].

فهم ليس لهم دين، ولا يؤمنون بالمعاد، بل هم ليسوا عُرُباً أيضاً؛ لأنَّ عُرُب الجاهلية ما كانوا يعتدون على النساء أو يبثوا الرعب فيهن، ولكن هؤلاء الأوغاد قد فعلوا ذلك!

فمن أيّ ملّة كانوا أُولئك؟! وفي أيّ أرضٍ نبتوا؟!

إنّهم من ملّة ممسوخة مغمورة في الرذيلة إلى حدِّ الغباء والعمى؛ لبعدهم عن الحقِّ، وانضوائهم تحت لواء الباطل، فكانت أفعالهم وصمة عار الدهر كلّه على جبين التاريخ الإسلامي، وعلى جبين أهل القرن الأوّل، لا يمحوها الدهر، ولا يغسلها الزمن[2].

النقطة الرابعة: قادة الجُند من الأراذل

الأراذل هم الذين لا خلاق لهم، وهم «**الدون من الناس في منظره وحالاته، وقيل: هو الخسيس، أو الرديء من كل شيء**»[3]، ولا يستعظمون الجهر بالمعاصي، ولا يتردّدون في إتيان الفعل الخسيس، ولنقف الآن عند مواقف دالّة على الانحطاط الخلقي لقادة جيش ابن سعد.

---

(١) العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المجالس الفاخرة: ص٢٤٤.

(٢) أُنظر: الجلالي، محمد رضا، الإمام الحسين عليه السلام سماته وسيرته: ص١٧٩.

(٣) الزبيدي، محب الدين، تاج العروس: ج١٤، ص٢٧٨.

الموقف الأوّل: طريقة استشهاد الامام الحسين عليه السلام

كان من بين أُولئك على التحقيق سنان بن أنس النخعي[1]، وقد سمّاه الإمام عليّ عليه السلام بالسخل يوم كان يحبو ويدرج بين يدي أبيه أنس الأصبحي، فقد جاء في سيرة الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال في إحدى خطبه في الكوفة: «**سَلوني قبل أن تفقدوني... فقام له رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: والله، لقد حدَّثني خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله بما سألت عنه، وأنّ على كلِّ طاقة شعرٍ في رأسك مَلكاً يلعنك، وعلى كلِّ طاقة شعرٍ في لحيتك شيطاناً يستفزّك، وإنّ في بيتك لسخلاً، يقتل ابن رسول الله، وآية ذلك مصداق ما خبرتك به، ولولا أنّ الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتك به، ولكن آية ذلك ما نبأت به عن لعنتك وسخلك الملعون، وكان ابنه في ذلك الوقت صبيّاً يحبو، فلمّا كان من أمر الإمام الحسين عليه السلام ما كان، تولّى قتله، وكان الأمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام**»[2]، واختصاصه بالذِّكْر كاشف عن دوره الخطير الذي قام به في كربلاء، والذي لا يقوم به إلّا الأراذل من الناس، فإنَّ كلمة (السخل) في المقام وصف يُطلق على الأراذل من الناس، فيكون سنان الرذيلة هو

---

(١) سنان بن أنس النخعي الأصبحي، جاء في مقاتل الطالبيين أنّه هو الذي احتزّ رأس الإمام الحسين عليه السلام. أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، عليّ بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٧٩.

وقيل: إنّه طعنه برمحه فصرعه، وابتدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتز رأسه فارتعد، فقال له شمر بن ذي الجوشن: فتَّ الله في عضدك ما لك ترعد؟! ثمَّ نزل الشمر فاحتز رأسه. أُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تاج المواليد (المجموعة): ص٣١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج١، ص٣٣٠. الجدير بالذكر أنّه قد وقع اختلاف في الروايات والمصادر في تحديد هوية مَن تولّى قتل الإمام الحسين عليه السلام، هل كان شمر بن ذي الجوشن الضبابي، أو سنان بن أنس الأصبحي؟ والصحيح أنَّ شمراً هو الذي احتّز الرأس الشريف، كما اختلفوا في هوية السائل، بين كونه أنس الأصبحي أو كونه سعد بن أبي وقاص أو كونه الأشعث بن قيس، فيكون السخل هو محمد بن الأشعث أو أخوه قيس، أو هو أنس، أو عمر بن سعد، والظاهر أنّ السائل هو أنس الأصبحي والد سنان، وهذا ما أكّده ابن أبي الحديد، حيث ذكر الخطبة عن كتاب الغارات لابن هلال الثقفي، عن زكريا بن يحيى العطار، عن فضيل، عن محمّد بن عليّ عليهما السلام، وقال في آخره: «والرجل هو سنان بن أنس النخعي». ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١، ص٢٥٣.

السخل المقصود في الخبر، وقد كان لسنان دور تتقطّع منه القلوب، فاللعين لم يكتفِ بطعنة ولا برمية، فقد بالغ في تعدِّيه حتى شاطر الشمر في خسّته.

قال الراوي ـ واصفاً حال الحسين عليه السلام في آخر لحظاته ـ: «**فرُمي بسهم فوقع في قلبه، فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كالميزاب، فوقف بمكانه لا يستطيع أن يحمل، فصاح شمر بن ذي الجوشن لعنه الله: ما تنتظرون بالرجل؟ فطعنه صالح بن وهب المزني على خاصرته، فوقع من ظهر فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله... وضربه آخر على عاتقه، فخرّ على وجهه وجعل ينوء برقبته ويكبو. فطعنه سنان** [بن أنس] **في ترقوته، ثمَّ انتزع السنان فطعنه في بواني صدره، ورماه سنان أيضاً بسهم فوقع في نحره، فجلس قاعداً ونزع السهم وقرن كفّيه جميعاً حتى امتلأتا من دمائه، فخضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: هكذا ألقى الله مخضّباً بدمي مغصوباً عليَّ حقّي**»[1].

الموقف الثاني: استقى لطفله ماءً فسقوه سهماً

لما خلا معسكر الإمام الحسين عليه السلام من الأنصار، وصار الجميع مجزّرين نادى بأعلى صوته: «**هل من ذابٍّ يذبّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟**». فارتفعت أصوات النساء بالعويل، ثمّ تقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب عليها السلام: ناوليني ولدي الصغير حتى أُودِّعه[2]، فأخذه وأومأ إليه ليقبِّله، ثمَّ طلب من القوم أن يسقوه ماءً، فوقع نزاع في معسكر ابن سعد، بين موافق على سقايته وبين مخالف لذلك، فنظر ابن سعد لحرملة وقال له: يا حرملة، اقطع نزاع القوم. ففهم حرملة ما هو مطلوب منه، فأخذ القوس وثبّت النبل في كبده فلاح له عنق الرضيع وكأنّه إبريق فضّة، فرماه بسهم ذبحه من الوريد إلى الوريد.

---

(١) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٣٧.

(٢) هو عبد الله الرضيع بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وأُمّه الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس، رماه حرملة بن كاهل بسهم في عنقه فقتله. أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦.

فقال الإمام الحسين عليه السلام لزينب عليها السلام: خذيه. ثمَّ تلقى الدم بكفّيه، فلمّا امتلأت رمى بالدم نحو السماء، ثمَّ قال: هوَّن عليَّ ما نزل بي، أنّه بعين الله تعالى[1].

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض**»[2].

وقد ذكروا أنَّ الطفل كان مغمى عليه من شدّة العطش، فلمّا أحسّ بحرارة السهم رفع يديه من القماط واحتضن أباه[3]، فقال عليه السلام: «**لا يكون أهون عليك من فصيل، اللّهم إن كنتَ حبست عنّا النّصر، فاجعل ذلك لما هو خير لنا**»[4].

ولك أن تتأمّل في مدى انحطاط ابن سعد وحرملة وجيش يزيد، فهم لم يمتنعوا عن سقاية الرضيع وحسب، وكان بإمكانهم حجب الماء عنهم كما هم فاعلون، ولكن خساستهم وخبث سريرتهم دلّتهم على ما يوافق طبعهم.

المحور الثاني: تعاملهم مع القيادة

إنّ أُولئك الجند قد يبدو في ظاهر أمرهم أنّهم كانوا على الطاعة والأمر لقادتهم، ولكن الواقع كان يحكي شيئاً آخر، فإنّ ابن زياد وابن سعد كانا يعلمان جيداً أنّ مَن سار معهما من الأراذل، ومن ناكثي العهود، وممَّن لا خلاق لهم؛ ولذلك كانوا يلوّحون لهم بالسيف تارة وبالدينار والدرهم أُخرى[5]، حتى وهم في وسط المعركة كان ابن سعد يغريهم بالمغانم، وهو يعلم أنّه لا غنائم كثيرة أو ملفتة للنظر في جيش

---

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص٣٣٢. أبو الفرج الإصفهاني، عليّ بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٩٤. ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٧٥. العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المجالس الفاخرة: ص٢٤١. السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٥٤.

(٢) ابن طاووس، عليّ بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٤٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٤٦. البحراني، عبد الله، عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام): ص٢٨٩.

(٣) أُنظر: العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المجالس الفاخرة: ص٣١٦.

(٤) البحراني، عبد الله، عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام): ص٢٨٩.

(٥) من قبيل ما أعلنه ابن زياد على أهل الكوفة من أعلى قصر الإمارة: «..فبرئت ذمّة الله من رجل وجدناه [أي: مسلم بن عقيل عليه السلام] في داره، ومَن جاء به فله ديّته». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢١٠.

الإمـام الحسـين عليه السلام، ولكنّه يعلـم أيضاً أنّهـم أراذل لا يعبـؤون إلّا بعنـوان الغنائم، فنفوسـهم الدونيّة الدنيّة كانت قد سـوّلت لهم نهب ذلك القرط الزهيد الذي كان في أُذن طفلة شريدة، ولولا هذه النفوس الدنيّة ما وجد ابن سعد أوباشاً يرضّون صدر الحسين عليه السلام بعد قتله، وما وجد فيهم مَن يقطع إصبعه ليغنم خاتماً، أو يسلب سرواله أو قطيفتـه، أو يأخـذ نعليه، أو مَن يميل منهم على نسـاء الحسـين عليه السلام وثقله ومتاعه، فكانـت المرأة لتُنـازع ملحفتها[1] عن ظهرهـا، حتى تُغلب عليهـا[2]، وغير ذلك من فعال وضيعة يندى لها الجبين، ولذلك كان الإمام الحسين عليه السلام عظيماً ودقيقاً في وصفه لهم بقوله: «**يا أُمّة السوء، بئسما خلفتم محمّداً في عترته**»[3].

جديـر بالذكـر أنّهم ما كانوا يقاتلون إلّا إذا شـعروا بمأمن مـن الخصم، فديدنهم الغـدر والختـل، لا يأمـن لهـم قادتهـم، وكلّ واحد منهـم على حذر مـن ختل الآخر ودسيسـته، فكانـوا هـم الجاهليـة بعينهـا، وأنّهـم لأصـدق مصـداق لقولـه تعـالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾[4].

المحور الثالث: أهدافهم في القتال

لم يُسجِّل قائد أو مقاتل في جيش ابن سعد موقفاً نبيلاً على مستوى الأهداف، فقد انحصـرت الأهداف بالأُمور الدنيويّة الماديّة الصِّـرفة، بضميمة الأحقاد والضغائن والكراهيـة الشـديدة لنـور الحقّ. وسـوف نسـتعرض بعـض المواقف الكاشـفة عن واقعيّة الأهداف البائسـة التـي كانت تُحرّكهم، ولَيْتَهم نالوهـا! فالأكثر منهم لم يَحْبُوا من طموحهم الدنيويّ سـوى الوعـود الكاذبة، فضلاً عمّا لحقهـم من الخزي والعار

(١) ملحفتها: أي الملاءة أو العباءة

(٢) اُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج١، ص٢٠٤.

(٣) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٤. البحراني، عبد الله، عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام): ص٢٩٥.

(٤) الحشر: آية١٤.

الذي لا تمحو أثاره العصور والأزمان. وفيما يلي مواقف تشهد بذلك:

الموقف الأوّل: حكم الرّي ثمن قَتْل الحسين عليه السلام

كان عمر بن سعد متردّداً بين القبول بقَتْل الحسين عليه السلام وأصحابه وعياله وسبي نسائه، أو يخسر ملك الرّي، وكان يدرك جيّداً بأنَّ قتله للحسين يرديه في النّار، وكان قد أخبره بذلك رجل من أهل الخير اسمه كامل، وكان صديقاً لأبيه، فنصحه بترك هذا الفعل الخطير[1].

وأمّا قصّة حكم الرّي، فإنّ ابن زياد نادى في عسكره: مَن يأتيني برأس الحسين فله الجائزة العظمى وأُعطيه ولاية الرّي سبع سنين، فقام إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص وقال: أنا. فأمره بأن يمضي للحسين ويمنعه عن شرب الماء ويأتيه برأسه.

ثمّ جعل يفكِّر في ملك الرّي وقتل الحسين عليه السلام، فأضلّه الشيطان على علم، وأعمى قلبه وبصيرته[2]، وقد كان ممَّا قاله في ذلك شعراً تناقلته كُتُب الأخبار والتواريخ والبلدان والسير:

فوالله ما أدري وإنّي لحائر ... أُفكِّر في أمري على خطرين
أأترك ملك الرّي والرّي مُنيتي ... أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمّي والحوادث جمّة ... لعمري ولي في الرّي قرّة عين
ألا إنّما الدنيا بخير معجَّل ... وما عاقل باع الوجود بدين
يقولون إنّ الله خالق جنّة ... ونارٍ وتعذيبٍ وغلٍّ يدين
فإن صدقوا فيما يقولون إنّني ... أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فُزْنَا بدنيا عظيمة ... ومُلكٍ عظيم دائم الحجلين[3]

(١) أُنظر: البحراني، عبد الله، عوالم العلوم (الإمام الحسين عليه السلام): ص٥٩٤.
(٢) أُنظر: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج٣، ص٦٤.
(٣) أُنظر: العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، شرح منهاج الكرامة: ص٦٧. ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٥٣.

ولو لاحظنا موقع عمر بن سعد في معسكر ابن زياد، فإنّه قائد الجيش والمباشر الأوّل في المواجهة، لتَبيَّن لنا الوضع العام لجيشه، فهو لم يقاتل لعقيدة أو دين، وإنّما لطلب الدنيا الدنيّة لا غير، وكان ممَّا وقع لهذا البائس هو أنَّ ابن زياد لم يكن يثق به بعدما لاحظ فيه تردداً، فكان يدسّ له العيون، وفي ليلة كان ابن سعد يتغنّى بهذه الأبيات فسمعوه ونقلوا ذلك لابن زياد فنهره وحرمه حكم الرّي، فخرج ابن سعد منه وهو يجرُّ أذيال الخيبة والندامة، وكان الإمام الحسين عليه السلام قد أخبره بأنّه لن ينال من حكم الرّي وجرجان شيئاً، فمضى ابن سعد طائعاً لهواه، وغلبته شهوته وشقوته[1].

الموقف الثاني: أوقِرْ ركابي فضّة أو ذهباً

اشتُهرت في كتب المقاتل والسير والأدب أبيات نُسبت لقاتل الإمام الحسين، وهي:

أوقِرْ ركابي فضّة أو ذهبا ... إنّي قتلتُ السيِّد المُحجّبا
قتلتُ خير الناس أُمّاً وأبا ... وخيرهم جدّاً وأعلا نسبا
وخيرهم إذ يُنسَبون نسبا ... ومَن يصلِّي القبلتين في الصبى
طعنته بالرمح حتى انقلبا ... ضربته بالسيف صار عجبا

وقد اختلفوا كثيراً في قائلها لاختلافهم في تحديد قاتل الإمام الحسين، ويقصدون بذلك مَن أجهز عليه وحزّ رأسه الشريف، فالمشهور على الألسن أنَّ القاتل هو شمر بن ذي الجوشن، وهو صاحب الأبيات، أنشدها أمام يزيد، فقال له يزيد: إذا علمت أنّه خير الناس أُمّاً وأباً، فلِمَ قتلته؟! اخرُج من بين يديّ فلا جائزة لك. فخرج هارباً خائباً، وخاسراً في عاجل الدنيا وآجل الآخرة[2].

(١) أُنظر: سبط بن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢٣٣. المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢١٥.
(٢) أُنظر: القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربى: ج٣، ص٩١.

وأمّا المشهور في المدوّنات التاريخيّة فإنَّ القاتل هو سنان بن أنس النخعي، وهو صاحب الأبيات[1]، وقد مرّ بنا شيء من سيرته الخبيثة.

فقال له عبيد الله بن زياد: ويحك! فإن علمت أنّه خير الناس أُمّاً و أباً لِمَ قتلته إذن؟! فأمر به فضُربت عنقه، وعجل الله بروحه إلى النّار. وقيل: بأنّه وقف على باب فسطاط عمر بن سعد وأنشده الأبيات المذكورة، فقال ابن سعد: أشهد أنّك مجنون. وحذفه بقضيب، وقال: أتتكلم بهذا الكلام؟! والله، لو سمعه ابن زياد لقتلك[2].

ولعلّ من الشواهد على كون القاتل هو سنان هو قول الشاعر في ذلك:

وأيُّ رزيةٍ عدلت حُسَيناً غداة تبيره[3] كفا سنان

وأيّاً كان قائل الأبيات، فإنّها تعكس تلك الحالة البائسة في التكالب على الدنيا ولو كان الثمن ريحانة رسول الله وسيِّد شباب أهل الجنّة.

الموقف الثالث: عُسْلان الفلوات

كان ممَّا قاله الإمام الحسين عليه السلام في مكَّة وهو متوجّه إلى العراق في أشهر خُطَبه: «**خُطَّ الموت على وُلد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة... كأنّي بأوصالي يتقطعها عُسْلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منِّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً**»[4]، وعُسْلان الفلوات توصيف للذئاب الجائعة المفترسة الطالبة للفريسة، فلا تُبقي في فريستها شيئاً يُذكر، ولذلك نجد جُند ابن سعد في الطفّ لم يُبقوا شيئاً إلّا ونهبوه، حتى أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يدرك ما عليه القوم من سفالة وانحدار خُلقي، فطلب ثوباً لا

(١) أُنظر: الصدوق، محمّد بن عليّ، الأمالي: ص٢٢٧. الفتّال النيسابوري، محمّد بن الحسن، روضة الواعظين: ص١٨٩. الهيثمي، عليّ بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٤. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١٧.

(٢) ابن الأثير، علي بن محمد، أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ج٢، ص٢١.

(٣) من البوار بمعنى الهلاك.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٧.

يُرغَب فيه، ليجعله تحت ثيابه؛ كي لا يُجرّد!! فأخذ ثوباً وخرَّقه، ثمَّ جعله تحت ثيابه فلمّا قُتل، جُرِّد صلوات الله عليه منه[1].

فما كان لهم شرف ولا كرامة، فضلاً عن أن يكون لهم دين، ولذلك قد جرَّدهم الإمام الحسين عليه السلام من كلِّ الصفات في قوله لهم في المعركة: «**ويلكم! يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرُباً كما تزعمون**»[2]، فهم ليس لهم دين، ولا يخافون المعاد، وليسوا أحراراً، وليسوا أصحاب قِيَم عربية أصيلة، وقد ورد في بعض الأخبار التي تحكي تفانيهم في طلب الجائزة، فعندما أراد سنان بن أنس أن يُجهز على الإمام الحسين عليه السلام أخذته رعدة، فخاف وولّى هارباً، فنادى ابن سعد: مَن يأتيني برأسه وله ما يتهنَّى به؟ فقال الشمر: أنا أيُّها الأمير[3].

المحور الرابع: أخلاقهم أثناء المعركة

رغم أنّهم كانوا يعلمون مَن هو الإمام الحسين عليه السلام، وابن مَن، وحفيد مَن، وكانوا يعلمون مَن هو يزيد الفاسق، وأبوه الباغي الغادر، وجدّه الكافر المنافق، وكانوا يعلمون ما للحسين من حقٍّ على الأُمّة، فما كانوا عن هذا غائبين، فإنَّ جلُّهم قد بايع مسلم بن عقيل وصلّى خلفه، وسرعان ما أخلوه وحيداً فريداً في أزقّة الكوفة يواجه مصيره.

رغم ذلك كلّه، فإنّهم لم يتحلّوا بأخلاق المقاتِل النبيل في تعاطيه مع خصومه، فقد منعوا الإمام عليه السلام وعياله عن الماء ثلاثة أيام، ولمّا شرعت المعركة لم يتركوا خُلقاً بذيئاً

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٥٩. ابن طاووس، عليّ بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٦٩. الجلالي، محمد رضا، الإمام الحسين عليه السلام سماته وسيرته: ص١٧٧، رقم٢٧٧. ابن منظور، محمد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشق: ج٧، ص١٤٧.

(٢) العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المجالس الفاخرة: ص٢٤٤.

(٣) أُنظر: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥١١، رقم٣٠٩.

إلّا واتّصفوا به ولا فعلاً دنيئاً إلّا واقترفوه، حزّوا الرقاب ورفعوها على أسنة الرماح، وحرقوا الخيام وأرعبوا النساء والأطفال، وسلبوا ونهبوا حتى الثياب التي يرتديها الأحياء، فكانت الهاشمية تدافع عن ملحفتها في السلب والسبي، وما منعتهم شيمة أو حميّة أو حتى عادات جاهلية، منها: أنّ العرب يأنفون من التعدّي على النساء والأطفال، ولم يتوقّف الأمر على هذا، بل كانوا يسوقون النسوة والأطفال بالسياط.

وهذا مُرّة بن منقذ العبدي يرى عليّاً الأكبر يُقاتل ولا يقدر على مواجهته، فيكمن له وهو يقول: عليَّ آثام العرب إن لم أثكل أباه به، فطعنه بالرمح في ظهره، وضربه بالسيف على رأسه، ففلق هامته، فاعتنق عليّ الأكبر فرسه فاحتمله إلى معسكر الأعداء، وبعد كل هذا أحاطوا به وقطّعوه بسيوفهم إرباً إرباً[1].

ولما قُتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الناس على ثقله ومتاعه، وانتهبوا ما في الخيام، وأضرموا النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله[2].

هذه هي نماذج يسيرة من أخلاق جيش ابن زياد في أثناء المعركة، وقد كانوا يتفاخرون بذلك.

صور لخسّة مقاتِلي الجيش اليزيديّ

الخسّة هو العنوان الأكثر بروزاً في جميع أفاعيل الجيش الأُمويّ في كربلاء، فما أبقوا للخسّة منزلة دانية إلّا وتقمّصوها، ولا ثوباً نتناً إلّا وتجلببوا به، ونظراً لكثرة مواقف السوء منهم فقد ناسب التذكير بأبرزها؛ لتوكيد عظيم مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام، وهي:

- منع الماء عن معسكر الإمام الحسين عليه السلام.
- الغدر والختل في المعركة على عظيم عدّتهم، وكثرة عددهم، وعلى قلّة عدد

(١) أُنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣١. ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٢٢٢. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٢٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٥٨.

أنصار الإمام الحسين عليه السلام، فكان الغدر والختل طريقتهم للغلبة.

- قتلهم للرضيع وهو بين ذراعي أبيه.
- حرق الخيام وترويع النساء والأطفال.
- حزّ رأس الإمام الحسين عليه السلام وهو حيّ، من دون سائر الشهداء الذين حُزَّت رؤوسهم بعد استشهادهم[1].
- قطع إصبع الإمام الحسين عليه السلام طلباً للخاتم الذي فيه، وقد قام بذلك بجدل بن سليم الكلبي، ولمّا ظفر به المختار الثقفي رحمه الله أمر بقطع يديه ورجليه، ثمَّ تركه يتشحط في دمه حتى هلك[2].
- قطع الرؤوس ورفعها على رؤوس الرماح.
- رضّ صدر الإمام الحسين عليه السلام بسنابك الخيول، فقد كتب ابن زياد كتاباً يأمر فيه بأن يُعرَض على الحسين عليه السلام وأصحابه الاستسلام المطلق، فإن أبوا: «**فازحف إليهم حتى تقتلهم، وتمثِّل بهم؛ فإنّهم لذلك مستحقّون، فإن قُتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره... وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً، ولكن عليَّ قول: لو قد قتلته فعلت به هذا...**»[3].

فالكتاب يتضمَّن الأمر بالتمثيل، ويتضمّن الأمر برضِّ صدر الحسين عليه السلام وظهره بحوافر الخيل، وقد نُفّذ الأمر الثاني بدقّة؛ بناءً على أوامر مباشرة وصريحة من ابن

---

(١) ولعلّ هذه من الموارد العظيمة التي ألـمّت بسيِّدنا ومولانا الحسين عليه السلام، فجميع الشهداء في الطفّ قد قُطعت رؤوسهم بعد استشهادهم إلّا الإمام الحسين عليه السلام، فقد قطعوا رأسه وهو حيّ، وقطع الرأس بعد الموت لا يؤلم الميت، فالمولى (صلوات الله عليه) هو الحالة الاستثنائية في تجرّع ذلك الألم الفضيع.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، عليّ بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٧٦. الحائري، محمد مهدي، شجرة طوبى: ج٢، ص٤٢٣.

(٣) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٤١٥.

زياد وتنفيذ دقيق من ابن سعد، فقام بهذه المهمة البشعة عشرة رجال سمّى الطبري بعضاً منهم[1]، فلمّا دخلوا على عبيد الله بن زياد بأجمعهم مفتخرين بخزيهم ومطالبين بالجائزة، قال أحد العشرة:

«نحن رضضنا الصدر بعد الظهر ... بكلِّ يعبوبٍ شديد الأسرِ

قال: مَن أنتم؟ قالوا: نحن وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنّا حناجر صدره. فأمر لهم بشيء يسير»[2].

وليت شعري ما الذي قبضوه من وراء ذلك؟! وهم يعلمون أنَّ مصيرهم جهنّم، ومصير الشهداء جنّات عدن ورضوان من الله أكبر، ورحم الله الشاعر القائل في ذلك:

لسنا نبالي إذا أرواحنا نعمت ... ماذا فعلتم بأجساد وأوصال[3]

● أخذ القراريط من طفلة للإمام الحسين عليه السلام بإدماء أُذنها، والمقانع من رؤوس النساء، فقد جاء في الخبر أنّهم لما اشتغلوا بنهب عيال الحسين عليه السلام ونسائه، فصارت المرأة تُسلب مقنعتها أو ملحفتها من رأسها، أو يُسلب خاتمها من إصبعها، أو قرطها من أُذنها، وحجلها من رِجْلِها[3].

وممَّا شجا قلبي وكفكف عبرتي ... محارم من آل النبي استحلّت

---

(١) المصدر السابق: ص٤٥٤-٤٥٥. شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين عليه السلام: ص٢٣٠. وأما أشباه الرجال الذين رضّوا صدر الحسين بخيولهم، فهم: (١ـ إسحاق بن حياة الحضرمي، وهو الذي سلب قميص الحسين عليه السلام فأصابه البرص بعد ذلك. ٢ـ أحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي. ٣ـ هاني بن ثبيت الحضرمي. ٤ـ سالم بن خيثمة الجعفي. ٥ ـ صالح بن وهب الجعفي. ٦ـ حكيم بن الطفيل السنبسي الطائي. ٧ـ عمرو بن صبيح الصيداوي الأسدي. ٨ ـ رجاء بن منقذ العبدي. ٩ـ واحظ بن ناعم. ١٠ـ أُسيد بن مالك). أُنظر: ابن نما الحلّي، محمّد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٦٠.

(٢) ابن نما، محمّد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٦٠.

(٣) أُنظر: المصدر السابق: ص٥٨.

● وضع الجامعة في رقبة الإمام السجاد عليه السلام في رحلة السبي، فقد صفدوه بالحديد، ووضعوا الجامعة في عنقه، وقيدوا رجليه من تحت بطن الناقة، يُسمع منه الأنين وتفيض عيونه بالدموع، وقد سمعوه يقول:

أُقاد ذليلاً في دمشق كأنني ... من الزنج عبد غاب عنه نصيره
وجدي رسول الله في كل مشهد ... وشيخي أمير المؤمنين وزيره
فياليت لم أنظر دمشقاً ولم أكن ... يراني يزيد في البلاد أسير[1]

● وضع السبايا في خربة يتصفّح وجوههم الناس، فقد روي عن فاطمة بنت عليّ (صلوات الله عليهما) أنّ يزيد لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحُبسنَ مع عليّ بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنّهم من حَرٍّ ولا قرٍّ حتى تقشّرت وجوههم[2]، من حرارة الشمس، وما أشفق اللعين عليهم.

المحور الخامس: نماذج التحوّل السلبي

أوّلاً: جميع مَن كاتب الإمام الحسين عليه السلام ولم يفِ بما كتب

لا ريب في أنَّ جميع الذين كاتبوا الإمام الحسين عليه السلام طالبين منه القدوم للعراق وإعلان الخلافة الحقّة في وجه بني أُميّة، ثمَّ لم يفوا له بذلك ومن دون عذر شرعي هم من نماذج التحوّل السلبي من دائرة الولاء إلى دائرة العداء، لا سيما أُولئك الذين قادوا المعركة ضدّه أو شاركوا فيها، من قَبيل شبث بن ربعي، وعمرو بن حُرَيث، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وعزرة بن قيس الأحمسي، وغيرهم.

(١) البحراني، هاشم، مدينة المعاجز: ج٤، ص١١٠.
(٢) أُنظر: الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي، ص ٢٣١، ح٤.

ثانياً: الانهزاميون الذين تركوا الإمام وآثروا السلامة

وهم تلك الثلّة التي تركته يكابد مصيره مع أهل بيته، وقد كان لأُولئك تأثير كبير في الساحة الإسلاميّة، فمنهم مَن كان يطمع بجائزة يزيد ولا يكنُّ المحبّة الصادقة للإمام الحسين عليه السلام، من قبيل عبد الله بن عمر[1]، ومنهم مَن كان شديد الحسد والغيرة من الإمام الحسين عليه السلام، فكان يراه منافساً على الخلافة لا يمكن إزاحته، أو

(١) لمّا أقام الإمام الحسين عليه السلام بمكّة باقي شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة، وكان بمكّة يومئذٍ عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب، فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحسين عليه السلام وقد عزما على أن ينصرفا إلى المدينة، فقال له ابن عمر: «أبا عبد الله، رحمك الله! اتّقِ الله الذي إليه معادك! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إياكم، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء؛ فيقتلونك ويهلك فيك بشر كثير، فإنّي قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة!»، وأنا أُشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قَبْل، فلعلَّ الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين.

فقال له الحسين عليه السلام: أبا عبد الرحمن، أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه ما قال.

فقال ابن عباس: صدقت أبا عبد الله! قال النبي صلى الله عليه وآله في حياته: «ما لي وليزيد؟! لا بارك الله في يزيد! وإنه يقتل وَلَدي ووَلَد ابنتي الحسين عليه السلام، والذي نفسي بيده لا يُقتل وَلدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم». ثمّ بكى ابن عباس.... وقال: اللّهم، وأنا أشهد أنَّ مَن رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد صلى الله عليه وآله فما له من خلاق. فقال الحسين عليه السلام: اللّهم اشهد!

فقال ابن عباس: جُعلت فداك، يا بن بنت رسول الله، كأنّك تريدني إلى نفسك، وتريد منّي أن أنصرك؟ والله الذي لا إله إلّا هو، أن لو ضربتُ بين يديك بسيفي هذا حتى انخلع جميعاً من كفّي لما كنت ممَّن أوفى من حقّك عُشر العُشر! وها أنا بين يديك مُرني بأمرك.

ولمّا سمع عبد الله بن عمر هذا الكلام وقع في حرج شديد، فقال مخاطباً ابن عباس: مهلاً! ذرنا من هذا يا بن عباس. ثمّ أقبل ابن عمر على الإمام الحسين عليه السلام فقال: أبا عبد الله، مهلاً عمّا قد عزمتَ عليه، وارجع من هنا إلى المدينة، وادخل في صلح القوم، ولا تغب عن وطنك وحرم جدِّك رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجّة وسبيلاً....

فقال الإمام الحسين عليه السلام: أُفٍّ لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض!... ثمّ قال الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً ابن عمر: اتّقِ الله أبا عبد الرحمن، ولا تدعنَّ نصرتي...». اُنظر: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢٤.

بوجود الحسين عليه السلام لا يبقى له أمل بالخلافة، وهو عبد الله بن الزبير[1].

وكان الامام عليه السلام يريد جيشاً نوعيّاً حتى لو كان قليلاً، ولو كان عليه السلام بحاجة إلى زيادة أفراد جيشه لما أذِنَ للجميع بالانصراف عنه، فأُنظر ماذا يقول: «**ألا وإنّي قد أذِنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم منّي ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً ودعوني وهؤلاء القوم، فإنّهم ليس يريدون غيري**»[2].

وهكذا مضى أبو عبد الله الحسين عليه السلام للشهادة والفتح، بعيداً عن الرؤى الضيقة، وبعيداً عن أنفاس الانهزاميين، وقد مرّ بنا ذلك التوصيف الدقيق لأبطال كربلاء الذين توشّحوا بثوب الشهادة والفتح والنصر الأبدي، فقد قالت السيِّدة زينب عليها السلام لأخيها الإمام الحسين عليه السلام: «**يا بن أُمّي، هل استعلمت من أصحابك نياتهم؟ فإنّي أخاف أن يسلِّموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة. فبكى الحسين عليه السلام وقال: أما والله،**

---

(١) لمّا دخل الإمام الحسين عليه السلام مكّة في ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(القصص: آية٢٢). فرح به أهلُها فرحاً شديداً، واشتدّ ذلك على عبد الله بن الزبير؛ لأنّه قد كان طمع أن يبايعه أهل مكّة، فلمّا قدم الإمام الحسين عليه السلام شقّ ذلك عليه، غير أنّه كان لا يبدي ما في قلبه إلى الحسين عليه السلام، وهو مع ذلك يعلم أنّه لا يبايعه أحد من أهل مكّة ما دام الإمام عليه السلام بينهم؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام عندهم أعظم في أنفسهم من ابن الزبير. أُنظر: الشريفي، محمود، كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٠٥.

وقد كان ابن الزبير أحرص الناس على إخراج الإمام الحسين عليه السلام من الحجاز كي يخلو له الجو، ولذلك عندما قال الإمام الحسين عليه السلام لابن الزبير: «والله، لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليَّ شيعتي بها وأشراف أهلها، وأستخير الله»، أجابه ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها! فتركه الإمام عليه السلام وخرج من عنده، ثمَّ قال عليه السلام لبعض أصحابه وأهل بيته: «إنَّ هذا [يعني: ابن الزبير] ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنّ الناس لم يعدلوه بي، فودّ أنّي خرجت منها لتخلو له». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٣، ص٢٩٤. أُنظر: ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٢، ص٥٤٦. الشريفي، محمود، كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣١٩.

(٢) المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج٢، ص٩١. السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص٣١.

لقد بلوتهم فما رأيت فيهم إلّا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استئناس الطفل بلبن أُمّه»[1].

ثالثاً: ممَّن فرّوا من معسكره قَبل الوصول إلى كربلاء

لقد كان تعداد جيش الإمام الحسين عليه السلام ساعة دخوله للعراق أكثر بكثير ممَّن انتهوا عنده في يوم العاشر، فغادر الكثير منه بإذن من الإمام عليه السلام لهم تطهيراً منه لجيشه من ضعفاء النفوس، وممَّن لا طاقة لهم بالحرب، كما أنّ هنالك مَن التحق به وهو في العراق، سواء قبل الوصول لكربلاء، من قبيل حبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة، وزهير بن القين، أو بعد الوصول إليها، من قبيل الحرّ الرياحي، وكأنَّ هنالك حالة من التمايز قد وقعت بين الجيشين.

والكلام مع أُولئك الذين فرّوا بأنفسهم منهزمين لا يرقبون ما فاتهم من الخير العظيم، فأُولئك يُعتَبرون أيضاً من نماذج التحوّل السلبي.

خاتمة

من خلال ما تقدم استطعنا أن نقف على أخلاق المقاتِلين في بُعدَيها الإيجابي والسلبي، وقد توصلنا إلى نتائج مهمّة، وهي:

- إنَّ أبطال الركب الحسينيّ قادة وقاعدة، نساءً ورجالاً، كباراً وصغاراً، كانوا مثلاً أعلى في الأخلاق السامية، فاتّصفوا بأخلاق المقاتِل الرساليّ الشريف، في حين أنّ معسكر ابن زياد بقادته وقاعدته كانوا أُنموذجاً تاريخياً في الخسّة والنذالة والسقوط، فلم يضربوا لنا مثلاً واحداً إيجابياً يُحتذى به، ولم يخلُ واحد منهم من صورة سيئة، على مستوى أخلاقيات الجُنديّة الصحيحة وعلى مستوى التعامل

(١) العاملي، عبد الحسين شرف الدين، المجالس الفاخرة: ص٢٣٠. الشريفي، محمود، كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٠٧.

وعلى مستوى الأهداف.

● إنَّ لخلود الطفّ أسراراً كثيرة وعظيمة، منها عظمة القائد وعظمة مقاتِليه، وعظمة القضية ونُبل الهدف، فلم تكن القضية تتعلّق بسلطان مغتصَب، أو صراع بين عشيرتين، ولم يكن الهدف غنائم حرب، وإنّما كانت القضية هي قضية إسلام مغتصَب، والهدف كان إيقاظ الأُمّة من غفلاتها وسباتها وانكبابها على حطام الدنيا، ومن الأسرار الأُخرى هو اجتماع ومشاركة جميع الفئات في المعركة.

● إنَّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام شهدت تحوّلات خطيرة تتعلّق بالإنسان وبالأُمّة، فهنالك نماذج إيجابية صحّحت مسارها من خلال الاندكاك في القِيَم العليا لمعركة الطفّ، كما أنَّ هنالك نماذج سلبية انحرفت عن المسار الصحيح، كانت منها الشخصيات الانهزامية.

● إنَّ الأخلاق السامية للمقاتِلين في معسكر الإمام الحسين عليه السلام هي أخلاق الإسلام وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وأخلاق العترة الطاهرة عليهم السلام، فهي الأُنموذج الأمثل للاقتداء به، والعكس بالعكس في معسكر يزيد بن معاوية، معسكر الختل والغدر والسقوط القيمي والانحدار الأخلاقي.

● أين ما تحقّقت أخلاقيات المقاتِل في إطارها الإيجابي فإنّها تشكِّل انتماءً حقيقيّاً لمعسكر الإمام الحسين عليه السلام، كما أنّ الأخلاقيات في إطارها السلبي أينما تحقّقت فإنّها تشكِّل انتماءً طبيعيّاً لمعسكر يزيد بن معاوية.

● لقد سجَّلت كربلاء الحسين عليه السلام مواقفَ استثنائيةً عظيمةً لا نظير لها، كما أنّها خلّفت لنا صوراً حزينة مؤلمة.

وأخيراً ستبقى ثورة الإمام الحسين عليه السلام بطفوفها وصورها وقِيَمها مناراً شامخاً يستقطب النفوس الأبية، ويملأ الوجدان الإنساني بأروع صور الخلاص من الأنا

والتبعيّة والذيليّة البغيضة، فإنّها ثورة الأحرار في كلِّ زمان ومكان.

كما أنّها ستبقى في الكثير من مشاهدها عصية الفهم، فتحتاج إلى عقول نيرة وقلوب خيرة وأقلام حرّة؛ لتسبر غورها وتلتقط لنا من فيافيها جواهر مضيئةً مستمدّة من الجوهر الفرد، فتقود الإنسان نحو الحرّية والعزّة والكرامة والكمال.

والسلام على الحسين، وعلى عليّ بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين، وعلى كلِّ مَن سار على نهج الحسين قولاً وعملاً، وشكلاً ومضموناً.

والحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على سيِّدنا محمّد وآله الطاهرين.

نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ودوره في صناعة الإرهاب
(فاجعة كربلاء أُنموذجاً)

الشيخ محمد الكروي القيسي*

مقدّمة

كثيرة هي تجنّيات المؤرخين وصاغة التاريخ، أعني مَن لم يلتزم الحياد والموضوعية منهم، وكثيراً ما صِيغَ التاريخ بأيديهم على مقاسات القوي المتسلّط، بل ربّما صنعوا تاريخاً لمن لا تاريخ له، وربما عظّموا الصغير وصغّروا العظيم، والأمر بعينه جارٍ فيمن أرّخوا للعقائد والملل والفرق، فربّما أبرزوا فرقة أو عقيدة لم يقل بمقالتها إلّا أشخاص قد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، وربما أهملوا عقيدة أو فرقةً حكمت دولاً، وغيّرت تاريخاً وحرّفت مسار شعوبٍ وأُمم.

والأمر لا يحتاج إلى ضرب أمثلةٍ كثيرة لمن له أدنى خبرة بتاريخ العقائد والملل والنحل، فبتأملٍ بسيط نرى أنّ مشاهير مَن كتب في تأريخ العقائد أو المذاهب لم يُشر ولو تلويحاً إلى عقيدةٍ انتهجها أناسٌ حكموا دولاً، وتأثّر بنهجهم محدِّثون وأشباه علماء، وتكلّم بلسانهم وعّاظ متزلّفون، وامتلكوا إعلاماً هادراً شوّه الكثير من الحقائق وزيّفها، أعني بذلك عقيدة (النصب) والعداء لأهل البيت عليهم السلام.

فبمراجعة سريعة لكتب العقائد والفرق والمذاهب عند العامّة مثل (شرح

---

* بحث خارج، ماجستير في الفقه والأُصول، عضو هيئة تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني، من العراق.

المقاصد) للتفتازاني، أو (الفَرْق بين الفِرَق) لعبد القاهر البغدادي، أو (الملل والنحل) للشهرستاني، سوف لن تجد اسماً ولا رسماً لهكذا عقيدة أو جماعة. نعم، ورد ذكرهم على لسان بعض أهل اللغة عند مرورهم بمادة (نَصَبَ)، وأشارت لهم بعض كتب الحديث إشارة مقتضبة جداً اقتصرت على التعريف فقط.

نعم، تمَّ التركيز على فرقةٍ من فرق (النواصب) ـ أعني الخوارج ـ لا بعنوان أنّهم نواصب، بل لأنّهم مع انحرافهم الفكري والعقدي ظلّوا مناوئين للسلطات والدول الكبرى التي حكمت التاريخ، كالدولة الأُموية والعبّاسية، فتمَّ بسط القول فيهم، وفي فِرَقهم وأقسامهم ومناطق انتشارهم، أما نواصب السلطات الحاكمة، فلم يتعرّض لهم أحد بهذا العنوان إلا ما شذّ وندر.

ولكن جزى الله علماءنا خيراً، فهم تبعاً لأئمتهم عليهم السلام خصّصوا لهذه العقيدة، ومَن انتمى إليها، أحكاماً فقهية خاصّة استُقيت من روايات النبيّ وأهل بيته عليهم السلام، في أبواب النجاسة والطهارة، والنكاح، وبعض المعاملات، بل كتب جملة من العلماء فيهم كتباً كاملة، بيّنت أضرار النصب ومخاطره في الدنيا، وعواقبه في الآخرة.

فمن هم (النواصب)؟ وما مدى علاقة (النصب) بالإرهاب؟ ثمّ ما الدور الذي لعبه هذا الفكر الخطر في واقعة عاشوراء، وكيف أثّر في صناعة تلك المذبحة المروّعة؟ هذا ما سنتناوله في مقالنا هذا بشيء من الاقتضاب، ضمن محاور ثلاثة هي:

المحور الأول: أهل البيت عليهم السلام والوسطية والاعتدال.

المحور الثاني: بيان ماهيّة النصب وشيء من تاريخه.

المحور الثالث: علل النصب وعلاقة ذلك بالإرهاب.

المحور الأوّل: أهل البيت عليهم السلام والوسطية والاعتدال

إنّ مما لا شكّ فيه أنّ أهل بيت النبي عليهم السلام كانوا على مدى التاريخ عنواناً ورمزاً للوسطية والاعتدال والاتّزان على جميع الصعد، وليس ذلك بخافٍ على أحد،

والأمر ببساطة نابع من علمٍ غير محدود زوّدهم به جدّهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وتناقلوه عنه كابراً عن كابر، إذ العلم هو مادة الوسطية والاتّزان، والجهل بخلاف ذلك؛ لذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**لا ترى الجاهل إلّا مُفرطاً، أو مفرِّطاً**»[1]، ووردت آثار كثيرة وبأساليب مختلفة ومن زوايا شتَّى تشير إلى كون أهل البيت عليهم السلام هم رمز الوسطية والاعتدال الذي يجب أن يُتّبع، فمن روايات تأمر بالتمسك بهم كحديث الثقلين[2] المروي عن النبي صلى الله عليه وآله بالتواتر عند جميع المسلمين، أو حديثه صلى الله عليه وآله «**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق**»[3]، أو حديث «**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس**»[4].

كما ورد أيضاً عن نفس أئمة أهل البيت عليهم السلام إشارة واضحة إلى هذه الحقيقة، كقول الإمام الرضا عليه السلام: «**نحن آل محمد النمط الأوسط، لا يدركنا الغالي، ولا يسبقنا التالي**»[5].

قال شارح الحديث عند تعرضه لمعنى (النمط الأوسط): «**أي: الجماعة القائمين على الوسط، يعني العدل في العلم والعمل**»[6].

وقال في ذلك أحد شرّاح نهج البلاغة في شرحه لقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي**»، قال: «**النمرقة: وسادة صغيرة، واستعار لفظها بصفة الوسطى له ولأهل بيته عليهم السلام باعتبار كونهم أئمة العدل... ومن حقِّ الإمام العدل أن يلحق به التالي؛ أي: المفرِّط المقصّر في**

(١) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ص٤٧٩.
(٢) وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: «إني مخلّف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي...». أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٦١٦.
(٣) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين: ج٢، ص٣٤٣.
(٤) المصدر السابق: ج٣، ص١٤٩.
(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص١٠١، ح٣.
(٦) المازندراني، محمد صالح، شرح أُصول الكافي: ج٣، ص٢٠٤

الدين، ويرجع إليه الغالي... المتجاوز في طلبه حدّ العدل»[1].

فتحصّل مما تقدّم: أنّ أيّ بغضٍ لأهل البيت عليهم السلام هو بغض للحالة الوسطية، ولحالة الاتّزان والاعتدال الذي ينبغي أن يعيشها الفرد المتدّين، وهذا بدوره يشير إلى وجود خلل في المنظومة القيمية لدى المبغض لهم، شَعَرَ بذلك أم لم يشعر، ومن ذلك الخلل تنشأُ النزعات نحو التطرّف والإرهاب فيما بعد لا محالة. فلا غرو إن عُدّ النصب علّة من علل الإرهاب، ويكفي في ذلك استعراض سيرة بعض عتاة النواصب وسيأتي لاحقاً تفصيل القول في ذلك.

المحور الثاني: بيان ماهية النصب وشيءٌ من تاريخه

أوّلاً: في ماهية النصب

إنّ كلمة (النصب، أو نَصَبَ) حالها حال أيِّ لفظٍ استُعمل كمصطلح يختص بعلمٍ من العلوم، فله معنىً لغوي، كما له معنى خاص باصطلاح أهل فنٍّ معيّن، مشتق من ذلك المعنى اللغوي، وقريب منه.

والنصب في اللغة: المعاداة، بل الظاهر عن أهل اللغة أنّ دلالة كلمة (النصب) على مطلق العداء دلالة مجازية تحتاج إلى قرينة لإتمام معناها كي تدل على العداء كقولهم: (ناصبه العداوة، أو الحرب)، بمعنى أظهرها له وأقامها، ولكن بكثرة الاستعمال وتقادمه سقط الاحتياج إلى القرينة، وبقي ذو القرينة دالاً على ذلك المعنى المجازي، لذا قال الفراهيدي: «**وناصبت فلاناً الشرّ والحرب والعداوة ونحوها، ونصبنا لهم حرباً. وإن لم تُسمِّ الحرب جاز**»[2]. فالظاهر أنّ أصل النصب هو الإقامة.

أمّا في الاصطلاح، فقد اختص لفظ (النصب) و(النواصب) بمن عادى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو أحد أهل بيته عليهم السلام على ما نصّت عليه أشهر المعاجم

(١) البحراني، ابن ميثم، اختيار مصباح السالكين: ص٦٠٤.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٧، ص١٣٦.

اللغوية، وكتب أهل الاصطلاح.

قال الشهيد الثاني رحمه الله: «**النواصب هم المبغضون لأحد من أهل البيت** عليهم السلام»[1].

وقال الشيخ الأنصاري رحمه الله: «**ولا يخفى أنّ الظاهر من الأخبار هو مَن يبغض أهل البيت** عليهم السلام»[2]، بل الأمر حتى عند غيرنا كذلك، لذا قال ابن تيمية: «**الناصبين: المبغضين لعلي وأولاده**»[3]، ووافقه الذهبي قائلاً: «**النصب: هو بغض أهل البيت ومعاداتهم**»[4].

فتبيّن إلى هنا أنّ النصب الذي هو من أقبح القبائح هو بغض مَن أمر الله تعالى ورسوله بحبّهم، وهم: علي وأولاده الطاهرون عليهم السلام؛ إذ من المسلّم المقطوع به عند جميع المسلمين أنّ حبّ علي وأهل بيته جميعاً واجب من واجبات الشريعة، وورد الحث عليه قرآناً وسنّةً وإجماعاً، ولا داعي هنا لذكر النصوص على ذلك؛ لأنّه أوضح من أن يُستدل عليه. بل إنّ بعض النصوص الصحيحة الصريحة وصمت المبغض لعلي عليه السلام بأنّه منافق، كما ورد في صحيح مسلم عن علي عليه السلام قوله: «**والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، أنه لعهد النبي الأُميّ صلى الله عليه وآله إليَّ أن لا يحبني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق**»[5].

ولكن مع كل هذا التأكيد من الشريعة المقدسة، أبى بعض الأشقياء إلّا أن يختاروا طريق الشقاء ببغضهم لسيّد العترة، وكبير البيت النبوي، وفيما يلي طائفة من سيرة بعض عتاة النواصب.

ثانياً: لمحة من تاريخ بعض عتاة النواصب وإرهابهم

لا مبالغة فيما لو قلنا: إنّ موضوع النصب والنواصب وأثرهم على تاريخ الإسلام، بل في نشوء الإرهاب والتطرف يحتاج إلى مؤلفات ضخمة، بل إنّ أثرهم

(١) العاملي، زين الدين الجبعي، حاشية شرائع الإسلام: ص٢٧.
(٢) الأنصاري، مرتضى، كتاب الطهارة: ج٥، ص١٤٧.
(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنّة النبوية: ج٤، ص٥٥٤.
(٤) الذهبي، محمد بن أحمد، المنتقى من منهاج الاعتدال: ج١، ص١١٤.
(٥) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج١، ص٨٥.

تعـدّى التاريخ ووصـل إلى علم الحديث وعلم الرجال والدرايـة والفقه و... ولكن سنذكر هنا ما يناسب مقالنا توخّياً للاختصار:

١ـ إنّ الخـوارج وهـم مـن أبـرز مصاديـق النواصب بمجـرد عزوفهـم عن نهج الحـق، وخروجهم عن جادّة الاعتدال جادّة أمير المؤمنين علي عليه السلام ووقوفهم بوجهه، فعلـوا الأفاعيـل التي يندى لها الجبين، فأوّل ما ابتدأوه أن قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسـول الله صلى الله عليه وآله لمجرد حبّه لعـليّ عليه السلام، وعمدوا إلى امرأته وهي حامل مُقرِب فبقروا بطنها وقتلوها وجنينها، وقتلوا ثلاث نسوة كنَّ معها، في الوقت الذي استشـكلوا في تمرة سـقطت من نخلة كيـف أكلها أحدهم، كما استشـكلوا في خنزير لذمي كيف قتله آخر، فطلبوا صاحب الخنزير ليرضوه[١].

فأُنظر التذبذب بين الإفراط والتفريط، حتى انتهى بهم الأمر إلى الاشتراك في قتل رمز الوسطية والاعتدال أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ مـا فعلـه معاويـة بـن أبي سـفيان الذي عُـدّ المصـداق الأتم، والرمـز الأكمل للنواصـب مـن مخازٍ ملأت بطـون الكتب، وخصوصـاً بحقِّ كل مَـن انتمى إلى أمير المؤمنـين عليه السلام، بل يكفيـه وقوفه في حرب طاحنة بوجه الإمام علي عليه السلام، ثم ما فعله بعد ذلك من أفاعيل لم يسبقه إليها أحد في الإسلام؛ من قتله عمرو بن الحمق الخزاعي[٢]، وقطـع رأسـه وإهدائه لزوجته وهي في سـجن دمشـق[٣] «**فـكان أوّل رأس أُهدي في الإسـلام**»[٤]. وهـذا من أوضـح مصاديق الإرهـاب والتطرّف اللامـشروع، ثم قتله حجـر بن عدي الكنـدي لا لشيء إلّا لحبّه لعلي عليه السلام، وبعثه لشـيطانه (بسر بن أرطاة)

---

(١) أُنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٢، ص٣٦٧. وابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٣٤١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص١٧.

(٣) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ج١٢، ص١٧٨.

(٤) ابن أبي شيبة الكوفي، محمد بن إبراهيم، المصنف: ج٧، ص٢٧١. والشيباني، ابن أبي عاصم، كتاب الأوائل: ص٧١.

إلى المدينة ومكّة والطائف واليمن، فذبح الأطفال، وسبى النساء المسلمات، فكانت أوّل حالة سبي لنساء مسلمات[1]... إلى غير ذلك من أعمال إرهابية فظيعة. وكان أهم دافع له في كل ذلك هو النصب وبغض أمير المؤمنين عليه السلام وكل مَن ينتمي إليه، ولقد «**شنَّ الغارة معاوية على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٩هـ، وفرّق جيوشه في أصقاع حكومته عليه السلام، واختار أُناساً ممن لا خلاق لهم لقتل أُولئك الأبرياء أينما كانوا وحيثما وُجِدوا، فوجّه النعمان بن بشير في ألف رجل إلى عين التمر، ووجه سفيان بن عوف في ستة آلاف، وأمره أن يأتي (هيت) فيقطعها، ثم يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها... ووجّه الضحّاك بن قيس، وأمره أن يمرَّ بأسفل (واقصة)، ويغير على كل مَن مرَّ به ممن هو في طاعة علي عليه السلام من الأعراب...**»[2].

فأُنظر إلى بغض الإمام علي عليه السلام وكل ما يمتّ له بصلة، ومدى أثره بنفس معاوية، وكيف صار باعثاً له لكل عملٍ متطرِّف، ولكن هل اكتفى بذلك؟! فقد نقل لنا ابن أبي الحديد في شرحه قال: «**ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أُنظروا مَن قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه**»[3]، بل نقل رجاليو العامة في كتبهم أنّه «**كانت بنو أُمية إذا سمعوا بمولود اسمه عليّ قتلوه**»[4]. وكل ذلك من أوضح مصاديق الإرعاب والإرهاب.

٣ـ في ترجمة (عكرمة البربري): الذي كان عبداً من عبيد عبدالله بن عباس، وتعلّم على يديه، ولكنّه فيما بعد مال إلى الخوارج، واتّبع رأيهم، بل وصار من دعاتهم الأكابر، ورد في ترجمته: «**قدم عكرمة مصر، وهو يريد المغرب، قال: فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا**»[5]. فالرجل ممن تمحّض بالنصب وبغض النمرقة الوسطى علي

(١) أُنظر: الإصفهاني، أبو الفرج، الأغاني: ج٥، ص١٢.
(٢) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١١، ص١٨.
(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٥
(٤) المزي، يوسف، تهذيب الكمال: ج٢، ص٤٢٩. وابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج٧، ص٢٨١.
(٥) الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال: ج٣، ص ٩٥.

بن أبي طالب عليه السلام، وقد نقل عنه خالد بن أبي عمران قال: «**كنّا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم** [أي: موسم الحج] **فقال: وددت أنّ بيدي حربة فأعترض بها مَن شهد الموسم يميناً وشمالاً**»[1]، فعن ماذا ينم هذا الرأي؟! وأيُّ داءٍ خبيث هو النصب؟! فهو أشبه ما يُسمى اليوم بـ (الفايروس) الذي يفتك بكل شيءٍ أصابه.

وأُثر عن عكرمةٍ هذا وقوفه على باب المسجد وقوله: «**ما فيه إلّا كافر**»[2]، فلو تسنّى لعكرمةٍ هذا أن يكون قائداً لدولة، أو لمجموعةٍ ما، لأهلك الحرث والنسل.

٤ـ المتوكّل العباسي: وقد عُرف بالنصب واشتُهر به، ونقل أرباب التاريخ عنه في ذلك النقول، قال النويري في أحداث سنة ٢٣٦هـ: «**في هذه السنة: أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما وهدم ما حوله من المنازل والدور، وسُقي موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه، فنادى في الناس في تلك الناحية: مَن وجدناه عند قبره بعد ثالثة حبسناه في المطبِق** [أحد السجون المخيفة للعباسيين]... **وكان المتوكّل شديد البغض لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيته، وكان يقصد مَن يتولّى علياً وأهل بيته بأخذ المال والروح**»[3].

وقد قتل المتوكل في هذا العام العالم النحوي الكبير ابن السكّيت، لا لشيء إلّا لأنّه أبدى رأيه واعتقاده، إذ كان معلّماً لابنَي المتوكّل: (المعتز والمؤيّد) حين سأله المتوكّل: أيُّهما أحبّ إليك ولداي هذان، أم الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت بكل صراحة: «**قنبر** [يعني خادم الإمام علي] **خير منهما، فأمر** [المتوكّل] **الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل: أمر بسلِّ لسانه فمات**»[4].

فبأيّ شرعٍ أم بأيّ قانون يُقتَل إنسان، بل عالم من العلماء لمجرد تفضيله مَن يعتقد بأفضليته على غيره؟!!

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المزي، يوسف، تهذيب الكمال: ج٢، ص ٢٧٨.

(٣) النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الإرب في فنون الأدب: ج٢٢، ص٢٨٢.

(٤) أُنظر: ابن تغري بردي، يوسف، النجوم الزاهرة: ج٢، ص٣١٨. والذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج١٨، ص٥٥٢.

وفي قبال صورة الإرهاب تلك نقل لنا التاريخ أنّ الأشعث بن قيس الكندي كان بنى في داره مأذنة، وكان يرقى إليها عند كلّ أذان، يشتم منها أمير المؤمنين علياً عليه السلام، فلم يتّخذ أمير المؤمنين عليه السلام بحقّه أيّ إجراء، بل تركه وشأنه وهو يفعل فعله ذاك كل يوم إلى أن مات[1].

فما عسى المرء أن يقول في الموقفين؟!!

فأيّ فعل يفعله النصب، وأيّ إرهاب وتطرّف أعمى يصنع، بل إنّ المتوكّل قطع لسان شاعر لمجرد مدحه لأهل البيت عليهم السلام، وهو ما فعله بعبد الله بن عمار البرقي الذي وشى به الواشون، وقرأوا على المتوكّل قصيدته، فأمر بقطع لسانه وإحراق ديوانه، ففُعِل به ذلك فمات بعد أيام، وذلك عام ٢٤٥ هـ[2].

وبعد هذه الجولة المقتضبة جداً، لا أظنّ أنّ أحداً يشك فيما للنصب وبغض آل المصطفى وعلى رأسهم سيدهم أمير المؤمنين (عليه وعليهم السلام) من أثرٍ كبير في نشوء التطرّف، وإنتاج الفكر المنحرف، الميّال لكل ما هو شاذّ خارج عن حدود الإنسانية.

وبإسقاط كل ذلك على ما جرى من أحداث في النهضة الحسينية سنرى العجب العجاب؛ إذ بدأ التطرّف الذي كان باعثه النصب والبغض لآل محمد عليهم السلام منذ اللحظات الأُولى لتسنّم يزيد مقاليد الحكم، وهذا لا يعني أنّ معاوية لم يكن يفكر بذلك، بل لم يكن يريد إثارة الناس وسخطهم عليه أكثر مما فعله بأمير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام، فبدأ يزيد بالتخطيط لاغتيال الإمام الحسين عليه السلام إن لم يبايع؛ لذا ورد عن الحسين عليه السلام التصريح بذلك في أحاديث متعددة كقوله عليه السلام: «**لو كنت في بطن صخرة لاستخرجوني منها فيقتلوني**»[3]، وفي نقل آخر: «**لو كنت في جحر هامة من هوام**

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٩٩.

(٢) أُنظر: الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٤، ص١٤٠. وابن شهر آشوب، محمد بن علي، معالم العلماء: ص١٨٢.

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٦٠.

الأرض، لاستخرجوني منها حتى يقتلوني»[1]، وهذا يُنبأ عن شدّة الإرهاب الأُموي الذي ورثه يزيد من آبائه، والذي غذّاه به نصبه وحقده.

قال العلّامة المجلسي معلّقاً على ذلك: «**بل الظاهر إنّه** [أي: الإمام الحسين] **صلوات الله عليه لو كان يسالمهم ويبايعهم لا يتركونه لشدّة عداوتهم، وكثرة وقاحتهم، بل كانوا يغتالونه بكل حيلة، ويدفعونه بكل وسيلة، وإنّما كانوا يعرضون البيعة عليه أوّلاً؛ لعلمهم بأنه لا يوافقهم في ذلك، ألا ترى إلى مروان** [يعني ابن الحكم] **لعنه الله كيف كان يشير على والي المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه، وكان عبيد الله بن زياد ـ عليه لعائن الله إلى يوم التناد ـ يقول: اعرضوا عليه فلينزل على أمرنا، ثم نرى فيه رأينا، ألا ترى كيف آمنوا مسلماً** [يعني ابن عقيل] **ثم قتلوه؟!**»[2].

فمن الواضح أنّ الأمر أعمق بكثير من البيعة، بل هي حرب إبادة واستئصال لأهل البيت عليهم السلام، منشؤها النصب والبغض المركوز في نفوس بني أُمية، والذي بدوره له علله الخاصة التي سنأتي على ذكر بعضها.

ثم بدأ مسلسل الإرهاب الأُموي اليزيدي بحق الحسين عليه السلام، وكل مَن انتمى إليه منذ وصوله وعياله إلى مشارف كربلاء، إلى حين رجوع عيالاته من الأسر إلى المدينة، وسنشير إلى بعضها في محلّها عند التعرّض لعلل النصب. في المحور الثالث الآتي.

المحور الثالث: علل النصب وعلاقة ذلك بالإرهاب

بعد أن اتّضح معنى النصب ومصاديقه، لا بد من بيان علله وأسباب نشوئه، وعلاقته بالإرهاب، ولكن قبل ذلك قد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم تساؤل حول معنى الإرهاب الذي كان النصب أحد علله، وهذا التساؤل حقٌّ مشروع جداً، إذ لا بد من تحديد معنى الإرهاب أوّلاً؛ كي يتسنّى لنا معرفة ماهية علاقة النصب وبغض أهل البيت عليهم السلام به، وبما أنّ هذا المصطلح حديث معاصر بتركيبته الإعلامية

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٩٩.
(٢) المصدر السابق: ص١٠٠.

والسياسية والاجتماعية ـ وإن كانت مصاديقه قديمة بقدم التاريخ الإنساني ـ ولكن مما يهوّن الخطب أنّ مصاديقنا المنتقاة محل البحث هي من القدر المتيقن الذي لا نزاع في كونه من الإرهاب الّلا مشروع لدى جميع العقلاء، وطبق مختلف القوانين، وضعيّها وسماويها؛ إذ لا يشك أحد في أنّ قتل الحامل، وبقر بطنها لا لذنب إلّا للاختلاف مع زوجها بالرأي هو جرم تستقبحه البشرية جمعاء، وكذا قطع رأس الزوج وإهداؤه لزوجته وهي في السجن، أو قطع العطاء والرزق عن أُناس لأنّهم أحبّوا رجلاً أحبّه الله تعالى ورسوله، أو قطع لسان شاعر لأنّه مدح خصوم القاطع، و... إلى غير ذلك من مصاديق واضحة كل الوضوح على كونها إرهاباً بأيّ مقياس قيس، وبأيّ تعريف عرفنا الإرهاب.

أمّا ما حدث في كربلاء، فالأمر أجلى وأوضح، فلا نظنّ أنّ عاقلاً لديه مسكة من عقل يشكّ في أنّ حصار معسكر فيه نساء وأطفال، وتجميع الجيوش عليهم، وقرع طبول الحرب حولهم، ثم تعطيشهم ومنع الماء عنهم لعدة أيام، ثم حرق خيامهم، إلى قطع رؤوس الشهداء من ذويهم، وسحق جثثهم بالخيول، وقتل أطفال لم يصلوا حدَّ البلوغ، وسلب أجساد القتلى وتجريدها حتى من الثياب التي عليها، إلى سوق الأُسارى بذلّةٍ وقسوة، وضربهم وشتمهم و... إلى غيرها من الموارد الكثيرة، كلّها تُعدّ من أجلى مصاديق الإرهاب، بأيّ تعريف عرّفنا الإرهاب.

أمّا علل النصب التي من الضروري الوقوف عليها لمعرفة كيفية نشوء تلك الظاهرة البغيضة الخطيرة فيمكن تصورها بحسب الاستقراء بما يلي:

١ـ **الحقد**: وهو من علل النصب الواضحة، لكن لا بأس بتبيين حدوده، ففي اللغة قيل: إنّه «**إمساك العداوة في القلب والتربّص بفرصتها**»[1]، وقال بعض أهل الأخلاق في الحقد: إنّه «**إضمار العداوة في القلب، وهو من ثمرة الغضب؛ لأنّ الغضب إذا لزم كظمه لعجزٍ عن التشفّي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصارَ حقداً، وهو**

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٤٠.

من المهلكات العظيمة، وقد قال رسـول الله صلى الله عليه وآله: المؤمن ليس بحقود. والغالب أنّ الحقد يلزمه من الآفات: الحسد، والهجرة، والانقطاع عن المحقود، وإيذاؤه بالضرب، والتكلّم فيه بما لا يحل من الكذب، والغيبة، والبهتان...»[1].

ثـم أردف قدس سره في تبيـان لـوازم الحقـد قائـلاً: «**ومنهـا العـداوة الظاهـرة، وهـي من لـوازم الحقـد؛ لأنّه إذا قوي** [أي: الحقـد] **قوةً لا يقدر معها عـلى المجاملة أظهر العداوة بالمكاشفة**»[2].

والملاحـظ أنّ كل لـوازم الحقـد التـي ذُكـرت آنفـاً تجسّـدت وتحققـت بعينها في النواصب المبغضين لعليٍّ وأهل بيته عليهم السلام، فمن حسـدٍ له ولأولاده (سـلام الله عليهم أجمعـين)، وهجرٍ لهم، وانقطاع عنهم، وإيذائهم، ثم قتلهم واحداً بعد واحد، ناهيك عن الكلام والوقيعة فيهم. وكان رسـول الله صلى الله عليه وآله قد تنبّأ بكل ذلك، وبأدقّ التفاصيل التي يطول المقام بذكرها.

ولقد توجّع أمير المؤمنين عليه السلام من حقد قريش عليه أيّما توجّع، وأرجع أصل ذلك الحقد إلى الحقد على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أُثر عنه عليه السلام قوله: «**كلّ حقدٍ حقدته قريش على رسـول الله صلى الله عليه وآله أظهرته فيَّ، وسـتُظهره في وُلدي من بعدي، مـا لي ولقريش؟! إنّما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله، أفهذا جزاء مَن أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين؟!**»[3].

كما ورد عنه عليه السلام متخوِّفاً على الحسـن والحسـين عليهما السلام قوله: «**اللّهم، إنّي أسـتعديك على قريش، فإنّهم أضمروا لرسولك صلى الله عليه وآله ضروباً من الشرِّ والغدر، فعجزوا عنها، وحلتُ بينهـم وبينها، فكانت الوجبة بي**[4]**، والدائرة**[5] **عليَّ، اللّهم، احفظ حسـناً وحسـيناً، ولا**

---

(١) النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج١، ص٢٧٥.

(٢) المصدر السابق: ص٢٧٦.

(٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص٣٢٨.

(٤) الوجبة: «أكلة في اليوم إلى مثلها من الغد». ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٧٩٥.

(٥) الدائرة: «دوائر الزمان: أعني صروفه التي تدور وتحيط بالإنسان مرّة بخير، ومرّة بِشر». الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٣٠٤

تمكّـن فجرة قريش منهما ما دمت حيّاً، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كلِّ شيء شهيد»[1].

وبذلـك يكـون أمير المؤمنين عليه السلام قد شـخّص لنا مفردة كبيرة مـن مفردات وعلل النصب، الذي صار فيما بعد علّة للإرهاب والعنف اللّا مشروع المخالف لجميع القيم.

ثم بعد رحيله سلام الله عليه ظهر عياناً ما تنبّأ به في قوله: «**وستُظهره في وُلدي من بعدي**».

أمّا الإمام الحسـن عليه السلام فاغتيل سمّاً لا لشيء إلّا لأنّه عارض الظلم، وأراد الوقوف بوجـه الانحـراف، فكانت شـهادته ثمرة من ثمـرات النصب والبغض الناشـئ عن الحقد الأسود.

وأمّا الإمام الحسـين عليه السلام، فقد مورسـت بحقّه وحقّ عيالاته وأصحابه صنوفاً من الإرهاب يظهر منها مدى النصب الناشئ عن الحقد الموغر في الصدور.

ويمكننا رصد قسمين من الحقد الذي أظهره يزيد وأتباعه وجيشه في ذلك اليوم العصيب:

أوّلهـما: الحقد الظاهر من طريق الأقوال: وذلك بإطلاق عبارات تكشـف إنّاً عن حجـم الحقـد الذي حملـه القوم على أمـير المؤمنين ثـم عـلى أولاده عليهم السلام أجمعين، فقد صرّحـوا بذلك عندما خاطبهم الإمام الحسـين عليه السلام قائلاً: «**ويكلم! أتقتلوني على سـنّةٍ بدّلتها؟! أم على شريعة غيّرتها؟! أم على جرم فعلته؟! أم على حقٍّ تركته؟! فقالوا له: إنّا نقتلـك بغضاً لأبيـك**»[2]. هذا من جهة، ومن جهةٍ أُخرى يستشـعر مدى الحقد أيضاً حينـما خاطبـوه بكل وقاحةٍ وصلف بعد أن ناشـدهم مذكّراً أنّه ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله، وابـن ابنته فاطمة عليها السلام، وابن أمير المؤمنين عليه السلام، فخاطبوه قائلين: «**قد علمنا ذلك كلّه،**

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢٠، ص٢٩٨.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٣، ص٨٠.

ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً»[1].

فهكـذا أقوال لا يمكـن الحكم عليها على أنّها ردود أفعـالٍ آنية وليدة لحظتها، بل هـي إفـرازات حقدٍ عميقٍ جـاش في صدور القـوم، إلى أن أظهـروه في تلك اللحظة المشؤومة، فاصطفّوا بحقدهم الأسود ذاك في صفوف النواصب، وباءوا بغضبٍ من الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

ثانيهما: الحقد العملي. وهذا ما يمكن تشخيصه بوضوح في أفعال أتى بها القوم لا يمكن أن تصدر إلّا عن حقد غلى في نفوس بني أُمية وأتباعهم، أظهروه حيث يمكن إظهاره في ذلك اليوم، بدأ بـ:

أ ـ الحيلولة بين معسـكر الحسـين عليه السلام بما فيه من صبيان ونسـاء وبين الماء، بأمرٍ من الطاغية ابن زياد حين أرسـل كتابه المشـؤوم لذَنَبه ابن سـعد جاء فيه: «**أمّا بعد: فحُلْ بـين الحسـين وأصحابه، وبين الماء، فـلا يذوقوا منه قطرة...**»[2]، فوضع عمر بن سـعد جيشاً عظيماً بقيادة عمرو بن الحجاج الزبيدي لهذا الغرض فقط[3]، فكان هذا الفعل مـن العلامـات الفارقة على مبلغ الحقد، فهو محاولة للإبـادة الجماعية والقتل الهمجي عن طريق التعطيش والمنع من الماء.

ب ـ كيفيـة التعامـل مـع أجسـاد القتـلى: إذ يتجـلّى بوضـوح مبلغ ذلـك الحقد، فالتقطيـع (إربـاً إرباً) من ميـزات فعل جيش ابن زياد، وخصوصـاً مع أقرب الناس إلى الحسـين عليه السلام، وهـذا ما دعا أحـد المؤرخين لوقعة عاشـوراء، والمهتمـين بإحصاء أحداثها، إلى إفراد قسم خاص في مَن قُطّعت أعضاؤه بعد استشهاده بأرض المعركة، قال رحمه الله: «**الفائدة الرابعة عشر: قطّعت أعضاء ثلاثة نفر من أحبة الحسين عليه السلام وأنصاره في حال قتلهم يوم الطف، وهم: العباس بن علي عليه السلام؛ فإنّه قُطِعت يمينه ثم شماله ثم رأسه،**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣١٨.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٧.

(٣) أُنظر: ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٩١.

وعلي بن الحسين عليه السلام؛ فإنّه ضُرِب على رأسه، ثم قُطّع بالسيوف إرباً إرباً[1]**، وعبد الرحمن بن عمير؛ فإنّه قُطِعت يده في منازلة سالم ويسار، ثم قطعت ساقه ثم قطع رأسه ورُميَ به إلى جهة الحسين عليه السلام»**[2]. وقيل: إنهّم لم يكتفوا بتقطيع يدي أبي الفضل العباس ورأسه المبارك، بل عمدوا إلى رجليه فقطعوهما حنقاً عليه[3]. ناهيك عن قطع رؤوس الشهداء بعد المعركة؛ إذ لم تسلم جثة من جثث الشهداء من الهتك أو قطع الرأس إلّا جثة الحر بن يزيد الرياحي حينما مانع قومه وأبعدوا جثته عن القتلى[4]. ثم رضّ الجسد الشريف بالخيل بعد القتل وقطع الرأس، بل والافتخار بذلك شعراً[5]، ثم ترك تلك الجثث الزواكي بلا دفن ولا مواراة عمداً[6].

فبتجميع هكذا أفعال وقرائن يستيقن المرء يقيناً لا شبهة فيه ولا شك يعتريه أنّ ذلك الجيش قد عُبئ حقداً وحنقاً، أعماهم وجعلهم ينسون حتى عاداتهم وسجاياهم التي كانوا يتبجّحون بها كالنخوة والفروسية؛ لذا فقد ذكّرهم بها سيد الشهداء عليه السلام بقوله: «**ارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرباً كما تزعمون**»[7]، ولكن!!!

وأخيراً ظهر التشفّي لذلك الحقد الأعمى بأوجِّ صوره حين وصول سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الشام؛ إذ لم يستطع حينها مرجل صدر يزيد الذي يغلي حقداً غُذيَ عليه صغيراً، وشبَّ عليه كبيراً إلّا أن يفوح بنتن الحقد المقيت، حين أنشأ أبياته المشهورة التي سارت بها الركبان، ونقلها الخاص والعام، مضمناً أبيات ابن الزبعرى قائلاً:

---

(١) قال ابن منظور: «قطعته إرباً إرباً، أي: عضواً عضواً». أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٢٠٩.

(٢) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص٢٢٥.

(٣) القاضي أبو حنيفة، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٩١.

(٤) السماوي، محمد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين: ص٢٢٠.

(٥) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٧٩.

(٦) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٦٢.

(٧) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٧١

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل
قد قتلنا القُرم من ساداتهم وعدلناه ببدرٍ فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل[1]

ثم قال كلمته المشؤومة: (يوم بيوم بدر)[2]، وهي نفس كلمة جدّه أبي سفيان في معركة أُحد حين نادى بأعلى صوته: «**أعلُ هبل، لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، يوم بيوم بدر**»[3].

٢ـ الجهل: ولعلّ هذه العلة أوسع العلل، فقد كان الجهل في كثير من الأحيان مادة أساس لبغض أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام؛ وذلك لأنّ الجاهل فارغ الوعاء، أجوف اللّب، يمتلئ بما مُلئ، حقّاً كان أم باطلاً، ويكفي في إثبات ما ندّعيه من علّية الجهل للنصب وبغض أهل البيت عليهم السلام ما سنذكره من مصاديق مقتضبة ذكرها المؤرخون منها:

أ ـ نقل ابن أعثم عن أبي الحسن المدائني بسنده قال: «**بعث عبد الله بن علي** [وهو حفيد عبد الله بن عباس، عم السفاح والمنصور، من مؤسسي الدولة العباسية] **إلى... أبي العباس** [أي: السفاح] **بمشايخ أهل الشام، فلما دخلوا عليه قال لهم أبو العباس: يا أهل الشام، ما حملكم على الخروج مع بني أُمية على بني هاشم، وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم أوْلى الناس بهذا الأمر من غيرهم؟ قال: فحلف الشاميون بالله الذي لا إله إلّا هو أنّهم ما علموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله له ذرية ولا أهل بيت غير بني أُمية، حتى وُليّتم أنتم هذا الأمر. قال: فتبسّم أبو العباس تعجباً من جهل أهل الشام**»[4].

---

(١) ذكرت هذه الأبيات ليزيد مصادر الفريقين، فأُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٠٥. والحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب: ج١، ص٦٨.

(٢) أُنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٩. والفتّال النيسابوري، محمد، روضة الواعظين: ص١٩٠.

(٣) أُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٥، ص٣٠، باب غزوة أُحد.

(٤) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٨، ص٣٣٩.

ب ـ نقل المسعودي في تاريخه أنّ الحجاج بن يوسف زحف إلى مكّة لحصار ابن الزبير، ثم تقدّم إلى جبل (أبي قُبيس) فاحتلّه، وكتب إلى عبد الملك بن مروان بذلك، فلما وردَ كتابه على عبد الملك «**كبّر عبد الملك، فكبّر مَن معه في داره، واتّصل التكبير بمن في جامع دمشق فكبّروا، واتصل ذلك بأهل الأسواق فكبّروا، ثم سألوا عن الخبر، فقيل لهم: إنّ الحجاج حاصر ابن الزبير بمكّة، وظفر بأبي قُبيس، فقالوا: لا نرضى حتى يحمله** [أي: يحمل أبا قُبيس] **مكبّلاً، على رأسه برنس، على جمل يمرّ بنا في الأسواق، الترابي الملعون**»[1].

ج ـ ومن روائع القصص في ذلك ما نقله المنقري [وهو أقدم مَن أرّخ لوقعة صفّين] في شابٍّ خرج في معركة صفّين من جيش معاوية بن أبي سفيان وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسّان ... والدائن اليوم بدين غسّان

انبأنا أقوامنا بما كان ... أنّ علياً قتل ابن عفان

ثم شدّ فلا ينثني يضرب بسيفه، ثم جعل يلعن علياً ويشتمه ويسهب في ذمّه، فقال له هاشم بن عتبة [المرقال]: «**إنّ هذا الكلام بعده الخصام، فاتقِ الله... قال** [الفتى]: **إنّي أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذُكِر لي، وأنّكم لا تصلّون، وأُقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان؟... إنّ هذا الأمر لا علم لك به، فخله وأهل العلم به، فقال** [الفتى]: **أظنّك والله قد نصحتني. فقال له هاشم: وأمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي، فهو أوّل مَن صلّى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله... وأمّا مَن ترى معه فكلّهم قارئ الكتاب، لا ينامون الليل تهجّداً، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون. قال الفتى: يا عبد الله، إنّي لأظنّك امرءاً صالحاً، وأظنّني مخطئاً آثماً، أخبرني: هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم**»[2].

---

(١) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب: ج٣، ص١١٢.

(٢) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص٣٥٤.

فأيّ أثر أعظم من الجهل في كل ما هو سيئ، ومنه النصب وبغض مَن أحبّه الله تعالى.

ونفس هذا العامل [أي: الجهل] لعب دوراً واسعاً في عاشوراء، وما بعدها، بل هو إلى الآن يلعب الدور السيئ نفسه، فأيُّ دافع يدفع من مثل (عبد الله بن حوزة التميمي) أن يقف أمام معسكر الإمام الحسين عليه السلام ويخاطب الإمام عليه السلام ـ ابن رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، وأحد السبطين، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ـ قائلاً له: «**يا حسين... أبشر بالنار**»[1]؟! فهل بعد هذا من جهل؟! أوَ لمثل الحسين عليه السلام يقال ذلك؟! لا شك ولا ريب في أنّ مَن يتفوّه بمثل ذلك ليس إلّا جاهل بكل ما تعنيه تلك الكلمة من معنى، أدّى به جهله (المركّب) إلى أن ينصب العداوة لخير أهل الأرض والسماء بعد جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وهم أهل البيت عليهم السلام.

وبنفس المضمون المتقدم ـ أعني: تأثير الجهل في تكوّن النصب والبغض لأهل البيت ـ نقل لنا أهل السِّيَر قصة ذلك الشيخ الذي دنا من ركب السبايا حين وصولهم إلى الشام، وهو يحمد الله قائلاً: «**الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد من رجالكم.. فقال له علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: فهل عرفت هذه الآية: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؟ قال الشيخ: نعم، قد قرأت ذلك، فقال علي [بن الحسين] عليه السلام له: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت في بني إسرائيل** [وهي سورة الإسراء]: **﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾؟ فقال الشيخ: قد قرأت. فقال علي بن الحسين: فنحن القربى يا شيخ... قال الراوي: فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، وقال: بالله إنكم هم؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: تالله، إنّا لنحن هم من غير شك وحقِّ جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله. فبكى الشيخ، ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم، إنّا نبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله من جنٍّ وإنس. ثم قال: هل لي من توبة،**

(١) الأزدي، أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٢٥. ولعلّ القارئ يعلم تمام ما جرى بعد ذلك، وأنّ ابن حوزة هذا ما لبث أن هلك بدعاء الإمام الحسين عليه السلام في الحال.

فقال لـه: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأَمر به، فقُتِلَ»[1].

٣ـ الطمع: ولا ريب في أنّه أحد الآفات المهلكة التي قد تودي بدين المرء، وتدخله جهنّم خالداً فيها، فالطمع وحبّ المال «**من شُعب حبّ الدنيا؛ إذ حبّ الدنيا يتناول حبّ كل حظٍّ عاجل، والمال بعض أجزاء الدنيا، كما أنّ الجاه بعضها**»[2]، حتى ورد عن الرسول الأكرمﷺ قوله: «**ما ذئبان ضاريان أُرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً فيها من حبّ المال والجاه في دين الرجل المسلم**»[3]، وقد روى لنا أرباب السِّيَر، ونَقَلة الآثار مفردات مهولة تُثبت أنّ الطمع كان مدعاةً لأصحابه للاصطفاف في صف النواصب، والقول بقولهم، حتى إنّ ابن أبي الحديد المعتزلي عقد في شرح نهج البلاغة فصلاً خاصاً في الأحاديث المكذوبة التي وضعها أتباع الدينار والدرهم سمّاه «فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذمّ عليّ» جاء فيه:

١ـ «قال أبو جعفر [وهو الإسكافي، أحد علماء المعتزلة]: **وقد رُوي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أنّ هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[4]، **وأنّ الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى:**

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[5]. **فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى ذلك»**[6].

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٠٤. وابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص١٣٠.

(٢) القايبني، محمد تقي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ج٧، ص٤١٥.

(٣) ورّام، ابن أبي فراس، مجموعة ورّام: ج١، ص١٦٣.

(٤) البقرة: آية٢٠٤ـ٢٠٥.

(٥) البقرة: آية٢٠٧.

(٦) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٣.

٢ـ وأضاف ابن أبي الحديد قائلاً: «**قال أبو جعفر** [الإسكافي] **رحمه الله: وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا، يبيع دينه بالقليل النزر منها، ويُرضي معاوية بذكر علي بن أبي طالب**»[1].

فهذه بعض آثار الطمع وحبّ الدنيا التي أدّت بالبعض إلى بغض مَن أمر الله تعالى بحبّه، والوقوف بوجهه، وحمل السيف لمواجهته، وتزوير سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله طمعاً بحطام الدنيا. فما هو دور الطمع في يوم عاشوراء؟ وما هي آثاره؟ وكيف تسبب في وقوف الكثير ممن وقعوا في فخ الدنيا الدنيّة موقف العداء السافر ضد ابن خير النبيين، وابن سيد الموحدين عليه السلام، وأفضل شخصية إسلامية آنذاك حتى عند مَن لم يقل بالإمامة؛ إذ لا شك في أنّ الحسين عليه السلام خامس أصحاب الكساء، ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وأعظم شخصية اجتماعية ودينية آنذاك.

فكل تلك الروادع لم تردع مَن هو على شاكلة عمر بن سعد، حين وقف يخيّر نفسه بين أن يقف موقف النواصب المخزي دنيا وآخرة، فيكون ذلك النصب دافعاً له على أن يعمل من الأعمال ما لم تعمله الوحوش الضواري بفرائسها من أجل الطمع بملك (الري) الموهوم، وبين أن يختار موقف الفطرة السليمة والدين القويم، ويمنع وقوع أكبر جريمة في التاريخ، ولكن هيهات لابن سعد، ولأمثاله أن يختاروا الشق الثاني؛ لأنّ دافعهم الأوّل الذي سيّرهم وكانوا له أُسارى هو الطمع الذي أعماهم وأصمهم، فاختار ما اختار، وبئس ما اختار!

لقد استغلّ يزيد الطاغية، وذيله التابع له عبيد الله بن زياد تلك الخصلة الذميمة في نفوس الكثيرين من الذين لم يستضيئوا بنور الهدي الإلهي، استغلّها اسوأ استغلال؛ إذ «**جمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة... ثم قال: أيّها الناس، إنّكم بلوتم آل أبي سفيان، فوجدتموهم كما تحبّون، وهذا أمير المؤمنين يزيد، قد عرفتموه حَسَن السيرة محمود**

(١) المصدر السابق: ص٧٠.

الطريقة... وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفّرها عليكم، وأُخرجكم إلى حرب عدّوه الحسين، فاسمعوا له وأطيعوا. ثم نزل عن المنبر، ووفّر للناس العطاء، وأمرهم أن يخرجوا إلى حرب الحسين عليه السلام، ويكونوا عوناً لابن سعد على حربه، فأوّل مَن خرج شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف...»[1].

ثم لا نظن أنّ شواهد الطمع ومصاديقه في عاشوراء بالتي تخفى على القارئ اللبيب، فتسابق جيش ابن سعد على قطع رؤوس القتلى تقرّباً وتزلّفاً لابن زياد عمل بقمة الوحشية، وهو نصب وعداء سافر لأهل البيت عليهم السلام، كان أحد أهم دوافعه هو الطمع بحطامٍ زائل، بل تنافسَ أُولئك أيُّهم يأتي بأكثر عدد من الرؤوس[2]، ولم يكتفوا بممارسة الطمع، بل افتخر مفتخرهم به قائلاً:

املأ ركابي فضة أو ذهباً ... إني قتلت الملك المحجّبا

قتلت خير الناس أُمّاً وأبا ... وخيرهم إذ ينسبون نسباً[3].

ثمَّ لا يخفى على اللبيب أنّ علل النصب ـ تلك الظاهرة المعقدّة المقيتة المخالفة للفطرة الإنسانية؛ إذ من الفطرة الانشداد نحو الكمال، وحبّ كل ما هو كامل، فبُغض علي عليه السلام أو أيّ واحدٍ من أهل بيته عليهم السلام خلاف الفطرة ـ التي عرضناها بين يديه الكريمتين ليست على نحو الحصر، بل توجد أسباب غيرها يطول بذكرها المقام ترجع إلى مبادئ أعمق مما ذكرنا. على أن أيَّ سبب من الأسباب المؤدية للنصب التي ذكرناها ليست (بشرط لا) من حيث بقية الأسباب الأُخرى، بمعنى أنّه قد يجتمع الجهل مع الطمع، أو قد ينفرد أحدهما عن الآخر، أو قد يجتمع الحقد معهما أو... وقد تجتمع جميع الأسباب والعياذ بالله.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٥. وأُنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٨٩.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٨٥.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٧. وأُنظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج١، ص٣٩٣.

لقد ثبت بما لا يقبل الشك من نصوص قطعيّة بين المسلمين جميعاً على اختلاف مشاربهم أنّ حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق[1] وتقدم ذكر ذلك، فالمبغض لعلي عليه السلام، والناصب له العداء، منافق لا محالة بنص الشرع المبين، لأجل ذلك يرى بعض الباحثين المختصّين من أهل السنّة أن لفظ (النصب) هو لفظ مذهبي جرى على ألسنة أهل الحديث، وإلّا ففي لحاظ الشرع؛ فإنّ من المناسب تسمية النصب بـ(النفاق)، والنواصب بـ(المنافقين)[2]، ومعلوم يقيناً أنّ النفاق أمر مقيت مذموم في الشريعة الإسلامية، بل وفي كل الشرائع وعند كل العقلاء على اختلاف مشاربهم؛ لأنّه مرض نفسي ناشئ من اضطراب النفس وعدم استقرارها؛ إذ إنَّ «**الإنسان السالم له وجه واحد فقط، وفي ذاته انسجام تام بين الروح والجسد؛ لأنّ الظاهر والباطن والروح والجسم يكمّل أحدهما الآخر، إذا كان الفرد مؤمناً فالإيمان يتجلّى في كلّ وجوده، وإذا كان منحرفاً فظاهره وباطنه يدلان على انحرافه، وازدواجية الجسم والروح مرض آخر، وعلّة إضافية، إنّه نوع من التضاد والانفصال في الشخصية الإنسانية**»[3].

كما أنّ هذا المرض الفتّاك إنّما ينشأ من عقدة الإحساس بالذلّ والمهانة وعدم القدرة على المواجهة، كما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله: «**نفاق المرء من ذلٍّ يجده في نفسه**»[4].

---

(١) أُنظر في ذلك مصادر متعددة منها ـ: المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص٦٢. والطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص٣٠٦. ومسلم النيسابوري، صحيح مسلم: ج١، ص٦١. وابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٦١، وص٨٤. والنسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي: ج٨، ص ١١٦.

(٢) هكذا يرى الباحث والمفكر الإسلامي حسن بن فرحان المالكي. أُنظر: موقعه الرسمي: www.almaliky.org

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١، ص ٩٤.

(٤) النجفي، هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ج١١، ص٤٠٨.

وفي موردنا محل البحث، يتجلّى النفاق في النواصب بوضوح؛ إذ الناصبي يدّعي ظاهراً أنّه مطيع لله تعالى، ومطيع لرسوله صلى الله عليه وآله في كل ما جاء به من عند ربّه، ولكنّه حينما يصل إلى وجوب موالاة أهل الإيمان ومحبّتهم، ولا سيما سيد أهل الإيمان ورمزهم عليّ عليه السلام يتوقف في ذلك لأسباب معيّنة تقدّم ذكر بعضها، ويُعلن عداءه لذلك الرمز الإلهي الذي أمره الله بمودته في نصوص قرآنية وروائية خارجة عن حد الإحصاء والاستقصاء.

وليت الناصبي اكتفى بذلك، بل يجعل بغض سيّد المؤمنين علي عليه السلام ديناً يتديّن به، ويتقرّب به إلى الله، افتراءً على الله، وكذباً عليه، وهذا من أعظم النفاق، وبنظرةٍ سريعةٍ إلى ترجمة كبير من كبراء النواصب ـ ويدعى حريز بن عثمان الرحبي ـ يظهر ذلك جليّاً؛ إذ أُثِر عنه أنّه كان «**لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة**»[1]. جاعلاً لعن سيّد الوصيين، وثاني رجل من رجالات الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ديناً، ضارباً عرض الجدار أمر الله تعالى، وأمر رسوله بحبِّ علي وآل علي عليهم السلام.

فهكذا نفس لا تعرف الاستقرار والطمأنينة؛ لأنّها غير منسجمة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وغير منسجمة مع القوانين الإلهية، بل تحاول التلاعب بتلك القوانين، وتحاول الظهور بأكثر من مظهر في آنٍ واحد، فهي تعيش دائماً حالة الاضطراب والتناقض في الأفعال والأقوال، وهذا ما عُبّر عنه في علم النفس الحديث بحالة (الّلا سواء)، أو حالة الشذوذ النفسي؛ إذ السواء هو: «**حالة التكامل الوظيفي والشعور بالرضا، من خلال بُنية ثابتة، عصابية**[2] **كانت**

(١) العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب: ج٢، ص٢١٠.

(٢) العصاب: مصطلح خاص بعلم النفس الحديث، يُطلق على مجموعة الأمراض النفسية الناشئة من غير سبب عضوي أو اختلال عقلي، يشعر المصاب بها أنّه ضئيل وضعيف وثقته بنفسه معدومة تقريباً، كما يعاني من الخوف والعدوانية والشعور بالذنب، وحياته مسيطر عليها من قِبَل قوة مجهولة، ويعاني من العُقد النفسية والشعور بالنقص الدائمي، والأفكار التسلطية، كما أنّه ضحية دوماً للصراعات الداخلية، فالنفس السليمة خالية تماماً من هكذا أمراض. اُنظر في ذلك ـ: داكو، بيير، العصاب والأمراض الذهنية: ص٧.

أم ذهانيـة[1]»[2]، أمّـا الـلا سـواء فهـو «**يتوافـق مـع اختـلال التـوازن في نفـس البُنيـة السلالية**»[3].

وعـلى ذلك؛ سـوف تصدر من كل من النفسـين ما يناسـبها من أفعـال، فالنفس السوية المتزنّة يصدر منها ما يلائمها من أفعال خيّرة، وأبرز سماتها حينئذٍ الوسطية.

أمّـا النفس الشـاذة، غير المسـتقرة، المضطربة، التي تعيـش الازدواجية والنفاق، فهـي ميّالـة بطبيعة الحال إلى كلّ ما هو شـاذّ بعيد عن الوسـطية والاعتدال؛ إذ كيف يعرف الاعتدال مَن يعادي رمز الاعتدال!

«**ويتّفـق معظـم علماء علم النفـس الحديث على أنّ الاضطرابات النفسـية تشـير إلى حالات سـوء التوافق مع النفس، أو مع الجسـد، أو مع البيئة، طبيعية كانت أم اجتماعية، ويُعبّر عنها بدرجة عالية من القلق والتوتّر والإحساس باليأس والتعاسة والقهر**»[4].

فالنفس المضطربة دائماً بين الإفراط والتفريط، بعيدة كل البُعد عن حالة الاتّزان، مهيأة تماماً لكل ما هو شاذ متطرف.

فإذا اجتمع ذلك مع عوامل مساعدة ومكمّلة أُخرى، كالجهل المركب، والضلال (الانحـراف الفكـري)، والعقائـد الفاسـدة، والغـرور والكبر، واسـتغلال الأعداء

---

(١) الذهان: مصطلح خاص أيضاً بعلم النفس الحديث، يعنون به: الاضطرابات العقلية الشديدة التي تضطرب فيها علاقة المريض مع الواقع؛ وذلك مقارنة بحالات العُصَاب التي تكون أقل تأثيراً على حالة المريض، ومن الاضطرابات الذهانية الشائعة حالات الفصام، والاضطرابات الوجدانية، والذهانات العضوية، ويطلق وصف ذهاني على المريض بالاضطرابات الذهانية. أو قل: إنّه اضطراب شديد يصيب الشخصية ويجعل الواقع معطوباً بعدد من الاضطرابات النفسية الشديدة التي تصيب الشخصية، ويكون تفكير الشخص مضطرباً، ويعيش في عالمه الخاص به، مع وجود اضطرابات في الانفعالات والسلوك. أُنظر: الشربيني، لطفي، معجم مصطلحات الطب النفسي: ص١٤٨، مادة: ذهان.

(٢) بوعود، أسماء، الاضطرابات النفسية بين السيكولوجيا الحديثة والمنظور الإسلامي: ص١٠. مقال، مجلة الراسخون: العدد ٨ لسنة ٢٠١٤.

(٣) المصدر السابق، ص١١.

(٤) المصدر السابق: ص ٣١.

سـذاجة وبساطة الكثير من أصحاب تلك النفوس المضطربة الجاهلة، وتأثير وسائل الدعايـة والإعلام المضلّـل و... إلى غير ذلك من العوامل، أنتج لا محالة تطرّفاً وميلاً عن جادة الوسط، يتمظهر بصور الإرهاب المتنوّعة.

ومهـما يكـن مـن أمـر، فـإنّ أحد أغـراض هذا المقـال هو الإفـادة منـه في واقعنا المعـاصر الـذي امتلأ تعقيداً وتشـابكاً وإرهاباً، فأنجع الحلول التـي يمكن أن تُطرح لتطويـق الإرهـاب، بل وإزالته مـن واقع الأُمة الإسـلامية هو الرجـوع إلى أحضان أهل البيت عليهم السلام، والتمسّك بهم وبحبل حبّهم وولائهم، فهم صمام الأمان، والنمرقة الوسطى، وسفينة النجاة، بل وشاطئ الأمان الذي ترسو عنده شتّى السفن، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

انتهاك حرمة الأجساد الطاهرة في كربلاء

الشيخ أحمد العلي*

تمهيد

مهما اختلف تعريف الإرهاب، لم يختلف اثنان في أنّ الذي حدث في كربلاء المقدسة هو من أفضع أنواع الإرهاب، وبجميع أقسامه؛ إذ إنّه قد يكون فردياً، أو جماعياً، وقد يكون منظّماً، أو غير منظّم، فالإرهاب الفكري والضغط النفسي والتسفيه والتحقير والقذف والعنف الجسدي والتكفير والإفتاء بهدر الدم، والقتل الجنائي والتهجير والتصفية الجسدية والتطهير العرقي والمذهبي، وإرهاب الدولة المتمثل بالضغط والمطاردة والحصار الاقتصادي واستخدام القوّة العسكرية والقتل المنظّم للمدنيين[1]، كلها مصاديق جليّة للإرهاب مورست في كربلاء من قِبل الجيش الأُموي.

إنّ خطة البحث المتّبعة في هذه المقالة تكتمل من خلال بيان عدّة مباحث:

الأول: تعريف المُثلة لغةً واصطلاحاً

الثاني: الحكم التكليفي للمُثلة في الشريعة الإسلامية وبيان مصاديقها (بحث مقارن)

---

* بحث خارج، ماجستير في الفقه والأُصول، أُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

(١) للتوسعة أُنظر: لونيسي، علي، آليات مكافحة الإرهاب الدولي. وأيضاً: د. هيثم عبد السلام محمد، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية. وأيضاً: د. محمد نور فرحات، الإرهاب وحقوق الإنسان. وأيضاً: عابدين عبد الحميد قنديل، دراسة تحليلية لقانون مكافحة الإرهاب. وأيضاً: البراك، عبد الرحمن، الحرق والتمثيل بجثث الكافرين في القتال (مقالة). وأيضاً: الموسوعة العربية العالمية، مادة (الإرهاب).

الثالث: المُثلة في القانون الوضعي (الإنساني)

الرابع: البيت الأُموي والمُثلة

الخامس: مصاديق المُثلة التي جرت على معسكر الإمام الحسين عليه السلام

السادس: سياسة انتهاك الأجساد وقطع الرؤوس.

وفي ما يأتي تفصيل تلك المباحث:

المبحث الأول: (المُثلة) لغةً واصطلاحاً

أوّلاً: التمثيل (المُثلة) لغةً

للتمثيل لغةً معانٍ متعددة: منها: التنكيل، ومنها: التصوير، ومنها: التشبيه وأداء الدور، وغيرها، ولا يهمنا منها إلّا المعنى الأول؛ لكونه المراد في بحثنا.

والمهم من التعاريف:

ما ذكره ابن منظور قال: «**مَثَلْتُ بالحيوان: أَمْثُل به مَثْلاً، إذا قطعت أطرافه وشَوَّهت به، ومَثَلْت بالقتيل إذا جَدَعت أنفَه وأذنه أو مَذاكيره أو شيئاً من أطرافه، والاسم المُثلة، فأمّا مُثّل بالتشديد: فهو للمبالغة**»[1].

ومثل ذلك ما ذكره ابن الأثير، ثمّ أضاف قائلاً: «**ومنه الحديث: نهي أن يُمثَّل بالدواب، أي: تُنصب فتُرمى، أو تُقطّع أطرافها وهي حيّة**»[2].

ثانياً: المُثلة اصطلاحاً

لا يخرج المعنى الاصطلاحي في تعريف المُثلة عن معناه اللغوي:

فقد عرّفها الشيخ النجفي تعليقاً على عبارة صاحب الشرائع ـ «**لا يجوز التمثيل بهم**» ـ قائلاً: «**بقطع الآناف والآذان ونحو ذلك**»[3].

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٦١٥.

(٢) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث: ج٤، ص٢٩٤.

(٣) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢١، ص٧٧.

وعرّفها الخطابي بقوله: «**تعذيب المقتول بقطع أعضائه وتشويه خلقه قبل أن يُقتَل أو بعده، وذلك مثل أن يجدع أنفه أو أُذنه، أو يفقأ عينيه. أو ما أشبه ذلك من أعضائه**»[1].

ويُستفاد من التعريفات المتقدمة عدّة أُمور:

أ ـ إنّ المثلة تشمل الإنسان والحيوان معاً.

ب ـ إنّ المثلة تشمل الحي والميت معاً.

جـ ـ إنّ المثلة تعني تقطيع أطراف الحيوان وتشويهه.

د ـ إنّ المثلة تتحقق بقطع الأنف والأُذن، والمذاكير، أو شيئاً من أطرافه، أو بجعل الحيوان هدفاً ويُرمى بالسهام وأمثالها، بل عُدّ من المُثلة حلق الشعر من الخدود، أو نتفه أو تغييره بالسواد[2].

هـ ـ إنّ التعريف الاصطلاحي الذي يحرّم المُثلة ينظر إلى المُثلة بأجساد الكفار وأمثالهم. أمّا حرمة التمثيل بأجساد المسلمين، فهي من المسلّمات في الفقه الإسلامي كما سيأتي.

المبحث الثاني: الحكم التكليفي للمُثلة في الشريعة الإسلامية وبيان مصاديقها (بحث مقارن)

المتتبع للفقه الإسلامي يجد أنّ مبحث المُثلة أخذ مساحة واسعة في أبوابه المتنوّعة، وكتبه المتعددة.

ولعلّ أهم مسألة في ذلك هي حرمة المُثلة بالمسلم حياً كان أو ميّتاً؛ لما لها من مساس بوضعنا الحاضر، وما تفعله العصابات الداعشية بالمسلمين باسم الإسلام.

أوّلاً: المُثلة بالإنسان المسلم

إنّ النهي عن التمثيل بالمسلم من الأُمور الثابتة في الشريعة الإسلامية، ولا يُعرف

(١) الخطابي، حمد بن محمد، معالم السنن: ج٢، ص٢٧٩. العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ج٧، ص٢٣٥.

(٢) أُنظر: الزبيدي، محمد بن مرتضى، تاج العروس: ج١٥، ص٦٨٣.

مخالـف في ذلك عـلى الإطلاق، بل إنّ من الثابت عن رسـول الله صلى الله عليه وآله النهي عن المُثلة حتى بالكافر.

ومـع ثبوت التحريم للكافر يثبت التحريم للمسـلم بطريـق أوْلى، والأدلة الدالة عـلى الحرمة بصورة عامـة كثيرة جداً، بل دعوى الإجماع على حرمـة المثلة بالكافر قد صرّح بها أكثر من واحد.

قال الهمداني رحمه الله في معرض كلامه عن حرمة نبش القبور: «**لا يجوز نبش القبور بلا خلاف فيه، بل إجماعاً... واسـتُدلّ له أيضاً بأنّه مثلة بالميّت وهتك له، ومقتضاه مسـلَّميّة حرمة المُثلة وهتك حرمته، ولعلّه كذلك**»[1].

وقـال النجفـي شـارحاً لعبارة الشرائـع: «**(ولا يجـوز التمثيل بهـم) بقطع الآناف والآذان ونحـو ذلـك في حال الحرب بلا خلاف أجده فيه؛ لما سـمعته مـن النهى عنه... وأكثـر الفتـاوى عدم الفرق في ذلك بين حال الحرب وغيره، وبين ما بعد الموت وقبله... بل لا فرق أيضاً بين ما لو فعلوا ذلك بالمسلمين وعدمه**»[2].

وصرّح الزمخشري بأنّه: «**لا خلاف في تحريم المثلة**»[3].

وقـال ابن عبـد البر بعد أن ذكر الحديـث الوارد عن الرسـول صلى الله عليه وآله القائل فيه: «**لا تغلـوا، ولا تغـدروا، ولا تُمثِّلوا**»: «**أجمـع العلماء على القول بهذا الحديـث، ولم يختلفوا في شيء منه**»[4].

وأمّا الروايات الدالة على الحرمة، فهي كثيرة:

منها: ما ورد في وصيّة الإمام علي عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام حينما ضربه ابن ملجـم (لعنـه الله): «**يا بني عبد المطلب... أُنظروا إذا أنـا متُّ من هذه الضربة فاضربوه**

(١) الهمداني، رضا بن محمد هادي، مصباح الفقيه: ج٥، ص٤٣٦.
(٢) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢١، ص٧٨.
(٣) الزمخشري، محمود، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج٢، ص٦٤٥.
(٤) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد: ج٢٤، ص٢٣٣ـ٢٣٤.

ضربة بضربة، ولا يُمثّل بالرجل؛ فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»[1].

ومنها: ما في رواية مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنّه قال: «**إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان إذا بعث أميراً له على سريّة أمره بتقوى الله عزّ وجلّ... ثمّ يقول:... قاتلوا مَن كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلّوا ولا تُمثّلوا**»[2].

ومنها: ما رواه عمران بن حصين، قال: «**كان رسول الله يحثّنا على الصدقة، وينهانا عن المُثلة**»[3].

ومنها: ما ورد عن ابن عمر أنّه قال: «**لعن النبيُّ مَن مَثّل بالحيوان**»[4].

ومنها: ما عن محمد بن عمرو بن عطاء: إنّ عمر بن الخطاب قال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ: دعني أنزع ثنية سهيل بن عمرو، يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً؟! فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ: «**لا أُمثّل به فيُمثّل الله بي وإن كنت نبيّاً**»[5].

وهناك روايات أُخرى يأتي بعضها في مسألة (المُثلة بالكافر).

المستفاد من الروايات

ويُستفاد من الروايات المتقدّمة عدّة أُمور نشير إليها تباعاً:

أ ـ إنّ كثرة الروايات وتنوّعها يرفعها إلى الاستفاضة أو التواتر؛ ومعه لا نحتاج إلى البحث السندي، خصوصاً مع ضم الإجماع المتقدّم ذكره إليها.

---

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٩، ص١٢٨.

(٢) المصدر السابق: ج١٥، ص٥٩.

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج١، ص٦٠٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٦، ص٢٢٨.

(٥) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٣، ص٣٧٨. أُنظر أيضاً: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٢، ص١٦٢.

ب ـ إنّ الروايات تنقسم إلى طائفتين رئيستين:

الأُولى: الروايات الدّالة على النهي مطلقاً.

الثانية: الروايات الخاصّة بالتمثيل بالكفار.

والاستدلال على حرمة التمثيل بالمسلمين يثبت بكليهما:

أمّا روايات القسم الأول، فهي تشمل المسلمين بإطلاقها؛ إذ دلّت على حرمة التمثيل بهم، خصوصاً وأنّ بعضها ينهى عن التمثيل بمطلق الحيوان.

وأمّا روايات القسم الثاني التي تدلّ على حرمة التمثيل بالكافر، فهي تدلّ على حرمته بالمسلم من باب أوْلى. كما اتضح أنّ التمثيل بالمسلم حرمته مُسلّمة لا يختلف فيها اثنان.

جـ ـ إنّ إطلاق الروايات يؤكد على أنّه لا فرق بين حال الحرب وغيره، وبين ما بعد الموت وقبله، ولا بين ما إذا فعلوا ذلك بالمسلمين أو عدمه، ولعلّ هذا هو مستند قول الشيخ النجفي في التعميم لجميع هذه الحالات. وقد تقدّم ذكر قوله.

د ـ إنّ هذه الروايات تُثبت أنّ النهي عن المثلة قد أكّده النبيُّ صلى الله عليه وآله في عدّة مناسبات ومواقف، وهذا يدفع كما سوف يأتي الدعاوى القائلة: بأنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله مثّل ببعض الأشخاص، وأنّه حينما رأى ما صُنِعَ بعمّه حمزة عليه السلام توعّد قريشاً بأن يُمثِّل بسبعين رجلاً منهم.

ثانياً: التمثيل بالكافر

إنّ الآداب والأخلاق التي أوصى بها الإسلام لم تقتصر على كيفية المعاملة مع المسلم، بل توسَّعت في ذلك إلى أدب المعاملة مع أهل الذمة وكثير منها ترقى إلى حدّ الإلزام، بل توسَّع الشارع المقدس في ذلك؛ فجعل للحرب مع الكفّار آداباً خاصّة قد عجز عنها العالم المتحضر بكل قوانينه الوضعية المدَّعاة، وإن كشف هذا عن شيء فإنّما يكشف عن السماحة والرأفة لهذا الدين ولهذه الشريعة، فلم يكن الإسلام يوماً من

الأيـام ذا نزعـة عدوانية أو توّاقاً للحرب والدمار، وكـذا أتباعه، فأكثر الحروب التي خاضهـا النبـيُّ صلى الله عليه وآله وأصحابه كانت حروباً دفاعية، والتـي لم تكن كذلك فهي حرب وقائية هدفها إبعاد خطر الكفّار عن الرسـالة الفتيّة التي تسعى لتخليص البشريّة من الكفر والظلم والاعتداء.

إنّ الهدف الأسـاس للدعوة والدعاة هو مخاطبة الخصم أوّلاً بالفطرة السليمة، ثمّ بالحجـة والبرهان والدليل؛ فإن حصل له القناعة بها ودخل في أحضان الدعوة فبها، ومَن أبى وتعنّت واختار الطريق الآخر فله خياران:

أحدهمـا: الدخـول في ذمة الإسـلام، وإجراء عقد بينـه وبين المسـلمين، تُحقن به الدماء، وتُحفظ به الأموال، وله الأمان التام بين المسلمين.

وثانيهـا: اختيار موقف المواجهة مع المسـلمين وإعلان الحـرب عليهم، وفي مثل ذلك ليس للمسلمين من مواجهة هذا الخطر القادم بُدٌّ.

ورغم ذلك كلّه، نجد الإسلام المتمثل برسوله الكريم صلى الله عليه وآله قد أطّر الحرب مع الكفّار بإطـار أخلاقـي عام، ولم يُعطِ الحريـة الكاملة للمحارب المسـلم، ونهاه عن ارتكاب عـدّة أشـياء، منها قتـل الأطفال والنسـاء وكبار السـن والعجزة، ونهاه عـن التمثيل بالكفـار المقاتلـين خصوصاً بعد التمكّـن منهم، ووقوعهم أسرى بأيدي المسـلمين.

ونحـاول هنا بيان آراء الفرق الإسـلامية في هذه المسـألة، وكذلك معرفة الفروع المترتبة عليها، مع الإشارة إلى الأدلة، والاستثناءات الواردة عليها.

وحاصل الأقوال ما يلي:

القول الأول: حرمة المُثلة بالكفار

وهو ما ذهب إليه الإمامية وجمهور الفقهاء من بقية المذاهب.

إلّا أنّ أصحاب هذا القول وإن اتّفقوا على أصل الحرمة، إلّا أنّ هناك خصوصيات امتاز كل طرفٍ بها عن الآخر.

وسنأتي بهذه الأقوال تباعاً:

رأي الإمامية

لا خلاف بين فقهاء الإمامية في حرمة التمثيل بالكفّار بقطع الآناف والآذان ونحو ذلك في حال الحرب[1]، ويدل على الحرمة:

١ـ الإجماع المدّعى وتقدمت الإشارة إليه وذكر نصوصه.

٢ـ الروايات والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وتقدّم الكثير منها. ويأتي البعض الآخر عند التطرّق إلى أدلة بقية المذاهب.

٣ـ إنّ استعمال المُثلة مع الكفار قد يؤدي بالكفار إلى استعمالها مع المسلمين. وإثارة الكفّار للتمثيل بالمسلمين أمر غير جائز.

وصرّح الجواهري: بأنّ مقتضى النصوص وأكثر الفتاوى عدم الفرق في ذلك بين حال الحرب وغيره، وبين ما بعد الموت وقبله.

بل لا فرق أيضاً بين ما لو فعلوا ذلك بالمسلمين وعدمه.

آراء المذاهب الإسلامية الأُخرى

إنّ المتحصل من كلمات فقهاء المذاهب الأُخرى تبعاً لرواياتهم ثلاثة اتجاهات، وهي تدور بين القول بالحرمة، والقول بالكراهة، والقول بالجواز بشرط.

الاتجاه الأول: حرمة التمثيل بالكفّار

ذهب جمهور فقهاء[2] المذاهب ـ إلّا الحنابلة ـ إلى حرمة التمثيل بالكفار بعد القدرة عليهم، ووقوعهم أسرى بأيدي المسلمين، والحرمة ثابتة سواء للحيّ منهم والميّت.

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج٢، ص١٩. وأيضاً: الحلي، ابن إدريس، السرائر: ج٢، ص٢١. وأيضاً: النجفي، محمد بن الحسن، جواهر الكلام: ج٢١، ص٧٧ـ٧٨.

(٢) السنباوي، محمد بن محمد، جواهر الإكليل: ج١، ص٢٥٤. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية ابن عابدين: ج٣، ص٢٢٤. الزيلعي، عثمان بن علي، تبيين الحقائق: ج٣، ص٢٤٤. النووي، يحيى، المجموع: ج١٦، ص٣١٤.

وقد صرّح جماعة بدعوى الإجماع على حرمة التمثيل بهم، منهم: الزمخشري، وابن عبد البر[1].

وقد تقدّم نقل كلماتهم في المسألة الأُولى.

واستُدل لهذا القول ـ بالإضافة إلى الإجماع المتقدم وجملة من الروايات السابقة ـ بما نُقِلَ: «**عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصّته بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً. ثمّ قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا وليداً**»[2].

والنهي الوارد في الرواية (ولا تُمثِّلوا) ظاهر في التحريم كما أكّد عليه علماء الأُصول واللغة.

وبيّن المباركفوري المراد من الكراهة في قول الترمذي: «**وكره أهل العلم المُثلة**»[3]: «**أي: حرّموها؛ فالمراد بالكراهة التحريم... إنّ السلف رحمهم الله يطلقون الكراهة ويريدون بها التحريم**»[4].

وقال الشوكاني: «**(ولا تُمثّلوا)، فيه دليل على تحريم المُثلة**»[5].

الاتجاه الثاني: كراهة التمثيل بالكفار

وهذا الاتجاه تفرّد به الحنابلة[6]، ولا يختلف الدليل الذي اعتمدوه من الروايات

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٢، ص٤٣١.
(٢) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج٥، ص١٣٩ـ١٤٠.
(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٢، ص٤٣١.
(٤) المباركفوري، محمد عبد الرحمن، تحفة الأحوذي: ج٤، ص٥٥٣.
(٥) الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج٨، ص٧٥.
(٦) أُنظر: ابن قدامة، عبد الله، المغني: ج١٠، ص٥٦٥. وأيضاً: ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، الفروع: ج٦، ص٢١٨. وأيضاً: البهوتي، منصور، كشاف القناع: ج٣، ص٦٩.

عـن الدليـل المعتمد في الاتجاه الأول، إلّا أنّهم حملوا النهـي الوارد فيها على الكراهة، وليس على التحريم.

قـال ابـن قدامـة: «**ويكره نقـل رؤوس المشركين مـن بلد إلى بلـد، والمُثلـة بقتلاهم وتعذيبهم**»[1].

وقـال ابـن مُفلـح: «**ويُكره نقل رؤوسـهم ـ أي: الكفّـار ـ من بلد إلى آخـر، والمُثلة بقتلاهـم... قال الشـيخ تقي الدين: المُثلـة حق لهم؛ فلهم فعلها للاسـتيفاء وأخذ الثأر، ولهم تركها، والصبر أفضل**»[2].

ويأتي في آخر البحث مناقشة هذا القول وبيان ضعفه.

الاتجاه الثالث: جواز المُثلة بشرط

وهذا القول ذهب إليه المالكية[3] وبعض فقهاء المذاهب؛ إذ نصّوا على جواز المُثلة بالكفار إذا مثّلوا بالمسلم معاملة لهم بالمثل.

واسـتدلوا بقوله تعـالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[4]؛ إذ جوّزت الآية المباركة المعاملة بالمثل بدون قيد، فيشمل ما نحن فيه، وهو جواز التمثيل بالكفّار معاملة لهم بالمثل.

وقال محمد السيف: «**وقد وصلنا عندما كنّا في أفغانستان فتوى لفضيلة الشيخ محمد ابـن صالح بن عثيمين مفادها عندما سُـئل عن التمثيل بجثث العـدو: إذا كانوا يمثّلون بقتلاكـم فمثّلوا بقتلاهم، لا سـيّما إذا كان ذلك يوقـع الرعب في قلوبهم ويردعهم، والله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾**»[5].

---

(١) ابن قدامة، عبد الله، المغني: ج١٠، ص٥٦٥. ابن قدامة، عبد الرحمن، الشرح الكبير: ج١٠، ص٤٥٩.

(٢) ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبدع: ج٦، ص٢١٨.

(٣) السنباوي، محمد بن محمد، جواهر الإكليل: ج١، ص٢٥٤.

(٤) النحل: آية١٢٦.

(٥) عن مجلة (إرشيف ملتقى أهل الحديث): العدد٨١، ص٣٩٨.

وقد جاء في سبب نزول الآية المباركة، عن أُبيّ بن كعب أنّه قال: «**لمّا كان يوم أُحد أُصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة فيهم: حمزة؛ فمثّلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُرْبيَنَّ عليهم. قال: فلما كان يوم فتح مكّة فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾. فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كفّوا عن القوم إلّا أربعة**»[1]. رواه الترمذي قائلًا: «**حديث حسن غريب من حديث أُبيّ بن كعب**»[2].

وأورده الشيخ مقبل الوادعي في (الصحيح المسند من أسباب النزول)[3]، وهناك روايات أُخرى نسبت القول بالتمثيل إلى النبيﷺ وأنّه عَزَم على التمثيل بسبعين رجلاً من الكفار؛ فأنزل الله عليه هذه الآية وخيّره فيها بين الصبر والردّ بالمثل، فاختار الصبر على التمثيل بالكفار[4].

ملاحظات حول الاتجاهين الأخيرين

يلاحظ على الاتجاه الثاني والثالث عدّة ملاحظات:

الأُولى: إنّ الاتجاه الثالث لا يُعدّ قولاً في قبال الأوّل والثاني، بل إنّ أصحاب هذا الاتجاه يصرّحون بالحرمة، نعم الجواز المختار لهم ليس على إطلاقه، وإنما هو مشروط بما إذا مثّل الكافر بالمسلم.

ويرجع في الحقيقة إن قيل بجوازه إلى القصاص بالمثل.

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٤، ص٣٦١ـ٣٦٢. السيوطي، جلال الدين، الدرّ المنثور: ج٤، ص١٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الوادعي، مقبل، الصحيح المسند من أسباب النزول: ج١، ص١٢٦.

(٤) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٩٧. الهيثمي، علي، مجمع الزوائد: ج٦، ص١١٩. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١٤٣.

الثانيـة: إنَّ الاستشـهاد بالآية للاسـتدلال على القـول بجواز التمثيـل يبتني على أنّ الآيـة المباركـة تجوّز التمثيل مطلقاً، مع أنّ الآية في صدد علاج مسـألة أُخرى على القـول بهـا وهي جواز القصـاص بمثل ما قام به الجاني على المجنـي به، خصوصاً إذا لاحظنـا أنّـه ليس بالضرورة أنَّ الأسـير الذي في أيدي المسـلمين من الكفـار قد قام بالتمثيل.

الثالثة: إنّ القسـم الثاني من الأحاديث الذي نسـب الوعيد إلى النبيﷺ بالتمثيل بالكفّـار هـي بالإضافة إلى عدم نقلها في الكتب المعتمدة، وضعف سـندها كما صرّح ابـن حجـر تنـافي مـا ورد عن الرسـولﷺ من النهـي عن المثلـة، ويؤكد ذلـك فعله الخارجـي؛ إذ لم يُعهـد منـه التمثيـل بأحد مطلقـاً، وما نُسـب إليه من أمـره بالتمثيل بأشـخاص معينين فهو إمّـا حادثة في واقعة معينة، وإمّا جـرى ذلك بنحو القصاص منهم، وإمّا لكون رواياتها من الضعاف.

فما روي من وعيد النبيّﷺ للمشركين قول مرفوض، والصحيح هو ما روي من أنّ أبا قتادة أراد التمثيل بقريش عندما رأى قتلى المسلمين، فمنعه النبيُّﷺ عن ذلك.

وهذا هو المناسب لأخلاقه وسجاياهﷺ، والذي يشير إليه أيضاً ما ورد في حديث أُبيّ بـن كعب المتقدم من قـول النبيِّﷺ بعد نزول الآية المباركـة: «**نصبر ولا نُعاقب، كفّوا عن القوم إلّا أربعة**»[1].

الرابعة: إنّ القول الثاني الذي انفرد به الحنابلة لا يرجع إلى دليل؛ وذلك:

أ ـ إنّ الحنابلة خالفوا جمهور فقهاء المسلمين؛ إذ ذهب كلٌّ من الإمامية والشافعية والمالكية والحنفية إلى حرمة التمثيل بالكافر.

بل هو مخالف لدعاوى الإجماع وحكم السلف بالحرمة، وقد تقدّم نقل النصوص الدالّة على الإجماع.

---

(١) أُنظر: العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبيﷺ: ج٧، ص٢٦١ـ٢٧٢. الأحمدي، علي، الأسير في الإسلام: ص٢٥١.

ب ـ إنّ أهـم دليل لدى الحنابلة هو حمـل النهي الوارد في الروايات على الكراهة، إلّا أنّ هذا مخالف لما ذهب إليه علماء الأُصول واللغة: من أنّ النهي ظاهر في الحرمة، خصوصاً إذا لاحظنا عدد الروايات الناهية عن التمثيل التي تصل إلى حدّ الاستفاضة أو التواتر.

جـ ـ إنّ مختارهم مخالف لسيرة النبيّ صلى الله عليه وآله العملية؛ إذ لم يُلاحظ أنّه صلى الله عليه وآله مثّل بأحدٍ أو أمر بالتمثيل بأحد، مع تأكيده على النهي عن ذلك في عدّة مواطن، ولعدّة موضوعات، فتـارةً ينهـى عن مطلق المُثلـة بنحو مطلق، وأُخـرى ينهى عن المُثلة بالحيـوان، وتارةً أُخـرى ينهى عن المُثلة بالطير، وتارةً ينهى عن المُثلة ولو بالكلب العقور، وتارةً ينهى عن المُثلة بالكفّار، فيوصي المحاربين بذلك وينهاهم عنه.

د ـ إنّ تفرّد الحنابلة بذلك وقولهم بكراهة التمثيل كراهةً تنزيهيةً فتح الباب واسعة أمـام الفـرق المدّعية للجهاد حديثـاً ـ مثل: الدواعش، وقبلهـم القاعدة ـ لاتخاذ هذه الفتوى وأمثالها مسـتنداً لهم؛ لارتكاب أبشع أنواع التمثيل في معارضيهم، ولم يُستثنَ أحـد مـن ذلك، فذبحـوا الكبار وقطّعـوا أوصالهـم، وحرّقوا الأطفال والأُسـارى، ودفنوا الأحياء، ونبشوا الموتى.

كل ذلـك يُفعل بالمسـلمين وأهل القبلة مـن كافة الطوائف والملـل الآمنة في ظلّ الإسلام.

وليـت ذلك كان مع أعـداء الله تعالى، أعني بهم: اليهود ودولتهم اللّقيطة، بل هم آمنـون بفضـل دعمهم لهؤلاء القتلة المردة، أتباع بني أُميـة ـ لعنهم الله ـ ومَن نظّر لهم وأفتى بجواز ذلك.

المبحث الثالث: المُثلة في القانون الوضعي (الإنساني)

بعد الاطلاع على الحكم الشرعي للمثلة لا بدّ من تبيين أحكامها في القانون الوضعي فنقول:

إنّ التمثيل بالجثث محظور في القانون الدولي الإنساني، بل اعتُبر من جرائم الحرب المعاقب عليها.

ولمعرفة أوسع حول الموضوع لا بدّ من إلقاء نظرةٍ حول نظرية العقاب في القوانين الوضعية، فقد كانت القوانين الوضعية حتى أواخر القرن الثامن عشر تنظر إلى المجرم نظرة تفيض عنفاً وقسوة، وكان من العقوبات المقررة المعترف بها قانوناً الحرق والصلب، وتقطيع الأوصال، وصلم الآذان، وقطع الشفاه واللسان، والوشم بأداةٍ محماة في النار، ووضع أطواقٍ من الحديد، والنفي، والجلد، والحبس.

ولم تكن العقوبات في الغالب تتناسب مع أهمية الجرائم التي قررت لها، فمثلاً كان القانون الإنجليزي حتى آخر القرن الثامن عشر يعاقب على مائتي جريمة بعقوبة الإعدام، ومن هذه الجرائم سرقة أكثر من (شلن) من شخص ما، أي: ما يقابل خمسة قروش تقريباً في العملة المصرية، وكان القانون الفرنسي يعاقب بالإعدام على مائتين وخمس عشرة جريمة معظمها جرائم بسيطة.

وكما كان الإنسان الحي أهلاً للمسؤولية والعقاب فكذلك كان الأموات، بل كذلك كان الحيوان والجماد، فكان القانون يُجيز محاكمة الإنسان حياً، ويُجيز محاكمته ميتاً، ويُجيز محاكمة الحيوان والجماد، وكان الأساس الذي تقوم عليه العقوبة هو الانتقام من المجرم وإرهاب غيره.

أساس العقوبة في القرن الثامن عشر وما بعده

وفي القرن الثامن عشر بدأ الفلاسفة وعلماء الاجتماع يعملون على هدم الأساس الذي تقوم عليه العقوبة، ويحاولون إقامتها على أساس آخر، فمثلاً:

أ ـ يرى (روسو) أنّ الغرض من العقوبة هو حماية الجماعة من المجرم ومنعه من إيذاء غيره.

ب ـ برّر (بكاريا) العقوبة بأنّها حقّ الدفاع يتنازل عنه الأفراد للجماعة، وأنّ الغرض منها تأديب المجرم وزجر غيره.

جـ ـ وبرّر (كانت) العقوبة بالعدالة.

د ـ ويرى البعض التوفيق بين مذهب المنفعة ومذهب العدالة، فرأى أن لا تكون العقوبة أكثر ممّا تستدعيه الضرورة، ولا أكثر مما تسمح به العدالة.

وتمتاز النظريات السابقة بأنّها تُهمل شخصية المجرم وتنظر إلى الجريمة؛ ولذلك لم تؤدِّ إلى حل مشكلة العقاب حلاً يحسن السكوت عليه.

هـ ـ ظهرت بعد ذلك النظرية العلمية أو النظرية الإيطالية، وهي تقوم على إهمال الجريمة إهمالاً تامّاً، والنظر إلى شخصية المجرم؛ فيرى أصحاب النظرية أن تكون العقوبة متناسبة مع عقلية المجرم وتكوينه وتاريخه ودرجة خطورته، فالمجرم المطبوع على الإجرام يُبعَد إبعاداً مؤبداً عن المجتمع أو يُحكَم عليه بالإعدام، ولو كانت جريمته بسيطة، أمّا المجرم الذي تجعل منه المصادفات والظروف مجرماً فيعاقب عقاباً هيّناً ليّناً، ولو كانت جريمته خطيرة، أمّا المجرم الذي يرتكب الجريمة تحت تأثير العاطفة فلا ضرورة لعقابه.

ولم تُفلح هذه النظرية العلمية في حل مشكلة العقوبة أيضاً؛ لأنّها تنظر إلى المجرم وتُهمل الجريمة، ولأنّها تفرّق بين المجرمين دون فارق ملحوظ أو محدود.

و ـ إنّ بعض علماء القانون وجدوا أنّ النظريات القديمة قد أخفقت؛ لأنّها تحتفي بالجريمة وتُهمل شأن المجرم، وإنّ النظرية العلمية أخفقت؛ لأنّها تحتفي بالمجرم وتُهمل الجريمة؛ فرأوا أن يدمجوا الفكرتين اللتين تقوم عليهما هذه النظريات ويُقيموا عليهما نظرية جديدة بحيث يتمثل في العقوبة على كل جريمة فكرتان: فكرة التأديب والزجر، وفكرة شخصية المجرم.

ولكنّ هذه النظرية المركّبة فشلت أكثر ممّا فشلت النظريات السابقة؛ لأنّها تقوم على فكرتين تناقض إحداهما الأُخرى في أكثر الأحوال، فالنظر في كل عقوبة إلى شخصية المجرم لا يحقق دائماً فكرة التأديب والزجر؛ أي: حماية المجتمع وعلى الأخص في الجرائم الخطيرة التي تمسّ الأمن والنظام والأخلاق، والأخذ بفكرة حماية المجتمع في كل عقوبة يمنع من الالتفات لشخصية المجرم في الجرائم الخطيرة والبسيطة على السواء.

الشريعة والقانون

يمكن القول: بأنّ نظرية الشريعة تجمع بين كل النظريات الوضعية التي ظهرت ابتداءً من القرن الثامن عشر، فالعقوبات في الشريعة إنّما شُرّعت لمنفعة الجماعة، ولإصلاح الأفراد، ولحماية الجماعة من الجريمة، وتمكينها من الدفاع عن نفسها ضد الإجرام. والعقوبات في الشريعة لا يصح أن تزيد عن حاجة الجماعة، كما لا يصح أن تقلّ عن هذه الحاجة، فهي من هذه الوجهة إجراء تقتضيه العدالة والمصلحة معاً، وهذا ما ادّعاه (روسو) و(بكاريا) و(كانت).

ويمكن القول: بأنّه لا خلاف بين الشريعة والقوانين على المبادئ والأُصول التي تقوم عليها العقوبة، وإنّما الخلاف في الكيفية التي تُطبّق بها هذه المبادئ، والحدود التي تُطبّق فيها، فقد طبّقت الشريعة كل المبادئ التي تعترف بها القوانين الوضعية، ولكنّها لم تجمع بينها في كل العقوبات، ولم تُسوِّ بينها في كل الجرائم، بل جعلت لكل مبدأ منطقة يعمل فيها وحده أو مع غيره.

وهذا بخلافه في القوانين الوضعية، التي حاولت الجمع بين كل هذه المبادئ والتسوية بينها في كل الجرائم والعقوبات؛ مما أدّى بهم إلى الإخفاق في نظرياتهم.

وأخيراً نقول: بأنّنا أشرنا في بداية هذه النقطة إلى ما كان يسير عليه القانون

الوضعي قبل القرن الثامن عشر من وحشية وتمثيل وقسوة وعنف، وبعد القرن الثامن عشر أخذ القانون الوضعي بأوّل مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية؛ إذ أصبحت العقوبة فيه قائمة على أساس التأديب والزجر بقصد حماية المجتمع، ولم تعُد هناك حاجة للتمثيل والتشهير، ولم يعُد منطق القانون يقبل محاكمة الأموات والحيوانات والجمادات؛ وهذا المبدأ الأوّل الذي لم يعرفه القانون إلّا في القرن الثامن عشر قد عرفته الشريعة مع غيره من المبادئ من القرن السابع الميلادي؛ ولذلك تركّزت المسؤولية الجنائية على يوم نزول الشريعة في الإنسان الحي، ولم يجعل غيره أهلاً لها، ولم يُعرف عن الشريعة ما عُرف عن القانون من محاكمة الأموات، بل عُرف عنها أنّها تأباه أشدّ الإباء، فقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله عن المُثلة ولو بالكلب العقور، ومَن لا يرضى المُثلة للحيوان فهو دون شك لا يرضاها للإنسان.

ويكفي الشريعة الإسلامية فخراً بعد هذا أنّها سبقت تفكير الإنسان بأحد عشر قرناً، وأنّ العالم يسير على آثارها من قرنين ولا تزال تسبق تفكيره بمراحل[1].

المبحث الرابع: البيت الأُموي والمُثلة

إنّ ما فعله يزيد (لعنه الله) من أفاعيل بأجساد الشهداء في واقعة عاشوراء ـ وهو ما سنتعرّض له لاحقاً عند المبحث الخامس إن شاء الله ـ وما أمر به أن يُنْفَّذ بحقهم على أيدي جلاوزته يُعدّ من أفظع المواقف والأفعال التي تكشف عن عمق ورسوخ هذه النزعة الإلحادية الخبيثة في نفسه، أعني: نزعة التمثيل بأجساد القتلى بعد قتلهم، وهذه النزعة لم تكن ارتجالية طارئة على يزيد، بل هي نزعة ورثها من آبائه وأُمهاته وتجذّرت في نفسه الميّالة إلى الشر.

ومما يزيد هذا التجذّر تربيته التي تلقّاها في البيت الأُموي، وسنقتصر على ما ورثه

(١) أُنظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي: ج١، ص٦٢١ـ٦٣١، باختصار وتصرّف. الموسوعة العربية العالمية، مادة: (عقوبة، عقوبة الإعدام).

يزيد من القسوة والعنف المتمثلة بانتهاك الأجساد والتمثيل بها، فله أُسوة بجدّته هند وأبيه معاوية[1].

وإليك بعض ما أورده التاريخ حول ذلك:

هند آكلة الأكباد

الحقد الأُموي أعمى لم يرعَ أيّ حدّ من حدود الإنسانية ولو أدناها، فمَن يصدّق بأنّ امرأة تمثّل بجثث الشهداء، وتحثّ غيرها على التمثيل ببقية الجثث لشهداء معركة أُحد، ولم تكتفِ بذلك، بل عمدت إلى كبد حمزة عليه السلام عم النبيّ ولاكته، فأصبح في فمها كالصخر.

وهذه الحادثة قد تواتر نقلها، قال المفيد رحمه الله: «**كانت هند بنت عتبة جعلت لوحشيّ جعلاً على أن يقتل رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين أو حمزة بن عبد المطلب سلام الله عليهم. فقال: أمّا محمد، فلا حيلة لي فيه؛ لأنّ أصحابه يطيفون به، وأمّا عليّ؛ فإنّه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأمّا حمزة، فإنّي أطمع فيه؛ لأنّه إذا غضب لم يُبصر بين يديه... وجاءت هند فأمرت بشقّ بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأُذنيه ومثّلوا به، ورسول الله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه أمره**»[2].

وفصّل ابن إسحاق في تمثيل هند ومَن معها بشهداء أُحد بقوله: «**حدّثني صالح ابن كيسان، قال: وقفت هند والنّسوة اللّاتي معها يُمثّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجدّعن الآذان والأنف، حتّى اتّخذت هند من آذان الرجال وأُنُفهِم خِدماً وقلائد، وأعطت خِدمها وقلائدها وقرطها وحشيّاً غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها، ثمّ علت على صخرة مشرفة، فصرخت بأعلى صوتها، فقالت:**

(١) أُنظر: ما قاله العقاد حول أخلاق يزيد في كتابه الحسين أبو الشهداء: ص١٠٥ـ١١٠.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج١، ص٨٣.

نـحـن جـزيـنـاكـم بيـوم بـدر والحرب بعد الحرب ذات سُعْر
مـا كان عــن عتبـة لي مـن صَـبْرِ ولا أخــي وعـمِّــه وبِـكري
شَـفَيتُ نفـسي وقَضَيـتُ نـذري شـفيتَ وحشيُّ غليل صدري
فشــكرُ وحــشيٍّ عــليّ عمـري حـتى تـرمّ أعـظمي في قـبري

ومـرّ الحُليـس بـن زبّان بأبي سـفيان وهو يضرب بزجّ الرمح في شـدق حمـزة بن عبد المطلب ويقول: ذق يا عُقَقُ (يا عاق). فقال الحُليس: يا بني كنانة، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه ما ترَون! فقال أبو سفيان: اكتمها عنّي فإنّها كانت زلّة!

وقالت هند أيضاً:

شـفيـت من حمـزة نفــسي بأُحُدْ حـتـى بقــرتُ بطـنـهَ عــن الكبـد
أذهــبَ عنّـي ذاك مـا كنـتُ أجد من لَذْعة الحزنِ الشديد المعتمد»[1].

معاوية قاطع الرؤوس

قسـاوة أبي يزيـد لم تكن أقل من قسـاوة أُمّه هنـد، خصوصـاً إذا جمعنا الأحداث القاسـية التـي جرت أيّـام حكم معاويـة وما فعله مـن التنكيل والتمثيـل بأصحاب الإمـام عليّ عليه السلام وشـيعته، وأوضح نصّ على ذلـك ما في (تهذيب التهذيـب) إذ قال: «كان بنو أُميّة إذا سمعوا بمولود اسمه عليّ قتلوه»[2].

وهذه بعض النماذج التي قام بتطبيقها أزلام معاوية بأمرٍ منه، وتحت إشرافه، وهي كثيرة:

(١) أُنظر: ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج٣، ص٦٠٧ـ٦٠٨، وأيضاً: اليوسفي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ج٢، ص٣١١ فما بعد. وأيضاً: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٢، ص٢٠٤ وما بعدها. وأيضاً: الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٥، ص١٣٠ فما بعد. وأيضاً: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن الكريم: ج٢، ص١٣٥. وأيضاً: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٤، ص١٨٧ـ١٨٩. وغيرها.
(٢) العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب: ج٧، ص٣١٩.

١ـ ما قاله أبو جعفر البغدادي: «**وصلب زياد بن أبيه مسلم بن زيمر، وعبد الله ابن نجي الحضرميين على أبوابهما أياماً بالكوفة، وكانا شيعيين؛ وذلك بأمرِ معاوية، وقد عدّهما الحسين بن علي (رضي الله عنهما) على معاوية في كتابه إليه: ألستَ صاحب حجر والحضرميين اللذين كتب إليك ابن سميّة أنّهما على دين عليٍّ ورأيه. فكتبت إليه: مَن كان على دين عليٍّ ورأيه فاقتله وأمثِل به. فقتلهما ومثّل بأمرك بهما، ودينُ عليٍّ وابنُ عمِّ عليٍّ الذي كان يضرب عليه أباك يضربه عليه أبوك[1] أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشّم الرحلتين اللتين بنا منّ الله عليك بوضعها عنكم؟!**»[2].

وعلّق الأميني على ذلك: «**هلمّوا معي يا أهل دين الله! هل اعتناق دين عليّ عليه السلام مما يُستباح به دم مسلم، وتُستحل المُثلة والتنكيل المحظورة في الشريعة المطهّرة، الممنوع عنها ولو بالكلب العقور؟! أليس دين عليّ هو دين محمّد صلى الله عليه وآله الذي صدع به عن الله تعالى؟! نعم، هو كذلك. لكن معاوية حايد عن الدين القويم ولا يقيم له وزناً ما، ولا يكترث لمغبّة هتكه، ولا يتريّث عن الوقيعة فيه**»[3].

٢ـ ما فعله بعمرو بن الحمق بعدما تمكّن هو وجلاوزته منه ومن رفاعة بن شداد في الموصل، وبعد أن نجح رفاعة من الإفلات منهم، فأُخِذ عمرو بن الحمق «**فسألوه: مَن أنت؟ فقال: مَن إن تركتموه كان أسلم لكم، وإن قتلتموه كان أضرّ عليكم. فسألوه فأبى أن يُخبرهم، فبُعث به ابن أبي بلتعة عامل الموصل وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، فلمّا رأى عمرو بن الحمق عرفه، وكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية:**

(١) هكذا وردت العبارة في المصدر: ولكن في مصادر أُخرى وردت هكذا «الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك». الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ص٢٥٦. والمجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢١٣.

(٢) البغدادي، محمد بن حبيب، المحبّر: ص٤٧٩.

(٣) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١١، ص٦١.

إنّه زُعِمَ أنّه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص كانت معه، وإنّا لا نريد أن نعتدي عليه فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان. فأُخرج فطُعِنَ تسع طعنات فمات في الأُولى منهنَّ أو في الثانية»[1]. **«وبُعث برأسه إلى معاوية، فكان رأسه أوّل رأس حُمل في الإسلام»**[2].

ونتساءل مع الشيخ الأميني: **«إنّه أيّ مبرِّر لابن هند في أمره بإتمام الطعنات التسع بعد الطعنة المودية به؟! وهل في الشريعة تعبّداً بأن يُفعل بالمقتصّ منه مثل ما فعله بمن يقتصُّ له؟! أو يكتفى بما هو المقصود من القصاص من إعدام القاتل؟ ولعلَّ عند فقيه بني أُمية مسوّغاً لا نعرفه. أضف إلى ذلك حمل رأسه من بلد إلى بلد، وهو أوّل رأس مطاف به في الإسلام»**[3].

قال النسّابة أبو جعفر محمد بن حبيب في كتاب (المحبّر): **«ونصب معاوية رأس عمرو بن الحمق الخزاعي وكان شيعيّاً، ودير به في السوق، وكان عبد الرحمن بن أُمّ الحكم أخذه بالجزيرة»**[4]. وقال ابن كثير: **«فطيف به في الشام وغيرها، فكان أوّل رأس طيف به، ثمّ بعث معاوية برأسه إلى زوجته آمنة بنت الشريد وكانت في سجنه فأُلقي في حِجرها. فوضعت كفّها على جبينه ولثمت فمه وقالت: غيّبتموه عنّي طويلاً ثم أهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً بها من هديّة غير قالية ولا مقيلة»**[5].

ولو أردنا تتبع ما فعله معاوية من مجازر وقطع للرؤوس والتمثيل بمعارضيه لبلغ ذلك المئات من الصفحات، فنكتفي بهذه النماذج التي فيها عبرة لمن اعتبر.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص١٩٧.

(٢) أُنظر: الدينوري، ابن قتيبة، المعارف: ص٢٩٢. وأيضاً: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج٣، ص١١٧٤. وأيضاً: العسقلاني، ابن حجر، الإصابة: ج٤، ص٥١٥. وأيضاً: ابن كثير، محمد بن إسماعيل، تاريخ ابن كثير: ج٨، ص٥٢. وأيضاً: الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج١٧، ص١٤٤ـ١٥٤.

(٣) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١١، ص٥٩.

(٤) البغدادي، محمد بن حبيب، المحبّر: ص٤٩٠.

(٥) ابن كثير، محمد بن إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص٥٢. وأيضاً لمن أراد التوسعة: الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١١، ص٧ وما بعدها.

المبحث الخامس: مصاديق المُثلة التي جرت على معسكر الحسين عليه السلام

إنَّ «التمثيل بالقتيل بعد الموت يدل على خسة نفس الفاعل وخبثها، فالرجل الشريف النبيل يكتفي عند الظفر بخصمه بقتله إن لم يكن للعفو موضع، وتأنف نفسه ويأبى له كرم طباعه التمثيل بخصمه ولو كان من أعدى أعدائه، بل لا يسلبه ثيابه ولا درعه، كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام حين قتل عمرو بن عبد ودّ، واستدلت أُخته بذلك على أنّ قاتل أخيها رجل كريم، وقال له بعض الأصحاب: هلّا سلبته درعه؛ فإنّها داودية. فقال عليه السلام: كلّا، إنّ عَمْراً رجل جليل وافتخر بذلك فقال:

وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطّر بزّني أثوابي»[1].

ومن هنا؛ لا بدّ أن نرى ما فعله المعسكر المعادي للحسين عليه السلام وأصحابه، فهل ترفّع بعد القتل عن سلب الحسين عليه السلام والتمثيل به، أم كانت خسّة نفوسهم وخبثها داعية لهم للتمثيل بالحسين عليه السلام وأصحابه؟!

والجواب في ما يلي من مصاديق المُثلة القبيحة عقلاً وشرعاً:

أوّلاً: وطء جسد الحسين عليه السلام

حادثة وطء الجسد الشريف من الأُمور الثابتة في واقعة الطف، وقد تطابقت كلمات العامّة والخاصّة على نقلها، سواء في ذلك كتب السيرة والمقاتل والحديث والرجال، ويُعدُّ ذلك من مصاديق المُثلة المحرّمة، بل أشنعها بعد قطع الرؤوس.

وأقدم مصدر أرّخ لهذه الحادثة هو ما رواه أبو مخنف (لوط بن يحيى بن سعيد)[2]،

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج٧، ص١٢٢. اُنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٤، ص١٢٠ـ١٢٢. اليوسفي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي: ج٢، ص٤٩٨ وما بعدها. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج٣، ص٧٠٩.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٠٢.

وهو أخباري موثوق؛ إذ عبّر عنه النجاشي في ترجمته: «**وكان يُسكن إلى ما يرويه**»[1]؛ مما يعني أنّه يُعتمد عليه فيما دوّنه من أخبار التاريخ، وتحرّيه ضبط الوقائع التي ينقلها، واعتماده على الأُمور الثابتة والمشهورة بالتناقل[2].

وإليك بعض تلك النقول المهمّة:

١ـ عن المفيد: «**نادى عمر بن سعد في أصحابه: مَن ينتدب للحسين فيوطئه فرسه؟ فانتدب عشرة، منهم: إسحاق بن حياة، وأخنس بن مرثد، فداسوا الحسين عليه السلام بخيولهم، حتى رضوا ظهره**»[3].

٢ـ عن الخوارزمي: «**ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى: مَن ينتدب للحسين عليه السلام فيوطئه فرسه؟ فانتدب له عشرة نفر، منهم: إسحاق الحضرمي، ومنهم: الأخنس بن مرثد الحضرمي، القائل في ذلك:**

نحن رضضنا الظهر بعد الصدر ... بكلّ يعبوبٍ شديد الأسرِ

حتّى عصينا الله ربَّ الأمر ... بصنعنا مع الحسين الطهر

فداسوا حسيناً عليه السلام بخيولهم حتى رضّوا صدره وظهره، فسُئلَ عن ذلك فقال: هذا أمر الأمير عبيد الله»[4].

٣ـ عن ابن طاووس: «**قال الراوي: ثمّ نادى عمر بن سعدٍ في أصحابه: مَن ينتدب للحسين عليه السلام فَيُوطِئ الخيل ظهرَه وصدره؟ فانتدب منهم عشرة، وهم: إسحاق بن حوبة الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأخنس بن مرثدٍ، وحكيم بن طفيل السنبسي، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن منقذ العبدي، وسالم بن خثيمة الجعفي، وواحظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفي، وهاني بن ثبيت الحضرمي، وأُسيد بن مالك لعنهم الله،**

---

(١) النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي: ص٣٢٠.

(٢) أُنظر: المنصوري، لؤي، مقال (هل وطأت الخيل جسد الحسين عليه السلام)، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد٦، ص١٩٧ وما بعدها.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٣.

(٤) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٨.

فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم، حتى رضّوا ظهره وصدره.

قال الراوي: وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد لعنه الله، فقال أُسيد بن مالك أحدُ العشرة:

نحن رضضنا الظهر بعد الصدر ... بكلِّ يعبوبٍ شديد الأسرِ

فقال ابن زياد لعنه الله: مَن أنتم؟ قالوا: نحن الذين وطأنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحَنّا حناجر صدره. قال: فأمر لهم بجائزةٍ يسيرة.

قال أبو عمر الزاهد: فنظرنا إلى هؤلاء العشرة، فوجدناهم جميعاً أولاد زنا. وهؤلاء أخذهم المختار، فشدّ أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد، وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا»[1].

٤ ـ وعن سبط ابن الجوزي: «قال عمر بن سعدٍ: مَن يوطئُ الخيل صدره؟ فأوطأوا الخيل ظهره وصدره، ووجدوا في ظهره آثاراً سوداً، فسألوا عنها، فقيل: كان ينقل الطعام على ظهره في الليل إلى مساكن أهل المدينة»[2].

٥ ـ عن أبي الفرج: «أمر ابن زيادٍ لعنه الله وغضب عليه أن يُوطأ صدر الحسين عليه السلام وظهره وجنبه ووجهه، فأُجريت الخيل عليه»[3].

ما يُستفاد من نصوص وطء جسد الحسين عليه السلام

أ ـ إنّ الذي أَمر الجند بوطء جسد الحسين عليه السلام هو عمر بن سعد، وتبيّن أنّه مأمور من قِبَلِ مَن هو أعلى منه سلطة.

ب ـ التأكيد على أنّ هؤلاء قاموا برضِّ ظهر وصدر الحسين، وتقديم الظهر فيه إشارة إلى أنّ الحسين عليه السلام كان مكبوباً على وجهه، وهو ما أشارت إليه بعض المقاتل. أمّا الصدر، فالظاهر أنَّ شدّة الوطء من قِبَل هؤلاء العشرة، جعلت الجسد الطاهر

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٧٩

(٢) سبط ابن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢٥٤.

(٣) أبو الفرج، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص١١٨.

٥ المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص٥٠٤

يتقلّب بحيث تمكّنوا من رضّ جهة الصدر بعد جهة الظهر. والقيام بفعل كهذا ينمُّ عن مقدار البغض الدفين لأهل البيت عليهم السلام.

جـ ـ إنّ ذكر تفاصيل الحادثة، ومَن أمر بها، ومَن قام بها، ووصف حال الوطء لجسد المولى يؤكّد وقوعها.

د ـ تأكيد بعض الروايات على أنّهم كانوا عشرة، كما ذكرت بعض المصادر أسماءهم، وأنّهم بعد الاطلاع على أحوالهم الشخصية كانوا كلّهم أولاد زنا.

هـ ـ سوء عاقبة أُولئك الأشقياء بإفلاسهم من الحصول على الجائزة التي كانوا يتوخونها من ابن زياد؛ إذ أمر لهم بجائزة يسيرة بالإضافة إلى نيلهم الجزاء الدنيوي على يد المختار.

و ـ دلّت بعض الروايات ـ أي: النصّ الأخير ـ على أنّ وطء الجسد الشريف كان قبل قطع رأسه الشريف.

ز ـ يظهر من هذه الحادثة البشعة أنّ جيش يزيد ـ الذي هو امتداد للجيش الذي كان يرعاه أبوه معاوية ـ كان فيه أُناس على درجة عالية من الإجرام والخبث، إلى درجة أنّهم أقدموا على مثل تلك الأفعال التي تُمثل أعلى درجات الإرهاب على مدى الزمان.

ح ـ اتفاق نقل الحادثة من العامّة والخاصّة.

ثانياً: التمثيل بقطع الرؤوس والطواف بها في الطرقات وصلبها وإرسالها إلى الشام

وفي ذلك طوائف من الروايات هي:

الطائفة الأُولى: الروايات الدالة على التصريح بقطع الرؤوس وإرسالها إلى ابن زياد

وهي كثيرة، منها:

أ ـ عن قرّة بن قيس التميمي: «**وقطف رؤوس الباقين، فسرّح باثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن، و... حتّى قدِموا بها على عبيد الله بن زياد**»[1].

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٥، ص٤٥٦.

ب ـ عن البلاذري: «**واحتُزَّت رؤوس القتلى، فحُمل إلى ابن زياد اثنان وسبعون رأساً مع شمر بن ذي الجوشن، و...**»[1].

جـ ـ عن ابن سعد: «**ونزل معه ـ أي: مع سنان بن أنس ـ خوليّ بن يزيد الأصبحيُّ، فاحتزّ رأسه ـ أي: الحسين ـ ثمّ أُتي بهِ عبيد الله بن زيادٍ، فقال: أوقر ركابي فضة أو ذهباً...**»[2].

د ـ عن ابن كثير: «**ما قُتل قتيل إلّا احتزوا رأسه وحملوه إلى ابن زياد، ثمّ بعث بها ابن زياد إلى يزيد بن معاوية إلى الشام**»[3].

هـ ـ ما دلّ على قطع رأس مسلم بن عقيل، وهو ما جاء في الإرشاد: «**فقال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدُعي بكر بن حمران الأحمري، فقال له: اصعد فلتكن أنت الذي تضرب عنقه، فصعد به وهو يُكبّر ويستغفر الله، ويصلّي على رسوله، ويقول: اللّهمّ، احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكذبونا وخذلونا. وأشرفوا به على موضع الحذّائين اليوم، فضُربت عنقه، وأُتبع جسده رأسه**»[4].

ورواه أيضاً في (الأمالي) للشجري[5]، وفي (الحدائق الوردية)[6].

و ـ ما عن أبي مخنف: «**وما هو إلّا أن قُتل الحسين فسُرّح برأسه من يومه ذلك مع خوليّ بن يزيد، وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، فأقبل به خولّي، فأراد القصر، فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله، فوضعه تحت إجانة في منزله**»[7].

ز ـ عن المفيد: «**سرّح عمر بن سعد من يومه ذلك وهو يوم عاشوراء برأس**

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤١٢.
(٢) الزهري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة): ج١، ص٤٧٤.
(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج٨، ص١٩٠.
(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٦٣.
(٥) الشجري، يحيى بن الحسين، الأمالي: ج١، ص١٩١.
(٦) المحلي، حميد بن أحمد، الحدائق الوردية: ج١، ص١١٦.
(٧) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٣.

الحسين عليه السلام مع خولي بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم الأزدي إلى عبيد الله بن زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فقُطِّعت، وكانت اثنين وسبعين رأساً، وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتّى قدِموا بها على ابن زياد»[1].

وهذه الطائفة ـ بالإضافة إلى دلالتها على قطع الرؤوس ـ تدلّ أيضاً على حمل تلك الرؤوس الزكية إلى الطاغية ابن زياد.

الطائفة الثانية: الروايات الدالة على صَلْبِ الرأس الشريف وجثتي مسلم وهاني

وقد ورد في ذلك الموارد التالية:

أ ـ ما ذكره الذهبي، عن أبي حمزة الحضرمي: «**وقد حدّثني بعض أهلنا أنّه رأى رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام**»[2].

ب ـ عن الخوارزمي قال: «**إنّ يزيد أمر أن يُصلب الرأس الشريف على باب داره**»[3].

جـ ـ عن القلقشندي: «**وعُلّقَ رأس الحسين عليه السلام في دمشق عند قتله، في المكان الذي عُلّق عليه رأس يحيى بن زكريا**»[4].

د ـ عن سبط ابن الجوزي: «**فآمنه ـ أي: مسلم بن عقيل ـ ابن الأشعث، وجاء به إلى ابن زياد، فأمر به، فأُصعد إلى أعلى القصر، فضُربت عنقه، وأُلقي رأسه إلى الناس، وصُلبت جثّته بالكناسة، ثمّ فُعل بهاني بن عروة كذلك**»[5].

هـ ـ عن ابن أعثم: «**ثمَّ أمر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل، وهاني بن عروة رحمها الله، فصُلبا جميعاً منكّسَين، وعزم أن يوجِّه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية**»[6].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٣.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٣١٩.

(٣) الخوازمي، موفق الدين بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٧٣.

(٤) القلقشندي، أحمد بن عبد الله، صبح الأعشى: ج٤، ص٩٧.

(٥) سبط ابن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢٤٢.

(٦) الكوفي، ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٠٥.

و ـ عن سبط ابن الجوزي: «**إنّ ابن زياد نصب الرؤوس كلها بالكوفة على الخشب، وكانت زيادة على سبعين رأساً، وهي أوّل رؤوس نُصبت في الإسلام بعد رأس مسلم ابن عقيل بالكوفة**»[1].

الطائفة الثالثة: الدوران بالرؤوس في الأسواق والبلدان لأجل زرع الرعب في نفوس الناس

وقد دلّت عليها بعض الروايات، وهي:

أ ـ عن أبي مخنف: «**إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة، فجُعل يُدار به في الكوفة**»[2].

ب ـ عن المفيد: «**لما أصبح عبيد الله بن زياد بعث برأس الحسين عليه السلام، فدير به في سكك الكوفة كلها وقبائلها**»[3].

جـ ـ ما عن (الملهوف)، عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله تعالى وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمةٍ في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله عليه السلام وعترته، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية**»[4].

د ـ ما عن (شرح الأخبار): «**ثمّ أمر يزيد اللعين برأس الحسين عليه السلام، فطيف به في مدائن الشام وغيرها**»[5].

الطائفة الرابعة: الروايات الدالة على حمل الرؤوس إلى يزيد (الشام)

لم يكتفِ وَالِي الكوفة بالأمر ببعث الرؤوس إليه، بل أرسلها إلى طاغيته يزيد بن معاوية، وإليك بعض النصوص الموثقة لذلك:

---

(١) سبط بن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢٥٩، نقلاً عن ابن سعد في الطبقات.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٩.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٧.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٢٢٩.

(٥) المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج٣، ص١٥٩.

أ ـ عن أبي مخنف: «ثمّ دَعَا ابن زياد زحر بن قيس، فسرّح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية، وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزديّ، وطارق بن أبي ظبيان الأزديُّ، فخرجوا حتّى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية»[1].

ب ـ عن سبط ابن الجوزي: «إنّ ابن زياد حطَّ الرّؤوس في يوم الثاني، وجهّزها والسبايا إلى الشام إلى يزيد بن معاوية»[2].

جـ ـ عن ابن أعثم: «ثمّ دعا ابن زياد زجر بن قيس الجعفي، فسلّم إليه رأس الحسين ابن علي ورؤوس إخوته، ورأس علي بن الحسين، ورؤوس أهل بيته وشيعته رضي الله عنهم أجمعين، ودعا علي بن الحسين أيضاً، فحمله وحمل أخواته وعماته وجميع نسائهم إلى يزيد بن معاوية»[3].

د ـ عن المفيد: «لما فرغ القوم من التطواف به ـ أي: برأس الحسين عليه السلام بالكوفة ـ ردّوه إلى باب القصر، فدفعه ابن زياد إلى زحر بن قيس، ودفع إليه رؤوس أصحابه، وسرّحه إلى يزيد بن معاوية ـ عليهم لعائن الله ولعنة اللاعنين في السماوات والأرضين ـ وأنفذ معه أبا بُردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة، حتى وردوا بها يزيد بدمشق»[4].

الطائفة الخامسة: الروايات الدالة على قرع رأس الحسين بالقضيب وشرب الخمر عليه

والروايات الدالة على هذا الفعل المشين والمنحط كثيرة جداً، ابتداءً من مجلس ابن زياد، وانتهاءً بمجلس يزيد بن معاوية، وهي:

أ ـ عن أنس بن مالك: «لمّا جيء برأس الحسين إلى ابن زياد، وُضع بين يديه في طشتٍ، فجعل ينكت وجنته بقضيب، ويقول: ما رأيت مِثلَ حُسنِ هذا الوجه قطّ.

(١) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٠٩.
(٢) سبط بن الجوزي، يوسف، تذكرة الخواص: ص٢٦٠.
(٣) الكوفي، ابن أعثم، الفتوح: ج٥، ص١٢٦.
(٤) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٨.

فقلت: إنّه كان يُشبه النبي صلى الله عليه وسلم»[1].

ب ـ ما رواه ابن سعد: «لمّا وُضعت الرؤوس بين يدي عبيد الله بن زياد، جعل يضرب بقضيب معه على فِيِّ الحسين وهو يقول:

يُفلِّقنَ هاماً من أُناس أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلَما

فقال له زيد بن أرقم: لو نحَّيت هذا القضيب؛ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع فاه على موضع هذا القضيب»[2].

جـ ـ عن حاجب عبيد الله بن زياد: «إنّه لما جيءَ برأس الحسين عليه السلام أمر [أي: ابن زياد] فوُضع بين يديه في طست من ذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه، ويقول: لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله. فقال رجُلٌ من القوم: مَه! فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلثم حيث تضع قضيبك. فقال: يومٌ بيوم بدر»[3].

د ـ ما ورد في (الملهوف)، عن زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «لمّا أتوا برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد ـ لعنه الله ـ كان يتخذُ مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ويشرب عليه»[4].

هـ ـ عن ابن سعد: «لمّا أُتي يزيد بن معاوية برأس الحسين بن علي جعل ينكت بمخصرةٍ معه سِنَّهُ، ويقول: ما كنت أظنّ أبا عبد الله يبلغ هذا السن. قال: وإذا لحيته ورأسه قد نصل من الخضاب الأسود»[5].

و ـ ما جاء في (عيون أخبار الرضا عليه السلام)، عن عبد السلام بن صالح الهروي: «سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: أوّل مَن اتّخذ له الفقاع في الإسلام بالشام يزيد بن معاوية ـ لعنه الله ـ فأُحضر وهو على المائدة، وقد نصبها على رأس

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٣، ص٤٢١.
(٢) الزهري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة): ج١، ص٤٨١.
(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٩.
(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٢٢٠.
(٥) الزهري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى: ج١، ص٤٨٨.

الحسين عليه السلام، فجعل يشربه ويسقي أصحابه، ويقول ـ لعنه الله ـ: اشربوا، فهذا شراب مبارك، ولو لم يكن من بركته، إلّا أنّا أوّل ما تناولناه ورأس عدونا بين أيدينا ومائدتنا منصوبة عليه، ونحن نأكله ونفوسنا ساكنة، وقلوبنا مطمئنة.

فمن كان من شيعتنا فليتورع عن شرب الفقاع؛ فإنّه من شراب أعدائنا، فإن لم يفعل فليس منّا، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه، عن أبائه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تسلكوا مسالك أعدائي، فتكونوا أعدائي، كما هم أعدائي»[1].

ز ـ عن ابن نما الحلي: «كان يزيد يتخذ مجالس الشراب واللهو والقيان والطرب، ويُحضر رأس الحسين عليه السلام بين يديه»[2].

ثالثاً: سلب الأجساد الطاهرة وتركها عارية بدون دفن

إنّ الأخذ بالمعنى اللغوي والعرفي، بل والاصطلاحي، على بعض التفاسير في تعريف المُثلة يجعلنا نعدُّ سلب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ـ وكذلك تركهم عراة وبدون دفن ـ من المُثلة المحرمة.

أمّا ما يخص الدفن للجثث الطواهر، فإنّ المصادر القديمة ذكرت بأنّ دفن الشهداء كان بعد يوم من شهادتهم أو أكثر من ذلك.

فإن كان اليوم الحادي عشر كما ذكر المحدِّث القمّي، فمن المستبعد أن تكون هذه الرواية صحيحة؛ لأنّ عمر بن سعد بقي في كربلاء تمام اليوم الحادي عشر أو لا أقل إلى الظهر من ذلك اليوم؛ لأجل دفن القتلى من عسكره، بل بعض الروايات صرّحت بأنّه بقي يومين بعد مقتل الحسين عليه السلام.

كما أنّ أهل الغاضرية من بني أسد، القاطنين كما يُفترض على بُعدٍ من ساحة القتال، يبعد أيضاً أن يجرؤوا أو يتمكّنوا من المجيء خلال هذه الفترة القصيرة، إلّا

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٣.
(٢) ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص١٠٣.

إذا قلنا: إنّ المراد من اليوم التالي للشهادة هو اليوم الثاني عشر، بل بعض الروايات صرّحت بأنّ رحيله أعني: ابن سعد كان بعد يومين من شهادة الحسين وأصحابه، والمراد باليومين: الحادي عشر والثاني عشر؛ فيكون الدفن في اليوم الثالث عشر.

وإليك بعض تلك الروايات الدّالة على ذلك:

أ ـ عن المفيد: «**أقام** [أي: عمر بن سعد] **بقية يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس، ثمّ نادى في النّاس بالرحيل، وتوجّه إلى الكوفة ومعه بنات الحسين**عليه السلام **وأخواته...**»[1].

ب ـ عن الدينوري: «**وأقام عمر بن سعد بكربلاء بعد مقتل الحسين يومين. ثمّ أذّن في الناس بالرحيل... وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه في المحامل المستورة على الإبل**»[2].

جـ ـ ابن طاووس: «**وأقام** [ابن سعد] **بقية يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس، ثمّ رحل بمن تخلّف من عيال الحسين**عليه السلام **وحمل نساءه صلوات الله عليه على أحلاس أقتاب الجمال بغير وطاءٍ**»[3].

وعلى كل حال، سواء تُركت الأجساد يوماً أو يومين أو ثلاثة فهذا كله يُعدّ إهانة لها ونوع مُثلة.

وأمّا السلب، فأكثر الروايات تؤكّد على سلب جسد الحسين عليه السلام، وهذا لا يعني أنّ غيره لم يُسلب، كما أنّها تبيّن أسماء مَن سَلَب الجسد الطاهر، وتذكر نوع الشيء المسلوب منه، بل تذكر عاقبة كل مَن انتهب شيئاً من الجسد الطاهر ومن غيره. وهذه بعضها:

أ ـ عن ابن سعد: «**لما قُتل الحسين انتُهب ثقله، فأخذ سيفه الفلافس النهشلي، وأخذ سيفاً آخر جميع بن الخلق الأوديُّ، وأخذ سراويله بحر الملعون بن كعب التميمي، فتركه**

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٤. وأُنظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى: ج١، ص٤٧٠، وأيضاً: ابن نما الحلي، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٩٣.

(٢) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٥٩.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٨٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص١٠٧.

مجـرداً، وأخـذ قطيفته قيس بن الأشـعث بن قيس الكنديّ، فكان يُقـال له: قيس قطيفة. وأخذ نعليه الأسـود بن خالد الأودي، وأخذ عمامته جابر بن يزيد، وأخذ برنسـه وكان من خَزّ مالك بنُ بشير الكندي»[1].

ب ـ عـن المفيد: «ثمّ أقبلوا على سـلب الحسـين عليه السلام فأخذ قميصه إسـحاق بن حياة الحضرمـيّ، وأخـذ سراويله أبجر بن كعب، وأخذ عمامته أخنس بن مرثد، وأخذ سـيفه رجل من بني دارم، وانتهبوا رحله وإبله وأثقاله، وسلبوا نساءه»[2].

جـ ـ عـن الخوارزمي: «وقال عبيد الله بـن عمّار: رأيت على الحسـين سراويل تلمع ساعة قُتل، فجاء أبجر بن كعب، فسلبه وتركه مجرداً...»[3].

والنصوص في ذلك كثيرة جداً اكتفينا باليسير منها.

رابعاً: جرّ الأجساد المطهَّرة في الشوارع والأسواق

إنّ جرّ أجساد الشهداء في الطرقات جريمة أُخرى من جرائم الأُمويين، فبعد قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة جُرّت تلك الأجساد في السوق، وإليك نصّين في ذلك:

أ ـ الطبري عن أبي مخنف: «إنّه لما نزل الحسين في الطريق عند منزل يقال له: الثعلبية. قال الأسديّان اللّذان كانا يسايرانه في الطريق: أخبرنا الراكب الذي استقبلك أمس أنّه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسـلم وهاني، وحتى رآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما. يردّد ذلك مراراً»[4].

ب ـ عن المفيد في (الإرشـاد)[5] وبألفاظ قريبة مما تقدم مع تفصيل كامل عن خبر الأسديين.

---

(١) الزهري، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى: ج١، ص٤٧٩.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص١١٢.

(٣) الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٣٧ـ٣٨.

(٤) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٩٧ بتلخيص. وأيضاً: التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ج١٠، ص٤٩٥ـ٤٩٦.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٤.

خامساً: قطع إصبع الحسين عليه السلام

لقد وصلت الخسة بالبعض من جيش بني أُمية إلى قطع إصبع الحسين عليه السلام لأخذ الخاتم الذي فيه، وقد نقل لنا ذلك:

أ ـ ابن طاووس، قال: «**وأخذ خاتمه بجدل بن سليم لعنه الله، فقطع إصبعه عليه السلام مع الخاتم**»[1].

ب ـ وجاء عن ابن أعثم: «**ثم أُتي برجل يُقال له: بحر سليم الكلبي. حتى أُدخل على المختار، فقالوا: أُيها الأمير، هذا الذي أخذ خاتم الحسين! فقطع إصبعه مع الخاتم! فقال: اقطعوا يديه ورجليه ودعوه يشحط في دمه**»[2].

المبحث السادس: سياسة انتهاك الأجساد وقطع الرؤوس

إنّ ما جرى على الجثث الطاهرة من تمثيل وانتهاك لم يكن أمراً عفويّاً أو ارتجاليّاً جرى على أيدي بعض جنود المعسكر الأُموي أو على أيدي بعض قادة الجند، وإنّما هو سياسة منظّمة وذات أبعاد عديدة، وقد جرى كل ذلك ضمن أوامر صارمة صدرت من القائد العام، وتَمّ تنفيذها من قِبَل الضباط والجنود بشكل منظّم وعلى فترات زمنية، ابتداءً من قطع رأس الحسين عليه السلام وانتهاءً بنصب الرؤوس في الشام.

فما هي تلك السياسة وما أسبابها؟

إنّ الأسباب التي يمكن أن تُتصور في ذلك ليس بالضرورة أن تجتمع في جهة معيّنة، بل بعضها يختص برأس الهرم ـ وأعني به: يزيد ـ والبعض الآخر يختصّ بالمعسكر الأُموي، وهكذا، ولكنَّ النتيجة على كل التقادير واحدة؛ لأنّ القيم التي تحكم الرعية هي قيم الحاكم وما جرى منه في تثقيف الأُمة، وخصوصاً أتباعه من الجند الذين حاربوا الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

وأهم تلك الأسباب ما يلي:

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٧٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٥، ص٥٨.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٦، ص٢٤٤.

أوّلاً: نقاتلك بغضاً لأبيك

إنّ ما جرى على الحسين عليه السلام من قتل وتمثيل بجسده الشريف هو وأصحابه، وسبي نسائه، وقطع الرؤوس وحملها والطواف بها بين البلدان ما هو إلّا حقد منهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لما فعله بآبائهم وأجدادهم في بدر وحنين وصفّين والنهروان، فالسبب هو الكره والحقد الدفينين في قلوب بني أُمية وأتباعهم على آل البيت عليهم السلام.

ويؤيد ذلك أمران:

١ـ ما ورد في بعض كتب التاريخ من أنّ الحسين عليه السلام توجَّه نحو القوم، وقال: «**يا ويلكم! على مَ تقاتلونني؟! على حقٍّ تركته، أم على سُنّة غيرتها، أم على شريعة بدّلتها؟! فقالوا: بل نقاتلك بغضاً منّا لأبيك! وما فعل بأشياخنا يوم بدرٍ وحنين، فلمّا سمع كلامهم بكى**»[١].

٢ـ ما رواه الصدوق وغيره: «**أنّه لما جيء برأس الحسين عليه السلام أمر** [أي: عبيد الله بن زياد] **فوُضع بين يديه في طست من ذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه ويقول: لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبد الله. فقال رجل من القوم: مَهْ؛ فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلثم حيث تضع قضيبك. فقال: يوم بيوم بدر**»[٢].

ولا استغراب في قولته هذه، فقد قالها عامل يزيد على المدينة وكذا جدّه أبو سفيان، والأوّل منهما خاطب بها النبي صلى الله عليه وآله متوجهاً إلى قبره الشريف[٣]، والثاني (أبو سفيان) قالها للمسلمين حينما انتصر جيش الكفر بقيادته في معركة أُحد[٤]، وشابههم يزيد في قولتهم تلك عندما قتل الحسين وأصحابه.

---

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٩٣.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٩.

(٣) الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١٠، ص٢٦٥ عن مثالب أبي عبيدة.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٤، ص٢٧، ج٥، ص١١. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج١، ص٢٨٨.

ثانياً: إنّ انتهاك الأجساد (بقطع الرؤوس) عمل سياسي ذو صفة انتقامية

رجّح بعض المحققين أن يكون قطع الرؤوس إجراءً انتقامياً له غاية سياسية، وليس غايته الانتقام فقط؛ إذ إنّ رجال النظام الأُموي وعلى رأسهم يزيد بن معاوية كانوا يرون أنّ ثورة الحسين عليه السلام يمكن أن تقوّض النظام كلّه، وكانوا يرون انتشار (الحالة الثورية) في المجتمع العراقي بصورة كبيرة، وإن كانت بحاجة إلى شرارة لبدء التحرك؛ ولذا فإنّ أيّ تحرّك تقوم به قوة ذات نفوذ إسلامي يمكن أن تجمع تلك الطاقات الثورية، وكان لثورة الحسين ولقائدها مركز معنوي كبير جداً في المجتمع الإسلامي تشكّل بالنسبة إلى النظام الأُموي خطراً بما يمكن أن تؤدي إليه من تفاعلات ينشأ منها تصعيد الروح الثورية وإعطاء الثائرين في المجتمع الإسلامي أملاً كبيراً في الانتصار.

كما أنّ رجال النظام الأُموي قد علموا أنّ الجماعة الثائرة مع الحسين عليه السلام تمثّل في غالبيتها رجالاً قياديين تبوّؤا مراكز زعامة في المجموعات القبلية الجنوبية والشمالية، وأنّ لهؤلاء أتباعاً يتأثرون بمواقفهم؛ لهذا أراد رجال النظام أن يقضوا على كل أمل عند الجماهير بنجاح أيّ محاولة ثورية؛ وذلك بجعل أبطال هذه المحاولة عبرة للآخرين.

ولذا؛ حشّدوا من الجند ما يقارب ثلاثين ألفاً، لأجل القضاء على تلك النهضة وإبادة كل مَن اشترك فيها، ثمّ فعلوا فيهم فعلتهم من التمثيل والسبي وغيرهما.

وهدفهم من ذلك كلّه تبديد الهالة القدسية التي تحيط بالحسين عليه السلام وأهل البيت، وإفهام الثائرين الذين لم يُتح لهم أن يشاركوا في ثورة كربلاء أنّ إجراءات السلطة في حماية نفسها لا تتوقف عند حدٍّ، ولا تحترم أيّة قداسة وأيّ مقدس وأيّ عرف ديني واجتماعي[1].

---

(١) أُنظر: شمس الدين، محمد مهدي، أنصار الحسين: ص٢٢٥ـ٢٣٣ (بتصرف وتلخيص).

والدال على ذلك من شواهد النهضة الحسينية ما يلي:

١ـ لا يمكن أن يقال: بأنّ عمر بن سعد قد أقدم على اتّخاذ قرار قطع رؤوس الشهداء من عند نفسه؛ رجاءَ أن تزيد حظوته عند عبيد الله بن زياد، بعد أن فهم بوضوح الرغبة الشرّيرة لدى عبيد الله بن زياد بالمضي في الانتقام إلى آخر ما يمكن تصوره من إجراءات، خصوصاً إذا عرفنا أنّ شخصية عمر بن سعد ذليلة مهتزّة، أُشبعت بحب المنصب بأيّ ثمنٍ كان، فلا بدّ أنّه تلقّى أمراً من جهة عُليا، وهو الكتاب الذي وجَّهه عبيد الله بن زياد إليه مع شمر بن ذي الجوشن، والذي جاء فيه: «**فازحف إليهم** [أي: للحسين عليه السلام وأصحابه] **حتى تقتلهم، وتمثّل بهم؛ فإنّهم لذلك مستحقون، فإن قُتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره؛ فإنه عاقٌّ مشاق، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضر بعد الموت شيئاً، ولكن عليَّ قول: لو قد قتلته فعلت به هذا...**»[1].

وهذا الإجراء إنما أَمر به ابن زياد تنفيذاً لأوامر صدرت من مراتب عُليا، أي: من قِبل يزيد، لم تصل إلينا صورته، خصوصاً إذا علمنا بأنّ الكلمات التي جرت على لسان عبيد الله هي مشابهة لكلمات يزيد في بعض ما صدر منه تجاه الحسين عليه السلام.

٢ـ إنّ قطع رؤوس القتلى من المسلمين كان في ذلك الحين أُسلوباً جديداً تماماً لم يُعهد في الثقافة الإسلامية، ولم يُمارس قبل واقعة كربلاء إلّا من قِبل والي معاوية بن أبي سفيان على الموصل حين قطع رأس عمر بن الحمق الخزاعي كما تقدم، ولم يُشتهر أمره، ومما يُشعر بحداثة هذا العنصر في الثقافة الإسلامية ما نقله الطبري عن زِرّ بن حُبيش قال: «**أوّل رأس رُفع على خشبة رأس الحسين (رضي الله عنه وصلى الله على روحه)**»[2]. وهذا يكشف عن سياسة أُموية مدروسة لإخماد أنفاس المعارضين.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٥، ص٤١٥. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٨.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٥، ص٣٩٤.

٣ـ إنّ حمل الرؤوس من بلد إلى بلد والطواف بها في المدن وخاصة الكوفة جزء من هذه الخطة العامة، ولتبديد إمكانات الثورة وتحطيم المناعة النفسية لدى المعارضة، وإفهامها بأنّ الثورة قد تمَّ القضاء عليها، ولقطع الطريق على الشائعات بالأدلّة الماديّة الملموسة، وهي رؤوس الثائرين وفي مقدمتها رأس الحسين عليه السلام.

إنّ الذي يشلُّ القدرة الثورية ويسبب الهزيمة النفسية لدى الجماهير هو أن ترى زعماءها وقادتها قد قُتلوا، وتمَّ رفع الدليل المادي على قتلهم، وهو رؤوسهم على أطراف الرماح.

ثالثاً: تقليد بني أُمية للروم في هذا الفعل الشنيع

لعلّ بني أُمية اقتبسوا قطع الرؤوس من الأُمم الأجنبية، وخاصّة الروم؛ إذ تم تقليدهم في كثير من الأُمور حتى قلّدوهم في طريقة حياتهم.

رابعاً: توارث هذا الفعل من الجاهلية الأُولى

أو ربّما توارث الأُمويون هذا الأُسلوب قطع الرؤوس من أسلافهم في الجاهلية ومطلع الإسلام، والذي يؤكد ذلك ما تقدم في المبحث الرابع (البيت الأُموي والمُثلة).

خامساً: القيام بهذا الفعل تشفّياً

إنّ قطع الرؤوس قد يكون لأجل التشفّي من المقتول، وقد كان لبني أُمية الباع الطويل في ذلك؛ إذ مرَّ علينا آنفاً كيف أنّ هندَ بني أُمية تشفّت من حمزة (رضوان الله عليه).

سادساً: الخوف من إقامة المراقد على تلك الأجساد الطاهرة

إنّ قطع الرؤوس والأعضاء والتمثيل بالجثث وتوزيعها أشلاء إنّما هو للمنع عن دفنها في مكان واحد؛ خوفاً من تحوّل تلك البقعة التي دُفن فيها الشهيد الثائر إلى بؤرة ثورة تؤلّب النّاس على القاتل، ومن هنا أوصى الإمام علي عليه السلام إلى الحسن عليه السلام بأن

يُعفي قبره بعد دفنه؛ خوفاً من نبشه وتقطيع أوصاله، وهو ما فعلوه مع زيد الشهيد الثائر، حيث حفروا قبره وقد دُفن أسفل النهر ونبشوه وصلبوه أياماً، ثم أحرقوه هو وجذعه المنصوب عليه[1].

فالقبر الذي يضمّ جسد الشهيد يصبح مشعلاً وهّاجاً لبعث الأمل في قلوب النّاس، للأخذ بالثأر، وإقامة الثورة ضد الظلم والظالمين؛ لذا لم يدّخر المتوكّل العباسي وسعاً في القضاء على قبر الحسين عليه السلام[2].

سابعاً: دناءة النفوس والخسة التي يحملها الأُمويين وأتباعهم

إنّ سبب انتهاك الأجساد من قِبل الأُمويين دليل على دناءة النفوس وخسّتها، والانحطاط الأخلاقي والاجتماعي الذي كان يعيشونه، وإلّا فإن الشريف عندما يتمكن من خصمه يكتفي بقتله خصوصاً إذا كان محقاً، وقد تقدّم موقف عليّ بن أبي طالب عليه السلام من عمرو بن عبد ودّ؛ إذ اكتفى بقتله.

قال الشيخ محمد حسن المظفّر بعد أن استعرض بعض فجائع بني أُمية ـ: «**وبتلك الحوادث بانَ للعالم ما كان عليه أهل البيت من الدين والجهاد في إحياء الشريعة، وما كان عليه أعداؤهم من الدنيا والحرب للدين، واتّضحت نوايا الفريقين، وبانت أقصى غاياتهم من أعمالهم هاتيك، وإلّا فأيّ ذنب للطفل الرضيع وقد جفَّ لبنه وذبلت شفتاه عطشاً أن يُقتل على صدر أبيه، حتى يتركه السهم يرفرف كالطير المذبوح**»[3].

ثامناً: القيام بقطع الرؤوس لأثبات النصر والغلبة

لعل أحد أسباب الإقدام على هذه الأفاعيل البشعة هو لأجل إثبات انتصار

(١) المفيد، محمد بن محمد، المسائل الجارودية: ص٣. الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج٨، ص٢٢. البغدادي، محمد بن حبيب، المحبّر: ص٤٨٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٧، ص٣٦٥ (أحداث سنة٢٣٦). ابن شهر آشوب، محمد ابن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٥٣.

(٣) المظفّر، محمد حسن، الإمام الصادق عليه السلام: ص٣٧.

المعسكر الأُموي الموهوم على معسكر الحسين عليه السلام؛ فاعتقدوا أن القيام بقطع الرؤوس ورفعها على عالي السنان علامة لهذا النصر[1].

تاسعاً: الاعتقاد بأن قطع الرؤوس يعيد هيبة السلطان الذي أُريد تغييره

أراد يزيد استعادة هيبة حكمه فأمر بحمل رأس الحسين عليه السلام والتطواف به في دمشق، وأمامه قارئ يقرأ سورة الكهف حتى بلغ قوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾[2]، وكان المنهال الطائي الكوفي حاضراً قال: فأنطق الله الرأس فقال بلسان ذلق ذرب: أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي[3].

العدد الحادي عشر ـ السنة الثالثة ـ ١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥ م

(١) يعقوب، أحمد حسين، كربلاء الثورة والمأساة: ص٣٨.

(٢) الكهف: آية٩.

(٣) أُنظر: الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح: ج٢، ص٥٧٧. السيوطي، محمد بن سابق، الخصائص الصغرى: ج٢، ص١٢٧.

تغييب القيم وانتهاكها
في سياسات الحُكم الأُموي

د. السيّد خالد سيساوي*

مقدمة

لا عجب أن تتجاوز النهضة الحسينية المباركة حدود التاريخ وصفحاته؛ لأنّ مشروعها الأساس هو إعادة القيم وإحياؤها بعد أن غيّبتها اليد الأُموية. وعليه؛ يكون إحياؤنا لعاشوراء هو إحياء لتلك القيم في نفوسنا.

وبعبارة أُخرى: ليس جمال كربلاء في تعليمنا (أن نحيى)، إنّما جمالها في (كيف نحيى)، وهنا تتحوّل قيم الحرّية والكرامة والعدالة إلى قيمة واحدة هي (التضحية والشهادة)، تهون عندها النفس والنفيس، وتتحرّر فيها الروح الإنسانية؛ لتترك ذلك الجسد المبضّع شاهداً على مشروع (تغييب القيم).

وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «**وإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1].

نعم، إنّ ما يمكن جعل هذه النهضة خالدة باعتبار كونها مدرسة للثائرين على الظلم بشتّى مستوياته، رغم كل المحاولات التي تُحاك لتغييب أهدافها، بدءاً بمظاهر الإجرام التكفيري إلى مهازل الإعلام المأجور الذي خنقته قيم كربلاء؛ لأنّها وببساطة

---

* دكتوراه في العرفان الإسلامي، أُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من الجزائر.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص١٩٢.

قيم الواقع والفطرة التي تأبى أن يغطّيها مؤتمر يقام هنا أو هناك، أو لقاء مع شخصيات سمحت لها قيم عاشوراء نفسها أن تُعبّر عن رأيها؛ لكنّها أبت إلّا التبعية والخذلان.

تأصيل مفهوم القيم

إنّ كلمة (القيمة) لها حضور في المجال التداولي اللّغوي؛ كما أنّ مشتقاتها قد استُعمِلَت في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1]؛ حيث يشير المعنى إلى مفهوم الاستقامة. وكذلك قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾[2]، أي: له القيومية على تقويم الاعوجاج عبر آلية شرعية، ألَا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(القيمة): كلمة مشتقّة من (ق. و. م)؛ بمعنى: ما يقوم مقام الشيء. وقد استُخدِمَ لُغويّاً لإفادة معانٍ متعددة من قبيل:

- **قيمة الشيء وثمنه**؛ تقول: تقاوموه فيما بينهم[3]، وما له قيمة: إذا لم يَدُمْ على شيء[4]. وهي ما يكون به الشيء ذا ثمن أو فائدة.
- **الثبات والدوام والاستمرار**: فكل مَن ثبت على شيء فهو قائم عليه[5].
- **العدل والاستقامة**: أي: الاعتدال، فيقال: استقام له الأمر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[6]، أي: في التوجّه إليه دون غيره. وقام الأمر واستقام: اعتدل واستوى، وقد تأخذ القيم أحياناً هذا المعنى للاستقامة. ويُقال: قَوَّمْتُه: عدَّلته، فهو قَويم ومستقيم. فيكون القَوَام هو العدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[7] [8].

---

(١) الروم: آية ٣٠.

(٢) الأنعام: آية ١٦١.

(٣) أُنظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب: الجوهري، إسماعيل، الصحاح في اللغة، مادّة (قوم).

(٤) الفيروز آبادي، محب الدين، القاموس المحيط، مادة (قوم).

(٥) أُنظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب: الجوهري، إسماعيل، الصحاح في اللغة، مادّة (قوم).

(٦) فصلت: آية ٦.

(٧) الفرقان: آية ٦٧.

(٨) أُنظر: الزبيدي، محب الدين، تاج العروس: ج١٧، ص٥٩٤.

● **المحافظة والإصلاح**، كقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[2]، أي: ملازماً ومحافظاً.

المفهوم الاصطلاحي

قد يكتنف مفهوم القيم بمعناه الابستمولوجي هالة من الإبهامات التي تحول دون إيجاد معنى توافقي لدى المدارس المختلفة، لكنّه بلحاظ معناه الأنطولوجي فهو بديهي بداهة مفهوم الوجود؛ لأنّه يحكي تلك المنظومة القيمية التي تفرزها ثلاثية العلاقة بين كينونات ثلاث هي: الله، الإنسان، المجتمع.

إنّ (القيمة) بإيجاز هي: الوجود من حيث كونه مرغوباً فيه، وهي ذاتية للأشياء ومستساغة للنفس الإنسانية؛ لذا تكون موضع تجليل الفرد والمجتمع. أمّا من الناحية السلوكية فهي عبارة عن: أحكام فردية تدور مدار استحسان الأشياء أو استهجانها، يكون الحاكم على إصدارها إمّا خلفيات دينية، أو اجتماعية، أو مرجعيات أُخرى.

وبعبارة أُخرى: إنّ مفهوم القيم يحكي تلك المعايير الحاكمة على المنظومة الدينية بما فيها النظام الأخلاقي والاجتماعي وكذا النسق الثقافي والسياسي، وللعقل الانفراد بإدراك حسنها بنحو الموجبة الجزئية في مقام الثبوت.

نعم، يؤازره الشرعُ في المجال الديني في مقام الإثبات. وبلحاظ ما تنطوي عليه القيمة من فعلية يمكننا القول: إنّها حافز للأفراد من أجل تشخيص الأفضل من بين المفضولات. أمّا وفقاً للمنظور الاجتماعي فالقيم تساهم في ترقية الحسّ الاجتماعي عند الفرد، وتمدّه بالتصوّر العام لما فيه خير وصلاح مجتمعه.

تمثّل القيم (المرجعية الثقافية) للأُمم ملاك التمايز بين المجتمعات المختلفة؛ حيث تتصاغر المنظومة القيمية في بعض المجتمعات، بينما تتضافر في بعضها الآخر. لكن من

(١) النساء: آية ٣٤.

(٢) آل عمران: آية ٧٥.

الطبيعـي أن تظـل هناك دائرة تقاطع تلتقي فيها كل الأُمم؛ ألَا وهي دائرة قيم الفطرة التـي فُطِـرَ عليها النوع الإنسـاني، والتي تحمـل الحيثية التكوينية، مـن قبيل: الكرامة الذاتيـة، حرمة الإنسـان، الحرية، وغـير ذلك. أمّا القيم المتولِّـدة عن نفس الاجتماع، فهي وليدة الشراكة في المعطى العقدي والتشريعي؛ أو الحقوقي والمعرفي وغيرها.

يرادف هذه الكلمة في اللّغة الإنجليزية كلمة)ETHIQUES(التي تدلّ على مجموعة قواعد السلوك، كما نجد ما يعادلها في اللغة الفرنسية كلمة)VALEURS(الدّالة عن ما يُعتبَر حقّاً وجميلاً وخيراً طبقاً لمعايير شخصية أو اجتماعية، ويكون مرجعاً لمبدأ خلقي، وعليه؛ يكون أقرب المعاني للأصل اللُّغوي المذكور أعلاه هو الاستقامة والثبات والاستمرار على الشيء. كما يحيل على مكانة الإنسان التي يتبوّأها بين النّاس، وشأنه في المجتمع من خلال ثباته واستمراره.

ومن جهة أُخرى، فقد خصَّصت الفلسفة مبحثاً للقيم سمّته بـ(الأكسيولوجيا)[1] إلى جانـب مبحث الوجود، ومبحث المعرفة، وناقشـت طبيعـة تلك المنظومة القيمية من حيث حكايتها عن الواقع أو لا، فإن كانت حاكية عن الواقع فستكون حينئذ قيم ذاتية واقعية، وإلّا فهي نسبية تتغيَّر باعتبار المعتبِر.

وتنطوي (المنظومة القيمية) على ثلاثة مستويات رئيسية:

أ ـ المسـتوى المعـرفي: يعتمـد هذا المسـتوى على عنـصر (الاختيار) الـذي زُوِّدت بـه النفس الإنسـانية ليبتدئ مسـيرة التعرّف عـلى (القيم)، من حركـة معرفية للظفر بمصاديقها، ثمّ النظر في كل منها على حدة، وصولاً إلى اختيار أفضلها.

ب ـ المسـتوى الوجـداني: يتمحـور هذا المسـتوى حـول عنصر (التجليـل) الذي

(١) الأكسيولوجيا بالإنجليزية)Axiology(؛ كلمة يونانية مركَّبة: من)Axia(بمعنى قيمة، و)Logos(بمعنى علم؛ فيكون معنى المركب منهما هو (علم القيم)، وهو مبحث فلسفي مستقل يدرس طبيعة القيم وتصنيفاتها ومعاييرها، حيث يمثّل محوراً أساساً من المحاور التي تتناولها الفلسفة بالبحث، وهي: مبحث الوجود والمعرفة والقيم.

تعكسه حالة التعلّق الوجداني بالقيمة، الذي يتجلّى عادة في حالة الغبطة الباطنية والرغبة في نقلها للآخرين.

ج ـ المستوى السلوكي: يشير هذا المستوى إلى الممارسة العملية التي تنسجم مع القيمة المرجّحة؛ حيث يتجلّى في الترجمة العملية للقيمة، ثمّ قولبة تلك الممارسات العملية بما ينسجم مع القيمة المنتقاة.

جدلية العلاقة بين القيم والدين

تتولَّد منظومة القيم في المجتمع الإسلامي تحت مظلّة الدين الذي يمثّل منبعها الأساس، بل تتراتب أيضاً بلحاظ الشدّة والضعف من خلال المنظومة الدينية نفسها التي ترشّح أُيّها أصيل وأُيّها متفرِّع عنه. إذ لا شكّ في أنّ الرسول الأكرمﷺ قد بُعِثَ ليُتمِّم هذه المنظومة القيمية ويرفعها من مقام المكرمة ـ أي: السلوكيات المقبولة لدى العقلاء والممضاة من قِبل العقل الجمعي ـ إلى المقبولية والإمضاء الإلهي وهو مقام التمامية. وهذا ما يجعل المنظومة القيمية في الدين الإسلامي تنطوي على أبعاد تفتقدها الأنماط القيمية الأُخرى، نذكر منها لا على سبيل الحصر:

- **البُعد التوحيدي**: وهو بُعد يشير إلى (قيمة التوحيد المطلقة) التي تترشَّح عنها باقي القيم؛ بل إنّ كل قيمة تتعارض معها تكون خارجة تخصّصاً عن المنظومة القيمية الإسلامية.

- **بُعد الثبات والاستمرارية**: قد يلتبس على الكثير ما نقصده من الثبات هنا؛ فقد يُفسِّره البعض بالجمود، وهو تفسير سلبي تبنّته الحركة التنويرية الحديثة. بينما المراد منه هنا هو الدوران حول محور ثابت وهو (التوحيد)، وكل قيمة تكتسب مصداقيّتها عند قربها من هذا الأصل الثابت. وما دام هذا الأصل حاكم على الصيرورة الزمانية، فإنّ القيم التي تدور حوله سيكون لها نفس الوصف؛ أي: إنّها صالحة لكل زمان ومكان.

● **بُعد التعميم**: ونعني به تجلّي القيم وشمولها لكل مفاصل الحياة الفردية والاجتماعية؛ بدءاً من علاقة الإنسان بربّه وبنفسه؛ وصولاً إلى علاقته بالكون.

● **بُعد الواقعية**: القيم التي نادى بها الإسلام ليست قِيَماً مصطنَّعة مثالية، إنّما هي قِيَم تلمس الواقع الوجودي والموضوعي. نعم، هي واقعيات مثالية؛ بمعنى أنّها ترقى بالإنسان إلى أرفع درجات التكامل الوجودي.

القيم بين المثالية والواقعية

إنّ عنوان (القيم) يحمل بين ثناياه كمّاً هائلاً من المصاديق، تتقاطع تارة وتتزاحم أُخرى، وملاكها في ذلك يدور مدار المصالح والمفاسد؛ ومن هنا يمكننا درك مفهوم التقاطع الذي يقضي ببقاء المصداق القيمي على طبيعته لانتفاء المزاحم، بخلاف مفهوم التزاحم الذي يحمل معه معنى الإرباك في تحديد المصلحة الواقعية؛ وبالتالي فهو يستدعي ترجيح مصداق على آخر في مقام الإثبات؛ فالعدل مثلاً هو قيمة إنسانية راسخة تدعو في مقام الإثبات إلى مدافعة الظلم، لكن يجدر بنا الالتفات بأنّ الإرباك المذكور لا يُلغي الإدراك القبلي لمصاديق تلك القيم في مقام الثبوت.

وكيفما كان، فإنّ الوجه الشاخص للقيم النبيلة التي نادى بها الدين الإسلامي هي انطواؤها على مصالح أكيدة ترتبط بالواقع ارتباطاً وثيقاً. وعليه؛ يكون خرق تلك القيم من خلال غيابها أو تغييبها هو إبطال لمصلحتها الواقعية في زمان ومكان معيَّن، لكنّه لا يعني أبداً الخرق للنظام القيمي التكويني الذي يستمدّ قدسيته من الكينونة الفطرية؛ لذا كانت محاولات الإصلاح وترسيخ مبدأ العود لتلك القيم الفطرية والواقعية حقّاً مشروعاً؛ بل ملاكاً للتمييز بين ما هو تكويني وما هو تقنيني.

ما أردنا قوله: إنّه من الخطأ التنظير لمنظومة قيمية وصفية تتبدّل مصاديقها بتبدّل المصالح الفردية والاجتماعية؛ لأنّ المنظومة القيمة التي نادى بها الدين الإسلامي هي

منظومة تكوينية إنشـائية، يتجلّى فيها ما هـو بالفعل، أي: ما هو كائن بما هو حاكٍ عمّا هـو بالفعل، أي: ما ينبغي أن يكـون، والعكس صحيح. وما يتردّد من أنّ القيم التي نـادى بها الدين الإسـلامي هي قيم مثالية لا يمكن تجسـيدها واقعـاً، إنّما هو مغالطة يـرام من خلالها إضفاء المشروعية عـلى مشروع (عولمة القيم)[1]. وكمشروعٍ معاكس يمكننا الإشارة هنا إلى مدى أهميّة تفعيل القيم الإسلامية على جميع مستويات الحياة، خصوصـاً ما نراه من شـحّة على الصعيـد الفقهي الذي اقتصر على دراسـة الأحكام دون دراسـة تجلّياتهـا العملية والواقعية بما هي أخلاقيات يُـدان بها؛ إذ كما هي أعمال جوانحية فهي جوارحية أيضاً تخاطب الوجدان وترتقي به في سُلَّم تراتبي إلى الكمال.

مفهوم غياب القيم وتغييبها

غياب: مصـدر غَابَ؛ ويعني: عدم الحضورِ والتخلّف. أمّا تغييب: مصدر غَيَّبَ كقولك: تغييب الميِّتِ في القبرِ: مُوَارَاتُه، دَفْنُه. وتغييب الحقيقةِ: إِخفَاؤُها[2].

وعليه؛ يكون المعنى اللُّغوي للعنوان الذي اخترناه لهذه المقالة مشـعراً بمحتواها في الجملة؛ إذ بتطبيق المعنى اللُّغوي لكلمة (غياب) و(تغييب) يكون المعنى الإضافي (غيـاب القيـم) مشـيراً إلى عدم حضورهـا، كـما أنّ (تغييبها) يعنى: دفنها وطمسـها وقبرهـا. وهذا فعلاً مـا عمل عليه الحكم الأُموي من خلال سياسـة تغييب مرجعية تلـك القيـم التي يمثّلها أئمّة أهل البيت عليهم السلام. لكـن نقولها بفم ملآن: بدلاً من قبرهم لتلـك القيـم العُليا قـد قُبِرَت سياسـتهم في واقعة كربـلاء العظيمة، والتـي ما زالت تُدوّي في الوجدان الإنساني، وتقف وراء كل مشروعٍ للإصلاح.

(١) المعنى المطروح لهذا المصطلح اليوم؛ وإن حاول أصحابه إخفاءه هو النظر إلى القيم بلحاظ (آيديولوجيا المصلحة) التي قننتها دول الاستكبار العالمي؛ فكل ما يخدم المصلحة (قيّم) وإن خالف الدين؛ والفطرة الإنسانية.

(٢) أُنظر: قاموس المعاني على موقع: www.almaany.com.

المسوّغ السوسيولوجي لغياب القيم

يؤكّد التعريف السوسيولوجي للقيم في الغرب على خَوصصة القيم[1]؛ بمعنى: أنّ لكل مجتمع تسطير مُثله العُليا وفق المعايير التي تخدم مصلحة أفراده. وهو تعريف يقرّ بنسبية القيم وانفعالها بالمحددات والشروط التاريخية التي تستدعي تغيّرها بتغير المجتمعات والأجيال، كما أنه تعريف يناقض نفسه إذا ما قارناه بحالة المدافعة التي تلاقيها عملية التغيير للنظام القيمي المفتعل داخل المجتمعات، والدّالة على اعتقاد القائمين بها بثبات القيم لا نسبيّتها[2].

إنّ تجلّي هذه النظرة، تشير إليه حالة التناقض الصارخ بين الظاهرة الأخلاقية وظاهرة السلطة المختزنة في معطيات الفكر السياسي الغربي، الذي يرى أنّ أهمّ النواميس هو تحوّل السلطة السياسية إلى سيف على رقاب الناس. وهذا ما اعتمده الأُمويون في إدارة الخلافة المغتصَبة؛ مقننين من خلاله أساليب حكم الرعية، وسياسة تغييب القيم العليا التي تدارسوها جيلاً بعد جيل في مدرسة الدهاء التي أسّسها معاوية بن أبي سفيان (القروينائي)[3]. حيث نظّر هذا الأخير لفرية العقد الاجتماعي التي تتبنّاها المقاربات غير الدينية، ومارسها عملياً من خلال التفكيك الجغرافي بين مكّة والمدينة، وعزل أهلها عن الاحتكاك بغيرهم بحجّة حتّى لا تتخلَّقوا بأخلاقهم. ومن ثمّ إضفاء المشروعية على منظومة القيم الأُموية لعدم مدافعتها من قِبل منظومات

---

(١) الخوصصة لغةً بمعنى: نقل الملكية العامّة للملكية الخاصّة؛ واستخدامها في بحثنا نعني به تضييق دائرة القيم الفطرية إلى ما أقرّه العقد الاجتماعي.

(٢) للاطّلاع على أهم الآراء في هذا الباب يُراجَع كتاب سوسيولوجيا الثقافة: د. عبد الغني عماد، المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة: ص١٤١ـ١٤٠.

(٣) نسبة إلى المذهب القروينائي الذي أسّسه ارستبوس (٤٣٥ـ٣٦٠ق.م) اليوناني في قورينا، ودعا من خلاله إلى السير وراء الشهوات والملذّات، والانصياع إلى الطبيعة البهيمية، وعدم رعاية المثالية القيمية على مستوى الفرد أو الجماعة؛ كما دعا إلى طمس عنصر الإرادة. لمزيد من التفصيل اُنظر: الطويل، توفيق، فلسفة الأخلاق.

أُخرى، والحال أنّ مفهوم القيم يُمثِّل تلك الحقائق التي تنصهر فيها مصاديقها كافّة؛ بغضّ النظر عن تجلّياتها الدينية أو السياسية أو الاجتماعية.

اختلاق القيم.. بضاعة أُموية وهابية بامتياز

انتهجت السلطة الأُموية وبتبعها الحركات التطرفية سياسة الخداع وتزييف الحقائق؛ كي تصوّر المناهض لها على أنّه جاء ليزعزع مسلَّمات الأُمّة، ويعبث بتراثها القيمي، ويخلخل النظام الاجتماعي. فأبدعت أُسطورة المستبدّ العادل!! ملتمسة في ذلك المراوغة العملية التي كان يمارسها بنو أُميّة أمام الرعية لامتصاص الغضب العام؛ كما مارسها هارون (الرشيد) حتى أثنت عليه صفحات التاريخ المزيَّف، متناسية بطشه الأعمى بآل أبي طالب إلى درجة دفنه الموالين لآل البيت عليهم السلام أحياءً في أعمدة قصره. بل إنّ الكثير صار يُثني ويمدح الحجّاج السفّاح بداعي تنقيط القرآن، متغافلاً عن أنّ سجونه كانت تضمّ آلافاً مؤلفة من الأبرياء والمظلومين، كما تناقلته المصادر التاريخية[1].

والعجيب أنّ الأُمّة الإسلامية استساغت ذلك؛ لأنّها وببساطة قد تبنّت منظومة انتحرت فيها قيمة العدالة والحرية؛ منظومة قد وضع صرحها الأسلاف، وشرعنها فقهاؤهم ومفتوهم من خلال الحكم (بعدم جواز الخروج على الحاكم وإن جار أو ظلم). وأعجب منه أنّ نفس الحكم المذكور يتغافل عنه (أحمد بن حنبل) حينما يُشرعن الحركة التي قادها معاوية ضد الإمام علي عليه السلام في إطار ما يُسمّى (الاجتهاد المأجور)، بل لا يجد حرجاً في تقلّد وسام الاستحقاق في الدفاع عن جرائم الحُكم الأُموي، ما دامت قيمة الصلاح التي قنّنها ذلك المشروع الأُموي تُثمَّن من خلال (قيمة الرصيد الروائي المكذوب)، والمؤيِّد للإرهاب الأُموي والعبّاسي؛ وهذا ما

(١) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٢، ص١٨٤. وأيضاً: الذهبي، تاريخ الإسلام: ج٦، ص٣٢٣.

جعـل ذلـك الفقيه الزاهـد أثرى حفّاظ الحديـث حينما حفظ ألف ألـف حديث ممّن رواها أسلافه!!

وفي زماننـا هذا قد انبرى أتباعه من الفكـر الوهابي التكفيري للدفاع عن مشروع خـرق المنظومـة القيمية للدين الإسـلامي، وإحـداث إرباك فيها من خلال أُسـلوبه العملي في إرجاع وإرسـاء القيم المغيَّبة على حدّ تعبيره متغافلاً أنّ أربابه المنظِّرين لهذا الفكـر هم مَن يرجـع إليهم شرف خـرق النواميس القيمية والأخلاقية، ملتمسـاً في ذلـك المدد من حلول واهيـة، من قبيل: وجوب العود إلى السـياق التاريخي والمكاني لعصر السـلف، وقراءة ذلك العصر قراءة تقليدية صرفـة لا قراءة موضوعية واعية؛ مدّعيـاً أنّ ذلـك العصر هو المنبـع الأوّل للقيـم. في حين أنّ هذه الدعـوى يلزم منها محذوران:

الأوّل: إنّ هـذا الحـل هو صرف ادّعاء، بل إنّ القـراءة التحقيقية التاريخية ـ والتي جاء نزر منها في تنظيراتهم ومؤلفاتهم سهواً منهم أو غشاوة ـ تناقضه.

والثـاني: إنّ النـص الديني المتجلّي في القرآن والسـنّة طبقاً لمفهـوم (المعاصرة) هو نـص متفاعل مـع الواقع، غير خاضع للقولبة (الزمكانية)، أي: إنّ القدسـية المكانية والزمانية هي كاشفة عن النظم القيمي بنحو الطريقية لا الموضوعية.

إنّ هذا الطرح الهجين من قِبل الفكر الوهابي قد جعل المتبنّين له يتمرّدون عن كل ما يظنّون مخالفته لعصر السلف، ويبادلونه ردود فعل قاسية؛ ردود أقلّ ما يقال عنها: إنّهـا خرق للنواميـس التكوينية التي أُسِّـس على ضوئها النظام القيمي في الإسـلام، متمثِّلـة في أبشـع صـور الجرائـم التي عرفتهـا الإنسـانية. وبدلاً من أن تكشـف عن الوجـه التكويني الربّاني للقيم، قد عملت وتعمل عـلى تدمير هذه المنظومة الفطرية؛ مـن خلال تغييبهـا التدريجي لمفرداتها، ومن ثمّ استسـاغة واستسـهال إبادة الحاملين للوائها، وعلى رأسهم حامل لواء القيم الإنسانية على مرّ التاريخ الإمام الحسين عليه السلام.

القيم بين آليات التغييب وآليات الترسيخ

لم يُخفِ الحكم الأُموي نزعته العدائية من رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، بل سعى إلى جعلها دين يُدان به، وسياسة تُوطِّد عرش سلطانه؛ فراح يتفنّن في تقنيات تغييب القيم التي طالما نادى بها الدين المحمديّ. ومن جملة ما قام به ذلك الحكم لا على سبيل الحصر:

أ. التحريف العقدي

لقد وجد الحكم الأُموي في العقيدة الجبرية ضالّته التي يبحث عنها ليسوس المسلمين، دون أن يُسجَّل عليه أيّ اعتراض؛ إذ تقتضي تعاليم تلك العقيدة أنّ كل ما يجري على العباد هو تقدير من الله تعالى. وعليه؛ يكون تنصيب الحاكم وحاكميّته مقدّراً من الله. وهذا ما فسح له المجال ليفتري على الله ورسوله من خلال شراء ذمم فقهاء عصره مقابل ما يضعونه من أحاديث مفتراة، من قبيل: المروي كذباً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**اللهمّ، علِّم معاوية الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب**»[1]؛ ممّا دعا ابن تيمية أن يستميت في تقويته، لكنّه لم يُفلِح[2]. وكذلك ما رواه البعض من القول: «**إنّ مَن قام بالخلافة ثلاثة أيّام لم يدخل النار**»[3]؛ وهذا ما سوّغ لهشام بن عبد الملك القول حين وليَ الخلافة: «**الحمد لله الذي أنقذني من النّار بهذا المقام**». وأحضر يزيد بن عبد الملك أربعين شيخاً شهدوا له أنّه ما على الخلفاء حساب وعقاب[4]. وكذلك فقد سوّغ لزياد بن أبيه حينما خطب في أهل البصرة قائلاً: «**أُيّها النّاس، إنّا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي**

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند ابن حنبل: ج٤، ص١٢٧.
(٢) أُنظر: ابن تيمية، أحمد، منهاج السنّة النبويّة: ج٦، ص٢٣٥.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٧، ص٢١٣.
(٤) حسين عطوان، الفِرَق الإسلاميّة في بلاد الشام في العصر الأُموي: ص٧٦. وأوردَه ابنُ عساكر والبلاذري.

خوَّلنا»[1]؛ فظاهر كلامه تفويض ينتهي بالضرورة إلى الجبر.

وكيفما كان، فإنّ الغرض الأساس من تفعيل هذه الآلية هو تكريس آيديولوجية الجبر في الحكم؛ طلباً للشرعية، وشلّ الحركات المناهضة له في ضربة استباقية تُغيَّب فيها قيم الأُمّة الإسلامية.

ب ـ الابتداع في الشريعة

لقد سعى الحكم الأُموي إلى شرعنة دين جديد من خلال آلية (الابتداع) التي تقضي بإدخال ما هو أجنبي عن الأحكام الإسلامية، فضلاً عن الممارسات العملية. وهذا ما بيّنه الإمام الحسين عليه السلام في رسالته إلى زعماء الكوفة التي قال فيها: «**وإنّما أدعوكم إلى كتاب الله، وسُنّة نبيّه؛ فإنّ السُّنّة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت**»[2]. ومن خطابه عليه السلام لجيش الحرّ: «...**ألَا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطَّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرَّموا حلاله**»[3].

وهنا نقف إجلالاً لهذا الخطاب الحسيني، مستلهمين منه آليات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم تكن القضيّة عند الإمام الحسين عليه السلام تتعلّق بشخصٍ أو أشخاص؛ بقدر ما هي نهضة مقابل آيديولوجية أراد لها الأُمويون أن تحلّ محلّ قيم السماء، وهو نفس الخطاب الذي علا في رمضاء كربلاء، وهزّ كيان الحرّ بن يزيد الرياحي، وحرّر روحه الطاهرة لتتعلّق بالمحلّ الأعلى.

ج ـ النيل من القدوة

استفاد معاوية من شيطنته بعد أن وقف على مدى تأثُّر المسلمين بقدواتهم في تشويه صورة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله، من خلال شراء علماء البلاط لنشر أحاديث كاذبة في

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٤٤٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٦.
(٣) المصدر السابق: ص٣٠٤.

ذلك، والتي يُلهَج بها للأسف إلى حدّ الآن، منها: المروي من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**اللهمّ، إنّما أنا بشر، فأيُّما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة**»[1]. وغيرها كثير في قاموس السلطة الأُموية.

لكن أبرز ما قنّنه معاوية تكريساً لهذه الآلية الهدّامة هو النيل من الشخصية الثانية للمسلمين وهو الإمام علي عليه السلام، فاشترى سَمُرَة بن جندب من بيت المال بأربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام ويكذب على الله ورسوله بأنّ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[2]، قد نزل في علي بن أبي طالب. بينما قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[3]، قد نزل في عبد الرحمن بن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام[4].

ولما استحكم له الأمر كتب إلى عمّاله: «**أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته**»[5]. «**فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويعقُّون فيه وفي أهل بيته**»[6].

وماذا بعد؟ هل يكتفي معاوية بهذا؟! كلا؛ لأنّ معاوية يُدرك جيداً أنّ إبعاد مصداق القدوة لا ينفي عنوانها المتأصّل في ذهنية العقل الجمعي للمجتمع الإسلامي؛ لهذا شرع في الخطوة الثانية وهي إيجاد بديل لذلك المصداق؛ فراح يقحم

---

(١) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج٨، ص٢٥.
(٢) البقرة: آية ٢٠٤ـ٢٠٥.
(٣) البقرة: آية ٢٠٧.
(٤) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٤، ص٧٣. والأميني، عبد الحسين، الغدير: ج١١، ص٣٠.
(٥) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٤.
(٦) المصدر السابق.

نفسه كقدوة للمسلمين مع أن سيرته تتنكّر لذلك!! ملتمساً المدد من ذمم النفوس التي يشتريها من بيت مال المسلمين لتهزّ كيان المسلمين أنفسهم. تلك الأيادي القذرة التي دسّت الأحاديث الكاذبة، وأثنت عليه، وامتدحته كذباً، من قبيل: المروي عن واثلة مرفوعاً أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «**الأُمناء عند الله ثلاثة: أنا، وجبرئيل، ومعاوية، وكاد أن يُبعث معاوية نبياً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربّي؛ فغفر الله لمعاوية ذنوبه، ووقاه حسابه، وعلّمه كتابه، وجعله هادياً مهدياً، وهدى به**»[1]. نعم، هكذا حاولوا عبثاً تدنيس الساحة القدسيّة لصاحب الرسالة، وكأنّ الأمانة لا يكتمل أداؤها إلّا بأمين ثالث هو معاوية!! لكن هيهات، فللإسلام المحمدي وصيّ اسمه (**الحسين**) سيحفظ بدمه الطاهر رسالة جدّه المصطفى وسيرة أبيه المرتضى، ويدكّ معاقل الحكم الأُموي.

د.سياسة (فرِّقْ تَسُدْ)

لا يخفى عن الجميع أنّ سياسة (فرِّقْ تَسُدْ) هي سياسة عُرِف بها اليهود. وحتى يُقَوِّض معاوية الحكم له ولمن يليه لم يجد حرجاً في اتّباع هذه السياسة للقضاء على الرسالة المحمدية، فراح يؤجّج نار الفتن بين القبائل؛ حتى يتسنّى له قمع أيّ حركة تعارض سلطته، وهو ما مارسه فعلاً من خلال سياسة الإرهاب بشتّى أنواعه لا سيَّما في المناطق التي صمدت أمام الآليات السابقة؛ حيث يذكر التاريخ أنّه قُتِلَ في المدينة ومكّة ثلاثون ألفاً عدا من أُحرق بالنار، «**وكان أشدَّ الناس بلاءً أهلُ الكوفة؛ لكثرة مَن بهم من محبِّي علي، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وقطع الأيدي والأرجل، وأعمى العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطرد الكثير منهم، وشرّدهم عن العراق**»[2]. وقد

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٧، ص٣٢٢. وقال الذهبي في ميزانه: ج١، ص٢٣٣ـ: «هذا كذب». وذكره ابن كثير في تاريخه: ج٨، ص١٢٠، من طريق أبي هريرة وأنس وواثلة ابن الأسقع، فقال: لا يصحّ من جميع وجوهه.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص١٧.

بلـغ إرهـاب معاوية حدّاً جعـل الرجل يفضّل أن يقال عنه: إنّـه زنديق أو كافر. ولا يقـال عنه: إنّه من شـيعة عليّ. كما يكفي شـاهداً على ذلك مـا رُوي من جرائم فظيعة ارتكبها خليفة زياد بن أبيه على الكوفة سـمرة بن جندب، حيث قتل سـبعة وأربعين رجلاً ممَّن جمعوا القرآن، وقتل ثمانية آلاف من أهل العراق[1].

هـ ـ الاستبداد السلطوي

ترتكز فلسفة الحكم في الإسلام على معرفة التركيبة الاجتماعية لأفراد المجتمع وتطلّعات الرعية على جميع الأصعدة؛ بغية تقليص المسافة بين الراعي والرعية. إذ لا شكّ في أنّ استحضار المعية الإلهية تبرز جلياً من خلال القرب المادي والمعنوي بين الحاكم والمحكوم، وتكون ملاكاً لصلاح أمرهما. وبالعكس، كلّما كبرت الهوّة بينهما دلّ ذلك على فتور استحضار تلك المعيّة التي تُكوِّن العامل الأساس في ظهور الفساد بجميع مستوياته. وهذا ما ينطبق فعلاً على الحكم الأُموي والحركات التكفيرية؛ إذ وَجَدَت في آلية (الاستبداد) سبيلاً لنخر الأبنية القيمية التي أسَّسها الإسلام، بدءاً من تكريس سياسة التخلّف، إلى استبعاد مبدأ الحرّية، ووصولاً إلى الاستعباد المادي والمعنوي للرّعية.

في حين تجلَّت التجربة السياسية الواعية للحكم الإسلامي في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؛ حيث كان الإمام تجلّياً عمليّاً للنصّ الديني، من خلال عكسه لصور القيم الإنسـانية التي جاء بها النبـي الأكرم صلى الله عليه وآله، فكانت تجربته على قصر مدّتها الزمانيـة زاخرة قيميّاً، ونبراسـاً يُسـتضاء به في التاريخ الإنسـاني. لكن بعد شـهادته وسـيلان دمـه الشريف في بيت القيم (محـراب الصلاة)، بدأ العـدّ العكسي لانطلاق سياسـة (تغييـب القيـم) التي نادى بهـا صنّاع السـلطة الأُموية البغيضـة، فكان أوّل متبني لها (معاوية بن أبي سـفيان)؛ حيث يمكننا رصد أبرز مصداق لسياسة الإقصاء وإخـراس الـرأي الآخـر مـا جرى عـلى الصحـابي الجليل حجـر بن عـدي الكندي

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٣، ص١٧٦.

وأصحابه[1] الذين تمّت تصفيتهم بحجّة رفضهم لعن حامل لواء القيم الإنسانية علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد قال فيهم رسول صلى الله عليه وآله: «**يُقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات**»[2]. وقد كان لاعتقال حِجْرٍ وسجنه ثمّ قتله تأثير كبير على المجتمع الإسلامي آنذاك، رغم سيطرة معاوية.

ومن خلال هذا التجرّؤ الشنيع على الصحابة أرّخ معاوية لحقبته الاستبدادية التي صرّح بها في مواقف عديدة بقوله: «**والله، ما ولّيتها** [أي: الخلافة] **بمحبّة علمتها منكم، ولا مسرّة بولايتي، ولكن جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، فإن لم تجدوني أقوّم مجتمعكم كله فاقبلوا منّي بعضه...**». وقال في خطابه بالنخيلة: «**والله، إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون**»[3].

وتوارث هذه العنجهية أغصان شجرة الزقوم جيلاً بعد جيل، حتى قال عبد الملك بن مروان عندما خطب في المدينة: «**ألا وإنّي لا أداوي أدواء هذه الأُمّة إلّا بالسيف؛ حتى تستقيم لي قناتكم...**»[4]. حتى قال الجصاص وغيره فيه: «**ولم يكن في العرب ولا آل مروان أظلم ولا أكفر ولا أفجر من عبد الملك، ولم يكن في عمّاله أكفر ولا أظلم ولا**

---

(١) هو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي الكندي، المعروف بحجر الخير، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله. كان قائداً عسكرياً، أمّاراً بالمعروف، من شيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، شهد معركة صفّين أميراً. وهو من أعظم قادة الفتوحات الإسلامية، وصفه الحاكم في المستدرك براهب الصحابة؛ لكثرة عبادته. قتله معاوية مع زمرة من أصحابه؛ لأنّه امتنع عن سبّ الإمام علي عليه السلام. أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج٥، ص٢٥٣. وأيضاً: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص٤٩.
واعترف معاوية بجريمته النكراء قائلاً: «ما قتلتُ أحداً إلّا وأنا أعرف فيمَ قتلتُه وما أردت به! ما خلا حجر ابن عدي؛ فإنّي لا أعرف فيمَ قتلته». أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٢، ص٢٣١.

(٢) اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٣١. المناوي، محمد، فيض القدير: ج٤، ص١٦٦.

(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين: ج٢، ص١٢٢.

(٤) الجصاص، أحمد، أحكام القرآن: ج١، ص٨٦. وأُنظر أيضاً: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٩، ص٧٨.

أفجر من الحجّاج! وكان عبد الملك أوّل مَن قطع ألسنة الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صعد المنبر فقال: إنّي والله، ما أنا بالخليفة المستضعف [يعني: عثمان]**، ولا بالخليفة المصانع** [يعني: معاوية]**، وإنّكم تأمروننا بأشياء تنسونها منه في أنفسكم، والله، لا يأمرني أحدٌ بعد مقامي هذا بتقوى الله إلّا ضربت عنقه»**[1].

إذن؛ فالآلية الأُولى التي يحدّدها الحكم الاستبدادي ويغيّب من خلالها قيمة الحرية والعدالة هي (قوّة السيف) المتفرِّع عنها الخوف والجزع والرهبة في النفوس. أمّا الثانية، فهي نفي لأصل التفاضل في المنظومة الدينية والدين الإسلامي الحنيف، ألَا وهي (التقوى). ومعلوم أنّ تغييب هذه القيمة نسفٌ لسلسلة متراتبة من القيم، من قبيل: الرحمة والمودّة، والشورى، والصفح عن المذنب، والتناصح، والتواصي بالصبر والحق.

وعلى الطرف النقيض نجد القراءة المعصومة لسياسة الحكم تتجلّى في عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر حين ولّاه مِصر؛ من خلال تأصيل التقوى وجعلها الملاك الوحيد للحكم والحاكم حتى يقول له: «**إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ، أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ**»[2].

بل إنّ الإمام يشرّح الحكم الأُموي كأفضل محلّل سياسي من خلال قوله: «**وَايْمُ اللهِ، لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي؛ كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ**

(١) الجصاص، أحمد، أحكام القرآن: ج١، ص٨٦.

(٢) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (تحقيق: محمد عبده): ج٣، ص٨٥.

فِيهَـا مَنَارُ هُـدًى وَلَا عَلَمٌ يُرَى»[1]. بل هذا الكلام تشريـح ينطبق أيضاً على كل حكم جائـر حيث تترآى معالمه جلية في عصرنا الحاضر من خلال تكريس عوامل التخلّف والجهل، والتلاعب بالعقول، وتشويه أهداف الأُمّة، ومحاربة الثقافة الرسالية، وهذا أعظم خطر على الأُمّة؛ لأنَّ الثقافة الرسالية هي الدعامة الحقيقة التي تحفظ قيم الأُمّة وتفعّلها.

ويؤكّـد الإمـام عليه السلام على أهميّـة التواصل مع الرعيـة من خلال بُعـد الرحمة، حيث يقـول: «وَأَشْـعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَـةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَـحَبَّةَ لَهُـمْ، وَاللُّطْفَ بِهِـمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْـخَلْقِ، يَفْـرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُـمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْـخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ»[2].

البُعد القيمي كما تعكسه كربلاء

قـد عكسـت لنا مرآة كربـلاء قيمة القِيَم قبـل أن تعكس لنا القِيَم نفسـها، فما سرّ تثمين القيم وجمالها يا تُرى؟

يكمـن ذلك الـسّر على الصعيد الاجتماعـي في أثر القيم اجتماعيـاً، وباعتبار ذلك الأثر تكتسـب القيمة حسـنها وجمالها؛ فالعدل مثلاً يُثمَّن من خلال حالة الاسـتقرار والأمـن السـائد في المجتمعـات، في حين أنّ الظلـم يفضي إلى حالة الـلا أمن وتردّي الاستقرار فيكون قبيحاً.

أمّا على الصعيد النفسي، فإنّ معيار حُسن القيم هو حسنها الذاتي، وإن لم يُنظَر إلى أثرها الاجتماعي.

وبعبـارة أُخرى: إنّ القيمة تكتسـب جمالها من خلال البعـد النفسي؛ وكمثال على ذلك: نجد أنّ الصدق حسنٌ وإن أضرَّ بك اجتماعياً.

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص١٨٤.

(٢) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (تحقيق: محمد عبده): ج٣، ص٨٤.

أمّا على المستوى الفطري، فإنّ قيمة القيم سيكون لها تفسير أعمق بكثير، بمعنى أنّ كل إنسان يمثّل قيمة واقعية، قيمة تشير إليها جبلّته التي خُلِقَ عليها بحيث ينزع نحو القيم التي تنبع من فطرته؛ فيكون سرّ تلك القيم وقيمتها هي بُعدها وحسنها الذاتي الذي فطره الله عليه.

لقد حاولت بعض الأقلام تشويه هذه القناعة من خلال تنظير علمي يقضي بإرجاع القيم الخلقية إلى جذور جينية في الإنسان؛ وهي نيّة مبيَّتة لنسف المرجعية القيمية، حيث ادّعوا أنّ قسر الناس على تغيير طبائعهم يؤدّي إلى خلق ازدواجية في الشخصية الإنسانية، فيظهر الفرد أمام الناس بطبع، ويُبطن طبعاً آخر.

وعليه؛ تقتضي التربية طبقاً لهذه الدعوى أن يُترك الناس على طباعهم، غاية الأمر أنّ هناك قيمة عُليا يقرّها العقد الاجتماعي تستدعي إلزام الجميع بأن لا يتعدّى أحد على آخر.

إصلاح القيم متوقّف على قيم الإصلاح

الإصلاح المجتمعي: هو مشروعُ تَحوّلٍ مقصود من طرف المصلح، ينال بُنية المجتمع وتركيبته وأنساقه. وحتى يتحقّق هذا المشروع على أرض الواقع لا بدّ من توفّر المصلح فرداً كان أم جماعة على ما يفتقده المجتمع من قيم الإصلاح.

الإصلاح في المنظومة الدينية يقابل الفساد، وتترادف معانيه تبعاً لممارسته ضمن خلقيات معيّنة من قبيل:

- **الرِّفق**، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].
- **الإحسان**، يقول تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

---

(١) الأعراف: آية ١٤٢.

(٢) هود: آية ٨٨.

● **الطاعة**، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

● **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[2].

حيث تتجلّى كلّها في النموذج الحسيني لإصلاح قيم النسيج الاجتماعي. وهنا نفتح قوساً لنقول: إنّ أهمّ المشكلات التي تعاني منها حركات التغيير في مجتمعاتنا هي عجز نُخبها عن نفوذ قيمهم إلى ذلك النسيج الاجتماعي؛ لأنّها لم تكن تعبِّر عن مكنوناتهم الذاتية. ففي عالم القيم لا معنى للوقوف عند عقلانية القيم، إنّما الأمر يتعلّق بكونها حُلَل تُلبَس حتى تصير سجايا، لا أفكاراً تُتعقّل ثمّ تتهاوى عند أوّل مدافعة. يقول ابن خلدون: «**إذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيّته، وصار مسخاً على الحقيقة**»[3].

لقد اتّسمت كثير من الثورات بعنصر استنفار مشاعر حاضنيها، وهذا ما يجانب المنظومة القيمية التي تدعو إلى التلبّس بالقيم، لا توظيفها في حشد الأصوات الغاضبة. فالقضية قضية منهج يراد له أن يكون الحاكم على قيم المجتمع الإسلامي، ويأبى سياسة المراوغة أو اللجوء إلى آليات الخصم في تأجيج مشاعر طالبيه، يقول الإمام علي عليه السلام: «**أتُريدونني أن أطلب النّصر بالجور فيما ولّيت عليه؟!**»[4]؛ فقيمة النصر في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي (**التضحية والشهادة**) من أجل رضا الله تعالى.

وهذا ما يجعل حركة الإصلاح القيمي صعبة مستصعبة؛ لأنّ الصعوبة تكمن في الثبات على الهدف الذي يُمثّل روح الانطلاقة الإصلاحية. بل إنّ هذا ما جعل ثورة الإمام الحسين عليه السلام قد سجّلت أوجّ الالتزام القيمي على أرض المعركة؛ لأنّ

(١) الأعراف: آية ٨٥.

(٢) هود: آية ١١٧.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة: ج١، ص٤٦٥.

(٤) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٨، ص١١٠.

المؤسِّس لها هو وجودٌ تُحرّكه العناية الإلهية أينما حلّ. ومن شواهد ذلك حرص الإمام الحسين عليه السلام على أن لا يقاتل معه رجل وعليه دينٌ، إلى درجة أنّه أمَرَ منادياً في ليلة العاشر من المحرم بأن ينادي بذلك؛ حتّى لا يُقال: إنّ أصحاب الحسين عليه السلام فعلوا ذلك فراراً من دائنيهم. وهو مشهد لقيم ثورة كربلاء المباركة التي قامت لإعادة تأسيس قيم الإسلام.

قيمة التأسيس والمؤسِّس

تختلف قيمة الشخص بلحاظ الثورات، فتارةً تضفي الثورة على رموزها قيمة معيَّنة، وتارةً تضفي الرموز على الثورة قيمتها؛ وهذا هو المشخَّص في ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

فصعصعة بن صوحان مثلاً كان أحد الأفراد الذين تربّوا على يدي علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان مشهوراً بالخطابة والفصاحة، فحينما أراد أن يهنِّئ الإمام عليه السلام بالخلافة قال شيئاً لم يقله المهنِّئون الآخرون: «**والله، يا أمير المؤمنين لقد زِنتَ الخلافة، وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها**»[1].

إنّ الفارق بين الناطق بالحق والمتكلِّم باسم الباطل هو مستوى القيمة الإيمانية والاجتماعية والسياسية؛ لهذا يتعيَّن أن يكون المتكلِّم باسم الحق بسعة الحق نفسه، وهذا ما نسمّيه: (قيمة التأسيس) التي أشار إليها القرآن الكريم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[2].

وهذا يعني أنّ الفكرة التأسيسية تكتسب قيمتها من قيمة المؤسِّس لها؛ بل هذا هو مفهوم الاصطفاء. وحيث إنّ المشروع الحسيني هو إحياء الحق وإزهاق الباطل؛ فإنّ الحقّ ذاته قد تجلّى في الحسين عليه السلام. والمؤسِّس يدفع ضريبة الحقّ ولا ينتظر أجراً على ذلك، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام ناطقاً بذلك حينما قال: «**نفسي مع أنفسكم، وأهلي**

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢، ص٤٤٥.
(٢) الحديد: آية ١٠.

مع أهليكم، ولكم فيَّ أُسوة»[1]؛ لذلك كانت المنظومة القيمية في كربلاء مختزنة في قيمة (التضحية والشهادة) التي أبت إلّا أن يكون المؤسِّس وعائلته وأصحابه هم الضريبة؛ ضريبة أن يُذبَح الإمام ويُحمَل رأسه على الرمح، وأن يُذبح رضيعه وأولاده وإخوته وأصحابه، وأن تُسبى حرائر بيت النبوّة.

قيمة المحبّة في مرآة كربلاء

إنّ كربلاء أبت أن تحصرها صفحات كتب التاريخ، ويكسوها تراب رفوف المكتبات، معلنة أنّها وُجِدَت لتلج الوجدان الإنساني، وتحرِّك ضمائر الأحرار والمستضعفين في كل بقعة من بقع هذا العالم نحو الارتقاء الفكري والثقافي والاجتماعي. فواقعة الطف حمل لواءها سليل البيت المحمدي، الذي سلّط الوجدان الإنساني على الطغاة المتمثِّلين في بني أُمية، والذين استباحوا دماء الناس، فما كان من الإمام الحسين عليه السلام إلّا أن يصحّح المسيرة التي أفسدها البيت الأُموي: «**وأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً، وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**»[2].

إنَّ المواقف الحسينية تجعل من المحبَّة آيديولوجية لصناعة الحاضر والمستقبل؛ فهو يُخرجها عن التجربة الذاتية الشخصية كما هي عليه عند أكثر المتصوِّفة؛ ويدفع بها إلى مجال أوسع بكثير، فيبدأ من منطلق المحبّة في نقد الواقع الاجتماعي عملياً؛ أي: إنّه لا يكتفي بالتناصح والحثّ على التكافل، بل يجسّده عملياً، بالإضافة إلى لمس المرض القلبي وتشخيصه. خلافاً لما عليه التيارات التكفيرية اليوم، والتي أبت إلّا أن

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.
(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.

تظهر (دين المحبَّة والرحمة) على أنّه (دين التكفير والذبح). ولعلَّ أبرز مواقف المُحبّ والتي من شأنها صناعة المستقبل هي (ثقافة التضحية)؛ لأنّ المُحبّ لا يُؤثِر شيئاً مهما غـلا على محبّة الله ورضاه. وهنـا لا يمكننا أن نجد مصداقاً أبرز من تضحيات الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء. يقول سيّد الشهداء عليه السلام: «**وَأَنْتَ الَّذي أَزَلْتَ الأَغْيارَ عَنْ قُلُـوبِ أَحِبّائِـكَ حَتّى لَمْ يُحِبُّوا سِـواكَ، وَلَمْ يَلْجَؤوا إِلى غَيْرِكَ**»[1]. إذ لا ريب في أنّ سـيّد الشـهداء الإمام الحسـين عليه السلام قد وقف على وحدة الشاهد والمشهود والشهادة؛ فألقى بقلبه الذي يُمثّل الحقيقة الإنسانية في محضر محبوبه.

كربلاء تُجهِض سياسة تغييب القيم

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يتلقّى أنباء غياب القيم الاجتماعية وسياسة تغييبها عبر القنوات الفضائية أو مواقع الإنترنيت.. إنّما كان يعاينها شهوداً. فحكّام بني أُميّة لم يتوانوا عن إعلان استهتارهم بتعاليم الإسلام، خصوصاً على عهد يزيد بن معاوية، وقد كانت المحطّة الأُولى لتلك السياسة هي نكث معاوية وليد الغدر السفياني للوعد، وخيانته للعهد الذي أوثقه مع الإمام الحسن عليه السلام؛ وإصداره قرار تولية يزيد خليفة على المسلمين من بعده. هذا على مستوى الخلافة.

أمّا على مستوى الإحسان إلى الرعية، فقد بادر إلى قتل أتباع أمير المؤمنين علي عليه السلام، وصلبهم على جذوع النخيل. ناهيك عن (العدل) الذي كان مستبعَداً تماماً من أجندة الخلافة الأُموية؛ إذ يشهد على ذلك بيت مال المسلمين الذي يُفترض أن يكون أمانة وعارية بيد الخليفة؛ إلّا أنّ معاوية آثر ضمّه إلى ممتلاكاته، وشَرْعَنَ حيثية التصرّف فيه من خلال فتاوى مَن نصَّبهم في بلاطه كفقهاء، وكان يُغدق عليهم من نفس بيت المال بإزاء كل فتوى تمكّنه من بسط يده على مال المسلمين، وإهداره على أتباعه وجواريه وحشمه وما شابه ذلك.

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٩٦٠ (دعاء عرفة).

لقد راقب الإمام مسيرة التهاوي القيمي طيلة عشرين عاماً من الحكم الأُموي البغيض؛ تلك المسيرة التي فعّلتها شيطنة معاوية ودهاؤه، وأعلنت عن غايتها ودركها الأسفل حماقة يزيد وجهره بالسوء من خلال قوله المعروف:

لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلكِ فلا خبرٌ جاءَ ولا وحيٌ نزل[1].

فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام ثورته على سياسة التغييب من خلال كلامه المدوّي في وجدان كلّ إنسان حرّ، قائلاً: «**والله، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبداً**»[2].

إذ يلاحظ من خلال عبارة «**لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى**». أنّ الإمام كان مُذعِناً بعدم تكافؤ القوى في هذه الثورة. مع ذلك آثر بذل مهجته ومُهَج أهل بيته وأصحابه؛ لاستحضار المنظومة القيمية للدين الإسلامي التي تُمثِّل روح الوجود الإنساني. فباتت عاشوراء الحسين مناراً لكل المستضعفين في العالم، ومرآة عاكسة للقيم التي أبى الدم الحسيني إلّا أن تكون حاضرة جيلاً بعد جيل.

وفي المقابل حمل لواء الفكر اليزيدي شرذمة الأُمّة جيلاً بعد جيل، حتى تلقّفه الفكر التكفيري الممثَّل اليوم بداعش ليُشرْعِنَ على أساسه ما يقوم به من سفكٍ وقتلٍ باسم العود إلى سيرة السلف!!

لقد كان يوم الطف نسفاً لهذه السياسة الأُموية التي حمل لواءها يزيد، ويحمل لواءها اليوم كل متهتّك مثل يزيد. فيوم الطف هو يوم انتصار الحق على الباطل، انتصار الدم على السيف، بل هو يوم استرجاع القيم الإنسانية التي غيّبها الحكم الأُموي الغاصب من خلال كشف النماذج الزائفة من المتخاذلين والساكتين عن الحق.

(١) أُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٨، ص١٨٨.
(٢) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١.

كـما حرَّك الدم الحسـيني العبيـط العاجزين عن النـصرة في زمـان الواقعة وغيره ليختزنه في وجدانه ويفجّره في وجه كل ظالم على طول الزمان. وهذا ما تجلّى فعلاً في الثورات المتعاقبة بعد فاجعة كربلاء، كما تُمثّل الثورة الجزائرية والثورة الإسـلامية في إيران وحرب تموز الغرّاء التي خرجت منها إسرائيل صاغرة ذليلة مصداقها البارز في زماننـا المعاصر. يقول عباس محمود العقاد: «**ومثل للنّاس في حُلّة من النّور، تخشـع لها الأبصار، وباء بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الإنسان غير مستثنى منهم عربي ولا أعجمي ولا قديم ولا حديث**»[1].

عقيلة بني هاشم تلاحق مشروع التغييب

لقد أشرنا إلى أنّ الحكم الأُموي قد مارس استراتيجيّته عبر مرحلتين، الأُولى: العمل على (غياب القيم)، والثانية: (تغييب القيم)؛ ممّا يقتضي نحوين من استراتيجية ردّ الفعل من قِبل الثورة الحسينية المباركة، الأُولى: (إعادة إحياء القيم) من خلال قيم الإصلاح وإصلاح القيم. والثانية: (تعميم تلك القيم) عبر القنوات الإعلامية الأمينة. وقد انبرى للمرحلة الأُولى الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، مجسِّدين ذلك من خلال إعلاء قيمة (التضحية والشهادة).

أمّا المرحلة الثانية فكانت تحتاج إلى شخصية ثانية لا تقلّ شأناً عن مفجّر تلك الثورة، إنّها عقيلة بني هاشم السيّدة زينب عليها السلام سرّ كربلاء المستور من خلال دورها البطولي، بعد أن أوضحت معالم تلك النهضة الأبدية لتأخذ طريقها إلى كل أحرار العالم. لكن ذلك لم يكن بالأمر السهل لولا أنّ القائم عليها هي وليدة البيت المحمدي؛ إذ لم يكن في ذلك الوقت (هيئة لحقوق الإنسان)، ولا (قنوات إعلامية)، ولا (أُمَمٌ متحدة)!!

قنـاة زينب عليها السلام الوحيدة كانت (كلـمات)، لكنّها كلمات تجري مجرى التاريخ دون

(١) العقّاد، محمود، أبو الشهداء (الحسين بن علي): ص١١٣.

أن تبلى، كلمات كل حرف منها يختزن ثروة من القيم، بل ثورة قيم: «**ولئن جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّواهي مُخاطبتَك، إنّي لأستصغِرُ قَدْرَكَ، وأستَعظِمُ تَقريعَكَ، وأستكبرُ تَوبيخَك، لكنّ العيونَ عَبرى، والصدور حَرّى... فكِدْ كَيْدكَ واسْعَ سَعْيَكَ وناصِبْ جُهْدَكَ، فوالله، لا تَمحو ذِكرَنا، ولا تُميتُ وَحيَنا، ولا تُدرِكُ أمَدَنا...**»[1]، تبعث روح القيم المحمدية والحسينية في نفوس المستضعفين، وترسّخ قيمة (التضحية والشهادة) في نفوس الأحرار من أبناء الأُمّة الإسلامية.

وبعبارة أُخرى: لقد طاردت المواقف الزينبية في قصر ابن زياد ويزيد، وفي الكوفة والشام مشروع تغييب القيم، ولا زالت تطارده أينما حلّ، خصوصاً في عصرنا الراهن الذي راهنت فيه الحركات التكفيرية في سوريا على تفجير مرقد العقيلة، محاولة عبثاً إخراس تلك الكلمات التي توقظ سهاد أسيادهم، لكن هيهات! فكلمات زينب قد نُقِشَت في القلوب وقُلّدت قلائد في الصدور كتب عليها: (هيهات منّا الذّلة).

خاتمة

إنّ دم الإمام الحسين عليه السلام تحت حجارة قفار كربلاء، قد قطع الطريق أمام سياسة تغييب القيم التي نادى بها المعسكر الأُموي؛ وأراد من خلالها قبر قيم الإسلام المحمدي الأصيل. وقيمة الإصلاح تكمن في التلبّس بالقيم الحسينية، تلك القيم التي كشفت لنا اليوم عن مشروع تغييبي جديد يحمل لواءه شيطان ذو رؤوس ثلاثة: (داعش، أمريكا، إسرائيل). مشروع يحاول من خلال آلة التدمير (داعش) شَرْعَنة سفك الدماء البريئة باسم الإسلام الأُموي. فماذا ترانا فاعلين؟!

هل نصمت؟ وفي صمتنا هلاكنا!! القضية قضية سِلمٍ اجتماعي وإنساني يُهدَّد من قِبَل وحوش في ثوب البشر، وحوش حملوا هوية يزيد ومعاوية.. أم نقلب صفحات التاريخ لنبحث عن نموذج غير النموذج الحسيني بحجّة أنّ كربلاء تخصّ الشيعة!!

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص٦١٧.

كي يكون محفِّزاً لنا في مواجهتنا لهذا الخطر الهدّام، وهل سنجد في التاريخ أعظم من هذا النموذج الحيّ الذي صار رمزاً للإنسانية جمعاء؟!

إنّ تكليفنا الشرعي اليوم هو إجهاض هذا المشروع الثلاثي وهذه المؤامرة الدنيئة على قيم السماء، ولستُ في أحلام اليقظة إذا قلت: إنّنا نتحسّس اليوم تناقص أنفاس الظلمة والطغاة المعلنة عن قرب نهاية الصراع؛ صراع الحق والباطل الذي سيُسفر عن زهوق راية الباطل ورفرفة راية الحق والعدل عالية في عنان السماء.

المعسكر الأُموي في كربلاء
(غياب القيم والمبادئ)

الشيخ عبد الرزاق النداوي*

مقدمة

لم يكن الصراع في كربلاء إلّا صراعاً بين القيم، صراعاً بين خطّين ومنهجين، ولكل منهما فريق يمثله، و﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وحتمية هذا الصراع تقتضي تكامل أحد الفريقين وتسافل الآخر؛ لتكون النتيجة: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[2].

المعركة التي هي سويعات من عمر الزمن ابتدأت وخُتِمَت في يوم واحد؛ أي: في العاشر من المحرّم عام (٦١هـ)، يومٌ لا يمكن لنا أن نقف على حقيقة ما جرى فيه فيما لو فُصِل عمّا قبله، كما لا يمكن فصله عن تداعياته وما أنتج وما جرى بعده. فما جرى هو صراع بين خطّ الأنبياء على طول التاريخ، وما واجههم من تصدٍّ وحسد وطغيان وظلم وقتل وتشريد يمتد بعمق الزمن، حتى يصل إلى أوّل جريمة وقعت على هذه البسيطة، حين صرع قابيل أخاه هابيل المنتخَب لوراثة آدم عليه السلام.

فالإمام الحسين عليه السلام هو رمز خطّ الأنبياء الذي تجلّت في حركته القيم التي حملها الأنبياء، فحينما نخاطبه في الزيارة: «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام**

---

* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

(١) هود: آية ٢٤.

(٢) الشورى: آية ٧.

عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد صلى الله عليه وآله حبيب الله، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين عليه السلام ولي الله»[1]. فمن الواضح جداً أنّ هذه الوراثة لم تكن وراثة دينار ولا عقار ولا سلطان، بل هي وراثة القيم التي حملها ودافع عنها هؤلاء الأنبياء؛ لأنّنا حين نطالع سيرة هؤلاء الأنبياء نجدهم في طليعة الذين حاربوا الظلم والاضطهاد، وسعوا إلى ربط البشرية بخالقها لتستنشق حرّيتها وكرامتها.

فالحسين عليه السلام ثائر انتفض من أجل التراث الذي أراد بنو أُمية حرفه عن مساره.. ثائرٌ من أجل أُمّة هُدِرَت كرامتها، وكُسِرَت إرادتها، وعقيدة مُسِخَت قيمها، وحُرِّفت أحكامها. وهذا ما صدح به عليه السلام على رؤوس الأشهاد حين يقول: «**اللّهمّ، إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنُرِيَ المعالم من دينك، ونُظهِرَ الإسلام في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمَل بفرائضك وسننك في بلادك**»[2].

إذن؛ الصراع في كربلاء هو صراع بين القيم، هذه القيم التي تجسَّدت في هؤلاء وهؤلاء كلٌّ بحسبه؛ ولأنّ الأشياء تُعرَف بأضدادها كما يعبِّرون فإنّنا ولأجل أن نعرف القيم التي حملها الأُمويون ودافعوا عنها لا بدّ من الوقوف على القيم التي حملها الحسين عليه السلام ودافع عنها، مستلهماً ذلك كلّه من حركة الأنبياء على مرّ التاريخ.

المحاور الأساسية لحركة الأنبياء عليهم السلام

بجولة سريعة في آيات القرآن الكريم سنجد وبشكل جلي أنّ الأنبياء على طول الخط كانوا يركِّزون على ثلاثة محاور:

---

(١) أُنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجِّد،: ص٢٧٠.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٣٣٧.

المحور الأول: التوحيد

سعى الأنبياء عليهم السلام على مرّ العصور إلى ترسيخ أصل التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام بكل أشكالها، سواء أكانت حجرية أم بشرية أم غيرهما. والتوحيد بهذا المعنى هو: التخلّص من العبودية والانطلاق إلى آفاق الحرّية. وهذا المعنى هو أهمّ وأجلى المحاور التي ركَّز عليها ودعا إليها الأنبياء عليهم السلام جميعاً.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[1].

المحور الثاني: الوعي

لقد سعى جميع الأنبياء عليهم السلام على مرّ العصور إلى النهوض بواقع البشرية واستنقاذهم من ظلمات الجهل والدفع بهم إلى ساحات الثقافة والعلم والمعرفة، يكفي أن نلاحظ أنّ أوّل مَن علَّم البشرية الكتابة هو إدريس، فكانت هذه الخطوة قفزة في تاريخ البشرية؛ حيث إنّ الكتابة حفظت لنا الكثير من الحوادث والعلوم، ولولاها لضاع الكثير من تراث البشريّة.

وقد سجَّل القرآن الكريم هذه الإشارة حيث عبَّر عن الأنبياء عليهم السلام بأنّهم مصلحون، وأنّهم معلِّمون كانوا يعلِّمون الأُمم كلَّ ما فيه مصلحتهم في معاشهم ومعادهم.

قال تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ

(١) الأعراف: الآيات ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

(٢) البقرة: آية ١٢٩.

ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وهذه الآيات الثلاثة وإن كانت تتحدّث عن الخاتم صلى الله عليه وآله واصفةً إيّاه بأنّه معلّم، إلّا أنّها تنطبق على الأنبياء والرسل كافة؛ ولهذا عُبّر عن كتبهم بأنّها نور؛ بمعنى العلم، والأُمم تتلقّى ذلك النّور من أُولئك الأنبياء عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[7].

المحور الثالث: إقامة حُكم الله في الأرض

وهذه هي النتيجة الطبيعية للمحورين السابقين؛ إذ إنّ تخليص العباد من عبادة غير الله، وبثّ الوعي والمعرفة فيهم يوصلهم حتماً إلى إقامة حكم الله تعالى ليعيش الناس في أمن وأمان وعدل وقسط، تحت راية التوحيد، الأمر الذي بذل في سبيله الأنبياء والرُّسل الكثير من التضحيات، وزهقت من أجله الأنفس، وسالت الكثير من الدماء.

---

(١) آل عمران: آية ١٦٤.
(٢) الجمعة: آية ٢.
(٣) المائدة: آية ٤٦.
(٤) المائدة: آية ٤٤.
(٥) إبراهيم: آية ١.
(٦) آل عمران: آية ١٨٤.
(٧) الأنعام: آية ٩١.

ومن الآيات التي تُشير إلى هذه الحقيقة، قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾[1].

فالنبيون هم: الرسل، والربّانيّون هم: الأوصياء، والأحبار هم: العلماء. خطّ واحد يسير باتجاه تحكيم شرع الله في الأرض.

وهكذا قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2]. وقوله تعالى فيما حكى من خبر سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[4].

وإذا كانت الآيات المتقدّمة تتكلّم عن هذا النبي أو ذاك، فإنّ الآية الأخيرة لتؤكّد على الأهداف والمحاور العامة التي تمحورت عليها حركة الأنبياء جميعاً، حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾، ولعلّها تشير إلى المحاور الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها، فقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، يمكن أن نفهم منها الدلالات التي توصل إلى التوحيد: ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، هو العلم والنور: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾، إقامة حكم الله في الأرض.

الحسين عليه السلام والقيم النبويّة

المحاور المتقدّمة هي ذاتها الأهداف التي حملها الإمام الحسين عليه السلام، ودافع عنها، وناضل في سبيل تحقيقها، موكّداً عليها في كلماته، ومنها على سبيل المثال الخطبة التي ألقاها على الحرّ وأصحابه بعد أن اعترضه وهو في طريقه إلى الكوفة، قال عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «**مَن رأى سلطاناً جائراً مُستحلاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً**

(١) المائدة: آية ٤٤.
(٢) ص: آية ٢٦.
(٣) ص: آية ٣٥.
(٤) الحديد: آية ٢٥.

لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألَا وإنَّ هؤلاء قد لَزِمُوا طاعة الشّيطان، وتَرَكوا طاعة الرّحمن، وأَظهروا الفساد، وعَطَّلوا الحدود، واستأثَروا بالفَيء، وأَحَلّوا حَرام الله، وحَرَّمُوا حلاله، وأنا أَحَقُّ مَن غَيَّرَ...»[1].

وبشيء من التحليل نجد أنّ هذا الخطاب يُذكِّر القوم بأنّ السلطة الظالمة قد عبدت الشيطان، وتركت عبادة الرحمن؛ أي: إنّها ضربت الأُمّة في صميم عقيدتها حينما تركتْ التوحيد، وهذا هو المحور الأول، وما يترتب على ضرب هذا المحور هو إظهار الفساد، وتعطيل الحدود، والاستئثار بالفيء، وتحليل الحرام، وتحريم الحلال.

ثمّ يدعوهم عليه السلام إلى التغيير الذي يتحقّق به الرشد؛ أي: الوعي، وهذا هو المحور الثاني. وبتحقيق هذين المحورين، يُتاح للأُمة إقامة حكم الله في الأرض، وذلك لا يكون إلّا بإمام عادل؛ لذا نجده عليه السلام يؤكِّد أنّه أحَقّ الناس للقيام بالتغيير، وهذا هو المحور الثالث.

وفي مناسبة سابقة يؤكِّد الحسين عليه السلام للكوفيين على أهمية الإمامة ووظيفة الإمام حيث يقول عليه السلام للملأ منهم برسالته التي بعثها مع مسلم عليه السلام: «... **فَلَعَمْري، ما الإمامُ إلّا العامِلُ بالكتاب، والآخذُ بالقسط، والدّائنُ بالحقّ، والحابِسُ نفْسَه على ذات الله...**»[2].

فالإمام عليه السلام يؤكِّد في ذيل هذه الرسالة وفي أوّل حركة تجاه الكوفة على خصال جديرة بالتأمّل لمن يريد أن يعرف كُنه الإمامة والقيادة، وحقيقة حركته المباركة.

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام في كلّ خطوة خطاها مريداً للقتال ولإراقة الدماء، وإنّما أراد دفع الظلم عن المظلومين، وهداية الضّالّين، وإرجاع المجتمع الإسلامي إلى المسار الذي تركه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّه من مدرسة علي عليه السلام الذي يقول يوم صفين حين كان يتمهّل في القتال ويؤخِّره ما أمكن: «**أمّا قولكم: أَكُلّ ذلك كراهية الموت، فوالله، ما أُبالي، أَدخلتُ إلى الموت أو خرج الموت إليّ. وأمّا قولكم: شكّاً في أهل**

(١) أُنظر: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٤٣٨.
(٢) المصدر السابق: ص٣٧٩.

الشام، فوالله، ما دفعتُ الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحبّ إليَّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها»[1].

فإن تمّ ذلك بالبيان دون السنان، فبها، وإلّا فإنّ الدفاع عن النفس والعيال، وعن الأُمّة المضطهَدة، والعقيدة المهدَّدة، والحق المسلوب... كل هذه الأُمور تستحقّ الجهاد والنضال، ولم يكن للإمام الحسين عليه السلام من طريق لحفظ ذلك كلّه إلّا التضحية والشهادة.

هذه هي أهداف الحسين عليه السلام، وهذه هي الوسائل والآليات التي توسّل بها للوصول إلى تلك الأهداف الحقة.

أهداف الفريق الأُموي

وعلى الضدّ ممّا تقدّم نجدُ أنّ أهداف بني أُمية هي السلطان والمال، وما خالطهما من شهوة وشهرة وسيطرة، وهذا ما لا يمكنهم الوصول إليه إلّا من خلال السيطرة على موقع القمة في الأُمّة، ومحق دينها وعقيدتها، فالأُمويون هم الحزب المعارض لرسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر لحظة يمكن فيها المعارضة قبل الاستسلام، فلمّا كُسِرَت شوكتهم، واضمحلَّت فكرتهم، دخلوا فيما دخل فيه البعض قهراً، وبدأوا ينخرون بالإسلام من الداخل، فكان أبو سفيان ممَّن عرض على أمير المؤمنين عليه السلام نقض البيعة التي تمّت للأول، ودعاه للانتفاضة ومسك زمام الأُمور بالقوّة، فردّه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: **«أيّها الناس، شُقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرِّجوا عن طريق المُنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلَح مَن نَهَضَ بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن، ولقمة يغصّ بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه، فإن أقُل يقولوا: حَرَصَ على الملك. وإن أسكت يقولوا: جَزِعَ من الموت. هيهات بعد اللّتيا والتي، والله، لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أُمّه، بل اندمجت على مكنون علم لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطَّويّ البعيدة»**[2].

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده: ج١، ص١٤٠.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج١، ص٤١.

وعلى هذا النهج عمل ابنه معاوية الذي أغلق الشام للفكر الأُموي على مدى عشرين عاماً قبل استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، ورفض الانصياع لولي الأمر وإمام الحقّ علي عليه السلام، وأضرمها عليه حرباً في صفين شعواء، راح ضحيّتها سبعون ألفاً من المسلمين، ثم ما فتئ يناجز السبط الأكبر الحسن الزكي عليه السلام حتى أمسك بزمام الأُمور، وظلّ يتمادى بغيّه عاملاً على هدم الإسلام حجراً حجراً.

ولمّا كانت الأهداف الأُموية أهدافاً خالية من أيّ قيمة، لا تسعى إلّا للسلطان والقهر والقوّة، فلا بدّ أن تكون الوسائل لتحقيق تلك الأهداف بنفس الدرجة من الخسّة والدناءة، فبعد أن أصبح معاوية هو (الخليفة)، بدأ ينفّذ مشروع الكسروية أو القيصرية الأُموية، فاتّخذ لتحقيق ذلك إجراءات عدّة:

الإجراء الأوّل: إشاعة الإرهاب

فقد قام بتصفية المعارضين بشكل لا نظير له في التاريخ، ومن مظاهر ذلك: القتل الجماعي، وتصفية القياديين من شيعة أهل البيت عليهم السلام، حتى وصل الأمر به إلى قتل الأطفال وسبي النساء؛ ومن شواهد ذلك ما فعله (بسر بن أرطاة) من جرائم بحق المسلمين، فقد ذكر ابن عبد البرّ ما يلي: «**أغار بسر بن أرطاة على همدان، وقتل وسبى نساءهم، فكنّ أوّل مسلمات سبين في الإسلام**»[1]. ومنها غارته على اليمن، وقتله ابني عبيد الله بن عباس[2].

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي أنّ الأُمويين: «**كانوا يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم، لمّا قُتِل قريب وزحاف الخارجيان، سبى زياد ذراريهما، فأعطى شقيق ابن ثور السدوسي إحدى بناتهما، وأعطى عباد بن حصين الأُخرى، وسُبيَت بنتٌ لعبيدة ابن هلال اليشكري، وبنت لقطري بن الفجاءة المازني...**»[3].

(١) أُنظر: القرطبي، يوسف بن عبد البر، الاستيعاب: ج١، ص١٦١.
(٢) أُنظر: الثقفي، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج٢، ص٦١٣.
(٣) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٥، ص٢٤١.

الإجراء الثاني: تسخير الطاقات لمصلحة الحاكم

لهذا الإجراء مظاهر كثيرة، منها: بذل الأموال لشراء ذمم الزعماء ورؤساء القبائل ووجوه الأمصار. ومنها: شراء ضمائر بعض المحدِّثين والوعّاظ والرواة؛ ليمارسوا دور الإشادة والتلميع لرؤوس الضلال والانحراف الأُموي.

الإجراء الثالث: إثارة النزعة القبلية

لقد أثار الحكم الأُموي المظاهر الجاهلية التي حاربها الإسلام وقضى عليها، فكانوا يفضِّلون العرب على العجم، وقريشاً على سائر القبائل، ورووا في ذلك أنّ معاوية أرسل أموالاً إلى الأخطل يدعوه فيها إلى هجاء الأنصار، فكتب أبياتاً قال في ضمنها:

خلّوا المكارمَ لستُمُ مِن أهلِها ... وخُذُوا مساحيكم بني النجّارِ
إنّ الفوارسَ يعلمون ظهورَكُم ... أولاد كلِّ مقبَّحٍ أكّارِ
ذهبتْ قريشُ بالمكارمِ والعُلا ... واللؤمُ تحت عمائمِ الأنصارِ[4].

الإجراء الرابع: استغلال المنابر

استُغِلَّت مئات المنابر في طول البلاد الإسلاميّة وعرضها؛ لبثّ سياسة منحرفة تزقّ أبناء الأُمّة الإسلاميّة ثقافة ممسوخة تسير باتجاهين:

الأول: الخطّ من الخطّ الإسلامي الأصيل المتمثِّل بأهل البيت عليهم السلام، وتغييب دورهم، وإقصاء الناس عنهم مهما أمكن.

الثاني: وضع الأحاديث واصطناع الفضائل لبعض الصحابة بما فيهم معاوية؛ للتعتيم على مكانة أهل البيت عليهم السلام، وكان أبو هريرة وسمرة بن جندب وعروة بن الزبير في مقدمة أُولئك (الصحابة) الذين استفادت منهم السلطة الأُموية. وممّا

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج١٥، ص٧٥.

قيـل في هذا المجال، ما روي كذباً عن رسـول الله صلى الله عليه وآله: «**الأُمنـاء ثلاثة: أنا، وجبرائيل، ومعاوية**»[1]. ورُوِيَ عن الزُّهري أنّه سأل سعيد بن المسيب عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله فقال له: «**اسـمع يا زهري، مَن مات حباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشـهد للعشرة بالجنّة، وترحَّم على معاوية، كان حقاً على الله أن لا يناقشه الحساب**»[2].

وقـد أكثـر معاوية الوضع على رسـول الله صلى الله عليه وآله حتى أصبح ذلـك ظاهرة في البلاد الإسـلاميّة، وفي ذلـك ذَكَر ابـن أبي الحديـد أنّ معاوية عمَّم كتاباً على عمّاله في سـائر البلاد قال فيه: «**اُنظروا مَن قِبَلكم من شـيعة عثمان ومحبّيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائلـه ومناقبه، فأدنوا مجالسـهم وقرِّبوهـم وأكرموهم، واكتبوا لي بـكلّ ما يروي كل رجل منهم واسـمه واسـم أبيـه وعشـيرته. ففعلوا ذلك حتـى أكثـروا في فضائل عثمان ومناقبه؛ لِما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي؛ فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسـوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحـدٌ مردود من الناس عاملاً من عـمّال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقرَّبه وشفَّعه**»[3].

قـال ابـن أبي الحديد: «**ثـمّ كتب إلى عمّاله: أنّ الحديث في عثمان قد كَثُر وفشـا في كل مـصر وفي كل وجـه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعـوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابـة والخلفـاء الأوّلين، ولا تتركوا خـبراً يرويه أحدٌ من المسـلمين في أبي تراب إلّا وتأتـوني بمناقـض له في الصحابة**[4]**، فـإنّ هذا أحبّ إليَّ وأقرّ لعينـي وأدحض لحجّة أبي**

(١) اُنظر: العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان: ج٢، ص٢٢٠.

(٢) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص١٤٨.

(٣) اُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٤.

(٤) ومن هنا برزت ظاهرة الأحاديث المناقضة، فسُجِّلت عشرات الموضوعات على رسول الله صلى الله عليه وآله، من قبيل: «أبو بكر منّي بمنزلة هارون من موسى»، مناقضاً لحديث: «يا علي، أنت منّي بمنزلة هارون من موسى». ومنها: «أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة»، في قبال الحديث: «الحسن والحسين سيدا

تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله. فقُرِئت كُتُبه على الناس فَرُوِيَت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلِّمي الكتاتيب فعلَّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علَّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم...»[1].

وهذا كلّه يشير إلى أنّ المسألة كانت ممنهجة ومبرمجة لمسخ الإسلام.

الإجراء الخامس: تحويل الخلافة إلى مملكة

وكان هذا الإجراء هو قاصمة الظهر للأُمّة الإسلاميّة، والقضاء على آخر أمل يمكن أن تعود فيه الأُمّة إلى مسارها الذي تركها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فالإمام الحسن عليه السلام كان قد صالح معاوية بناءً على عدّة شروط، من بينها: عودة الخلافة إلى الحسن عليه السلام بعد هلاك معاوية، فما كان من معاوية إلّا أن دسَّ السُّم للإمام الحسن عليه السلام[2]، والعهد بالخلافة لابنه الماجن يزيد.

الإجراء السادس: زرع بذور الطاعة للسلطان مطلقاً

من أجل تذليل رقاب العباد وتوطيد الملك في سائر البلاد؛ عمدت السلطة الأُموية إلى زرع بذور الطاعة لولي الأمر على كل حال، سواء أكان برّاً أم فاجراً، وسواء أكان عادلاً أم طاغية، وذلك من خلال عقائد وشرائع منحرفة:

أمّا العقائد، فقد استطاعت السلطة الأُموية أن تُنشئ وتُنمّي بعض التيارات

شباب أهل الجنة». ومنها: «سدّوا الأبواب إلّا باب أبي بكر»، المناقض لحديث: «سدّوا الأبواب إلّا باب علي»، وهكذا. أُنظر: الأميني، عبد الحسين، الغدير: ج٥، ص٢٩٧ وما بعدها.

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١١، ص٤٥.

(٢) أُنظر: أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ص٣١.

الفكرية المنحرفة[1]، كالمرجئة[2]، والمجبِّرة[3]؛ بهدف تخدير الأُمّة أو تركيعها عقائدياً أمام همجية وطغيان السلطة المستبدِّة، وذلك باسم الدين، وما عليها إلّا الصبر وعدم المقاومة والدفاع؛ لأنّ ذلك يعني الاعتراض على الله وعلى إرادته. وكان من نتائج هذه الأفكار الهدّامة أن بقيت الأُمّة ترزح تحت طغيان بني أُميّة عقوداً من الزمن.

وأمّا الشرائع، فقد شرعنوا طاعة الطغاة والظلمة استناداً لآيات حُرِّفتْ عن مضامينها، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[4]، واستناداً لأحاديث مكذوبة تنصّ على طاعة وليّ الأمر وإن كان فاجراً أو ظالماً أو مستبدّاً[5]. حتى بلغ الحال إلى المنع من الخروج على السلطان؛ لأنّه:

---

(١) شريعتي، علي، الشهادة: ص٧١.

(٢) مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ...﴾ التوبة: آية١٠٦. وفحواها أنّ المذنبين والظالمين والمجرمين أمرهم بيد الله، فقد يرحمهم يوم القيامة. وعليه؛ فلا يحقّ للشعب أن يشجب فعلهم، ولا مقاومتهم، بل المطلوب هو الصبر. وقد انتشرت هذه العقيدة في جيل التابعين الذين لم يرتووا من منهل النبوّة، وابتعدوا عن أهل بيت الوحي.

(٣) وفحوى هذه العقيدة: إنّ الناس مجبورون على فعلهم، ومسيَّرون في حركتهم؛ واستدلّ القائلون بهذه العقيدة التي خدمت السلطة بعدّة نصوص، منها: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ الصافات: آية٩٦. وبالتالي؛ فإنّ إرادة السلطان تُمثِّل إرادة الرب، فلا يجوز للأُمّة أن تعترض أو تواجه الحاكم الذي نصَّبه الله بالجبر، وأعمله في الأُمّة بالجبر؛ لأنّ الاعتراض على السلطان في حقيقته اعتراض على الله، خصوصاً بعد ملاحظة أنّ هذا السلطان هو خليفة الرسول؛ فصار القرآن الذي ينادي بـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ النحل: آية٩٠. يُرفَع على المصاحف لتزوير المواقف، وأصبح سيف الإسلام الذي سُلَّ لمقارعة المستكبرين بيد الخليفة يحزّ به رقاب المستضعفين ورجال الأُمّة الصالحين.

(٤) النساء: آية٧٦.

(٥) واستمرّ التنظير والشرعنة حتى لقتل السبط الشهيد عليه السلام من قِبل المتطرِّفين وإلى يوم الناس هذا، وفي ذلك يقول الأُستاذ القاسم: «وفيما يتعلّق بقتل الحسين عليه السلام، فإنّ القاضي أبو بكر بن العربي يفتري بكل الصراحة والجرأة قائلاً: إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استحقّ القتل لخروجه عن طاعة وليّ الأمر يزيد؛ لأنّ خروجه كان على رأيه تفريقاً لكلمة المسلمين! وهذا النصّ الحرفي لِمَا قال: وما خرج أحدٌ لقتال الحسين إلّا بتأويل، ولا قاتلوه إلّا بما سمعوا من جدّه المهيمن على الرسل، المُخبِر بفساد الحال، المحذِّر من دخول الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وآله: إنّه ستكون هنات وهنات، فمن أراد

«مَن خَرَجَ من السلطان شبراً مات ميتةً جاهلية»[1].

الإجراء السابع: تبنّي سياسة النّفاق

تبنّت السلطة الأُموية في عهد معاوية سياسة النفاق، تعمل في الظاهر ومن الناحية الإعلامية والاجتماعية على رعاية الدين وحمايته، وفي الباطن على هدم القيم الرسالية والمعاني النبيلة، فالخليفة المسؤول الأوّل على تطبيق الأحكام يأخذ الربا[2]، ويتاجر بالخمر[3]، بل ويشرب الخمر[4]، والأمرّ من ذلك أنّه ينصح ابنه المتجاهر بشربها بأن يشربها ويفعل كل ما يحلو له سراً، ولكن أمام الناس يجب أن يتسربل بسربال القداسة، وفي ذلك شعرٌ منقول عن معاوية يقول فيه ليزيد:

انصبْ نهاراً في طلاب العُلا ... واصبرْ على هجرِ الحبيبِ القريب
حتّى إذا الليل أتى بالدُّجى ... واكتحلتْ بالغمضِ عين الرقيب
فباشر الليل بما تشتهي ... فإنّما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحسبه ناسكاً ... قد باشر الليل بأمرٍ عجيب
غطّى عليه الليل أستاره ... فبات في أمنٍ وعيشٍ خصيب
ولذّةُ الأحمقِ مكشوفةٌ ... يسعى بها كلُّ عدوٍّ مُريب[5].

أن يُفرِّق أَمْر هذه الأُمّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً مَن كان.. انتهى الحديث. فما خرج الناس [يقصد القتلة] إليه إلّا بهذا الحديث وأمثاله؛ بمعنى أنّ كلّ ما فعله يزيد وزبانيته في كربلاء كان مجرّد تطبيق لحكم الشرع على ضوء أحاديث النبيﷺ!! ولعلّ حُسن تطبيق يزيد للشرع هو الذي جعل محبّ الدين الخطيب أن يصفه بأنّه كان شخصاً لامعاً، ومكتمل المواهب، ومستكملاً للصفات اللائقة بمهمّة المركز الذي أراده الله له وهو الخلافة!!». أُنظر: القاسم، أسعد وحيد، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة، المجموعة: من مؤلَّفات المستبصرين: ص٢٨٨.

(١) أُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ص١٢٤٨.

(٢) أُنظر: مالك، الموطأ: ج٢، ص٦٣٤.

(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٦، ص١٩٧.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٥، ص٣٤٧.

(٥) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج٨، ص٢٥٠.

عهد يزيد

كان عهدُ يزيد بن معاوية كالزلزال الذي وقع على رؤوس الأُمّة؛ لأنّه حَكَمَ ثلاث سنين وتسعة أشهُر ارتكب فيها أكبر ثلاث جرائم في تاريخ المسلمين، وهي قتل الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، واستباحة المدينة ثلاثة أيام، ومبايعة أهلها على أنّهم عبيد له، وهدم الكعبة وحرق أستارها.

فقد أطلق معاويةُ يدَ فاجرٍ خليع متجاهر بالفسق ليعبث بمقدّرات الأُمّة، بعد أن مكَّنه من رقاب المسلمين. وقد ذكر المؤرِّخون أنّ الكثير من الصحابة وأبنائهم والتابعين والصالحين اعترضوا على معاوية بعهده ليزيد، ولكن دون جدوى، فاختُطِفَت الخلافة تحت بريق السيوف[1].

لم تَغِب عن عينَي يزيد السياسة التي انتهجها أبوه للوصول إلى أهدافه الدنيئة، فكان الولد على سرِّ أبيه، لا يقف في طريقه أيّ مقدّس أو حاجز يمنعه من الوصول إلى غاياته وشهواته، وعلى رأسها المُلك والسلطان والمال واللّهو. فكان أبو عبد الله الحسين عليه السلام هو ذلك السدّ المنيع الذي وقف أمام تيّار الفساد الأُموي الجارف، وقد ورد عنه عليه السلام في جداله مع بعض رجالات الأُمويين في المدينة: «**فعلى الإسلام السلام إذا بُلِيَت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[2].

فأعلنها أبو عبد الله صرخةً مدوِّية: «**...وإنّ الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت، وأدبر معروفها واستمرَّت حذاء، ولم تبقَ منه إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألَا ترون إلى الحقّ لا يُعمَل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[3]. وانطلق لتغيير المعادلة وتصحيح المسار؛ فكان الثمن دمه الطاهر.

---

(١) أُنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٥١٠.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص١٨.

(٣) المصدر السابق: ص٤٨.

واستمرّ يزيد بغيِّه نحو أهدافه الخبيثة، والأهداف إذا كانت خبيثة فالوسائل لا بدّ أن تكون منسجمة مع تلك الأهداف، وهنا يحكم قانون (الغاية تبرّر الوسيلة)، فيأتي دور وعّاظ السّلاطين؛ فيصبح الخليفة (يزيد)، والخارجيّ هو الحسين عليه السلام؛ إذن لا بدّ من القضاء عليه بتهمة كونه خارجيّاً!!

ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام ليقف مكتوف اليدين أمام هذه المعاول الأُموية الجاهلية، فبرز الإيمان كلّه إلى النّفاق كلّه، وحدثت الواقعة التي انتُهِكَت فيها كلّ المقدّسات واستُبِيحَت فيها كلّ الحُرمات، فغابت جميع القيم ولم يبقَ أيّ أثر لأيّ نُبل، وتجسَّدت القسوة بكل المقاييس، والوحشية بكل العناوين، فوقعت تفاصيل مؤلمة تُمزّق القلب، وربّما غاب منها الكثير.

إلّا أنّ كل مشهد ممّا وصل إلينا من أحداث مؤلمة يكفي لوحده لإدانة تلك السلطة الظالمة التي تُعتبر أسوأ سلطة في تاريخ الكون.

مشاهد غياب القيم في كربلاء

لقد روى المؤرِّخون الكثير ممّا وقع في كربلاء من مشاهد غابت فيها القيم الإنسانية والدينية، نعرض هنا بعضاً من تلك المشاهد المؤلمة بشكل مقتضب:

المشهد الأوّل: الهجوم على النساء

من جملة ما خاطب به الإمام الحسين عليه السلام أعداءه في يوم عاشوراء: «**يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرُباً كما تزعمون**». فناداه شمر: ما تقول يا بن فاطمة؟ قال: «**أنا الذي أُقاتلكم، والنّساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً**»[1].

(١) أُنظر: المقرَّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٣٥.

ومن هذا النص يتبيَّن أنّ الإمام الحسين عليه السلام ينفي عن هؤلاء القوم القيم الإسلاميّة، بل وحتى القيم العربية التي كان يتمتّع بها العرب قبل الإسلام، الذين لم يكن من شيمتهم الاعتداء على النساء.

المشهد الثاني: قتل الأطفال

نذكر هنا مشهدين من تلك المشاهد الأليمة:

الأوّل: لمّا رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبّته عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى: «**هل من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل من موحِّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من مُعين يرجو ما عند الله في إعانتنا؟**». فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدّم إلى باب الخيمة، وقال لزينب: «**ناوليني وَلدي الصغير حتى أودِّعه**»، فأجلسه في حجره يُقبّله وهو يقول: «**بُعدَاً لهؤلاء القوم إذا كان جدّك المصطفى خصمهم**». ثمّ أتى به نحو القوم يطلب الماء[1]، فرماه حرملة بن الكاهل الأسدي(لعنه الله) بسهم فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب: خُذيه. ثمّ تلقّى الدم بكفيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، ثمّ قال: «**هوَّن عليَّ ما نزل بي أنّه بعين الله**»[2].

الثاني: لمّا أحاط العدو بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، خَرَجَ عبد الله بن الحسن بن علي عليهما السلام ـ وهو غلامٌ لم يراهق ـ من عند النساء يشتد، حتى وقف إلى جنب الحسين عليه السلام، فلحقته زينب عليها السلام لتحبسه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، فقال: «**لا والله، لا أُفارق عمّي**». فأهوى بحر بن كعب إلى الحسين عليه السلام بالسيف. فقال له الغلام: «**ويلك يا بن الخبيثة! أتقتل عمّي؟!**». فضربه بالسيف فاتّقى الغلام بيده، فأطنَّها إلى الجلد فإذا هي معلَّقة، فنادى الغلام: «**يا أُمّاه!**». فأخذه الحسين عليه السلام وضمّه إليه وقال: «**اصبر يا بن**

---

(١) المصدر السابق: ص٣٣١.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٦٩.

أخي على ما نزل بكَ، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الصالحين». فرماه حرملة بن كاهل بسهمٍ، فذبحه وهو في حجر عمّه الحسين عليه السلام[1].

المشهد الثالث: مصرع الحسين عليه السلام

وأشد المشاهد ظلماً وقساوة ما حصل في مصرع الإمام الحسين عليه السلام، إذ يعزّ على الباحث أو القارئ أن يخوض في الكلام حوله، إلّا أننا ملزمون ببيان المشاهد التي تُبرز لنا صور الإرهاب الأُموي في حق الإمام عليه السلام، فقد ورد في كتب المقاتل: لمّا أُثخن الحسين عليه السلام بالجراح، طعنه صالح بن وهب المُرِّي على خاصرته طعنة؛ فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن وهو يقول: «**بسم الله وبالله، وعلى ملّة رسول الله**». وخرجت زينب عليها السلام من باب الفسطاط وهي تنادي: «**وأخاه! وا سيداه! وا أهل بيتاه! ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل**».

وصاح شمر بأصحابه ما تنتظرون بالرجل؟! فحملوا عليه من كل جانب، فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى، وضربه آخر على عاتقه المقدَّس بالسيف ضربة كبا عليه السلام بها لوجهه، وكان قد أعيا وجعل ينوء ويكب، فطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته، ثمّ انتزع الرمح فطعنه في بواني صدره، ثمّ رماه سنان أيضاً بسهم فوقع السهم في نحره، فسقط عليه السلام وجلس قاعداً، فنزع السهم من نحره، وقرن كفيه جميعاً، فكلّما امتلأتا من دمائه خضَّب بهما رأسه ولحيته وهو يقول: «**هكذا ألقى الله مخضَّباً بدمي مغصوباً عليَّ حقّي**». فقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه: اِنزل ويحك إلى الحسين فأرحه. فبدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليَحتزَّ رأسه فأُرعد، فنزل إليه سنان بن أنس النخعي (لعنه الله) [أو شمر بن ذي الجوشن (لعنه الله)] فضربه بالسيف في حلقه الشريف وهو يقول: والله، إنّي لأحتزّ رأسك وأعلم أنّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وخير الناس أباً وأُمّاً، ثمّ احتزَّ رأسه المقدّس المعظَّم[2].

---

(١) المصدر السابق: ص٧٢.

(٢) المصدر السابق: ص٧٣.

المشهد الرابع: سلب الإمام عليه السلام بعد ذبحه

ومن المشاهد المؤلمة في عاشوراء أن أقبَلَ القوم على سلبه عليه السلام، فأخذ إسحاق بن حوية قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامته، وأخذ الأسود ابن خالد نعليه، وأخذ جميع بن الخلق الأودي سيفه. وجاء بجدل فرأى الخاتم في إصبعه وعليه علق الدم، فقطع إصبعه وأخذ الخاتم، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته، وأخذ جعونة بن حوية الحضرمي الثوب الخلق الذي خرّقه الحسين عليه السلام ووضعه تحت ثيابه لئلا يُسلبه[1]، وأخذ الرحيل بن خثيمة قوسه، وأراد رجل منهم أن يسلب تكة سرواله وكان لها قيمة وذلك بعد ما سلبه الناس، يقول: أردت أن أنزع التكّة، فوضع يده اليمنى عليها، فلم أقدر على رفعها، فقطعت يمينه، فوضع يده اليُسرى فقطعتها...[2].

المشهد الخامس: نهب الخيام وحرقها

لمّا قُتِلَ أبو عبد الله الحسين عليه السلام مال الأعداء على ثقله ومتاعه وانتهبوا ما في الخيام، وأضرموا النار فيها، وتسابق القوم على سلب حرائر الرسول صلى الله عليه وآله، ففررن بنات الزهراء عليها السلام حواسر مسلَّبات باكيات[3].

فهذه هي نماذج من غياب القيم في واقعة كربلاء ارتكبها معسكر ابن سعد، وهناك العشرات بل المئات من المشاهد والحوادث التي وقعت كقطع الرؤوس، وسحق الأجساد بالخيول، وترك الجثامين الزكية على وجه الصعيد، وسبي النساء والسير

(١) قال الإمام الحسين عليه السلام: «أبغُوا لي ثوباً لا يُرغَب فيه أجعله تحت ثيابي؛ لئلّا أُجرَّد منه». فأُتي بتبّان. فقال: «لا، ذاك لباس مَن ضُرِبَت عليه الذّلة». فأخذ ثوباً خلقاً فخرقه وجعله تحت ثيابه فلمّا قُتِلَ عليه السلام جرَّدوه منه. المصدر السابق: ص٧٣.

(٢) أُنظر: المقرَّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٣٤٧.

(٣) المصدر السابق: ص٣٦٩.

بهن من كربلاء إلى الكوفة ثمّ إلى الشـام على الجمال وهنّ ثواكل، يقطعون بهنّ الفيافي والقفار بلا شـفقة ولا رحمة، ورفع الرؤوس على الرماح والجولان بها في الأمصار.. وضرب الـرأس الشريف عـلى ثناياه من قِبَل الطاغية يزيـد. بتفاصيل يندى لها جبين الإنسـانية، ويسـتحيي اليراع أن يخطّها على القرطاس، وتضيـق من هولها الصدور.. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

(١) الشعراء: آية ٣٦٦.

العنف والإرهاب في أُصول الإسلام الوهابي

(الهجوم على مدينة كربلاء أُنموذجاً)

الشيخ ماهر الحكاك*

توطئة

أصبحت ظاهرة الإرهاب أعقد ظاهرة سياسيّة وأمنيّة واجتماعيّة يواجهها العالم الإسلامي، وقد ترعرعت في أحضان عملاء الاستعمار في المنطقة، وزُرِعت في البيئة العربيّة والإسلاميّة؛ فوجدت المناخ المناسب لها، وسقتها بعض الفِرَق بأفكارها التي تدَّعي انتماءها إلى الدين.

ونتيجةً لتفاعل هذه الظاهرة ومساسها بحياة الناس، نتجت دراسات ومقالات وردود فكرية، تحدّثت عن جذورها التاريخيّة والسياسيّة والدينيّة.

يتمحور هنا المقال حول تطرف الحركة الوهابيّة وإرهابها وأعمال العنف التي قامت بها من خلال هجومها على كربلاء. فاقتضى ذلك أن نبدأ بتعريف العنف والإرهاب لغةً واصطلاحاً، ثمّ دلالات الآيات القرآنيّة التي وردت فيها مفردة الإرهاب بمشتقاتها، والتفريق بين الجهاد والإرهاب.

وبما أنّ البحث يرتبط بالوهابيّة تطرّقنا إلى التعريف بنشأة الوهابيّة: الاعتقاديّة والتاريخيّة، لنصل بعد ذلك إلى تفاصيل هجوم تلك الفئة على كربلاء والعنف الذي مارسوه آنذاك.

---

* بحث خارج، ماجستير في الفقه والأُصول، من العراق.

تعريف الإرهاب

أ ـ الإرهاب لغةً

يعود المعنى اللغوي للإرهاب إلى كلمة (رَهِبَ).

وقد قام علماء اللغة ببحث عدّة معانٍ لها، وهي كالآتي:

١ ـ «رهب: الرَّهْبَة: الراء والهاء والباء أصلان، أحدهما يدل على خوفٍ، والآخر على دقة وخفَّة»[١].

٢ ـ «رهب: الرَّهْبَة والرُّهْبُ مخافةٌ مع تحرّز واضطراب، قال: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً﴾»[٢].

٣ ـ «رهب: رَهِبَ، يَرهَبُ رَهْبَةً ورُهباً، بالضم، ورَهَباً، بالتحريك، أي: خاف. ورَهِبَ الشيء رَهْباً ورَهَباً ورَهْبَةً: خافه. وأرهَبَهُ ورَهَّبَهُ واسترهَبَه، أخافه وفزّعه»[٣].

٤ ـ «الأرهاب(بالفتح) ما لا يصيد من الطير كالبغاث، والإرهاب (بالكسر) الإزعاج والإخافة»[٤].

ومما تقدّم يظهر المراد من الإرهاب، وهو: الإخافة، والإفزاع، والإزعاج.

ب ـ الإرهاب اصطلاحاً

هناك خلاف كبير في تعريف الإرهاب وتحديد معناه، ومع ذلك فقد صاغ رجال الفكر، والسياسة، والاجتماع، والقانون، وربما الشريعة، تعاريف تُبيّن ماهية الإرهاب. نورد فيما يلي بعضاً منها :

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٤٤٧.

(٢) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص٢٣٠.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٥، ص٣٣٧.

(٤) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج١، ص٢٨١.

١ـ «الإرهاب: استخدام العنف غير القانوني أو التهديد به، بأشكاله المختلفة: كالاغتيالات، والتشويه والتعذيب، والتخريب والنسف، بُغية تحقيق هدف سياسي معين»[١].

٢ـ «الإرهاب: هو استعمال غير مشروع للقوة، في سبيل الوصول إلى غاية ما»[٢].

٣ـ «الإرهاب: هو إحداث أثر سلبي يطال النفس البشرية؛ وذلك بإدخالها في حالة من الخوف والقلق، والرعب والتوتر، بما يؤدي إلى التأثير على اتجاهاتها وآرائها تجاه قضية ما»[٣].

٤ـ «الإرهاب: استخدام جميع الوسائل والأساليب المشروعة، في بث الرعب في قلب العدو؛ من أجل أهداف معينة»[٤].

٥ ـ «الإرهاب: هو كلّ استخدام، أو تهديد باستخدام عنف غير مشروع؛ لخلق حالة من الخوف والرعب؛ بقصد تحقيق التأثير، أو السيطرة على فرد، أو مجموعة من الأفراد، أو حتى المجتمع بأسره، وصولاً إلى هدف معيّن يسعى الفاعل إلى تحقيقه»[٥].

التعريف المختار

إنّ التعريف الخامس من التعاريف المتقدّمة يشتمل على ما يلي:

١ـ قيّد العنف بغير المشروع لا مطلق العنف، والذي قد يكون نتيجةً وردّ فعل لِما يُستخدم ضدّ الضحيّة.

٢ـ استخدام العنف، أو التهديد به.

٣ـ ذكر الحالة النفسيّة التي يخلقها الإرهاب في نفس الضحيّة من الخوف والذعر.

---

(١) الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة: ج١، ص١٥٣.

(٢) مصباح ذباره، مصطفى، الإرهاب مفهومه وأهم جرائمه في القانون الدولي والجنائي: ص٤٤.

(٣) الأسود، شعبان طاهر، علم الاجتماع السياسي: ص٩٨.

(٤) عبد السلام، هيثم، مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلاميّة: ص٤٢.

(٥) حريز، عبد الناصر، النظام السياسي الإرهابي الإسرائيلي: ص٢٦.

٤ـ بيّن الجهة التي يطالها الإرهاب سواء كانت فرداً، أو مجموعة من الأفراد، أو حتى المجتمع بأسره.

٥ـ أشار التعريف إلى الجهة المنفّذة، أو الفاعل للعنف والإرهاب، بغض النظر عن هويته.

٦ـ لم يحصر التعريف هدف الإرهاب في جانب معيّن.

٧ـ هذا الحدّ وسّع من دائرة مفهوم الإرهاب، متجاوزاً التأثير على الضحيّة إلى السيطرة عليها ودخولها تحت رحمته[١].

والتعريف الرابع كان لباحث إسلامي استنتجه من مصادره الشرعيّة التي يعتمد عليها، ويمكن أن تسجل بعض الملاحظات عليه:

١ـ الإرهاب نتيجة وليس وسيلة في دفع العدو.

٢ـ لم يحدد العدو في ساحة القتال، أو في غيرها.

لِما تقدّم نرجّح التعريف الخامس.

الاستعمال القرآني لمفردة الإرهاب

وردت مشتقات لفظة (الإرهاب) في آيات مُتعددة من سور القرآن، حيث ذكر القرآن الكريم الفعل(رَهِبَ) في سبعة مواضع يهمّنا منها موردان:

١ـ قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾[٢]، بمعنى الخشية[٣].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤].

(١) المصدر السابق.

(٢) الحشر: آية١٣.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٩، ص٢١٢.

(٤) الأنفال: آية٦٠.

ولتوضيح المقصود من الآيتين الكريمتين ينبغي الالتفات إلى عدّة أُمور:

الأوّل: إنّ الآية الثانية تأمر المؤمنين بأن يعدّوا القوة للكافرين، عند خوف خيانتهم وغدرهم، بمعنى: «**وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيّها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة**»[1].

الثاني: الأمر بإعداد القوة، هو نتيجة وليس سبباً، فهو ينشأ من خوف خيانة العدو.

وبعبارة أُخرى: «**إعداد القوة إنّما هو لغرض الدفاع عن حقوق المجتمع ومنافعه الحيوية، والتظاهر بالقوة المعدّة ينتج إرهاب العدو، وهو أيضاً من شُعب الدفع ونوع منه، فقوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾... يذكر فائدة من فوائد الإعداد الراجعة إلى إفراد المجتمع**»[2].

الثالث: تجدر الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم يأمر المسلمين بإعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. وهذا غير استخدام العنف غير المشروع، الذي يستهدف الأفراد والجماعات البشريّة، ويملأ الناس خوفاً وفزعاً، وبوسائل غير شريفة، وأهداف غير إنسانيّة، وهو ما نقصده في بحثنا هذا.

الرابع: قوله تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، فإنّ الخوف الناشئ في نفوس المنافقين يرجع إلى جهلهم بحقائق الأشياء، فهم يخافون المؤمنين أشدّ من خوفهم من الله «**يخافونكم ما لا يخافون الله؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحق، ولا يعرفونه، ولا يعرفون معاني صفات الله**»[3].

فسبب هذه الرهبة التي للمؤمنين في صدور يهود بني النضير والمنافقين ليس بأعمال العنف، ولا استخدام المؤمنين للقوة والإرهاب على أرض الواقع. ومن هنا

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج١٠، ص٣٩.
(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٩، ص١١٧.
(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٩، ص٥٦٨.

نخلص إلى أنّ الاستعمال القرآني للفظة الإرهاب الواردة في القرآن يتباين في الموضوع والوسائل والغرض مع الإرهاب الذي ذكرنا بعض تعريفاته.

الجهاد ليس إرهاباً

لم يكن الغرض من تشريع الجهاد الذي جُعِلَ الإرهاب مرادفاً له في المعنى عند المتطرّفين قتل النفوس، وإراقة الدماء، وتخريب البلاد، بل إنّ الغاية من تشريعه هي تحرير البلاد من الظالمين، الذين يُصادرون حريات شعوبهم، ويقفون سداً منيعاً أمام رسل الله؛ ويعارضون إخراج المجتمع من عبادة المخلوقين إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.

وقد سنّ الشارع قوانين وسنناً للمجاهدين؛ لكي يؤدوا وظيفتهم الرساليّة بشكل يصدّهم عن تجاوز منهج الحقّ والعدل، ويوقفهم على واجباتهم في هذا المضمار؛ حتى لا يختلط الجهاد بالإرهاب كما وقع فيه محمد بن عبد الوهاب وأتباعه.

وإذا درسنا روايات الجهاد نجدها تُظهر وظائف المجاهدين في الميدان على مستويات مختلفة:

١ـ نهيُ الإسلام عن الغدر بالعدو، فكانت من تعاليمه: «**لا ينبغي للمسلمين أن يغدروا، ولا يأمروا بالغدر، ولا يقاتلوا مع الذين غدروا**»[١].

فيجب على المجاهد أن لا يقاتل أحداً فضلاً عن غدره والفتك به غِيلةً عبر المتفجرات والسيارات الموقوتة حتى يبيّن له حقيقة الإسلام، ويدعوه إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله.

قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام عندما بعثه إلى اليمن: «**يا علي، لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله، لأن يهدي الله (عزّ وجلّ) على يديك رجلاً، خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**»[٢].

---

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٥، ص٦٩.

(٢) المصدر السابق: ص٤٣.

٢ـ إنّ الإسلام في الوقت الذي أمر فيه بالجهاد، قرنه برعاية المُثل والأخلاق، ففي فتح مكّة، قال صلى الله عليه وآله: «**مَن أغلق بابه فهو آمن، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن**»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما فقأ عين الفتنة في البصرة، منادياً أصحابه بصوت عالٍ: «**لا تسبوا لهم ذرية، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، ومَن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن**»[٢].

ومع كلّ ما تقدّم حاول بعضٌ أن يُظهر الإسلام بهيئة الفتك، والعنف، والإرهاب، وما هو إلّا أحد اثنين: إمّا جاهل بالقيم والمثل الإسلاميّة العليا، وإمّا مغرض يُريد تشويه صورة الإسلام في أعين وأذهان الناس؛ ليصدّهم عن سبيل الله، من أجل أن يُطبّق مشروعاً استعمارياً في البلاد الإسلاميّة، الغاية منه الحدّ من الإسلام وتعاليمه بعد أن انتشر في ربوع المعمورة، وأصبح يهدد مصالح المستكبرين في العالم.

فالأصل الأوّل في الإسلام: هو السلم ونبذ الإرهاب والعنف إلّا ما دعت إليه الضرورة، وهي تعتبر حالة استثنائية شرّع الإسلام فيها العنف إن جاز التعبير للضرورات الحتميّة التي تقتضي ذلك، مثل: الجهاد، والحدود، والتعزيرات، والقصاص، وبعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نشأة الفرقة الوهابيّة

تُنسب فرقة الوهابيّة إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي، المولود سنة (١١١١هـ).

درس مبادئ العلوم الدينيّة عند أبيه، ثمّ رحل إلى الحجاز، وبقيَ أشهراً، حضر عند بعض الشيوخ في المدينة المنورة أثناء إقامته فيها، ثمّ عاد إلى نجد، لكنّه لم يستقر فيها، فاستأنف الرحلة إلى البصرة، وحينما بدأ بنشر آرائه بين أهلها أنكروا عليه،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٢١، ص١١٧.
(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٥، ص٢٧.

وطردوه، فولّى هارباً، وعاد إلى نجد، وكان أبوه قد ترك العُيينة إلى بلدة (حريملة).

وفي سنة (١١٤٣هـ) حينما أظهر محمد بن عبد الوهاب الدعوة إلى مذهبه الجديد، وقف بوجهه والده ومشايخه، فأبطلوا أقواله، فلم تَلقَ رواجاً، وقد سأم أهل (العُيينة) منه وطردوه من بلدتهم، فاتجه نحو (الدرعيّة)[1]. و«في سنة (١١٦٠هـ) وصل الشيخ إلى الدرعيّة، وكان أميرها آنذاك محمد بن سعود، جدّ السعوديين، وتمّ الاتفاق بين الشيخ والأمير، على أن يهب الشيخ نجداً وعربانها لابن سعود، ووعده أن تكثر الغنائم عليه، والأسلاب الحربية، التي تفوق ما يتقاضاه من الضرائب؛ على أن يدع الأميرُ الشيخ ما يشاء من وضع الخطط لتنفيذ دعوته، وتقول الرواة: إنّ الأمير السعودي بايع محمد عبد الوهاب على القتال في سبيل الله. وبعد أن شعر محمد بن عبد الوهاب بقوته عن طريق هذا التحالف، وأنّ الأمارة السعودية أصبحت تناصره وتؤازره، جمع الشيخ أنصاره وأتباعه، وحثّهم على الجهاد، وكتب إلى البلدان المجاورة المسلمة أن تقبل دعوته، وتدخل في طاعته»[2].

عقيدة الوهابيّة

«إنّ المبدأ الأوّل للوهابيّة، وشعارهم الوحيد: إمّا الوهابيّة، وإمّا السيف. فمَن اعتنقها سَلِم، ومَن أبى أُبيح دمه، وذُبحت أطفاله، ونُهبت أمواله، ومحال أن ينظر الوهابي إلى غيره إلّا بهذه العين المكفّرة المستحلّة للأرواح والأموال. قال الشيخ سليمان عبد الوهاب، أخو محمد عبد الوهاب... مخاطباً الوهابية: فأنتم تكفّرون بأقلّ القليل من الكفر، بل تكفّرون بما تظنون أنتم أنّه كفر، بل تكفرّون بصريح الإسلام، بل تكفّرون مَن توقّف عن تكفير من كفرتموه.

و[حينما] ننظر إلى كتبهم، وما خطّوه بأيديهم، فإنّ الأمر يزداد وضوحاً... قال محمد

(١) أُنظر: مغنية، محمد جواد، هذه هي الوهابيّة: ص١٢٣.

(٢) السبحاني، جعفر، في ظل أُصول الإسلام: ص٣٤٣.

عبد الوهاب مؤسس مذهب الوهابيّة...: ولا تنفعهم لا إله إلّا الله، ولا كثرة العبادات، ولا ادعاء الإسلام؛ لِما ظهر منهم من مخالفة الشرع... وقال...: وإن قالوا: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنّه لا يخلق، ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً رسول الله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، ولكن الصالحين لهم جاه عند الله، وأنا أطلب من الله بهم، فجوابه: إنّ الذين قاتلهم رسول الله مُقرّون بما ذكرت، ومُقرّون بأنّ أوثانهم لا تدبّر شيئاً، وإنّما أرادوا الجاه والشفاعة.

وأيضاً قال...: وإذا قالوا: نحن نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ونصدّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلّي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: إنّ الرجل إذا صدّق رسول الله في شيء، وكذّبه في شيء فهو كافر لم يدخل في الإسلام»[1].

والوهابيّة في واقعها ليس هدفها الدين، والدفاع عن حريمه، وإنّما ذلك غطاء لهدف آخر هو: «تمزيق المسلمين، وإثارة الفتن والحروب فيما بينهم؛ خدمة للمستعمر الغربي. وهذا هو المحور الذى دارت حوله جهود الوهابيّة منذ نشأتها وحتى اليوم. فهو الأصل الحقيقي الذى سُخِّر له الأصل المُعلن؛ من أجل إغواء البسطاء وعوام الناس... ولقد أثبت المحققون في تاريخ الوهابيّة أنّ هذه الدعوة قد أُنشئت في الأصل بأمر مباشر من وزارة المستعمرات البريطانية»[2].

هجوم الوهابيين على كربلاء

«إنّ أعظم فاجعة من بعد وقعة الطفّ مرّت على كربلاء في التاريخ، هي غزو الوهابيين لها في عام (١٢١٦) من الهجرة»[3]. فقد دخلت أوباش ابن سعود بفتوى محمد بن عبد الوهاب التكفيريّة مدينة كربلاء، وعاثوا فيها الفساد، حتى دنّسوا

(١) مغنية، محمد جواد، هذه هي الوهابيّة: ص٧٧ ـ ٧٩.
(٢) لجنة التأليف في مركز الغدير، الوهابيّة في صورتها الحقيقية: ص١٩ـ ٢٠.
(٣) الكليدار، عبد الجواد، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص٢٠٨.

الحرمين الطاهرين، وقتلوا مَن فيهما فسُميّت هذه الوقعة (بالطفّ الثانية)[1]. «**وقد أدمت هذه الفاجعة العيون، وأوجعت قلوب المسلمين في مختلف أقطار الأرض، وهزّت العالم الإسلامي بأسره من أدناه إلى أقصاه؛ لأنّها جددت أرزاء كربلاء كما وصفها الشاعر الحاج محمد رضا الأزري (ت١٢٤٠هـ):**

ونادى به نادي الصلاح مؤرِّخاً ... لقدعاودتناالیوم أرزاء كربلاء»[3].

وقد وصف الغارةَ السماوي بهذه الأبيات[3]:

فشدّ لا يُثني هواه الثاني ... ومزّق الكتاب والمثاني

وهدّم الشباك والرواقا ... واستلب الحُليّ والأعلاقا

وقتل النساء والأطفال ... إذ لم يجد في كربلاء رجالا

لأنّهم زاروا الغدير قصداً ... فأرخوه بغدير عدا

مداهمة كربلاء

قال (لونگريك) في وصف الغارة الوهابيّة المُنكرة على مدينة كربلاء: «**انتشر خبر اقتراب الوهابيين من كربلاء في عشية اليوم الثاني من نيسان (١٨٠١م)، عندما كان معظم سكّان البلدة في النجف يقومون بالزيارة. فسارع مَن بقيَ في المدينة لإغلاق الأبواب، غير أنّ الوهابيين وقد قُدّروا بستمائة هجان وأربعمائة فارس نزلوا فنصبوا خيامهم وقسّموا قوتهم إلى ثلاثة أقسام. من ظل أحد الخانات هاجموا أقرب باب من أبواب البلد، فتمكّنوا من فتحه عسفاً ودخلوا، فدُهِشَ السكان، وأصبحوا يفرّون على غير هدى، بل كيفما شاء خوفهم.**

(١) أُنظر: زميزم، سعيد رشيد، الهجمات على كربلاء: ص٥٦.

(٢) الكليدار، عبد الحسين، تاريخ كربلاء المعلى: ص٢٢٢٠.

(٣) السماوي، محمد، مجالي اللطف بأرض الطفّ: ص٣٠٩ ـ ٣١٠.

أمّا الوهابيون الخُشّن، فقد شقّوا طريقهم إلى الأضرحة المقدّسة، وأخذوا يخرّبونها، فاقتُلِعت القُضُب المعدنيّة، والسياج، ثمّ المرايا الجسيمة، ونُهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات، والأُمراء، وملوك الفرس. وكذلك سُلِبت زخارف الجدران، وقُلِعَ ذهب السقوف، وأُخِذت الشمعدانات، والسجاد الفاخر، والمعلّقات الثمينة، والأبواب المرصّعة، وجميع ما وُجد من هذا الضرب، وقد سُحبت جميعها ونُقِلت الى الخارج»[1]. «وقُتِلَ زيادة عن هذه الأفاعيل قراب خمسين شخصاً بالقرب من الضريح، وخمسمائة أيضاً خارج الضريح في الصحن. وأمّا البلدة نفسها، فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فساداً وتخريباً، وقتلوا من دون رحمة جميع مَن صادفوه، كما سرقوا كلّ دار، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء ولا الرجال، فلم يَسلم الكلّ من وحشيّتهم ولا من أسرهم»[2]. «على أنّ الفاجعة الكبرى كانت على قاب قوسين أو أدنى، تلك الفاجعة التي دلّت على منتهى القسوة والهمجيّة، والطمع الأشعبي[3]، واستُعملت باسم الدين، وأنّ الجيوش الوهابيّة تحرّكت للغزو المختص بالربيع. فأرسل الكهية إلى الهنديّة إلّا أنّه ما كاد يغادر بغداد حتى وافت أخبار هجوم الوهابيين على كربلاء ونهبهم إيّاها، وهي أقدس المدن الشيعيّة وأغناها»[4].

وجاء في كتاب تاريخ المملكة العربيّة السعوديّة ما نصّه: «في سنة (١٢١٦هـ) سار الأمير سعود على رأس قوات كبيرة، جمعها من نجد والعشائر، والجنوب، والحجاز، وتُهامة، وغيرها، وقصد بها أهل العراق، وتمكّن جماعة من هذه القوة من الوصول إلى بلدة (كربلاء)، وحاصروها وتسوروا جدرانها، ودخلوها عنوةً، وقتلوا أكثر أهلها في الأسواق والبيوت، وخرجوا منها قرب الظهر، ومعهم أموال كثيرة، وارتحل القوم

(١) المصدر السابق: ص٢٦٠ـ٢٦١.
(٢) المصدر السابق: ص٢٦٠.
(٣) وأشعب: اسم رجل كان طمّاعاً. وفي المثل: أطمع من أشعب. الجوهري، الصحاح: ج١، ص١٥٧.
(٤) ستيفن هيمسلي، لونگريك، أربعة قرون من تاريخ العراق: ص١٦١، وص٢٦٢.

بعدها إلى الماء المعروف باسم (الأبيض)، فجمع سعود الغنائم، وعزل خُمسها، وقسّم الباقي بين جنوده، للراجل سهم، وللفارس سهمان، ثمّ عاد إلى وطنه الدرعيّة»[1].

أسباب الهجوم الوهابي على كربلاء

نستعرض فيما يلي الأسباب التي دعت آل سعود للهجوم على كربلاء، مستندين في ذلك إلى ما ورد من نصوص أرّخت لهذه الحادثة الأليمة، ومن خلال ذلك نستكشف الدافع الذي يقف وراء الهجوم الوهابي على كربلاء المقدّسة، ونمط الإرهاب الذي مارسته الوهابيّة في ذلك الهجوم الغاشم.

١ـ الميول الدنيويّة، والبيئة البدويّة المعتمدة على الغزو في عيشها

يرصد القارئ ما كتبه أحد المستشرقين في هذا المجال، حينما يتكلّم عن الوهابيّة آنذاك: «**لم تكن أعراب نجد تختلف في العقيدة والمذهب عن بقيّة المسلمين، إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري، حين نشر محمد بن عبد الوهاب تعاليمه الجديدة، التي جاءت موافقة لميول أُمّة بدويّة تعيش على الفطرة، معتمدة على الغزو في عيشها، ولاقت قبولاً حسناً من محمد بن سعود أميرهم**»[2].

يُريد أن يُرجع سبب غزو الوهابيّة لكربلاء على حدّ تعبيره إلى البيئة التي كان تعيش فيها الوهابيّة من جهة، وإلى الرغبة في التوسع، والتحكم في البلدان، والسيطرة على ثرواتها ومقدراتها من قبل الأمير محمد بن سعود من جهة أُخرى، ومَن يُراجع تاريخه وتطلعاته لا يشكّ في ذلك.

نوافق المستشرق في أنّ الميول الدنيويّة لأميرهم، كانت وراء كلّ غزوة غزاها ابن سعود في نجد وما قاربها، ويدلّ عليه ما جاء في كتاب (تاريخ العربيّة السعوديّة بين

---

(١) زميزم، سعيد رشيد، الهجمات التي تعرضت لها كربلاء عبر التاريخ: ص٥٦، نقلاً عن كتاب تاريخ المملكة العربيّة السعوديّة: ج١، ص٧٣.

(٢) الكليدار، عبد الجواد، تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام: ص٢٠٨.

القديم والحديث): «**وكان الانشغال الوهابي في بلاد ما بين النهرين يتركّز على أخذ الغنائم من هذه الأقاليم الغنيّة**»[1].

ولكن لا نوافقه على أنّ البيئة التي كان تعيش فيها الوهابيّة، هي التي ولّدت هذا النوع من القسوة، والعنف، والإرهاب، ولعلّ هذا ما ذهب إليه ابن خلدون تحت عنوان (الحتميّة الجغرافيّة)؛ حيث أرجع بعض التصرّفات إلى عامل البيئة ودورها في التأثير على تكوين شخصيّة الفرد فيها.

وهذه النظرية يمكن دحضها بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، وهم من نفس البيئة، بل أشدّ منها، مما يدلّ على أنّ البيئة ليست علّة تامّة، على أنّ كثيراً من الإرهابيين الجدد ينحدرون من بلدان ذات طبيعة جميلة.

٢ـ ضعف جبهة المواجهة لمدينة كربلاء

وهذا السبب يتألف من عدّة نقاط:

الأُولى: قلّة العدّة والعدد

كانت الهجمة الشرسة في يوم الغدير، وهو في العادة يوم توجه الزائرين من مختلف أنحاء البلاد الإسلاميّة لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ضمن هؤلاء الزوّار أهالي كربلاء المقدّسة، فلم يبقَ في المدينة إلّا القليل من الرجال، والأطفال، والشيوخ، والنساء، وبعض الزوار.

يوافينا (لونگريك) بوثيقة تُبيّن أسباب الهجوم على كربلاء المقدّسة: «**انتشر خبر اقتراب الوهابيين من كربلاء في عشيّة اليوم الثاني من نيسان (١٨٠١م)، عندما كان معظم سكان البلدة من النجف يقومون بالزيارة، فيسارع مَن بقيَ في المدينة لإغلاق الأبواب، غير أنّ الوهابيين وقد قُدّروا بستمائة هجان وأربعمائة فارس نزلوا...**»[2].

---

(١) الرشيد، مضاوي، تاريخ العربيّة السعوديّة بين القديم والحديث: ص٢٨.

(٢) ستيفن هيمسلي، لونگريك، أربعة قرون من تاريخ العراق: ص٢٥٩.

ويقـول (لويـس دوكورانسي): «**انتظر عبـد العزيز حلول العيد لمحاولة الاسـتيلاء عـلى البلـدة، وقـام بتنفيذ خطّته في (٢ نسـيان ١٨٠١ م)، وكان ذلك يـوم الحجّ إلى مقام علي، فكانت البلدة شبه مُقفرة**»[١].

الثانية: ضعف التحصينات الدفاعية

«**وكان سور المدينة يعني كربلاء مركبّاً من أفلاك نخيل مرصوصة خلف حائط من طين**»[٢].

الثالثة: خيانة الحامية العثمانيّة وتأخّر التعزيزات العسكريّة

«**ذكر السائح الهندي ميرزا أبو طالب خان وكان قد زار كربلاء بعد الواقعة أنّ الناس كانـوا يتّهمون عمر آغا حاكم البلدة، بأنّه كان متواطئـاً مع الوهابيين، وقام بمكاتبتهم، ولم يعمـل شـيئاً لحمايـة البلدة، والثابت أنّه هـرب إلى قرية قريبة من كربـلاء أوّل ما عَلِم بالخطر، فلم يدافع قطُّ، وقد قتله سليمان باشا أخيراً**»[٣].

وهنـاك وثيقة أُخرى تدلّ على هذا الأمر «**لم يكد يسـتقرّ بـه** [الوالي العثماني] **المقام في الخالص حتى وصله نبأ شـيخ المنتفق حمود الثامر، يعلمه بأنّ جيشـاً وهابياً قادماً نحو العراق؛ يريد الانتقام لحادثة النجف** [وقد كان وقع قتال بين الوهابيّة وأهالي النجف، وقُتـل مجموعـة من الوهابيّة في النجف]. **لم يكن الوالي على وضع يؤهله لمواجهة خطر، فـترك الأمر للكهية** [وزير الباشـوات العثمانيين] **علي باشـا، والظاهـر أنّ هذا الكهية لم يكـن متحمّسـاً للأمر، أو راغبـاً فيه من أعماق قلبـه، فخرج من بغـداد، ولكنّه توقّف في موقع الدورة، زاعماً أنّه ينتظر التحاق العشـائر به، وبينما كان على وشـك مواصلة السفر من هناك، جاء الخبر بالكارثة نتيجة الهجوم الوهابي على كربلاء**»[٤].

---

(١) لويس دوكورانسي، الوهابيون (تاريخ ما أهمله التاريخ): ص٧٧.

(٢) الكليدار، عبد الحسين، تاريخ كربلاء المعلى: ص٢٢.

(٣) خان، أبو طالب (رحلات في آسيا وأوروبا وأفريقيا)، نقلاً عن ستيفن هيمسلي، لونگريك، حاشية ص٢١٥.

(٤) الوردي، علي، لمحات اجتماعية: ص١٨٩.

لا ينبغي الشكّ في أنّ بعض الدواعي والأسباب تحتلّ الصدارة في تحريض هجوم الوهابيّة، وبعضها الآخر يحصل على الرتبة الثانية أو الثالثة، وربما لا يرقى إلى أيّ نسبة من الاهتمام، وأعتقد أنّ هذه النقطة المتقدّمة التي عدّها بعضٌ من أسباب الهجوم الوهابي على كربلاء، لا ترقى لتحريك الوهابيّة نحو كربلاء، فضلاً عن كونها سبباً للهجوم، ولـمَن تابع أخبار الوهابيّة في الهجوم على كربلاء بعد هذه الوقعة الأليمة، أو هجومهم على النجف الأشرف، يجد خير دليل على انخفاض نسبة هذا السبب في تحريض الوهابيّة على الهجوم على كربلاء المقدّسة.

ومما يدلّ على ذلك ما جاء في (تراث كربلاء): «**وقد صارت كربلاء بعد هذه الحادثة في حال يُرثى لها... وفي أوائل القرن التاسع عشر زار المدينة أحد ملوك الهند، فأشفق على حالها... وبنى للبلدة سوراً حصيناً؛ لصدّ هجمات الأعداء، وأقام حوله الأبراج والمعاقل، ونُصبت له آلات الدفاع على الطراز القديم، وصارت على مَن يهاجمها أمنع من ذي قبل**»[1].

ومع ذلك عاودت الوهابيّة الهجوم، ولم تترك كربلاء، وقامت بحرق مزارعها، وقتل الزائرين الذين كانوا متوجّهين لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، إلّا أنّهم لم يتمكنوا من دخول المدينة؛ بسبب استعداد أبنائها بعد أن علموا بأنّ هؤلاء النكرة متوجّهين للهجوم على مدينتهم.

وبعد فشل حملتهم استعدوا لحملة أُخرى للهجوم، لكنّهم فشلوا أيضاً؛ بسبب تقوية أسوار المدينة، وكانت هذه الحملة عام (١٢٢٠هـ)[2].

فلو كان ذلك هو السبب في الهجوم لَما تجرّؤوا على الهجوم مرّات بعد وقعة الطفّ الثانية.

---

(١) آل طعمة، هادي، تراث كربلاء: ص٣٧١.

(٢) أُنظر: زميزم، سعيد رشيد، الهجمات التي تعرضت لها كربلاء عبر التاريخ: ص٦٣.

وأمّا خيانة الحامية العثمانيّة على كربلاء، وهروب حاكم المدينة، وتأخر الجيش العثماني، فهو الآخر لا يملك رصيداً من القوة؛ لوضعه تحت قائمة أسباب الهجوم على كربلاء المقدّسة.

والسبب واضح جداً كما يظهر من هذه الوثيقة التي جاءت في كتاب (لونگريك) ما نصّها: «**كان ابن سعود هذا ذا قوّة عظيمة في الجزيرة، فأصبحت منذ ذلك الحين تُعرَف إمبراطورية ابن سعود النجديّة بالعقيدة الوهابيّة، وقد توسعت غزواتهم الدينيّة في جميع الجهات. وقد أصبح العراق من قبل (١٢٠٥هـ) يحس بوجود جار حديث غير مستقر**»[١].

فقد تكرّرت هجماتهم على حدود الدولة العثمانيّة آنذاك، ولم يأتِ الصلح المنعقد معهم في بغداد في عام (١٢١٤هـ) بنتائج نافعة للمنطقة.

علاوة على أنّ المدّ الخفي للاستعمار البريطاني الذي كان يُنازع الإمبراطورية العثمانيّة بشتى الوسائل، ومختلف الطرق، ومنها إيجاد مذهب جديد في المنطقة ينافس التوجه الديني للعثمانيين، وكلّ مَن اطّلع على تاريخ الحركة الوهابيّة تبيّن له علاقة محمد ابن عبد الوهاب مع أزلام الاستعمار البريطاني في البصرة وإصفهان، وحتى في نفس الجزيرة العربيّة، ومداومة ذلك فيما بعد من رجال جُدد، فنخلص إلى أنّ هذه النقطة ذات الشُعب الثلاث، لا تُعدّ سبباً من أسباب الهجوم الوهابي على كربلاء المقدّسة.

ولا يخفى على اللبيب أنّ التوسع الوهابي لا يتمّ إلّا بإزاحة العدو القريب منه، وهم العثمانيون، فكيف يقبل مقولة أنّ حاكم كربلاء العثماني قد تواطأ معهم في الهجوم عليه؟!

ويؤيد ذلك هذه الوثيقة: «**من عبد العزيز إلى قبيلة... واجبكم يدعوكم إلى الإيمان بالكتاب الذي أُرسل لكم، لا تكونوا وثنيين كالأتراك الذين يشركون بالله**»[٢].

---

(١) أُنظر: ستيفن هيمسلي، لونگريك، أربعة قرون من تاريخ العراق: ص٢٦١.

(٢) لويس دوكورانسي، الوهابيون (تاريخ ما أهمله التاريخ): ص٦٢.

٣ـ قتال المشركين واستباحة أموالهم

ليس من الغريب أن يسمع إنسان مسلم شيعي أو سني في القرن الثامن عشر، بأنّ أُناساً في بلاد المسلمين، لا يعرفون من التوحيد شيئاً، ولا يرون التوحيد الحقيقي إلّا اتّباع الحركة الوهابيّة بعد ظهورها، وعليه لا بدّ أن يُدعى المسلمون لدين جديد، هو دين محمد بن عبد الوهاب، ومناصرة دنيا ومُلك ابن سعود.

قال ابن عبد الوهاب لابن سعود: «**إنّي أرجو إن أنت قمت بنصر (لا إله إلّا الله) أن يظهرك الله، وتملك نجداً وأعرابها**»[١].

وكأنّه لا يرى من أهل القبلة أحداً يقول أو ينصر (لا إله إلّا الله).

وبدأ المشروع التوسعي تحت غطاء ديني، ولكنّه بلباس جديد، وأحكام من متبنيّات محمد بن عبد الوهاب؛ لأنّه تنكّر لعقائد المسلمين جميعاً حتى لمذهبه الذي كان عليه، فخالف إمامه أحمد بن حنبل.

وقد أعطى بذلك ـ لأتباعه من أجلاف وعتاة نجد ـ الحجّة لغزو كلّ مَن خالفهم باعتبارهم مشركين، تحلّ دماؤهم، وأموالهم، ونساؤهم[٢].

وإليك أيّها القارئ العزيز وثيقة أُخرى من أميرهم سعود في تكفير الشيعة بالخصوص، وكان قد بعثها إلى علي باشا يطلب بها الصلح من العثمانيين، ما نصها: «**من سعود العبد العزيز إلى علي، أمّا بعدُ، ما عرفنا سبب مجيئكم إلى الحسا، وعلى أيّ منوال جئتم، أمّا أهل الحسا فهم أرفاض ملاعين، ونحن جعلناهم مسلمين بالسيف** [إلى أن يقول:] **فالآن مأمولنا المصالحة، فهي خير لنا ولكم، والصلح سيّد الأحكام**»[٣].

وهل توجد صراحة أكثر من هذه الرسالة تُبيّن دين مَن خالفهم، ولم نكن نعلم قبل الوهابيّة أنّ أهل الحسا كفار أو مشركون.

---

(١) الآلوسي، محمود شكري، تاريخ نجد: ص١٠٦ـ ١٠٨.

(٢) أُنظر: الوردي، علي، لمحات اجتماعية: ج١، ص١٨٠.

(٣) المصدر السابق: ص١٨٦.

وهذه وثيقة أُخرى من أقرب الناس إلى محمد بن عبد الوهاب، وهو أخوه سليمان، إذ كتب المؤرِّخ الحجازي زيني دحلان: «**وقال له سليمان** [لمحمد بن عبد الوهاب] **يوماً: كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب؟ فقال: خمسة، فقال: بل أنت جعلتها ستة، السادس: مَن لم يتبعك فليس بمسلم. هذا ركن سادس عندك للإسلام**»[1].

وهذا ابن سند البصري يوافيك في وصف الحركة الوهابيّة وكان معاصراً لها تقريباً بقوله: «... **ولولا ما في الوهابيّة من هذه النزعة أعني نزعة تكفير مَن عداهم تملّكوا جميع بلاد الإسلام، وأدخلوهم تحت حكمهم بطوعهم واختيارهم، ولكن بسبب هذه النزعة أبغضتهم الأُمم، وتسلّطت عليهم الدول**»[2].

أمّا العثمانيون بنظر الحركة الوهابيّة، فهم وثنيون، كما يُعبّر عبد العزيز في رسالة له إلى قبيلة من القبائل، يدعوها إلى إسلام محمد بن عبد الوهاب: «**من عبد العزيز إلى قبيلة... واجبكم يدعوكم إلى الإيمان بالكتاب الذي أُرسِل لكم، لا تكونوا وثنيين كالأتراك الذين يشركون بالله، إذا آمنتم نجوتم، وإلّا فنقاتلكم حتى الموت**»[3].

وهذا عامل آخر للهجوم على كربلاء المقدّسة التي كانت تحت النفوذ العثماني، إضافة إلى كون قاطنيها الشيعة أرفاض ملاعين كما يدّعي.

ومن قبلُ فقد: «**توافقت رغبة محمد بن عبد الوهاب، الذي ينشد الدعم العسكري، ورغبة الأمير الطموح، الذي ينشد الدعم الديني في توحيد جهودهما، وتمّ التحالف المنشود**»[4].

وكانت هذه الدعوة الجديدة تحتاج إلى فرصة مؤاتية تقتضيها التحضيرات للهجوم على كربلاء، واستغلال الوقت والحال المناسب للغزو، ومما شجع الوهابيين الأنباءُ التي وردت عن دخول جيش نابليون إلى مصر في عام (١٧٩٨م).

وعجز الباب العالي أمام الغازي الفرنسي. وبتتابع الأحداث وفي عام (١٨٠١م)

(١) اليكسي فاسيليف، تاريخ العربيّة السعوديّة: ص١٠٦. أُنظر: درويش، تاريخ السعودية: ص٢٦ـ٢٧.
(٢) الوردي، علي، لمحات اجتماعية: ج١، ص٨١ ٨٢.
(٣) لوس دوكورانسي، الوهابيون (تاريخ ما أهمله التاريخ): ص٦٢.
(٤) اليكسي فاسيليف، تاريخ العربيّة السعوديّة: ص١٣١.

حلّ الإنجليز محلّ الفرنسيين في مصر، والتي كانت تناكف الإمبراطوريّة العثمانيّة لبسط الهيمنة على أرجاء العالم. فغدت الجزيرة العربيّة طرفاً بعيداً عن مسرح العمليّات الحربيّة الرئيس، وهذا ما أطلق يد الوهابيين في مواصلة توسعهم خارج نجد، فاختمرت فكرة الهجوم على كربلاء؛ لنهبها وسلبها، والقضاء على مشركيها، وهدم صرح الشرك والضلال والكفر بزعم الوهابيّة[1].

وطبق النظرة العسكرية للغازي، هجمت الوهابيّة على كربلاء في ربيع (١٨٠١ أو ١٨٠٢م) على اختلاف التواريخ ـ في جيش قوامه على أقلّ التقديرات (١٢) ألفاً بين فارس وهجان ـ على حين غرة من أهلها وفي يوم الغدير. وقد «**انتظر عبد العزيز حلول موعد العيد؛ لمحاولة الاستيلاء على البلدة، وقام بتنفيذ خطته في (٢ نسيان ١٨٠١م)، وكان ذلك يوم الحج إلى مقام علي، فكانت البلدة شبة مقفرة**»[2].

وفعلوا فعلتهم التي أدانها القريب والبعيد، وسُطِّرت في كتبهم، وتداولوا الحديث عنها في أنديتهم.

كلّ ما قدّمناه من وثائق لسبب الهجوم على كربلاء كان قبل الواقعة، أمّا وثائق ما بعد الواقعة، فتؤكد أنّ السبب في الهجوم كان سببه فكرة تكفيريّة للشيعة، وأنّ كربلاء بلاد الشرك والضلال:

الوثيقة الأُولى: قول أمير الوهابيّة بعد أن خرج من كربلاء، وفعل فعلته النكراء متبجحاً: «**لو لم نكن على الحق لَمَا انتصرنا**»[3]. وفيها دلالة واضحة على الرؤية الطائفية التي يتمتع بها هذا الرجل مع كل ما ارتكبه من قتل ونهب وتخريب في بلاد الإسلام والمسلمين.

الوثيقة الثانية: جاء في تاريخ العربيّة السعوديّة: «**عندما كان الوهابيون يحتلّون**

(١) أُنظر: المصدر السابق: ص١٣٢.

(٢) لويس دوكورانسي، الوهابيون (تاريخ ما أهمله التاريخ): ص٧٧.

(٣) البصري، عثمان، مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوُد: ص٧٤. وأُنظر: محب الدين الخطيب، أمين ابن حسن، خمسة وخمسون عاماً في تاريخ العراق: ص٧٤.

واحة أو مدينة، يحطّمون الشواهد والأضرحة على قبور الأولياء والصالحين، ويحرقون كتب الفقهاء الذين يختلفون معهم»[1].

وهذا ما وقع حقيقةً بعد سيطرتهم على كربلاء؛ إذ اتجهوا نحو الضريحين المقدّسين وخرّبوهما، ونهبوا كلّ ما فيها بعد قتل كلّ أو أغلب مَن التجأ إليهما واحتمى بهما. وهل يجوز احتلال بلاد المسلمين؟! إلّا أنّ الوهابيّة يعتبرون كربلاء بلد كفر وأوثان، وهذا الأمر ليس من نسج الخيال، أو من حكايات الحكواتي، فإنّك تجد اليوم الامتداد لهذا النهج من داعش وأمثالهم.

الوثيقة الثالثة: تقسيم الغنائم حسب الحكم الشرعي، خُمسه لأميرهم، والباقي للغزاة: للفارس سهمان، وللهجان سهم.

جاء في كتاب تاريخ المملكة العربيّة السعوديّة تحت عنوان (مداهمة كربلاء): «**في سنة (١٢١٦هـ)، سار الأمير سعود على رأس قوات كبيرة جمعها في نجد، والعشائر، والجنوب، والحجاز، وتُهامة، وغيرها، وقصد أهل العراق، وتمكّن جماعة من هذه القوة، من الوصول إلى بلدة (كربلاء)، وحاصروها وتسوّروا جدرانها، وخرجوا منها قرب الظهر... فجمع سعود الغنائم وعزل خمسها، وقسّم الباقي بين جنوده: للراجل سهم، وللفارس سهمان»**[2].

وهل يوجد أدّل من تقسيم الغنائم على هذا النحو في غير أموال المسلمين؟

إذاً، فالإرهاب الوهابي على كربلاء كان من نتائج الفكر الوهابي التكفيري، المبتني على عقائد محمد بن عبد الوهاب في تكفير المسلمين، وإن كان الهدف الذي يصبُّ في خدمة التوسع السياسي والسلطوي لا يُغفل في الهجوم على كربلاء المقدّسة.

إذاً، إرهاب الوهابيّة نمط من الإرهاب استغل اسم الإسلام، ولا زال العالم

---

(١) اليكسي فاسيليف، تاريخ العربيّة السعوديّة: ص١١٣.

(٢) زميزم، سعيد رشيد، الهجمات التي تعرضت لها كربلاء عبر التاريخ: ص٥٦، نقلاً عن كتاب تاريخ المملكة العربيّة السعوديّة: ج١، ص٧٣.

الإسـلامي يعيش تبعاتـه إلى اليوم، وأخبار العراق والشـام واليمن شـاهد حي على الفكر التكفيري، الذي زُرِع في قلب الإسلام للنيل منه، وإظهاره بأبشع صورة يتنفّر منها الطبع الإنساني؛ بُغية خدمة الأغراض التي تصبُّ في صالح اليهود والاستعمار؛ لوقـف التمـدد الطبيعي للإسـلام البديـل الحتمي للأنظمـة الأُخرى بعـد أن عانت الشـعوب في ربـوع المعمورة مـن الظلم الاجتماعي والسـياسي والاقتصـادي، وفقد العدل وتحوّلت البلدان إلى غابات بصور آدميين.

أخلاق الحرب في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

د.الشيخ عدي السهلاني*

مقدّمة

جاءت الرسالة الإسلامية الخاتمة لهداية الإنسان، وتحريره من جميع ألوان الانحراف في فكره وسلوكه، وتحريره من ضلال الأوهام ومن عبادة غير الله الواحد الصمد، ومن الانسياق وراء الشهوات والمطامع التي يزيّنها له الشيطان، وتهذيب نفسه من بواعث الأنانية والحقد والعدوان، ومن الرذيلة والانحطاط.

فالأخلاق[1] العظيمة السامية تُرافق الرسالة العظيمة التي حملها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى العالمين، ولها أهميّة بالغة في صياغة مفاهيم وقيم وأحكام هذا الدين الحنيف، وتُمثّل أهم الجهات الإنسانيّة التي عُني بها الدين الإسلامي الحنيف، واهتمَّ بها اهتماماً كبيراً، وهذا ما يظهر جليّاً من تعاليم القرآن الكريم وإرشادات السنّة الشريفة؛ إذ يدخل العامل الأخلاقي في كلّ مرفق من مرافق الحياة التي يدعو لها الإسلام ويحث على رعايته والاهتمام به، سواء في علاقته بنفسه أم بأُسرته وأرحامه وجيرانه، أو ضمن المجتمع الكبير الذي يبني فيه الإنسان المسلم علاقاته المختلفة

---

* دكتوراه في الفقه الإسلامي، أُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

(١) (الأخلاق) مفردها: خلق؛ «وخلق: الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما: تقدير الشيء، كقولهم: خَلَقْتُ الأديم للسقاء، إذا قدَّرته (صنَّعته). والآخر: ملاسة الشيء، كقولهم: صخرة خلقاء، أي: ملساء». ومن الأوّل نأخذ معنى الخُلُق: وهي السجيَّة؛ لأنّ صاحبه قد قدّر عليه. معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٢١٤، بتصرّف. وقد عرَّفه النراقي بقوله: «عبارة عن ملكة للنفس، مقتضية لصدور الأفعال بسهولة، من دون احتياج إلى فكر ورويّة». النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات: ج١، ص٤٦.

مـع المسـلمين وغيرهـم، عـلى مختلـف الأصعـدة؛ الاجتماعيـة منهـا، والاقتصادية، والعلمية وغيرها، كما لم يغفل الإسـلام عن قيم الأخلاق حتّى في الحروب مع أعداء الدين.

وإذا تأمّلنا سـيرة الرسـول الأكرمﷺ نجدها الأُنموذج الأرقى لمكارم الأخلاق، كيف لا وقد خاطبه الباري سـبحانه وتعالى بقولـه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، ولو كان هناك خطاب أجلّ منه في المدح والثناء لمدحه به ـ جلّ وعلا.

فقد كانت أخلاقهﷺ معجزة من معاجزه الخالدة، التي تُدلّل على صدق نبوّته؛ إذ تعامل بأخلاق عالية حتّى مع أعدائه والمناوئين له، وشهد بذلك أئمة الكفر أنفسهم، فهـذا أبو سـفيان الذي أعلن ذلـك صراحة بقولـه للنبيﷺ: «**ولقـد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثمّ سالمتك فنعم المسالم أنت**»[2].

ناهيك عن المواقف التي تُدلّل على ذلك، والتي تزخر بها كتب المؤلفين، نعم فقد كان قلبه يتّسع لكل النّاس.

وأمّـا حروبهﷺ التي خاضها، فهي إنّما كانت دفاعاً عن وجود الإسـلام وكرامة الإنسـان، ومن أجل إعـلاء كلمة الله في الأرض، وتحقيق العـدل والحق في الأرض، وإشـاعة الأخلاق الفاضلة، ولم يحارب يوماً إلّا بعد الإبلاغ والنصيحة والدعوة إلى عبادة الله الواحد، والذين حاربهم هم أُولئك الطغاة المستبدّون الذين تسلّطوا على رقاب النّاس، ومنعوا من وصول صوت الإسلام إلى آذان المحرومين والمعذّبين في الأرض[3].

---

(١) القلم: آية ٤.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج٢٣، ص٤٣٢.

(٣) وهذا ما كان يدعو النبيﷺ للتأسّف والتحسّر لموقف قريش المعادي للإسلام حتّى قال: «يا ويحَ قريش! قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله، لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله به حتّى يُظهره الله أو تنفرد هذه السالفة». الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٢، ص٢٧٢.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يَترك طريقاً من أجل هداية عدوّه وإرشاده إلاّ سلكه، فكان همّه الوحيد هداية خصمه بأية وسيلة، كما كان يُوصي أُمراء جيشه أن لا يقتلوا إلّا مَن قاتلهم، وكان يَنهاهم عن المُثلة[1] ولو بالكلب العقور[2].

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة، وتغلّب على مشركي قريش الذين حاربوه وآذوه وأخرجوه من دياره وتآمروا عليه وأرادوا قتله بكل وسيلة عفا عنهم، وقال مقولته المعروفة: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[3].

لقد سلك أئمة أهل البيت عليهم السلام منهج رسول الله صلى الله عليه وآله، وتأدّبوا بآدابه السامية، وتَرجموها واقعاً في أعمالهم وممارساتهم وعلاقاتهم، في سلمهم وحربهم، فكانت إرادة الله لهذه الصفوة من الخلق أن تكون أخلاقهم قدوة لجميع النّاس على مرِّ العصور والأزمان، وفي جميع جوانب الحياة المختلفة، لتحقيق الخير والعدل والسعادة للبشرية.

ولو تَصفّحنا حياةَ الإمام الحسين عليه السلام لوجدنا الخلق الرفيع هي الخصيصة البارزة في سلوكه وحياته، فقد أثبت بسلوكه الرسالي، وأخلاقه العالية التي هي أخلاق رسول الله وأخلاق القرآن الكريم أنّه كان بحقٍّ ممثّل الرسالة، والوريث الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله، فصار عليه السلام الإسلام نفسه بكلّ قيمه ومبادئه العظيمة الخيِّرة، حتّى اعترف له بذلك عدوّه اللّدود معاوية بن أبي سفيان أمام ابنه يزيد وجمع من أعوانه ومريديه، حين طلبوا منه أن يُبيّن عيباً للحسين بن علي عليهما السلام، فقال: «**وما عسيتُ أن أعيبَ حسيناً، وما أرى للعيب فيه موضعاً**»[4].

لقد رسم لنا الإمام الحسين عليه السلام أُنموذجاً رائعاً في المواقف الأخلاقيّة الخالدة، لا سيّما في نهضته المباركة التي قام بها للوقوف بوجه الانتهاكات غير الأخلاقيّة للحزب

(١) تشويه جسد الميت.
(٢) أُنظر: نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح: ص٤٢٢.
(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٣، ص٥١٣.
(٤) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٢.

الأُموي الظالم، هذه النهضة التي لم تَنفكّ عن أخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه العظيمة، التي كانت تُمثل أخلاق محمد المصطفى صلى الله عليه وآله الملتزمة بحذافير التشريع الإسلامي ودقائق المُثل العليا للدين.

وهذا ما يتّضح من خلال سلوكه وأخلاقه في ظروف الحرب، التي تُعتبر من أشدّ الظروف التي يُمكن أن تَمرَّ على الإنسان، ففي تلك المواقف التي يَصعبُ فيها ضبطُ التصرّفات والتعاملات وفق الضوابط الأخلاقيّة والإنسانية، إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام وهو ثمرة تربية الرسول وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء عليهم السلام أثبت أنّ الالتزام بالقواعد الإسلامية المثالية التي وردت في كتاب الله تعالى ليس ضرباً من الخيال، أو تحتاج إلى عالمٍ مثالي خالٍ من الشر والرذائل، بل هو أمر ممكن؛ لأنّها قواعد واقعية إضافةً إلى كونها مثالية، قواعد يمكن تطبيقها، وأن يحيى بها الإنسان كما استطاع الرسول صلى الله عليه وآله أن يحيى بها، وهكذا الإمام عليّ وسائر المعصومين عليهم السلام.

وفيما يلي نعرض أهم المواقف الأخلاقيّة التي اتّخذها الإمام الحسين عليه السلام في حربه ضد طاغية عصره، وسيكون بحثنا في محاور ثلاثة هي:

أوّلاً: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع الأعداء.

ثانياً: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع الأتباع.

ثالثاً: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع غير الإنسان.

المحور الأول: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع الأعداء

ويتضمن هذا المحور عدّة نقاط هي:

١ـ الحوار وإلقاء الحجة على الخصم

ذكرنا فيما سبق أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد تجسّدت فيه أخلاق الإسلام وأخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنها المحافظة على القيم الأخلاقيّة حتى في حال الحرب، ومن

مصاديـق هـذه الأخلاق حواره مـع الأعداء والمخالفـين، وإلقاء الحجّـة عليهم قبل الحـرب، وهو خُلق قرآني محمّدي، فالإمام كان حريصاً على هداية الآخرين، سـاعياً لتوضيح الحقائق وكشف الأُمور وبيان الواقع لهم، ليهلك مَن هلك عن بيّنة، ويحيى مَن حيّ عن بيّنة.

وهذا ما يظهر لنا بوضوح في كلّ موقف وقف فيه الإمام مع مَن يختلف معه، حتّى وإن كان مِمَّن يريد قتله وسـفك دمه، فكان يُحاورهم بالتي هي أحسـن، من قبيل الحرّ وجيشه؛ إذ تَحدّث معهم ونصحهم، وذلك في منطقة البيضة[1]، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «**أيُّها النّاس، إنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رآى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسـنّة رسـول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغـيّر عليـه بفعل ولا قول كان حقاً عـلى الله أن يُدخله مُدخلـه. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعـة الشـيطان، وتركوا طاعة الرحمـن، وأظهروا الفسـاد وعطّلوا الحدود، واسـتأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ مَن غيّر، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عـليَّ رُسـلكم ببيعتكـم أنّكم لا تسـلموني ولا تخذلوني، فـإن تممتم عـلى بيعتكم تصيبوا رُشـدكم، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، فلكم فيّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمـري، مـا هي لكـم بنكر، لقـد فعلتموها بـأبي وأخي وابـن عمّي مسـلم، والمغرور مَـن اغترّ بكم، فحظكم أخطأتـم ونصيبكم ضيّعتم، ومَن نكث فإنّما ينكث على نفسـه، وسيغني الله عنكم والسلام**»[2].

وهكـذا كانـت خطاباته الكثـيرة في جموع جيش يزيـد في يوم عاشـوراء، فالإمام الحسـين عليه السلام لم يكن ينتظر من أُولئك شـيئاً إلّا الرغبـة في إنقاذهم من ضلالهم، فكان

(١) بيضة: «موضع بين العذيب وواقصة في أرض الحزن من ديار بنى يربوع بن حنظلة». أُنظر: الحموي، معجم البلدان: ج١، ص٥٣٢.

(٢) الأزدي، أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٥ ـ ٨٦.

ينادي: «**فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلُّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيّكم**صلى الله عليه وآله**، وابن وصيّه وابن عمّه وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟! أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟! أوَ ليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟! أوَ لم يبلغكم قول مُستفيض فيكم أنّ رسول الله**صلى الله عليه وآله** قال لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنّة.**

فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله، ما تعمدّت كذباً مُذ علمت أنّ الله يَمقُتُ عليه أهله، ويضرُّ به مَن اختلقه، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، أو أبا سعيد الخدري، أو سهل بن سعد الساعدي، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك؛ يُخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول اللهصلى الله عليه وآله** لي ولأخي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!... فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكّون أثراً ما أنّي ابن بنت نبيّكم؟! فوالله، ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيّكم خاصّة، أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟!**»[1].

فمن خلال هذه الكلمات وغيرها بيّن الإمام الحسين**عليه السلام** واقع الأمر، وأوضح لهم قبح العمل الذي يُوشكون على فعله، فلم يترك عذراً لمُعتذر.

كما أنه**عليه السلام** أذن لِمَن أراد أن يخطب من أصحابه لوعظ القوم، كزهير بن القين الذي خرج حينما زحف جيش يزيد نحو معسكر الإمام الحسين**عليه السلام**، وقد أبلغ بالنصح والوعظ لهم، إلاّ أنّ القوم لم يستجيبوا لهذا النداء، بل سبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد، فكانوا ممَّن ختم الله على قلوبهم، ووصل الحال أن رماه شمرُ بن ذي الجوشن بسهم ولم يُثنِه ذلك من النصيحة لهم، ولكنهم أصرّوا على غيّهم وضلالتهم، عند ذلك ناداه رجل من معسكر الإمام**عليه السلام** قائلاً: «**إنّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري، لئن**

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٢.

كان مؤمـن آل فرعون نصـح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ»[1].

ثم تقدّم الإمام الحسين عليه السلام حينما رأى صفوفهم كالسـيل والليل، فخطب قائلاً: **«الحمـد لله الـذي خلق الدنيـا فجعلها دار فنـاء وزوال متصرّفة بأهلها حـالاً بعد حال، فالمغرور مَن غرَّته، والشقيّ مَن فتنته، فلا تغرنّكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور... فنعم الربّ ربّنا! وبئس العباد أنتم! أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله، ثمّ أنتم رجعتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيـم، فتبـاً لكم ولما تريدون! إنّـا لله وانّا إليه راجعون! هؤلاء قـوم كفروا بعد إيمانهم فبُعداً للقوم الظالمين»**[2].

ولم يَنحـصر كلام الإمام عليه السلام في النصح والموعظة وإلقـاء الحجّة مع الجموع فقط، بـل كان ذلـك مع آحاد النّـاس أيضاً، كعبيد الله بـن الحرّ الجعفي، الـذي كان عثماني العقيـدة كما يذكـر بعض المؤرخـين ولأجل ذلك خـرج إلى معاوية وحـارب الإمام علياً عليه السلام يـوم صفـين[3]، وكان من زعـماء العرب، ولكنّـه مع ذلك لمّا اكتشـف ظلم الأُمويـين وعدوانهـم حاول منـذ البدايـة أن يتجنّب حرب الحسـين عليه السلام، فخرج من الكوفـة هرباً وتخلّصاً من ابن زياد، ولكنّه التقـى الإمام عليه السلام في الطريق، فَعرضَ عليه الإمام الحسـين عليه السلام نصرته فأبـى، مع علمه واعترافه بالسـعادة الأُخروية لمن يشـايع الحسـين عليه السلام، وكان مـا كان مـن موقف إذ عرض عـلى الإمام أن يأخذ فرسـه، إلّا أنّ الإمام عليه السلام رفض ذلك قائلاً: **«أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا إلى فرسك»**[4].

ويشـبه هذا الموقـف موقف عمرو بن قيـس المشرقي وابن عمـه، اللذين التقاهما الحسـين عليه السلام وطلب منهـما النصرة، وألقى عليهـما الحجّة، فاعتـذرا بالعيال وأمانات

(١) المصدر السابق: ص٣٢٤.
(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٩.
(٣) أُنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج٣، ص١٤٨.
(٤) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٥١.

النّاس، فقال الإمام عليه السلام لهما: «**فانطلقا فلا تسمعا لي واعية، ولا تريا لي سواداً؛ فإنّه مَن سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا فلم يُجبنا ولم يُعنّا كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أن يكبّه على منخريه في النار**»[1].

وعندما عجزت الوسائل السلميّة وأُلقيت على الأعداء الحجّة، ووصل الأمر إلى طريق مسدود كانت الحرب هي نهاية المطاف؛ لأنّ الإمام عليه السلام أبى إلّا العزّة والكرامة، وقال مقولته المشهورة: «**والله، لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد**»[2].

٢ـ رفض البدء بالقتال

المعروف من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام هو عدم البدء بالقتال في حروبهم مع أعداء الإسلام الأصيل؛ لأنّهم عليهم السلام دعاة سلام وليسوا دعاة حرب، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله في معاركه التي خاضها كمعركة بدر وغيرها ـ وهي معارك دفاعية ـ يبتدأ أعداءه بالقتال، ولا يقاتل إلّا بعد أن يبدأ الطرف الآخر بذلك.

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يبدأ أحداً بقتال كان الإمام علي عليه السلام كذلك، ولم يكن موقفه من الخوارج، إلّا امتداداً لذلك الخُلُق المحمّدي، فقد قال عليه السلام لأصحابه: «**كفّوا عنهم حتّى يبدأوكم**»[3].

وهذا ما قام به سيّد الشهداء في ثورته المباركة، حيث حرص عليه السلام على تجسيد مفاهيم الإسلام وقيمه في الحروب، فقد رفض البدء بالقتال، ففي طريقه إلى كربلاء قابل أوّل طلائع جيش يزيد بن معاوية بقيادة الحرّ الرياحي، الذي جعجع بالإمام الحسين عليه السلام، ومنعه من أن يُواصل طريقه إلى الكوفة، فطلب زهير بن القين من الإمام عليه السلام قتالهم؛ لأن ذلك أهون من قتال الجيوش التي سوف تأتي بعدهم.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص٢٥٩.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٨.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج٢، ص٣٧١.

فقال الإمام عليه السلام: «**ما كنت لأبدأهم بالقتال**»[1]. ولو أنّ الإمام قاتلهم لهزمهم، ولكنّه رفض البدء بقتالهم.

وفي اليوم العاشر من المحرّم وقف شمر أمام معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وبدأ يكيل السباب والشتم للإمام، فأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فقال له الإمام عليه السلام: «**لا ترمِه؛ فإنّي أكره أن أبدأهم**»[2].

وقبل نشوب الحرب كان كلّ مَن يخرج من أنصار الإمام الحسين عليه السلام للوعظ والنصيحة يتراجع إلى الوراء إذا رُمي بالسهام؛ اتّباعاً لتعليمات الإمام الحسين عليه السلام.

وكان هذا الخُلُق حجّة أُخرى على القوم تُضاف إلى الحجج المتقدّمة، وكما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام موصياً أصحابه: «**لا تقاتلوا القوم حتّى يبدأوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وترككم إياهم حتّى يبدأوكم حجّة أُخرى لكم**»[3].

ولهذا كان الإمام الحسين عليه السلام يقول لجيش يزيد (لعنه الله): «**...أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة...**»[4].

٣ـ سقاية جيش الحر

إنّ المواقف الإنسانية والأخلاقيّة التي وقفها الإمام الحسين عليه السلام في رحلته إلى الشهادة على صعيد كربلاء قلَّ نظيرها، ولو وُجِدت لكانت مُنحصرة ببيت النبوّة والإمامة، ومن هذه المواقف سقاية الماء للأعداء، التي تأسّى فيها الإمام الحسين عليه السلام بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد نقلت لنا كتب التاريخ والسير أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة بدر أمرَ المسلمين بالسماح للمشركين بشرب الماء من البئر التي كانت تحت سيطرة جيش المسلمين[5].

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٨٤.
(٢) الأزدي، أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام: ص١١٦.
(٣) العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٥، ص٩٣.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٢٣.
(٥) أُنظر: ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج١٤، ص١٢٢.

وهذا ما فعله أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفّين، فبالرغم من أنّ الماء في بادئ الأمر كان تحت سيطرة معسكر معاوية، الذين أحاطوا بشريعة الفرات، وسألهم الإمام علي عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء، فيشرب الجيشان على السواء. فقال معاوية: لا والله، ولا قطرة حتّى يموتوا عطشاً. عند ذلك تَقدّم الإمام عليه السلام بأصحابه، وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتال ذريع، سقطت فيه الرؤوس والأيدي، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين، كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال عليه السلام: «**لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يُغني عن ذلك**»[1]؛ فإنَّ أخلاق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الإلهية أبت عليه أن يُقابل الشرّ إلّا بالخير، والسيئة إلّا بالحسنة، والضلال إلّا بالهُدى[2].

وهكذا كانت أخلاق سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام مع الحرّ الرياحي وكتيبته كتيبة الطليعة التي كان قوامها ألف فارس، حين التقوا بالركب المبارك للإمام عليه السلام وقد أوشك العطش أن يفتك بهم.

وتفصيل ذلك: إنّ الإمام الحسين عليه السلام سار من «**بطن العقبة حتّى نزل شراف**[3]، **فلمّا كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا، ثمّ سار منها حتّى انتصف النهار،**

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص٢٣ـ ٢٤.

(٢) وكانت أخلاق الإمام علي عليه السلام معروفة لأعدائه، وهذا ما يظهر من قول عمر بن العاص لمعاوية بعد أن منعوا جيش الإمام من الماء: «يا معاوية، ما ظنك بالقوم إن منعوك الماء اليوم كما منعتهم أمس، أتُراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ وما أغنى عنك أن تكشف لهم السوءة. قال: دع عنك ما مضى منه، ما ظنّك بعلي؟ قال: ظنّي أنه لا يستحل منك ما استحللت منه، وأنّ الذي جاء له غير الماء». المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص١٨٦.

(٣) شراف: (ماء بنجد). اُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج٣، ص٣٣١.

فبينا هو يسير إذ كبّر رجل من أصحابه. فقال له الحسين عليه السلام: الله أكبر، لِمَ كبّرت؟ قال: رأيت النخل. فقال له جماعة من أصحابه: والله، إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قط. فقال الإمام الحسين عليه السلام: فما ترونه؟ قالوا: نراه والله آذان الخيل. قال: أنا والله أرى ذلك. ثمّ قال عليه السلام: ما لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم بوجهٍ واحد؟ فقلنا: بلى، هذا ذو حَسمى[1] إلى جنبك، تميل إليه عن يسارك، فإن سبقت إليه فهو كما تريد. فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل[2] فتبيّناها وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأن أسنتهم اليعاسيب[3]، وكأن راياتهم أجنحة الطير، فاستبقنا إلى ذي حسمى فسبقناهم إليه، وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضُربت. وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حَرِّ الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمّون متقلدوا أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس[4] من الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزِلَت عنه وسقوا آخر، حتّى سقوها كلّها. فقال علي بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية. والراوية عندي السقاء، ثمّ قال: يا بن أخي، أنخ الجمل. فأنخته، فقال: اشرب. فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام: أخنث السقاء. أي: اعطفه، فلم أدرِ كيف أفعل، فقام فخنثه فشربت وسقيت فرسي»[5].

---

(١) جبال شواهق بالبادية.

(٢) أقبلت هوادي الخيل: إذا بدت أعناقها.

(٣) اليعاسيب: جمع يعسوب، وهو أمير النحل، شبهها في كثرتها بأن كلاً منها: كأنّه أمير النحل اجتمع عليه عسكره.

(٤) الطساس: جمع طسّ، وهو معرّب طست، وهو إناء معروف. اُنظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٢، ص٢١٠.

(٥) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٦ـ٧٨.

إنّ مثـل هكذا مواقـف تتزاحم فيها القيـم الأخلاقيّة لكثرتها، فتجـد فيها الرحمة والعطف والشـفقة والإحسـان والكرم من قِبَل الإمام عليه السلام على هؤلاء الجمع في تلك البيـداء المقفرة التي تعزُّ فيها الجرعة الواحدة، وهو عـالم بحراجة الموقف ونفاد الماء، وأنّ غداً دونه تسيل النفوس، ولكن العنصر النبوي والكرم العلوي لم يتركا صاحبهما إلّا أن يحوز الفضل.

وهنا كان بإمكان الإمام عليه السلام أن يبيدهم عن آخرهم، ويغنم كلّ ما معهم من خيول وجمال ومتاع، وكان ذلك عليه سـهلاً يسيراً، إلّا أنّ أخلاقه العالية دعته لأن يسقيهم ويرشّف خيولهم، مع علمه بأنّهم سيقاتلونه في نهاية المطاف.

وهـذه المناقب العالية والأخلاق السـامية هي أمرٌ طبيعي ومتوقع في سـجلِّ أهل البيت الأطهار عليهم السلام؛ لأنّ عادتهم الإحسان، وسجيّتهم الكرم حتّى مع الأعداء.

وهـذه أخـلاق لا يُعادلهـا شيء، فلو عرضنا هـذه المواقف للعالم لدخـل العالم إلى الإسلام عن طريق الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

٤ ـ قبول توبة مَن خالفه

بعـد تلك الخطابات التي خطبها الإمام الحسـين عليه السلام وبعض أصحابه رضوان الله عليهم والتي بيّنوا من خلالها الحقائق وواقع الأُمور، والهدف الذي خرجوا من أجله بوجـه الطاغيـة يزيد ندم الحـرّ الرياحي على ما اقترفه من خطأ حـين منع الإمام ومَن معـه وجعجع بهم، وفي الصعاب والملمات تظهر معـادن الرجال، فحينما زحف عمر بن سـعد نحو معسكر الإمام الحسـين أتاه الحرّ قائلاً: «**أصلحك الله! أمُقاتل أنت هذا الرجل؟ قال له: أي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي. قال: أفما لكم في واحـدة من الخصـال التي عرض عليكم رضىً؟ قال عمر بن سـعد: أما والله، لو كان الأمر إليّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك.**

فأقبل الحرّ حتّى وقف من النّاس موقفاً، ومعه رجل من قومه يُقال له: قرة بن قيس،

فقال له: يا قرة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا. قال: أما تريد أن تسقيه؟ فظنّ قرة أنّ الحرّ يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال، وكره أن يَراه حين يصنع ذلك، فانطلق قرة ليسقيه، فأخذ الحرّ يَدنو من الإمام الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه يُقال له: المهاجر بن الأوس ـ: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت الحرّ وأخذته مثل الرعدة، فقال له: يا بن يزيد، والله، إنّ أمرك لمريب، والله، ما رأيت منك في موقف قط مثل شيء أراه الآن، ولو قيل لي: مَن أشجع أهل الكوفة رجلاً؟ ما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال الحر: إنّي والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنّار، ووالله، لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطِّعتُ وحرِّقتُ.

ثمّ ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام، فقال له: جعلني الله فداك يا بن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق، وجَعجعتُ بك في هذا المكان، والله الذي لا إله إلّا هو، ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، فقلت في نفسي: لا أُبالي أن أُطيع القوم في بعض أمرهم، ولا يرون أنّي خرجت من طاعتهم، وأمّا هم فسيقبلون بعض ما تدعوهم إليه، ووالله، لو ظننت أنّهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، وإني قد جئتك تائباً ممّا كان منّي إلى ربي، ومواسياً لك بنفسي حتّى أموت بين يديك، أفترى ذلك لي توبة؟ قال: نعم يتوب الله عليك ويغفر لك. وقال: أنت الحرّ كما سمتك أُمّك، أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة، انزل. قال: أنا لك فارساً خير منّي راجلاً، أُقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول ما يصير آخر أمري. قال الحسين عليه السلام: فاصنع يرحمك الله ما بَدا لك»[1].

ثمّ تقدّم نحو جيش ابن سعد ووعظهم فلم ينفع، فقاتل حتّى استُشهِد رضوان الله عليه.

وهكذا تحوّل الحرّ ببركة سعة صدر الإمام الحسين عليه السلام وعفوه عنه وقبول توبته إلى صفِّ الإيمان والحقِّ والجهاد والشهادة.

---

(١) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص١٢٠ ـ ١٢٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٦٤.

٥ـ لم يُجهز على جريح

رُغم كثرة الأقلام المأجورة التي حاولت وللأسف أن تَنال مِن ثورة الإمام الحسين عليه السلام؛ دفاعاً منهم عن طاغية الشام يزيد، وتصحيحاً لموقفه في قتل سيد شباب أهل الجنّة، إلّا أنّنا لا نجد أنهم ذكروا ولو مورداً واحداً يتنافى مع أخلاق الإسلام قد صدر من الإمام أو من أتباعه في معركة الطفّ، ولو كان لبان، خصوصاً مع وجود مَن يَتحيّن الفرصة؛ لكي يذكر مثلبة واحدة عن الإمام الحسين عليه السلام. فالإجهاز على الجريح تعدُّ واحدة من مثالب الحروب، ومع ذلك فهذا تاريخ بني أُمية وهم من أشدّ المناوئين لمنهج الإمام الحسين لم يُحدّثنا عن إجهاز الإمام عليه السلام على أيِّ جريح سقط من الأعداء.

وهذا خُلُق دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا إليه أمير المؤمنين عليه السلام في الحروب التي خاضاها، وبما أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج إلا لكي يخطو خطى جدِّه وأبيه؛ لذا نراه قد جسَّد هذا الخلق بأتم وجه.

المحور الثاني: أخلاق الحسين عليه السلام مع الأتباع

ويتضمّن هذا المحور عدّة نقاط هي:

١ـ الوفاء بالعهود والمواثيق

الوفاء بالعهود والمواثيق من الأخلاق الفاضلة في جميع الأديان، وقد جسّدت النهضة الحسينية هذه القيم الأخلاقيّة في أشدّ المواقف خطورة، فقد حرص الإمام الحسين عليه السلام على الوفاء بالعهد، وكان ذلك في أشدّ الظروف قساوة، وأكثرها إيلاماً ومحنة.

ومواقف الإمام الحسين عليه السلام زاخرة بهذا النوع من الخُلُق مع عامّة الخلق فضلاً عن الأتباع، منها: عهده وميثاقه مع الحرّ بن يزيد الرياحي على أن يسايره فلا يعود إلى المدينة ولا يدخل الكوفة، وقد التزم الإمام بذلك، ورفض مخالفة هذا الاتفاق عندما سنحت له الفرصة لذلك حين جاء الطرمّاح بن عدي الطائي وقال للإمام الحسين عليه السلام: «**والله، إنّي لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلك إلّا هؤلاء الذين أراهم**

ملازميك لكان كفى بهم، وقد رأيت قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة، وفيه من النّاس ما لم ترَ عيناي في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم، فقيل: اجتمعوا ليُعَرضوا ثمّ يُسرّحون إلى الحسين. فأنشدك الله إن قدرت على ألّا تقدم عليهم شبراً إلّا فعلت، فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتّى ترى من رأيك، ويَستبين لك ما أنت صانع، فسر حتّى أُنزلك مناع جبلنا الذي يُدعى (أجأ)[1]، امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله، إن دخل علينا ذل قط، فأسير معك حتّى أُنزلك القرية، ثمّ نبعث إلى الرجال ممَّن بأجأ وسلمى من طيء، فوالله، لا يأتي عليك عشرة أيام حتّى يأتيك طيء رجالاً وركباناً، ثمّ أقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم، والله، لا يُوصَل إليك أبداً ومنهم عين تطرف.

فقال له: جزاك الله وقومك خيراً، إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف، ولا ندري علام تنصرف بنا وبهم الأُمور في عاقبة»[2].

فبرغم حراجة الموقف إلّا أنّ الإمام عليه السلام وَفَى بعهده، وإن كان ذلك الوفاء قد أفقده عشرين ألف ناصر في ظرف قد عزّ فيه الناصر.

ومن الجدير بالذكر أنّ الطرماح بن عدي عندما أقبل كان دليلاً لأربعة نفر جاءوا معه لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، فأقبل إليهم الحر بن يزيد قائلاً: «إنّ هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممّن أقبل معك وأنا حابسهم أو رادّهم.

فقال له الحسين عليه السلام: لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ألّا تعرض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد. فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك. قال عليه السلام: هُم أصحابي وهم بمنزلة مَن جاء معي، فإن تممت عليّ ما كان بيني

(١) (أجأ): على وزن: فَعَلَ، وهو علم مرتجل لاسم رجل سُمّي به أحد جبلي طيء. أُنظر: الحموي، ياقوت ابن عبد الله، معجم البلدان: ج١، ص٩٤.

(٢) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٨ ـ ٨٩.

وبينك وإلّا ناجزتك. قال: فكفَّ عنهم الحر»[1].

موقف آخر التقى فيه الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء برجل اسمه الضحّاك بن عبد الله المشرقي، فدعاه إلى نصرته، فاستجاب هذا الرجل ولكنّه علّق استجابته على شرط، وهو أن ينصر الحسين ما دام له ناصر، فإذا نفد أنصاره ولم يكن هناك فائدة من نصرته انسحب من ذلك! فوافقه الإمام الحسين عليه السلام على شرطه هذا، رغم غرابة هذا الشرط؛ إذ كيف يمكن لإنسان حظي بشرف الدفاع عن الحسين عليه السلام وعن أهل بيت النبوّة أن يتركهم في ساعة هم أحوج فيها إلى الناصر والمعين؟!

ولما كان يوم عاشوراء، واحتدم القتال حتّى استُشهِد من أنصار الحسين مَن استُشهِد، جاء هذا الرجل ليذكّر الإمام بشرطه، وأنّه يريد الانسحاب من المعركة، فقال له عليه السلام: «**نعم، انجُ بنفسك إن استطعت، ولكن كيف يكون لك ذلك؟**». وكان هذا الرجل قد خبأ فرساً له تحت خيمة انتظاراً لساعة الهرب هذه، ومع غرابة هذا الموقف واستهجانه، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام بقي محافظاً على الوفاء بما قطعه على نفسه، رغم الظرف القاسي والزمن العصيب[2].

٢ـ الصدق والصراحة مع جيشه

إذا كان الإمام الحسين عليه السلام قد أذهل العقول بمواقفه الأخلاقيّة التي وقفها مع أعدائه، فكيف بمواقفه التي وقفها مع جيشه وأتباعه؟! وكثيرة هي هذه المواقف، منها صدقه وصراحته مع جيشه.

فقد جَرت عادة القادة العسكريين أن يُخفوا عن أتباعهم وجيوشهم الكثير من التفاصيل أو المعلومات، خصوصاً ما يُؤثّر منها على حالتهم المعنويّة والنفسيّة، لكي لا تخور عزائمهم وتضعف قواهم، ممّا يؤثر سلباً على نتائج المعركة والحرب، وكثيراً

(١) أُنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٧ـ٨٨.
(٢) المصدر السابق: ص١٥٦ـ١٥٧.

من الأحيان لا يتوقف القادة عند حدّ إخفاء المعلومات والتفاصيل، بل قد يتعمّدون أُسلوب الكذب على أتباعهم؛ بحجّة أنّ الغاية تبرِّر الوسيلة.

وهذا ما لا نراه في القيادة الإلهيّة والرساليّة للإمام الحسين عليه السلام، هذه القيادة الصادقة التي تمتلك الشجاعة الفائقة لكي تُخبر عن أدقّ التفاصيل لكافة العسكريين، وليس للمقرّبين من القائد فقط؛ لأنّ هذه القيادة همّها وهدفها الأوّل الإنسان المخلص، والعبد التّقي الذي يُقدم على العمل بدافع ديني يقيني، لا من منطلق مصالح دنيويّة آنيّة يطمع بها، أو منصب قيادي تشريفي يطمح إليه.

ولذا؛ كان الإمام الحسين عليه السلام على عكس أُولئك القادة العسكريين، إذ إنّه منذ بداية نهضته المباركة وحربه المقدسة كان صادقاً وواضحاً مع أتباعه، والمصاديق على ذلك كثيرة، منها:

أ- إخبارهم باستشهاده واستشهاد مَن معه

بيّن الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه في أكثر من مرّة بأنّ نجاح ثورته إنّما تكون باستشهاده واستشهاد جميع أنصاره، ولم يُمارس عليه السلام الكذب والخداع والتمويه مع أنصاره، وإنّما أوضح لهم أنّ هدف حركته وهو إصلاح الواقع لا يتمّ إلّا من خلال بذل دمه الطاهر ودماء مَن اتّبعه من أهل بيته وأصحابه، ولم يعتمد على تجهيل النّاس الحالمين بما لا ينال، أو التغرير بهم عن طريق الشعارات والوعود الفارغة، فلم يُمنِّ النّاس بالأموال أو بالمُلك، أو بأيّ أمر من أُمور الدنيا، بل أعلمهم منذ بداية الأمر بأنّ الشهادة هي مصيره ومصير مَن يتبعُه، كيف لا؟! وهو القائل في خطبته عند الخروج من مكّة مُتوجّهاً لأرض العراق ـ علماً بأنّ تطورّ الأحداث حتّى ذلك الوقت كان لصالحه عليه السلام ـ: «**خُطّ الموت على وُلد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوبَ إلى يوسف، وخِيرَ لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي يتقطّعها عُسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جُوفاً، وأجربةً سُغباً، لا**

محيـصَ عـن يوم خُطَّ بالقلم» إلى أن قال: **«مَن كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل، فإنّي راحل مُصبحاً إن شاء الله»**[1].

وكتـب إلى بني هاشـم لمّا أراد الخروج إلى الكوفة كتاباً جـاء فيه: **«أمّا بعد، فإنّ مَن لَحِقَ بي استُشهِد، ومَن لم يَلحق بي لم يُدرك الفتح»**[2].

فالشـهادة هي الهدف، والإمام لم يُخفِ ذلك عن أتباعه وجيشـه، بل كانت الأُمور واضحة لديهم، ويعلمون أيضاً أنّ ثمن هذه الشهادة هو حفظ الإسلام.

وهـذا عكـس ما تُمليه جميع العلوم العسـكريّة، وقيادة الأعـمال القتاليّة في عصرنا الحاضر، أو في العصور المتقدمة.

ب - إخبارهم باستشهاد مسلم وهانئ وابن يقطر

ومن مصاديق صراحة الإمام الحسـين عليه السلام مع جيشـه وأتباعه إخبارهم بما وصله من أخبار عن استشهاد مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر.

فقد روى عبد الله بن سـليمان والمنذر بن المشـمعل الأسديان تفاصيل ذلك، قالا: **«لمّـا قضينا حجّنـا لم تكن لنا همّة إلّا اللحاق بالحسـين عليه السلام في الطريق؛ لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا ترقل[3] بنا نياقنا مسرعين حتّى لحقنا بزرود[4]، فلمّا دنونا منه إذا نحن برجل مـن أهـل الكوفة، قد عدل عن الطريق حين رأى الحسـين عليه السلام، فوقف الحسـين عليه السلام كأنّه يريـده ثمّ تركه ومـضى، ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسـأله؛ فـإنّ عنده خبر الكوفـة. فمضينا حتّى انتهينا إليه فقلنا: السـلام عليـك. فقال: وعليكم السـلام. قلنا: ممن الرجل؟ قال: أسدي. قلت: ونحن أسديان، فمَن أنت؟ قال: أنا بكر**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٧.
(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص١٥٧.
(٣) (أَرْقَلَت الدابّةُ والناقةُ إِرقالاً: أَسرعت). ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١١، ص٢٩٣.
(٤) موضع بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة. أُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج٣، ص١٣٩.

بـن فلان. وانتسـبنا له، ثـمّ قلنا له: أخبرنـا عن النّـاس وراءك. قال: نعـم، لم أخرُج من الكوفة حتّى قُتِل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة، ورأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق.

فأقبلنا حتّى لحقنا الحسين صلوات الله عليه، فسايرناه حتّى نزل الثعلبية ممسياً، فجئناه حين نزل فسـلّمنا عليه، فردّ علينا السـلام، فقلنا له: رحمك الله، إنّ عندنا خبراً إن شـئت حدّثنـاك علانية، وإن شـئت سراً. فنظر إلينا وإلى أصحابه ثمّ قال: ما دون هؤلاء سـتر. فقلنا له: رأيتَ الراكب الذي استقبلته عشيّة أمس؟ قال: نعم، وقد أردت مسألته. فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منّا ذو رأي وصدق وعقل، وإنّه حدّثنا أنّه لم يَخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم وهانئ، ورآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! رحمة الله عليهما. يكرر ذلك مراراً... فسار حتّى انتهى إلى زُبالة[1] فأتاه خبر عبد الله بن يقطر، فأخرج إلى النّاس كتاباً فقرأه عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنّه قد أتانا خبر فظيع، قُتِل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بـن يقطر، وقد خذلنا شـيعتنا، فمن أحب منكم الانـصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليـه ذمام. فتفرّق النّاس عنه وأخذوا يميناً وشـمالاً، حتّـى لم يبقَ معه إلّا أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة مع نفر يسير ممَّن انضووا إليه.

وإنّما فعل الإمام ذلك لأنه عليه السلام علم أنّ بعض الذين اتّبعوه إنّما اتّبعوه وهم يظنون أنّه يأتي بلداً قد اسـتقامت له طاعة أهله، فكره أن يسـيروا معه إلّا وهم يعلمون ما يقدمون عليه»[2].

فـكان الإمـام عليه السلام وفي كلّ موقـف مـرّ عليه صادقـاً وصريحاً مع أتباعـه، ولم تكن الحـرب سـبباً لأن يحيد عن الصـدق والصراحة ولو بمقـدار ذرّة، حتّى لو أدّى ذلك إلى تفرّق الكثير ممَّن كان معه.

---

(١) زبالة: (بضمّ أوله: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة... سُمِّيت زبالة بزبلها الماء، أي: بضبطها له وأخذها منه). المصدر السابق: ص١٢٩.

(٢) اُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٣ ـ ٧٦.

٣ـ اجتماعه بالمقاتلين وتخييرهم بين البقاء أو الرحيل

لم يتّخذ الإمام عليه السلام لجمع المقاتلين والأنصار أُسلوب حرمان الأتباع أو جعلهم في احتياج دائم، هذا الأُسلوب الذي يتّخذه بعض السياسين والقادة للتسلّط على رقاب النّاس، وتسييرهم بالاتجاه الذي يريدونه، وكذلك لم يَعتمد على النهج الفرعوني في الاستخفاف بالنّاس لتحصل الإطاعة منهم، ولا على أُسلوب الترهيب والتهديد والعقوبة والاتهامات الكيدية والتلفيقات الجاهزة وحسب الحاجة والمقاس، بل ولا على أُسلوب الترغيب بالأُمور الدنيوية من منصب أو مال.

فالإمام الحسين عليه السلام وهو إمام معصوم طاهر مطهّر لم يتّبع هذه الأساليب الرخيصة الدنيئة في الوصول إلى تلك الأهداف والقيم والمثل العليا في الإصلاح والإنقاذ والتغيير والقضاء على الفساد وحاشاه عن ذلك، في حين نجد أنّ الطاغية يزيد قد استخدم كلّ تلك الأساليب المشينة، ولا غرابة أن يصدر ذلك من شخص كيزيد.

وعندما نستعرض كيفية تجميع الإمام لأنصاره لا نجده استغلّ موقعه الديني المميّز، فهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وابن علي وفاطمة عليهما السلام، ومَن نزل فيه ما نزل من آيات القرآن الكريم، وجاء فيه ما جاء من أحاديث جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فمع ذلك كلّه لم يُجبر أحداً على اللحوق به، بل كان يدعو إلى نصرته ضمن مفاهيم الدين وحجّة الحقّ ودليل القرآن والسنّة، كقوله: «**فمَن قبلني بقبول الحق فالله أوْلى بالحق، ومَن ردّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق**»[1].

فالإمام وكما ذكرنا سابقاً كان صادقاً وصريحاً مع جيشه وأتباعه، وقد أخبرهم باستشهاده واستشهاد مَن معه، وكان بين فترة وأُخرى يخبرهم أنه سيُقتل وتُسبى حريمه، ولم يُخبرهم أنّه سينتصر عسكرياً.

---

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج٥، ص٢١.

إنّ الإمام لم يكتفِ بذلك فقط، بل أذِنَ لهم بالانصراف، فهو على يقين بأنّ الحرب واقعة لا مفرّ منها، وهي حرب غير متكافئة من الناحية العسكرية، وسيكون مصيره ومصير مَن يبقى معه القتل لا محالة، فكانت أخلاقه العالية تدعوه لأن يرفع الكلفة عن الذين اتّبعوه، وأن يعطيهم الفرصة لإعادة النظر في مواقفهم قبل أن يبدأ القتال، فلعلّ منهم مَن اتّبع الإمام ظنّاً باستتباب أمر الكوفة لصالحه، ولمّا تغيّر الموقف استحيى من التراجع، فالإمام كان يخشى من استحياء بعضهم من تركه.

ولهذا جعلهم في حلٍّ من بيعته، وأذِن لهم بتركه، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: ما ورد عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قال: «**كنت مع أبي الليلة التي قُتل صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتّخذوه جملاً؛ فإنّ القوم إنّما يريدونني، ولو قتلوني لم يَلتفتوا إليكم، وأنتم في حلٍّ وسعة. فقالوا: لا والله، لا يكون هذا أبداً. قال: إنّكم تُقتلون غداً كذلك، لا يُفلت منكم رجل. قالوا: الحمد الله الذي شرّفنا بالقتل معك**»[1].

وهكذا جعل الإمام أهل بيته وأصحابه على بيّنة من الأمر، ووضع الأُمور في نصابها الصحيح، فأماط الحرج عن نفسه وعنهم، وأتاح لهم الفرصة لمراجعة موقفهم من الحرب، أو قُل: من الشهادة، فما كان منهم إلّا الصمود والثبات من أجل إمامهم وإحياء أمر دينهم، حتى قال الإمام في حقهم: «**فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً**»[2].

ومن موقف الإمام هذا نعرف أيضاً مدى شجاعته عليه السلام؛ إذ إنّه كان مستعدّاً للقتال حتّى لو بقي وحيداً، لا ناصر له ولا معين، ولا عجب في ذلك؛ فإنّه قد ورث شجاعة جدّه وأبيه صلوات الله عليهم.

---

(١) الراوندي، الخرائج والجرائح: ج٢، ص٨٤٧.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩١.

٤ـ في خطاباته وأفعاله مع جيشه وأتباعه

في كلّ نهضة هنالك قيادة وطليعة وقاعدة ترتبط بروابط مشتركة من أهداف وبرامج ومواقف، والقيادة دائماً هي القدوة التي تعكس أخلاقها على أتباعها، وفي النهضة الحسينية تجسّدت الأخلاق الفاضلة في العلاقات والروابط حيث الإخاء والمحبّة والتعاون والود والاحترام بين القائد وأتباعه، وبين الأتباع أنفسهم.

عندما نطالع كلام الإمام الحسين عليه السلام في خطبه وحواراته مع جيشه وأتباعه لا نجد إلّا جميل القول وحسن التواضع، بخلاف ما يكون عادةً بين أيّ قائد وجيشه؛ إذ جرت عادة قادة الجيوش على إصدار الأوامر، وفي أحيان كثيرة على غلظة في القول والفعل، خصوصاً إذا كان القائد شخصية مرموقة ذات شأن عظيم، إلّا أنّ أخلاق الإمام الحسين عليه السلام أبت له أن يكون كسائر أُولئك القادة، فهو قائد إلهي وإمام معصوم، أخلاقه أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي نفس أخلاق القرآن الكريم.

والأمثلة على ذلك عديدة، منها: لمّا رمى عمر بن سعد بسهم نحو معسكر الإمام الحسين قائلاً: اشهدوا لي عند الأمير بأنّي أوّل رامٍ رمى نحو معسكر الحسين عليه السلام، ثم توالت السهام على المعسكر، عند ذلك قال الإمام عليه السلام لأصحابه: «**قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه؛ فإنّ هذه السهام رُسل القوم إليكم**»[1].

ولمّا اشتدّ الأمر بالإمام عليه السلام ومَن معه، ودنوا من الحياة الأبدية والسعادة الأُخروية قال لهم الإمام عليه السلام: «**صبراً بني الكرام، فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلّا كمَن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب. إنّ أبي حدّثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذَبت ولا كُذِبت**»[2].

---

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٦٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص٢٨٩.

ولما زحف ابن سعد بجيشه في عشيّة يوم التاسع من المحرم نحو معسكر الإمام، كان الحسين عليه السلام جالساً أمام خيمته، محتبياً بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أُخته العقيلة زينب عليها السلام الصيحة، فدنت من أخيها قائلة: «**يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟ فرفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه وقال: إنّي رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله الساعةَ في المنام فقال لي: إنّك تَروح إلينا. فلطمت وجهها ونادت بالويل، فقال لها: ليس لكِ الويل يا أُخيّة، اسكتي رحمك الله**»[1]، فالإمام لم يزجرها، ولم يتكلم معها بلهجة فيها شدّة، بل تكلّم معها بكل عطف وحنان.

وفي ذات الحادثة جاء أبو الفضل العباس عليه السلام إلى أخيه الحسين عليه السلام يخبره بقدوم ابن سعد وجيشه نحوه، فنهض الإمام وقال له: «**يا عباس، اركب بنفسي أنت يا أخي، حتّى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عمّا جاء بهم**»[2]، والشاهد في هذا الكلام قوله عليه السلام: «**اركب بنفسي أنت**»، إذ تحمل في طيّاتها أجمل معاني الأدب، وفيها من الحبِّ والحنان الكثير، فبالإضافة إلى كونها كاشفة عن مدى المودّة التي يحملها الإمام تجاه أخيه أبي الفضل، تكشف أيضاً عن روائع الأخلاق التي يتحلّى بها الإمام عليه السلام.

وعندما نطالع أفعال الإمام الحسين عليه السلام مع أنصاره وأتباعه نجد أنّ الأخلاق الحسينية قد تجسّدت بأروع معانيها، خصوصاً في اليوم العاشر من المحرم، بصور كثيرة، ومواقف عديدة، ليس من السهل إحصاؤها، ولكن نذكر على سبيل المثال ما يلي:

كان أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي شيخاً كبيراً صحابياً، وكان ممّن رأى النبي صلى الله عليه وآله وسمع حديثه، وشهد معه بدراً وحنيناً، لمّا حصلت المعركة جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام مستئذناً منه في القتال بين يديه، فبرز شادّاً وسطه بالعمامة، رافعاً حاجبيه

(١) أُنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٩٠.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٤، ص٣١٥.

بالعصابة، فلمّا نظر إليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى وقال: «**شكر الله لك يا شيخ**»[1].

وكان الإمام عليه السلام يمشي إلى مَن كان يسقط من أصحابه على رمضاء كربلاء، ولم يُفرّق بين العبد والحر، ولا بين الهاشمي وغيره، فتارة يضع خدّه الشريف على خدّ هذا العبد الذي سقط في ساحة الميدان يتلفظ آخر أنفاسه، وأُخرى على خدّ ذاك الحر، ووضع الخدّ يُعد من أعظم أنواع الاحترام عند العرب، وكان أيضاً يعتنق تارة هذا وأُخرى ذاك، فأبت أخلاقه عليه السلام التفرقة بين الناس على أساس غير أساس التقوى والقرب من الله، وهذا هو المنهج الذي ورثه أهل البيت عليهم السلام من جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكمثال لذلك نأخذ قصة (جون) الذي كان خادماً للصحابي الجليل أبي ذرّ الغفاري (رضوان الله عليه)، ثمّ انتقل إلى خدمة الإمام الحسين عليه السلام، ورافقه إلى كربلاء، وعندما رأى أصحاب الإمام عليه السلام وهم يسقطون شهداء واحداً تلو الآخر، تقدّم هذا العبد إلى المولى الحسين عليه السلام بكلّ خشوع وتذلل يستأذنه في قتال الفئة الباغية، إلّا أنّ الإمام عليه السلام قال له بكلّ حبّ وتقدير: «**أنت في إذن منّي؛ فإنّما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتلِ بطريقنا، فقال: يا بن رسول الله، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم، والله، إنّ ريحي لنتن، وإنّ حسبي للئيم، ولوني لأسود، فتنفّس عليَّ بالجنّة فتطيب ريحي ويشرف حسبي ويَبيَّض وجهي، لا والله، لا أُفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم. فأذن له الإمام، فقاتل حتى استُشهِد**»[2].

وبعد الشهادة ذهب إليه الإمام الحسين عليه السلام وقال: «**اللّهم بيّض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمد وآل محمد**»[3]. فكان كلّ مَنْ يمرّ بالمعركة يشمّ منه رائحة طيّبة أذكى من المسك.

وموقف آخر مع عبد آخر وهو واضح التركي مولى الحرث المذحجي، لمّا صُرِع

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين: ص٢٥٣.

(٢) أُنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص٦٤ـ٦٥.

(٣) البحراني، عبد الله، العوالم: ص٢٦٦.

استغاث بالإمام الحسين عليه السلام، فأتاه أبو عبد الله واعتنقه، فقال: «**مَن مثلي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله واضع خدّه على خدّي! ثم فاضت نفسه الطاهرة**»[1].

وهكذا الحال مع أسلم مولاه؛ إذ مشى إليه الإمام عليه السلام واعتنقه، وكان به رمق، فتبسّم وافتخر بذلك ومات[2].

إلى غير ذلك من الصور التي تبيّن الأخلاق الإسلاميّة العظيمة التي كان عليها سيد الشهداء عليه السلام، التي لا تفرّق بين عبد رقيق وسيّد جليل، ولا بين أبيض وأسود.

٥ـ مواساته عليه السلام لأصحابه

لقد شارك الإمام الحسين عليه السلام أنصاره وجيشه في السرّاء والضرّاء، وواساهم وأهليهم بنفسه وأهليه، عاش في وسطهم، يَتعرّض لما يتعرّضون له، ولم يضع فاصلاً بينه وبينهم كما يفعل الكثير من القادة عادة مع جنودهم، بل كان فيهم كأحدهم، وهو القائل: «**نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم فلكم فيّ أُسوة**»[3].

ولما كان صبيحة اليوم العاشر من محرّم ثبت هو وأهل بيته في القلب، وكان أوّل مَن تقدّم من أهل بيته وَلَده وفلذّة كبده علي الأكبر[4].

٦ـ غيرته على النّساء

لا تحتاج غيرة الإمام الحسين عليه السلام على النساء إلى كلام وتطويل، ولكن غاية ما يمكن قوله: إنّ كربلاء كانت حافلة بكل القيم الأخلاقية السامية، بل هي مدرسة متكاملة في الأخلاق الإسلامية بأروع صورها، ومن هذه القيم: غيرته عليه السلام على النساء،

(١) أُنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ص٢٤٩. الخوارزمي، الموفّق بين أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج٢، ص٢٤.
(٢) أُنظر: المصدر السابق.
(٣) أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص٨٦.
(٤) أُنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص٢٥٦.

وصيانتـه للمرأة، فالإمام قد منع من التعـرض إلى حُرمه وحُرم أتباعه والوصول إلى خيامهنّ ما دام حيّاً، ولهذا أضرم النّار في الخندق الكائن خلف المعسـكر ممّا يلي خيام النساء، اللواتي لم يصطحبهنَّ الإمام إلّا لإكمال مسيرة حركته الإصلاحية؛ لما لهنَّ من دور في إبلاغ أهداف هذه الحركة والنهضة الإلهية المباركة.

فالإمام كان حريصاً أشـدّ الحرص على خدر هذه الثلة المؤمنة من النسـاء، فأرجع أُمّ وهب، وكان وهب رجلاً نصرانياً أسـلم على يدي الحسـين عليه السلام هو وأُمّه، فاتبعوه إلى كربلاء، فقاتل بين يدي الإمام، ثم أُسر، فأُتيَ به إلى عمر بن سـعد (لعنه الله) فأمر بضرب عنقه، فضُربت عنقه، ورُمي به إلى عسـكر الحسين عليه السلام، عند ذلك أخذت أُمّه سـيفاً وبـرزت تريد القتـال، فقال لها الإمام الحسـين عليه السلام: «**يا أُم وهـب، اجلسي؛ فقد وضع الله الجهاد عن النسـاء، إنّك وابنك مع جـدّي محمد** صلى الله عليه وآله **في الجنة**»[1]، فغيرة الإمام وحميته على النساء أبت أن يسمح لهن بالقتال وبالبروز أمام الأعداء.

وهذا ما حصل أيضاً مع أُم عمرو بن جنادة الأنصاري، فبعد أنْ قُتل زوجها جاء ولدها جنادة وهو ابن إحدى عشرة سـنة يسـتأذن الحسين عليه السلام في القتال، فأبى الإمام وقـال: «**هـذا غلام قُتـل أبوه في الحملـة الأُولى، ولعلّ أُمّـه تكره ذلك. فقـال الغلام: إنّ أُمّـي أمرتنـي. فأذِنَ له، فما أسرع أنْ قُتل ورُمي برأسـه إلى جهة الحسـين** عليه السلام**، فأخذته أُمّه ومسـحت الدم عنـه، وضربت به رجلاً قريبـاً منها، وعادت إلى المخيّـم فأخذت عموداً لتقاتل به وقيل: سيفاً، إلّا أنّ الإمام** عليه السلام **ردّها إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجُلَين**[2].

وهـذه الحادثـة لا تكشـف فقط عن الغيرة الحسـينية، بل فيها دلالـة واضحة على العاطفـة والإحسـاس المرهـف الذي امتاز به سـيد الشـهداء عليه السلام، وإن كان في ظرف الحـرب والقتـال، ففـي ظـروف القتـال قـد يَنسـى القـادة العواطف والأحاسـيس ويتعاملـون بعقولهـم لمعالجـة الظروف العصيبـة، ولكن الإمـام عليه السلام وبرغم كل تلك الظروف راعى العواطف والأحاسيس في تعامله مع أتباعه، كما هو الحال مع أُم عمرو

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢٢٥.

(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص٢٥٣.

بن جنادة، فقد رفض السماح لولدها بالقتال بعد أن استُشهد أبوه؛ مراعاة لعواطف تلك الأُم، وسمح له بالقتال بعد أن أخبره بأنّ أُمه هي التي أذنت له ودفعته للقتال.

وقد بلغت غيرة الإمام الحسين عليه السلام أن ترك شرب الماء في وقت هو أحوج ما يكون إليه، وذلك في نهاية المعركة عندما مدّ عليه السلام يده فغرف من الماء فقال فارس: يا أبا عبد الله، تتلذذ بشرب الماء وقد هُتكت حرمتك؟! فنفض الماء من يده وحمل على القوم، فكشفهم فإذا الخيمة سالمة[1].

إذن؛ فالغيرة والحميّة والعفة، وجميع المفردات الأخلاقيّة كانت حاضرة عند الإمام عليه السلام، ولم يفته منها شيء، ولو تتبّعناها لطال بنا الحديث.

المحور الثالث: أخلاق الحسين عليه السلام حين الحرب في تعامله مع غير الإنسان

ونختصر الكلام هنا في نقطة واحدة، وهي:

رأفته بالحيوان

لم تنحصر الأخلاق الحسينية العالية بالبشر فقط، بل كانت شاملة حتى للحيوان، وهذا ما تنقله لنا كُتب التاريخ والسيَر، وسنختار هنا مثالين لعطف الإمام عليه السلام ورأفته ورحمته التي شملت حتّى الحيوان:

أ ـ قد تقدّم في طيّات هذا المقال كيف تعامل الإمام عليه السلام مع جيش الحرّ بن يزيد الرياحي في منطقة (شراف) ـ حين وصل ذلك الجيش وكاد العطش أن يفتك بهم وبخيولهم ـ فأمر الإمام الحسين عليه السلام فتيانه قائلاً: «**اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزِلَت عنه وسقوا آخر، حتّى سقوها كلّها**»[2]. مع العلم أنّ ظروف المكان والزمان قد تبرر عدم سقاية تلك الخيول.

---

(١) أُنظر: ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢١٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٧٨.

ب ـ روى أبو مخنف عن الجلودي: «**أنّ الحسين عليه السلام حمل على الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانا في أربعة آلاف رجل على الشريعة، وأقحم الفرس على الفرات، فلمّا أولغ الفرس برأسه ليشرب قال الإمام الحسين عليه السلام: أنت عطشان وأنا عطشان، والله، لا أذوق الماء حتى تشرب**»[1]. فتلاحظ أنّ الإمام عليه السلام لم يقدِّم نفسه المقدّسة حتّى على فرسه الذي يركبه.

نتيجة البحث

مما تقدّم معنا يتّضح لنا جليّاً الجانب الأخلاقي في ما قام به الإمام الحسين عليه السلام من: نصيحة الأعداء وإلقاء الحجّة، وسقي جيش الحر بن يزيد بالماء، والوفاء بالعهود مع المؤالف والمخالف، وعدم البدء بالقتال، وأخلاقه العالية وسلوكه المنقطع النظير مع جيشه وأتباعه، إلى غير ذلك من مفردات الأخلاق الكريمة الأُخرى من الإيثار والصبر والشجاعة وسعة الصدر، هذه الأُمور وغيرها التي لم يفسح المجال لذكرها كانت ولا زالت تُمثّل دروساً في الأخلاق الإنسانية، وتشكّل خطّاً واضحاً في حركة الحسين عليه السلام وفي أهدافه من النهضة.

بهذه الأخلاق استطاعت النهضة الحسينية أن تحقق النصر الحقيقي بعد أن أيقن المسلمون أنها نهضة سليمة، جاءت لإصلاح الواقع وتغييره، بعد أن جسّدت هذا الإصلاح وهذا التغيير في سلوكها وأخلاقها في كل مفصل من مفاصلها.

كما أنّ الأخلاق الحسينية في الحرب تمثّل المدرسة الإلهية التي علَّمت العالم بأسره كيف يجب أن يكون القائد العسكري الناجح في معارك الشرف والكرامة، وكيف يكون تعامل القائد الرسالي مع جنده وأتباعه؛ حتّى يفدّوه بأرواحهم ويدافعوا عنه بكل ما أُوتوا من قوة، ويُستشهدوا جميعهم قبل أن تصل إلى قائدهم جراحة واحدة.

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢١٥.

الفصل بين التطرّف والثورة

قراءة فقهيّة في مشروعيّة النهضة الحسينيّة

د. الشيخ صفاء الدين الخزرجي*

مقدمة

يرجع البحث في الفصل بين الثورة والتطرّف إلى البحث في مشروعية الثورة وعدمها، وهو من البحوث الحيوية، خصوصاً فيما يرتبط بالنهضة الحسينيّة، التي اخترنا بحثها لتكون نموذجاً تطبيقياً لحالة الفصل بين التطرّف والثورة؛ لذا لا بدّ من مراجعة لدراسة هذه النهضة طبقاً للميزان الشرعي؛ لنرى مدى مشروعيّتها ومدى احتمال صحّة النقد والطعن الموجَّه إليها في هذا المجال، فإذا كانت واجدة للشرعيّة صُنِّفت في عداد الثورات المشروعة، وإلّا صُنِّفت في دائرة التطرّف أو الإرهاب كما يجري عليه الاصطلاح المعاصر، وهو الذي يُعبَّر عنه بـ(البغي) في الاصطلاح الشرعي، أو (الخروج غير المشروع على وليّ الأمر الشرعي).

لكن قد يبدو هذا البحث في العقل الشيعي المعاصر مفروغاً عنه ومن الأُمور البديهية التي لا تحتاج إلى بحثٍ أو نقاش، بعد الاعتقاد بعصمة الامام عليه السلام قولاً وفعلاً وتقريراً، وهي رؤية صحيحة، بيد أنّ البحث العلمي لا بدّ أن يأخذ مداه في كل مسألة، مضافاً إلى أنّ الأمر مختلف عنه في العقل السنّي الذي لا يرى عصمة للحسين عليه السلام

---

* دكتوراه في علم الكلام، عضو هيئة تحرير مجلّة فقه أهل البيت عليهم السلام، من العراق.

مـن جهة، ويُحـرِّم الخروج على الجائر على الرأي المشـهور عندهم؛ لوجود النصوص الناهية عن ذلك من جهة أُخرى؛ ومن هنا جاء وصف بعضهم خروجه عليه السلام بالخروج على الشرعية، وبذلك تظهر ضرورة البحث وأسبابه.

المبحث الأوّل: المبرّرات الشرعية للنهضة الحسينية

إنّ أيّـة نهضـة لا تكتسـب مشروعيّتهـا ولا تخرج من دائـرة التطرّف مـا لم تمتلك المبرّرات الشرعية أو القانونية التي تُسوِّغ لها الخروج السلمي أو المسلّح ضدّ السلطة الحاكمـة، والتطـرّف والإرهـاب معنـى يُقابل ذلـك تماماً؛ فهـو لا يملـك المبرّرات الشرعية للخروج.

ومن هنا؛ لا بدّ من دراسة المبرّرات الشرعية للنهضة الحسينية أوّلاً[1].

المبرّر الأوّل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لم يناقـش أحدٌ ممّن يُعتدّ بعلمه في هذه الأُمّة من الفريقين صغروياً في وجود المنكر وتـرك المعـروف على عهـد يزيد، سـواء أكان المنكر متمثّلاً في شـخص الحاكم، أم في حكومتـه، أم في المجتمع بصـورة عامة، وإنّما النّقاش عنـد بعضهم في حرمة الخروج عليـه تمسّـكاً بالنصوص المانعة مـن الخروج عـلى الحاكم بعد الاعـتراف بجور يزيد وظلمه.

---

(١) إنّ التعرّض لهذه المبرّرات مبني على الرأي القائل: بأنّ خروج الإمام عليه السلام قابل للتكييف الفقهي ضمن الأدلّة والقواعد الشرعية المقرَّرة فقهياً، كما هو مذهب جماعة. اُنظر: الحلّي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب: ج٢، ص٩٧٤. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام: ج ٣، ص ٨٣. الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد: ج٣، ص٤٦٦. الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج١، ص٤٩٤.
وأمّا بناءً على الرأي القائل بأنّ خروج الإمام عليه السلام لأجل تكليف خاص به كما ذهب إليه صاحب الجواهر فلا معنى للكلام عن المبرّرات والأدلّة حينئذ، وهذه جهة أُخرى في البحث تحتاج إلى دراسة مستقلّة. النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام: ج٢١، ص٢٩٥.

وعليه؛ فإنّ صغرى عمومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محرزة في المقام؛ ومن هنا كان من الواجب كفاية على الأُمّة جميعاً آنذاك على اختلاف بلدانها القيام بالمعروف والنهي عن المنكر، بحيث تُعدّ آثمةً فيما لو تخلّت عنه، إلّا أنّ الملاحظ أنّه لم ينهض بهذا الواجب إلّا شخص واحد وهو الإمام الحسين عليه السلام مع ثلّة من أهل بيته وصحبه، ومن المعلوم أنّه لم يكن فيمن اجتمع مع الحسين عليه السلام كفاية؛ وعلى هذا فقد وقع الإثم على الباقين.

وممّا يؤكِّد ثبوت هذه الصغرى ـ أعني فساد شخص الحاكم وعدم أهليّته للخلافة[1] ـ ما جاء في أقوال الإمام الحسين عليه السلام:

١ـ قال عليه السلام لوالي المدينة عن سبب امتناعه من البيعة: «**ويزيد فاسقٌ فاجر، شاربٌ للخمر، قاتلٌ للنّفس المحترمة، مُعلِنٌ بالفسق والفجور**»[2].

٢ـ وقال عليه السلام: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام؛ إذ قد بُليت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[3].

٣ـ كما أشار إلى فساد الجهاز الحاكم بقوله: «**أَلا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرَّموا حلاله**»[4].

٤ـ وقال أيضاً: «**أَلا ترونَ أنّ الحق لا يُعمَل به وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه**»[5].

وأمّا الكبرى في هذا البحث، فقد أشار إليها عليه السلام في وصيّته لأخيه ابن الحنفية قبل خروجه من المدينة: «**إنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر**

(١) الذي هو في نفسه من أعظم المنكرات الواجب تغييرها.
(٢) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص١٤.
(٣) المصدر السابق: ص٣١.
(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٤.
(٥) المصدر السابق.

بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب»[1]. وقوله عليه السلام في زيارته الثانية لقبر جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله: «**اللّهمّ، إنّ هذا قبر نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله، وأنا ابن بنت نبيّك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللّهمّ، إنّي أُحبّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[2].

شُبهات وردود

يمكن أن تثار بخصوص هذا المبرِّر بعض الشبهات التي نشير إليها فيما يلي:

الشُّبهة الأُولى: فقدان شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ممّا يُشكَل به هو عدم توفّر شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نهضة الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك لأمرين:

الأمر الأوّل: إنّ من الشروط المعتبرة في الأمر بالمعروف احتمال التأثير في مرتكب المنكر، ومثل هذا الاحتمال غير متحقِّق بالنسبة لشخص يزيد وحكومته.

والجواب عن ذلك:

أوّلاً: إنّ هذه المناقشة مبنائية؛ بمعنى أنّها مبنيّة على التسليم بالشرط المذكور، لكنّ في قباله قولاً يُنكِر هذا الشرط بدليل إطلاق أدلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخلوّها من هذا الشرط، وهذا ما ذهب إليه الشيخ الطوسي وصاحب الجواهر وبعض الفقهاء المعاصرين.

قال صاحب الجواهر: «**الكلام فيما ذكره المصنِّف وجماعة، بل ربّما نُسِبَ إلى الأكثر من السقوط أيضاً** [أي: سقوط الأمر بالمعروف] **بغلبة الظن بعدم التأثير، مع أنّ الأوامر مطلقة ومقتضاها الوجوب على الإطلاق حتى في صورة العلم بعدم التأثير، إلّا أنّه للإجماع سقط في خصوصها، أمّا غيرها** [غير صورة العلم] **فباقٍ على مقتضى**

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص٣٢٩.
(٢) المصدر السابق: ص٣٢٨.

الإطـلاق من الوجوب... ودعوى انصراف الإطلاق إلى غير ذلك ـ فيبقى أصل البراءة سليماً ـ ممنوعة»[1].

وقـال بعـض الفقهاء المعاصريـن: «مقتضى الأدلّة عدم اشـتراط ذلـك كما صرَّح به فقيـه عصره صاحب الجواهر رحمه الله، كما أنّ مقتضى الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾[2]، عـدم اشـتراط ذلك، كما صرَّح به شـيخ الطائفة، قال في الجزء الخامس من التبيان في ذيل الآية: والتقدير: واذكر إذ قالت أُمّة منهم لطائفة: لِمَ تعظون قوماً علمتم أنهم هالكون في الدنيا ويعذّبهم الله عذاباً شـديداً في الآخرة؟ فقالوا في جوابهـم: وعظناهم إعذاراً إلى الله؛ أي: نعظهم اعتذاراً إلى ربّكم؛ لئلّا يقول لنا: لِـمَ لَـمْ تعظوهم؟ ولعلّهم أيضاً بالوعظ يتّقون ويرجعـون. وفي ذلـك دليل على أنّه يجب النّهي عن القبيـح وإنْ علم الناهي أنّ المنهي لا ينزجر ولا يقبل، وإنّ ذلك هو الحكمة... .

فـإن أُورِدَ على ذلـك: بأنّه مع العلم بعدم التأثير يكون وجـوب الأمر والنهي لغواً لا يصدر من الحكيم.

أجبنا عنه: بأنّ فائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنّما هو حفظ الجامعة الإسلامية ووحدتها، وسوق المجتمع إلى العزّة والصلاح والسعادة، بل هما ينبوع الحياة الاجتماعية، فإذا قام كل فرد من أفراد الأُمّة بنصيحة الآخر استقرّ أمر الخير والمعروف بينهم، وامتنع الـشر ولا منكر فيهم، وهذه هي فائدة التناصح أمراً ونهياً؛ ولتلك وجبا على كل فرد من الأفراد، وهي الغرض الأقصى من توجّه التكليف إلى كل فرد»[3].

ثـم تنـزّل فقال: «فعـلى فرض تسـليم اعتبار هذا الـشرط، والعلم بعـدم تأثير الأمر والنهـي، فمـع ذلك يجب إظهار الحـقّ عند ظهور البدعـة في الدين، لاحـظ النبوي: إذا

(١) النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج٢١، ص٣٦٨.
(٢) الأعراف: آية١٦٤.
(٣) الروحاني، محمد صادق، فقه الصادق: ج ١٣، ص ٢٤٨.

ظَهَـرتْ البـدع في أُمَّتي فليُظهِر العالم علمـه، فمَن لم يفعل فعليه لعنـة الله. والعلوي: إنّ العـالم الكاتـم لعلمـه يُبعَثُ أنتـن أهل القيامـة ريحاً، تلعنـه كلّ دابة مـن دوابّ الأرض الصغـار. ومـا رواه ابن عبـد الرحمن في حديـث رُويناه عن الصادقين عليهما السلام أنّهـما قالا: إذا ظَهَـرتْ البـدع فعلى العـالم أن يُظهر علمه، فإن لم يفعل سُـلِبَ نور الإيـمان. ونحوها... ولا يشـترط في ذلك احتمال التأثير؛ فإنّ المطلوب في هذا المقام إظهار الحقّ، وهذه الفائدة تترتَّب مع العلم بعدم التأثير أيضاً»[1].

وكلامـه في هـذا التنـزّل ينطبـق تمـام الانطبـاق عنـد التأمّـل عـلى نهضـة الإمام الحسين عليه السلام.

هذا بناءً على رأي الإمامية، وأمّا على رأي العامّة فالأكثر لم يشـترط احتمال التأثير كالشافعية والأحناف والحنابلة، ولم يذكره إلّا المالكية[2].

ثانيـاً: إنّـه عـلى فرض التسـليم بالـشرط السـابق، فإنّا تـارة نتكلَّم عـن التكليف الظاهري للإمام الحسـين عليه السلام، الذي كان يتصرَّف فيه باعتباره واحداً من المكلَّفين في ضوء المعطيات الظاهرية والسـياقات العامة للوضع، وأُخرى بناءً على علمه المسـبق بما ستأول إليه الأُمور. فعلى الأوّل يمكن القول بوجود احتمال التأثير في هذه الصورة بنـاء على مـا قام به عليه السلام مـن التمهيد لذلـك ضمن مقدّمـات: كان أوّلهـا الخروج من المدينة بأهل بيته، ثمّ الاسـتقرار بمكّة واللقاء بالناس والوفود واستنهاضهم، وبعث الرسـل إلى البلـدان كالبصرة والكوفة، وقد بايعه أهـل الكوفة؛ الأمر الذي يدلّ على وجود احتمال التأثير قوياً مع سـلوك هذه المقدمات وفق المعطيات والمعايير الظاهرية المنظـورة؛ بمعنى أنّ هذه المقدّمات تنتج بشـكل طبيعي حصـول احتمال التأثير إن لم يكـن الظن لـكلّ مكلَّف؛ ولعل الشـاهد على ذلك أنّه لمّا حـوصر الإمام عليه السلام من قِبَل جيش الحرّ الرياحي، وكان قد بلغه مقتل سـفيره مسلم بن عقيل، وعَلِمَ بعدم إفضاء

(١) المصدر السابق: ص٢٤٩- ٢٥٠.

(٢) لجنة من الفضلاء بإشراف السيّد محمود الهاشمي، موسوعة الفقه المقارن: ج٣، ص٢٤٩.

هـذه المقدّمات للنتائج المطلوبـة والتأثير المتوقَّع، طَلَبَ من الحرّ السّـماح له بالرجوع عن مواصلة الطريق إلى الكوفة[1]؛ وذلك لسقوط التكليف بانعدام الناصر والمعين.

وأمّا بناءً على علمه المسبَق بمصيره وأنّه سوف يُستشهد، فهنا قد تتعقَّد الإشكالية ويقال بعدم التأثير قطعاً؛ لأنّه عليه السلام كان عالماً باستشهاده وعدم وصوله إلى مطلوبه من تغيير المنكر حيث بقي المنكر على ما كان عليه.

ولكن الجواب على ذلك يمكن أن يكون بأمرين:

١ـ إنّ التأثير لا ينحصر بالتأثير الفعلي أو المباشر، بل يشمل ما يكون في المستقبل، فالتأثـير تأثـيران؛ وذلك لأنّ سـنخ المنكر الموجـود آنذاك كان سـنخ منكر يهدف إلى محو الإسـلام والقضاء عليه على مدى الأجيال والدهور؛ ممّا يتطلّب إنكاراً يتناسـب وحجـم ذلك المنكـر، بأن تظهر نتائجه ولـو في الأجيال اللاحقـة، ولا يتوقَّف الأمر على احتمال التأثير الفوري، وهذا ما دعا بعض الفقهاء إلى القول بأنّه في هذه الحالة لا يسقط وجوب النهي عن المنكر، فهو بقوة احتمال التأثير الفعلي ولا فرق بينهما، كما لو احتملنا إن تصدّينا لفضح ومحاربة الفِرَق الضالّة والمؤسسات الفاسدة ونشر معايبها وانحرافاتها على الناس سـيؤدّي في المسـتقبل إلى توعية الناس شـيئاً فشـيئاً، ثمّ كساد تلك المؤسسـات وإفلاسـها واندثارها في المجتمع، أو على الأقل يـؤدّي إلى الحدّ من اتّسـاع رقعة نشـاطاتها وإضلالها، أو تحصين الناس من الانخداع بأفكارها وبرامجها، ففـي هـذه الصورة يكفـي احتمال التأثير المسـتقبلي في عدم سـقوط الأمـر بالمعروف والنهـي عـن المنكر. بل ينتقض وجـود مثل هذا الشرط في حـال تعميمه بدعوة أكثر الأنبيـاء والمصلحين، حيث لم يكن تأثيرهم فعليـاً ومباشراً على أُممهم كما هو واضح، ومعلـوم أنّ دعواتهم هي من أجلى مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومع ذلك قاموا بهذه الوظيفة ولم تسقط عنهم بعدم احتمال التأثير الفعلي، وهكذا الأمر في نهضة الحسين عليه السلام.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج ٤، ص٣٠٣.

ولـذا؛ يقـول بعض الباحثـين حول هـذه النهضة: «**إنّ الحسـين انتـصر على المدى البعيد، فهو وإن لم يظفر بمراده في معركة حربية ومواجهة عسـكرية، إلّا أنّ نيله الشهادة في ذاتـه كان انتصـاراً لله، ثمّ إنّه زرع بذور الحقد والسـخيمة في قلوب الناس جميعاً نحو بني أُمية، ولا يخامرني شـكّ في أنّ الحسـين انتصر على المدى البعيد، وكان استشهاده سبباً مباشراً في زلزلة عرش دولة الأُمويين مع انصباب جام اللعنات والسـخطات عليهم من جرَّاء هذه الجريمة البشعة**»[1].

٢ـ إنّـه لـو سـلّمنا انحصـار ذلـك بالتأثير الفعـلي، فإنّه يمكـن أن يقال: إنّـا نقيّد عمومـات الأمـر بالمعـروف والنهـي عن المنكـر بفعـل المعصوم، وهو الحسـين عليه السلام، فيكون العموم ثابتاً في سـائر الموارد إلّا فيما أقدم عليه الحسـين عليه السلام بخروجه ونهضته فإنّه خارج بالدليل تخصيصاً[2].

ثالثـاً: يمكـن التفصيل بين موارد الأمر بالمعروف والنهـي عن المنكر، فثمّة موارد يُشـترط فيها احتمال التأثير كما في كثير من مـوارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن ثمّة موارد يجب فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً حتى لو لم نحتمل التأثير بل قطعنا بعدمه؛ كما لو كان الحفاظ على بيضة الدين تتطلَّب الأمر بالمعروف، بل يجب ذلك حتى لو لم يبلغ الخطر على بيضة الدين، كما في بعض الموارد التالية التي ذكرها الفقهاء، وهي:

١ـ لو وقعت بدعة في الإسـلام بحيث كان سكوت رؤساء الإسلام موجباً لهتك الإسلام وضعف عقائده.

٢ـ لو كان في سـكوت رؤسـاء الدين خـوف صيرورة المنكـر معروفاً والمعروف منكراً.

٣ـ لو كان في سكوت رؤساء الدين تقوية الظالم وتأييد له.

---

(١) أُنظر: السبحاني، جعفر، سيرة الأئمة: ص٢٠٤.

(٢) الروحاني، محمد صادق، فقه الصادق: ج١٣، ص٢٦٧.

٤ ـ لو كان سكوتهم موجباً لجرأة الظلمة على ارتكاب سائر المحرَّمات[١].

وكل هذه الموارد بل وأكثر منها كان في زمن الحسين عليه السلام.

الأمر الثاني: من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدم تضرّر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وقد تخلّف هذا الشرط في نهضة الإمام الحسين عليه السلام؛ حيث تعرَّض لأعلى مراتب الخطر وهو القتل، مضافاً لنهب المال وأسر العيال.

والجواب على ذلك:

أوّلاً: إنّه يمكن إدخال المسألة وإدراجها في باب التزاحم؛ فإنّه إذا دار الأمر بين حفظ بيضة الإسلام ولو بالتضحية بالنفس وبين محو الإسلام مع حفظ النفس فلا شكّ في تقدّم الأوّل لأهمّيته، ومن هذا الباب الجهاد في سبيل الله بقسميه الابتدائي والدفاعي، إذ لا شكّ في بذل النفس المحترمة فيه إذا كان فيه حفظ الإسلام، فإنّ حفظه مقدَّم على حفظ النفوس المحترمة بما فيها نفس المعصوم عليه السلام نبيّاً كان أم وليّاً كما يدلّ عليه حضور النبي صلى الله عليه وآله في الحروب. قال السيّد الخميني قدس سره: «**لو كان المعروف والمنكر من الأُمور التي يهتمّ بها الشارع الأقدس، كحفظ نفوس قبيلة من المسلمين وهتك نواميسهم، أو محو آثار الإسلام ومحو حجته بما يوجب ضلالة المسلمين، أو إمحاء بعض شعائر الإسلام كبيت الله الحرام بحيث يُمحى آثاره ومحله وأمثال ذلك لا بدّ من ملاحظة الأهمّية، ولا يكون مطلق الضرر ولو النفس أو الحرج موجباً لرفع التكليف، فلو توقّفت إقامة حجج الإسلام بما يرفع بها الضلالة على بذل النفس أو النفوس، فالظاهر وجوبه، فضلاً عن الوقوع في ضرر أو حرج دونها**»[٢].

وأفاد بعض الفقهاء المعاصرين في تقرير هذه الحجة أيضاً: إنّ اشتراط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأمن من الضرر في كل الموارد ليس مسلّماً في كل

---

(١) أُنظر: الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة: ج١، ص٤٧٣. الروحاني، محمد صادق، فقه الصادق: ج١٣، ص٢٤٧. المنتظري، حسين علي، الأحكام الشرعية: ص ٣٦٩.

(٢) الخميني، روح الله، تحرير الوسيلة: ج١، ص٤٧٢.

الموارد، بل يمكن القول: إنّ الثابت شرعاً هو عدم الاشتراط في بعض الموارد، ولا بدّ من الموازنة بين المصالح الموجودة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين مقدار الضرر الداخل منهما، فإن كانت المصلحة أهمّ وجب استيفاؤها شرعاً مثل إحياء الدين لزم تحمّل الضرر ولم يجُزْ ترك المعروف أبداً. وحاصل كلامه: ضرورة التفصيل بين موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث المصالح والمفاسد؛ وبهذا تندفع شبهة الإلقاء في التهلكة؛ فإنّ القيام لو خلا من المصلحة الراجحة كان من مصاديق الإلقاء في التهلكة، وإلّا لم يكن منها، وقد كان قيام الحسين عليه السلام واجداً للمصلحة الراجحة بلا ريب.

وقد أشار بعض علماء الجمهور لخطر حكم يزيد، فقال عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ): «**إنّما رحل الحسين عليه السلام إلى القوم؛ لأنّه رأى الشريعة قد رُفِضَت، فجدَّ في رفع قواعد أصَّلها الجدّ صلى الله عليه وآله**»[١].

وقال الغزالي: «**وقد أجمع أئمّة المسلمين على أنّ تقاليد الإسلام في الحكم قد تحوَّلت عن مجراها الرشيد على عهد معاوية وأُسرته، ثمّ التاث أمر الدين واضطربت مصالح الناس، ووُجِدَ من حكّام المسلمين مَن سبق ملوك الكفر في سكرتهم وعمايتهم؛ وذلك من سوء حظّ البشر قبل أن يكون من سوء حظّ المسلمين، وحكم الإسلام في دفع أُولئك الجبّارين لا يحتاج إلى مزيد من البيان والتكرار**»[٢].

وقال العلايلي: «**الذي ثبت لمفكري المسلمين أن بني أُمية أداة فساد، وفي طبيعتهم بعث الحياة الجاهلية بكل أشيائها وألوانها**»[٣].

ثانياً: لو تنزّلنا عمّا سبق وسلّمنا بالعموم لكل موارد الضرر في أدلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلّا أنّه يمكن القول بتخصيص هذا العموم بفعل المعصوم عليه السلام بنفس البيان السابق، حيث يُدّعى أنّ فعل المعصوم يكون مقيِّداً للإطلاق.

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن، التّبصرة: ص٢٢٤.

(٢) الغزالي، محمد، الإسلام والاستبداد السياسي: ص٤٣.

(٣) العلايلي، عبد الله، سمو المعاني: ص٢٨.

المبرّر الثاني: الجهاد في سبيل الله

من المبرِّرات المهمّة التي استُدلَّ بها على مشروعية النهضة الحسينية ما دلَّ على الجهاد كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[2]. قال العلّامة في معرض كلامه عن حكم الهدنة: «**والهدنة ليست واجبة على كل تقدير، سواء كان بالمسلمين قوّة أو ضعف، لكنّها جايزة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾[3]... بل المُسلم يتخيرَّ في فعل ذلك برخصة ما تقدّم وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[4]، وإن شاء قاتل حتى يلقى الله شهيداً بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾[5]، وبقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾. وكذلك فعل سيّدنا الحسين عليه السلام، والنفر الذين وجَّههم النبي صلى الله عليه وآله إلى هذيل وكانوا عشرة فقاتلوا مائة حتى قُتلوا، ولم يغلب منهم أحدٌ إلّا حبيب؛ فإنّه أُسَر وأقبل بمكة وهادن رسول الله صلى الله عليه وآله**»[6].

نعم، خالف المحقِّق الكركي وصاحب الرياض فذهبا إلى وجوب الجهاد لا جوازه، كما ذهب إليه العلّامة الحلي[7].

المبرِّر الثالث: النصوص الآمرة بالخروج على الجائر

قد وردت أحاديث تحثّ على الخروج على الحاكم الظالم لردعه، وقد تمسّك الإمام

---

(١) البقرة: آية ١٩٠.

(٢) التوبة: آية ١٢٣.

(٣) الأنفال: آية ٦١.

(٤) البقرة: آية ١٩٥.

(٥) البقرة: آية ١٩٠.

(٦) الحلي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب: ج ٢، ص٩٧٤.

(٧) أُنظر: الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد: ج ٣، ص٤٦٦. الطباطبائي، علي، رياض المسائل: ج١، ص٤٩٤.

الحسين عليه السلام بمثل هذه الأحاديث كالحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله الذي احتجّ به الحسين عليه السلام لمّا لقي الحر وأصحابه قائلاً: «**أيّها النّاس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقّاً على الله أن يُدخله مُدخله**»[1].

وهناك أحاديث أُخرى مروية من طرق الجمهور في صحاحهم، من قبيل: ما رواه أبو داود، عن خالد عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنّ النّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشَكَ أن يعمّهم الله بعقاب**»[2].

إلّا أن هذا المبرّر يمكن إلحاقه بالأوّل، ولا يُعدّ أمراً مستقلّاً في نفسه؛ لدخوله في عموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنّه مع ذلك يمكن إفراده بالاستقلال؛ لأنّه منصوص عليه بعنوانه، وهو (الخروج على الجائر).

المبرِّر الرابع: الدفاع عن النفس

يتألف هذا المبرِّر من كبرى وصغرى، أمّا الكبرى فمفادها أنّ حقّ الدفاع عن النفس أمرٌ مكفول في جميع الشرائع والقوانين الوضعية. وأمّا الصغرى فمفادها أنّ موقف الإمام الحسين عليه السلام تجاه الحكومة الأُموية كان في بعض صوره موقفاً دفاعياً عن النفس؛ وذلك لأنّه كان مهدّداً بالقتل عندما دعاه والي المدينة لمبايعة يزيد، هذا أوّلاً. وثانياً: إنّما ترك الحسين عليه السلام مكّة وحوّل عمرته إلى مفردة وخرج منها يوم التروية؛ لأنّه كره أن يُقتَل فيها فتُنتَهك بذلك حرمة البيت، وهذا ما يؤكِّده قوله عليه السلام: «**وأيم الله، لو كنتُ في جحر هامَّة من هذه الهوامّ لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم، والله، ليعتدن عليَّ كما اعتدت اليهود في السبت**»[3].

---

(١) الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٥٠٥.

(٢) أبو داود، سليمان، السنن: ج٢، ص٣٢٣، رقم ٤٣٣٨.

(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص٣٨.

وفي الـدر النظيم: «**وحدَّث جعفر بن سـليمان، قال: حدَّثني مَن شـافه الحسـين عليه السلام بهـذا الكلام، قال: حججت فأخذتُ ناحية الطريق أتعسّـف الطريـق، فوقعت إلى أبنية وأخبيـة، فأتيـت أدناها فسـطاطاً فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: للحسـين بن علي صلوات الله عليهما. فقلت: ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: نعم. قلت: فأيّها هو؟ فأشاروا إلى فسـطاط. فأتيته، فإذا هو قاعد عند عمود الفسـطاط، وإذا بين يديـه كُتُب كثيرة يقرأها. فقلت: بأبي أنت وأُمّي! ما أجلسك في هذا الموضع الذي ليس فيه أنيس ولا منفعة؟ قال: إنّ هـؤلاء** [يعني السـلطان وأتباعه] **أخافوني، وهذه كُتُب أهـل الكوفة إليَّ، وهم قاتلي لا محالـة**»[1]. وقـال له أبو هرة: لماذا تركت حرم الله وحـرم جدّك؟ فأخبره الإمام عليه السلام بـأنّ بني أُميّة أخذوا أمواله فصبر، وجرّعوه الغصص وصبر، وهم الآن يريدون قتله وإهراق دمه وانتهاك حرمة البيت، وإنّه لن يصبر على ذلك.

ولا شكّ في أنّ مشروعية الدفاع عن النفس ثابتة من الناحية الكبروية كتاباً وسنّةً وعقـلاً وسـيرةً عقلائية ومتشرعية، ومـن الناحية الصغروية باعتبـار أنّ حياة الإمام الحسين عليه السلام كانت مهدَّدة بالخطر كما اتّضح آنفاً.

المبحث الثاني: شبهات على النهضة الحسينية

إنّ مَن يرصد الموقف الفقهي لدى جمهور المسـلمين تجاه ثورة الإمام الحسـين عليه السلام يجد أنّهم بين مؤيِّد ورافضٍ لها. وقد أثار المعارضون جملة من الشبهات يمكن تنويعها إلى عدّة أنواع نشير إليها مع الردّ:

الشبهة الأُولى: الخروج على الشرعية

إنّ هـذه الثـورة تُعدّ خروجاً على الشرعية المتمثِّلة بشـخص الحاكم، وهو يزيد بن معاوية؛ ممّا يُدخِل هذه الثورة في عداد البغي حسب الاصطلاح الفقهي، ولعلّ أقدم

(١) الزرندي، محمد بن يوسف، نظم درر السمطين: ص٢١٤.

وأكبر شخصية في هذا الاتجاه هو القاضي أبو بكر بن العربي الأندلسي(ت٥٤٣هـ)، وإليك نصّ عبارته: «**وما خَرَجَ إليه أحدٌ إلّا بتأويل، ولا قاتلوه إلّا بما سمعوه من جدّه المهيمن على الرسل، المُخبِر بفساد الحال، المحذِّر عن الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها: ما روى مسلم عن زياد بن علاقة، عن عرفجة بن شريح، قوله ﷺ: إنّه ستكون هنات وهنات، فمَن أراد أن يُفرِّق أَمْر هذه الأُمّة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً مَن كان**»[1].

وعليه؛ فهو يرى صحّة خلافة يزيد وشرعيَّتها، وممّن قال بمقالته الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي(ت٦٠٠هـ)، الذي أفتى بصحّة خلافة يزيد حينما سُئل عن ذلك؛ معلِّلاً فتواه بأنّ ستّين صحابياً قد بايعه[2].

ردّ الشبهة

يمكن مناقشة هذه الشبهة بما يلي:

أوّلاً: إنّ الحديث الذي ذكره أورده مسلم في صحيحه، وقد أخرجه عن زياد بن علاقة، عن عرفجة، وابن علاقة سيئ المذهب، منحرف عن أهل البيت كما ذكره ابن حجر[3]، وذكر عرفجة في موضع آخر[4]، ولم ينقل له مدحاً أو ذماً؛ فهو من المجهولين، لا يؤبه بحديثه.

ثانياً: إنّ بيعة يزيد قد أُخِذَت من قِبَل معاوية بالمدينة بالقوّة، وتحت ظلّ السيف[5]؛ فلا تكون شرعية حتى على مبنى الجمهور. قال ابن مفلح الحنبلي: «**من الاعتقادات العامّية التي غلبت على جماعة من المنتسبين إلى السنّة أنّهم قالوا: كان يزيد على الصواب**

(١) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص٢٤٥.
(٢) ابن رجب، عبد الرحمن، الذيل على طبقات الحنابلة: ج٢، ص٣٤.
(٣) ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص٣٨١.
(٤) المصدر السابق: ج٧، ص١٧٦.
(٥) ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب: ج ٢، ص٣٨١.

والحسين مخطئ في الخروج عليه، ولو نظروا في السِّيَر لعلموا كيف عُقِدَت البيعة له وأُلزِمَ الناس بها!»[1].

ثالثاً: إنّ البيعة عند الجمهور تكون عن طريق أهل الحلّ والعقد، ولا شكّ في أنّ الحسين عليه السلام كان من أهل الحلّ والعقد، بل هو رأسهم في زمانه، كيف لا، وهو سيّد شباب أهل الجنة وقد رفض البيعة ليزيد، فكيف تصحّ مع ذلك خلافة الأخير؟!

رابعاً: إنّ العدالة التي هي من شروط الخلافة عند الجمهور مفقودة في يزيد؛ لأنّه محرَزٌ فسقه إن لم نقل بكفره، وهذا مُجمَع عليه، ولم يشذّ عنه سوى أهل التعصّب المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، وإليك شطراً من كلمات العلماء في انحراف يزيد وفسقه بل كفره:

١ـ قال الآلوسي: «**ومنهم مَن يقول: إنّه [يزيد] لم يعصِ بذلك ولا يجوز لعنه، وقائل هذا ينبغي أن يُنظَم في سلسلة أنصار يزيد. وأنا أقول: الذي يغلب على ظنّي أنّ الخبيث لم يكن مصدِّقاً بالرسالة للنبي صلى الله عليه وآله، وأنّ مجموع ما فعل مع أهل حرم الله وأهل حرم نبيّه عليه الصلاة والسلام وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي، ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه... ولا أظنّ أنّ أمره كان خافياً على أجلّة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين، ولم يسعهم إلّا الصبر... ولو سُلِّم أنّ الخبيث كان مسلماً، فهو مسلمٌ جمَعَ من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يُتصوَّر أن يكون له مثلٌ من الفاسقين، والظاهر أنّه لم يتُب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه**». وقال أيضاً: «**نقل البرزنجي في (الإشاعة)، والهيثمي في (الصواعق): أنّ الإمام أحمد لمّا سأله وَلَده عبد الله عن لعن يزيد، قال: كيف لا يُلعَن مَن لعنه الله تعالى في كتابه؟! فقال عبد الله: قد قرأتُ كتاب الله فلم أجد فيه لعن يزيد! فقال الإمام: إنّ الله يقول:** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾[2]، **وأيّ فساد وقطيعة أشدّ ممّا فعله يزيد؟!...**

(١) الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج ٧، ص١٤٧.
(٢) محمد: آية ٢٢ـ٢٣.

وقد جزم بكفره وصرح بلعنه جماعة من العلماء، منهم: الحافظ ناصر السنّة ابن الجوزي، وسبقه القاضي أبو يعلى، وقال العلّامة التفتازاني: لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه، وممّن صرّح بلعنه الجلال السيوطي»[1].

٢ـ وقال ابن خلدون: «غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا؛ فقال في كتابه الذي سمّاه (العواصم والقواصم): إنّ الحسين قُتِلَ بشرع جدّه. وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل، ومَن أعدل من الحسين في زمانه وإمامته وعدالته في قتال أهل الآراء»[2].

٣ـ وقال ابن مفلح الحنبلي: «ولقد فعل [يزيد] مع الناس في ذلك كل قبيح. ثمّ لو قدَّرنا صحّة خلافته، فقد بدرت منه بوادر وظهرت منه أُمور كل منها يوجب فسخ ذلك العقد: من نهب المدينة، ورمي الكعبة بالمنجنيق، وقتل الحسين وأهل بيته، وضربه على ثناياه بالقضيب، وحمل رأسه على خشبة، وإنما يميل إلى هذا جاهل بالسيرة عامي المذهب يظن أنه يغيظ بذلك الرافضة»[3].

٤ـ وقال الشوكاني: «لقد أفرط بعض أهل العلم؛ فحكموا بأنّ الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه باغٍ على الخمِّير السكِّير الهاتك لحرمة الشريعة المطهَّرة يزيد بن معاوية لعنهم الله، فيا للعجب من مقالات تقشعر منها الجلود ويتصدّع من سماعها كل جلمود!!»[4].

٥ـ وقال الجاحظ: «المنكرات التي ارتكبها يزيد من قتل الحسين، وحمله بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، وقرعه ثناياه [الحسين عليه السلام] بالعود، وإخافته أهل المدينة، وهدم الكعبة؛ تدلّ على القسوة والغلظة، والنصب وسوء الرأي، والحقد والبغضاء، والنفاق والخروج

(١) الآلوسي، محمود، روح المعاني: ج٢٦، ص٧٣.
(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدّمة: ص٢١٧.
(٣) الحنبلي، ابن مفلح، الفروع: ج٣، ص٥٤٨، باب قتال أهل البغي.
(٤) الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار: ج٧، ص١٤٧.

عن الإيمان، فالفاسق ملعون، ومَن نهى عن شتم الملعون فملعون»[1].

٦ـ وقال الذهبي: «كان [يزيد بن معاوية] ناصبيّاً، فظّاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المُسكِر ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بوقعة الحرّة؛ فمقته النّاس، ولم يُبارَك في عمره»[2].

الشبهة الثانية: شق عصا الأُمّة

من الشبهات التي أُثيرت حول نهضة الحسين عليه السلام هو ما ورد في بعض الكلمات من أنّ خروج الحسين عليه السلام يُعتَبر شقّاً لعصا الأُمّة، وهي مفسدة تُرجَّح على مصلحة الخروج والتغيير، قال ابن تيمية: «وقلّ مَن خَرَجَ على إمام ذي سلطان إلّا كان ما تولَّد على فعله من الشّر أعظم ممّا تولَّد من الخير». ثمّ قال بعد ذلك فيما يخصّ خروج الحسين عليه السلام: «إنّه لم يكن في الخروج مصلحة في دين ولا في دنيا، وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يحصل لو قعد في بلده؛ فإنّ ما قصده من تحصيل الخير ودفع الشّر لم يحصل منه شيء، بل زاد الشّر بخروجه وقتله، ونقص الخير بذلك، وصار سبباً لشر عظيم، وكان قتل الحسين ممّا أوجب الفتن»[3]. وتابعه على ذلك الخضري بك، فقال: «إنّ الحسين أخطأ خطأً عظيماً في خروجه هذا الذي جرّ على الأُمّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد أُلفتها إلى يومنا هذا»[4].

أقول: إنّ هذه الإشكالية مبنية على أنّ حرمة الخروج على الجائر تندرج في باب التزاحم بين مفسدتين، ومن ثمّ تغليب مفسدة بقاء الجائر وظلمه وتعسّفه على مفسدة إهراق الدماء.

---

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، الرسالة الحادية عشر في بني أُمية.
(٢) الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج٤، ص٣٨.
(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، المنتقى من منهاج السنّة: ص٢٨٧.
(٤) الخضري بك، محمد، تاريخ الأُمم الإسلامية: ج٢، ص٢٣٥.

ردّ الشبهة

إن الجواب عن هذه الشبهة يقع تارة بلحاظ أصل الكبرى الواردة في النص الأوّل لابن تيمية، من لزوم الفساد في الخروج على الجائر، وأُخرى في خصوص الصغرى، أمّا الكبرى فيرد عليها:

أوّلاً: إنّه على فرض إرجاع المسألة إلى باب التزاحم، أو ما يُسمّى بـ(فقه الأولويات والمآلات)، فلماذا نغلّب مسبقاً مفسدة بقاء الجائر وظلمه وتعسّفه على مفسدة السعي لاستبدال الخوف بالأمن ما قد يستلزم شنّ الغارات وإهراق الدماء؟ فقد يكون العكس صحيحاً، كما لو كان الخارجون أكثر عدّة وعدداً وكان الجائر ضعيفاً؛ وعليه فلا بدّ من تقييد حكم الخروج وعدمه بملاحظة المفسدة والمصلحة في كل منهما، لا إطلاق الحكم بالمنع كما يرى المانعون من الخروج. هذا مضافاً إلى عدم التسليم بتعميم هذه الدعوى؛ إذ قد يتمّ التغيير بأيسر التضحيات والخسائر.

ثانياً: إنّ من الضروريات الدينية المعلومة بالبداهة وجوب إقامة الدين وحفظه، وإنّ حفظه مقدّم على حفظ جميع المقدّسات والنواميس الأُخرى وهي النفس والعقل والمال والعرْض، ومعلوم أنّ الجائر لا يقيم الدين، بل يهدمه وينقضه عروة عروة بأساليب متعدّدة، من قبيل: نشر الآراء والمذاهب والأفكار المنحرفة والهدّامة في المجتمع الإسلامي؛ لطمسه العقيدة الحقّة من الناحية النظرية، ثمّ ترويج الانحراف الأخلاقي والسلوكي وقبول تسلّط الأجانب والارتباط بهم، وتنفيذ مخطّطاتهم، والعمل على خلاف مقتضيات مصالح الشعوب الإسلامية، وإفقار الأُمّة مادّياً ومعنوياً على المستوى العملي، كما هو واقع الشعوب الإسلامية اليوم.

وعليه؛ فكيف تُقدّم مصلحة إبقاء الجائر حتّى لو دثر الدين وحاربه على مصلحة الخروج عليه لو استلزم بعض التضحيات بالنفوس والأموال وغيرها؟! فهل حرمة النفوس والأموال أغلى من حرمة الدين؟! لو كان الأمر كذلك لما شُرّع أصل الجهاد

والدفـاع، ولما عرَّض الرسـول وآله الميامـين وصحبه الكرام أنفسـهم لخطر القتل في الجهاد مع الكفّار، وقتال البغاة كما قام به أمير المؤمنين عليه السلام.

إذن؛ لو أدخلنا المسـألة في باب التزاحم فلا شـكّ في تقديـم مصلحة إقامة الدين والعـدل عـلى مصلحة حفظ النفـس والأمن مع وجـود الحاكم الجائـر، شريطة تهيّؤ الظـروف الموضوعية والخارجية لمثـل هذا الخروج، وإلّا فلا بدّ من العمل على إعداد الأُمـور لذلك، وعدم اتخـاذ فقدان الظـروف الموضوعية والخارجية ذريعة لسـقوط التكليـف عـن الأُمّـة، ولا مفسـدة أعظم مـن تعطيل الديـن، ولا مصلحـة أهم من مصلحة إقامة الدين مع تهيّؤ الظروف[1].

وأمّا الردّ على الصغرى ـ وهي كلام ابن تيمية الثاني في تطبيق الكبرى التي ذكرها على خروج الحسين عليه السلام ـ فيرد عليها:

أوّلاً: المناقشـة في أصـل دعـوى أنّ في خروجه عليه السلام مفسـدة، وأنّه لـو كان قد قعد كان أفضل، فنقول: بعد نقض معاوية الصلح وقَتْلِهِ الإمام الحسن عليه السلام، راجع الشيعة الحسـين عليه السلام من أجل الخـروج، فأبى عليه السلام؛ لوجـود معاهدة الصلح مـع معاوية بعدم الخـروج، رغـم نقض معاوية له من طرف واحد، ولكنّـه عليه السلام بمجرّد هلاك معاوية لم يقرّ له قرار وأبى البيعة ليزيد، ورفض ذلك أشدّ الرفض لأسباب من جملتها:

١ـ تبـدّل مسـار الخلافة من نظام الشـورى إلى نظام التوريـث، وهو تطوّر خطير وبدعة غير مسبوقة في نظام الخلافة؛ لأنّها رغم انحرافها عن مسارها الصحيح الذي وضعته السماء بقيت شورائية أو تعيينيّة لكن لغير أبناء الخلفاء؛ ولذا كانت بيعة يزيد مرفوضة بكل المقاييس، وبإجماع الأُمّة، ولم يقبلها إلّا أهل الشام.

٢ـ فسـاد الحاكم نفسـه بنحوٍ لا يصحّ السـكوت عليه، والقبول بذلك يُعدّ خطراً على الإسـلام واسـتهزاءً بالدين والشريعة، وهذا ما ترجمه الإمام الحسـين عليه السلام بقوله:

---

(١) أُنظر: الخزرجي، صفاء الدين، الصحوة الإسلامية المعاصرة وإشكالية الخروج على الحاكم الجائر، مجلة الاجتهاد والتجديد: العدد ٢٤.

«**وعلى الإسلام السلام إذ قد بُلِيَت الأُمّة براعٍ مثل يزيد**»[1]. والنصوص في انحراف يزيد مستفيضة نكتفي بذكر واحد منها لأهمّيته، وكونه صادراً من أحد أعوان معاوية؛ وهو زياد ابن أبيه، الذي طلب منه معاوية حثّ الناس على أخذ ولاية العهد لوَلَدِه، فاستشار زياد أصحابه أن يكتب لمعاوية كتاباً يقول فيه: «**إنّ كتابك ورد عليَّ بكذا، فما يقول النّاس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبّغ، ويُدمن الشراب، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر**»[2].

إن هذين السببين كانا يمثلان تهديداً كبيراً للإسلام، جعلاه على حافّة الهاوية وشرف السقوط والاندثار، سيما مع سكوت الأُمّة بأكملها رغم رفضها القلبي، فكانت الأُمّة بين طريقين لا ثالث لهما، طريق القبول بهذا الخطر المحدق، وطريق التصحيح وإرجاع مسيرة الإسلام إلى نصابها الأوّل على عهد الرسالة، ولو بالتضحية والشهادة؛ امتثالاً للآيات الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر والركون إلى الظالم، فهل في هذا فساد وفتنة، أم صلاح وتقويم للدين؟! ولذا لم يعترض أحدٌ من الصحابة والسلف ممّن يعترف به ابن تيمية: كابن عباس، وابن عمر وغيرهما على الحسين عليه السلام بمثل هذا الاعتراض على الإطلاق، إلى أن ظهر ابن تيمية فتحذلق بإظهار النصب لسيّد شباب أهل الجنّة، واتّهمه بالإفساد والفتنة.

نعم، أشفق الصحابة على الحسين عليه السلام من القتل، فإن كان هذا الناصبي صادقاً في دعوى اتّباع الصحابة والسلف، فليمسك كما أمسكوا، لكنّه ينطق حيث يجب الصمت كما في مقامنا ويصمت حيث يجب النطق كما في خروج عائشة، حيث اعترض عليها الصحابة ونساء النبي صلى الله عليه وآله ومنعوها من الخروج وذكّروها أن تقرّ في

(١) ابن نما، محمد بن جعفر، مثير الأحزان: ص١٥.

(٢) اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٢٠. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٥، ص٣٠٢ـ٣٠٣. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٥٠٥.

بيتها امتثالاً لأمر الله تعالى، ولكن ابن تيمية يخرسه نصبه هنا ويلوذ بالصمت.

ثانياً: إنّ كلام ابن تيمية يستبطن تكذيباً ضمنياً للحديث المتّفق عليه بين الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة**»[1]. فإنّ هذا الحديث ليس صادراً على وجه التشريف فقط للإمامين الحسنين عليهما السلام باعتبارهما أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، بل لبيان مقامهما وأنّهما يمتلكان مقوّمات السيادة في الآخرة، فكونهما كذلك في الآخرة، ففي الدنيا من بابٍ أوْلى؛ وذلك لشرف الآخرة على الدنيا بلا شكّ، ومَن كان سيّداً بنصّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو أحقّ بالاتّباع من غيره، فيلزم من تخطئته واتهامه بالإفساد في الأُمّة تكذيبُ النبي صلى الله عليه وآله، فلو كان الحسين عليه السلام كما قال ابن تيمية مُفسداً ظالماً؛ لكان أحقّ بالذّم من قِبَل النبي صلى الله عليه وآله، لا المدح والتسييد على الأُمّة.

كما أنّه تكذيبٌ لقول النبي صلى الله عليه وآله: «**حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله مَن أحبّ حسيناً، حسين سبطٌ من الأسباط**»[2]. فهل النبي صلى الله عليه وآله يُعطي غطاءً شرعياً في هذا الحديث لمفسدٍ ومفرِّق في أُمّته فيعتبره منه، ويعتبر نفسه الشريفة منه ويدعو إلى حبّه؟! فلو لم يكن الحسين عليه السلام مستحقّاً لذلك لكان هذا الحديث محاباة منه صلى الله عليه وآله على حساب الدين والرسالة، وحاشاه عن ذلك.

وبعبارة أُخرى: إنّ النبي صلى الله عليه وآله يدور أمره بين علمه بحال الحسين عليه السلام بعده وجهله ـ نعوذ بالله ـ فإذا كان عالماً بإفساده وفتنته فلماذا لم يحذِّر منه بدل أن يمدحه بمثل هذا الحديث وغيره. وإمّا أن يكون جاهلاً وحاشاه عن ذلك فيكون حديثه هذا إغراءً للأُمّة بأمر الحسين عليه السلام، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[3].

ثالثاً: إنّ اعتراض ابن تيمية تكذيب لحديث الثقلين وحديث السفينة، وغيرها من الأحاديث التي دلّت على وجوب التمسّك بهم، وأنّهم عدل القرآن، وهم السفينة

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٥، ص٣٢١.
(٢) المصدر السابق: ص٣٢٤.
(٣) النجم: آية ٣ـ ٤.

التي يجب ركوبها، فإذا كان الحسين عليه السلام مُفسِداً وصاحب فتنة فكيف يأمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك به والركوب في سفينته؟! بل في اعتراض ابن تيمية تكذيبٌ لقول الله في آية التطهير التي نزلت في حق الحسين عليه السلام وبقية أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وتكذيبٌ لقول النبي صلى الله عليه وآله: «**مَن رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرَم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مُدخله**»[1].

فهل يبقى شكّ لذي لبّ أو مسكة بعد كلّ هذه الموارد التي تُنزّه الحسين عليه السلام ممّا رماه به هذا الناصبي وأضرابه؟! وهذه ليست أوّل قارورة يكسرها ابن تيمية بحقّ الحسين عليه السلام، فقد كسر مثلها بحقّ أخيه الحسن عليه السلام عندما برّأ معاوية من قتله، فقال: «**معاوية حين أمر بسمّ الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضاً**»!![2]. وكذلك فقد برّأ يزيد من قتل الحسين عليه السلام وأنّه لم يأمر بقتله، مع أنّ ابن زياد لما عُوتِبَ على قتله الحسين عليه السلام اعترف أنّه خيّره يزيد بين قتل الحسين أو قتله[3] ولم يُدن يزيد إلّا على وقعة الحرّة، لكنّه حاول أن يخفّف منها قائلاً: «**لكنّه [يزيد] لم يقتل جميع الأشراف، ولا بلغ عدد القتلى عشرة آلاف، ولا وصلت الدماء إلى قبر النبي**»[4]، بل حاول أن يبرئه من ضرب الكعبة بالمنجنيق، فذكر أنّ «**حريق الكعبة لم يقصده يزيد، وإنّما مقصوده حصار ابن الزبير، والضرب بالمنجنيق كان له لا للكعبة، ويزيد لم يهدم الكعبة ولم يقصد إحراقها لا هو ولا نوابه باتفاق المسلمين**»[5]، ولم يتوقّف كسر القوارير لديه عند الحسن والحسين عليهما السلام، بل امتدّت إلى الزهراء عليها السلام حين تجاسر واتهمها بأنّها طالبت أبا بكر ما

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٣٠٤.
(٢) ابن تيمية، أحمد، منهاج السنّة: ج٢، ص٢٢٥.
(٣) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٤٠.
(٤) ابن تيمية، أحمد، منهاج السنّة: ج٢، ص٢٥٣.
(٥) المصدر السابق: ص٢٥٤.

ليس لها، وبما هو خلاف حكم الله ورسوله، وأنّ ذلك مدعاة لجرحها!![1]، بل ذكر المنافق أنّ فيها شبهاً من المنافقين الذين إذا أُعطُوا من المال رضوا، وإن لم يُعطَوا إذا هم يسخطون؛ وذلك لأنّها طالبت أبا بكر فلم يُعطها فغضبت عليه[2]. وأمّا قواريره المكسورة مع بعلها أمير المؤمنين عليه السلام في (منهاج السنّة) ففوق حدّ الإحصاء في إنكار فضائله، ومحاولة الحطّ من شأنه.

والمهم، إنّ هذا هو منهج النصب التبريري الذي سلكه ابن تيمية في التحامل على أهل البيت عليهم السلام وتبرئة أعدائهم، ومن هذا المنطلق جاء اتّهامه للحسين عليه السلام في خروجه، ولكنّا نسأل هذا الناصبي: هلّا أدان معاوية لمّا خَرَجَ على الخليفة الشرعي بحرب صفين وسبّب قتل الآلاف؟! فهل خروجه كان للإصلاح، وخروج الحسين عليه السلام كان للإفساد؟! فهذه آية نصبه واضحة لا غبار عليها.

رابعاً: لو كان اعتراض ابن تيمية وإدانته للحسين عليه السلام بشأن خروجه، فإنّ الفساد هو في قتل يزيد له، لا في خروج الحسين عليه السلام، فلِمَ لا يُدين يزيد بقتله للحسين عليه السلام، مع أنّه كان قادراً على العفو عنه بعد الظفر به؟! وعلى فرض أنّه لم يأمر بقتله كما يزعم ابن تيمية فلِمَ لم يُدِنْه على ترك قاتليه ولم يعاقبهم؟! إذن؛ كان الفساد والفتنة في قتله عليه السلام لا في خروجه؛ إذ كان بإمكان الحكومة الأُمويّة التعامل بحكمة وتطويق المشكلة بإرجاع الحسين عليه السلام إلى المدينة أو غيرها تجنباً لكل الإشكاليات، فلماذا أقدموا على قتله، أو رضوا به، أو لم يحولوا دونه؟!

الشبهة الثالثة: حرمة الخروج على الحاكم الجائر

هناك مَن اعترض على النهضة الحسينية بأنّها تتنافى والروايات الدالة على حرمة الخروج على الجائر، وهي روايات روتها صحاح المسلمين، وهذه الإشكالية يطرحها

(١) أُنظر: المصدر السابق: ج٤، ص٢٤٣.
(٢) أُنظر: المصدر السابق: ج٤، ص٢٤٤.

بعض أهل السنّة بعد اعترافهم بعدم شرعية الحاكم الجائر، وإنّما يحرِّمون ذلك درءاً لمفسدة إراقة الدماء وإثارة الفتنة، وعلى كل حال، فينبغي أوّلاً الإشارة إلى هذه النصوص، ثمّ مناقشتها ضمن استعراض الأقوال في المسألة، وهذه النصوص على قسمين:

القسم الأوّل: الروايات المانعة مطلقاً

وهي الروايات المطلقة في المنع عن الخروج على الجائر، سواء أكان الإمام عادلاً أم جائراً، ومن جملتها:

أ ـ صحيح البخاري[1]

١ـ عن ابن عباس، عن النبيﷺ، قال: «**مَن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه؛ فإنّه مَن فارق الجماعة شبراً فمات إلّا مات ميتة جاهلية**».

٢ـ عن عبادة بن الصامت، قال: «**دعانا النبيﷺ فبايعنا... على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وإثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلّا أن تروا كفراً بواحاً**».

ب ـ صحيح مسلم[2]

١ـ وعن عبد الله بن عمر بن العاص، عن النبيﷺ قال: «**مَن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليُطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر**».

٢ـ وعن أبي هريرة، عن النبيﷺ أنّه قال: «**مَن خَرَجَ من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات؛ مات ميتة جاهلية. ومَن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقُتِلَ؛ فقتلة جاهلية، ومَن خَرَجَ على أُمّتي يضرب برّها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده؛ فليس منّي ولست منه**».

---

(١) أُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٨، ص٨٧.

(٢) أُنظر: النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج٦، ص٢٠، ٢٢.

٣ـ عن نافع، قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأُحدّثك حديثاً سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقوله: «**مَن خَلَعَ يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**».

القسم الثاني: الروايات المقيَّدة بحرمة الخروج على ولاة الجور خاصّة

ومنها ما ورد في صحيح مسلم[1]:

١ـ عن أُمّ سلمة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**ستكون أُمراء فتعرفون وتنكرون، فمَن عرف برئ، ومَن أنكر سلم، ولكن مَن رضي وتابع. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلّوا**».

٢ـ وعن عوف بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم، ويُصلّون عليكم وتُصلّون عليهم. وشرار أئمّتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة**».

٣ـ وسأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «**يا نبيَّ الله، أرأيت إن قامت علينا أُمراء يسألونا حقّهم ويمنعونا حقّنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثمّ سأله، فأعرض عنه، ثمّ سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم**». قال: وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا شبابة، حدّثنا شعبة عن سماك بهذا الإسناد مثله، وقال: فجذبه الأشعث بن قيس. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنّما عليهم ما حُمّلوا وعليكم ما حُمّلتم**».

---

(١) المصدر السابق: ص١٩-٢٤.

٤ـ وعن حذيفة بن اليمان قال: «**كان النّاس يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ؛ مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: إنّا كنّا في جاهلية وشرّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شرّ؟ قال: نعم. فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَنٌ. قلت: وما دَخَنُه؟ قال: قوم يستنّون بغير سُنّتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: هل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنّم، مَن أجابهم إليها قذفوه فيها. فقلت: يا رسول الله صِفهُم لنا. قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلّمون بألسنتنا. قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

٥ـ وعن حذيفة بن اليمان أيضاً قال: «**يا رسول الله، إنّا كنّا بشرّ، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: نعم. قلت: هل وراء ذلك الشرّ خير؟ قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال: نعم. قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمّة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع**».

وعليه؛ فإنّه مع وجود هذه النصوص النبويّة بقسميها المطلق والمقيَّد تواجه ثورة الحسين عليه السلام في نظر هؤلاء مثل هذه الإشكالية. وسنردّ على هذه الإشكالية بعد استعراض الأقوال عندهم في هذه المسألة.

الأقوال في المسألة[1]

انقسم الموقف لدى علماء المذاهب الأُخرى تجاه مسألة الخروج على الجائر إلى قولين:

(١) أُنظر: ـ لهذه الأقوال التي نقلناها بتصرّف ـ مقالاً للكاتب تحت عنوان: (الصحوة الإسلامية المعاصرة وإشكالية الخروج على الحاكم الجائر)، مجلّة الاجتهاد والتجديد: العدد ٢٤.

القول الأوّل: حرمة الخروج

وقد التزم أصحاب هذا القول من الناحية الفقهية بالروايات الناهية عن الخروج، وهؤلاء هم مشهور فقهاء العامّة، بل نُسِبَ هذا القول إلى الإجماع، قال القاضي الباقلاني في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام وسقوط فرض طاعته: «**إن قال قائل: ما الذي يوجب خلع الإمام عندكم؟ قيل له: يوجب ذلك أُمور، منها: كفرٌ بعد الإيمان، ومنها: تركه إقامة الصلاة والدعاء إلى ذلك، ومنها عند كثير من النّاس ـ: فسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النّفوس المحرّمة، وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود. وقال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع بهذه الأُمور، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه وترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله. واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظاهرة عن النّبي (صلّى الله عليه وسلّم)، وعن أصحابه، في وجوب طاعة الأئمّة وإن جاروا واستأثروا بالأموال، وأنّه قال (صلّى الله عليه وسلّم): اسمعوا وأطيعوا ولو لعبدٍ أجدع، ولو لعبدٍ حبشي، وصلّوا وراء كلّ برٍ وفاجر. وروي أنّه قال: أطعهم وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك...**»[1].

وقال النووي: «**وأمّا الخروج عليهم وقتالهم فحرامٌ بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنّة أنّه لا ينعزل السلطان بالفسق**»[2].

ردّ الشبهة

أوّلاً: إنّ الروايات التي استندوا إليها مبتلاة بوجود المعارض المكافئ لها سنداً ودلالة، وهو عبارة عن النصوص الدالة على جواز الخروج على الجائر، من قبيل: ما رواه البخاري عن نافع، عن عبد الله (رضي الله عنه)، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**السمع والطّاعة على**

(١) الباقلاني، محمد، تمهيد الأوائل: ص٤٧٨.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي: ج١٢، ص٢٢٩.

المرء المسلم فيما أحبّ وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[1].

وروى أبو داود، عن خالد، عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «**إنّ النّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوْشَكَ أن يعمّهم الله بعقاب**»[2]، وغيرها من المرويات. فكان اللازم في البدء معالجة التعارض الواقع بين هاتين الطائفتين من النصوص، حتّى ننتهي إلى الجمع بينهما أو ترجيح طائفة على أُخرى أو التساقط؛ وعليه فليس من الصحيح اجتزاء بعض النصوص وترجيح إحدى الطائفتين قبل حلّ التعارض كما يقتضيه المنهج العلمي.

ثانياً: إنّ هذه الروايات معارضة أيضاً بجملة من الآيات؛ وعليه يكون الترجيح للروايات المجوِّزة للخروج لو لم يمكن الجمع بين الطائفتين ورجعنا إلى المرجِّحات الخارجية، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[3]، والركون هو: «**الاستناد والاعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به. قال قتادة: معناه لا تودّوهم ولا تطيعوهم**»[4]. وقال الجصّاص: «**الركون إلى الشيء: هو السكون بالأُنس والمحبّة، فاقتضى ذلك النهي عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم والإنصات إليهم**»[5]، فإذا كان الركون منهياً عنه فالطاعة والامتثال لهم من باب أوْلى، وما ذكره الجصّاص هو مقتضى الأولوية، وكذلك يعارض تلك الروايات عمومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[6].

ثالثاً: معارضة هذه النصوص لمقاصد الدين، ولروح الشريعة الغرّاء الداعية إلى إقامة العدل والقسط، وإلى تحكيم الدين والشرع في حياة النّاس؛ كما في قوله

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٤، ص٧، ج٨، ص١٠٦.
(٢) أبو داود، سليمان، السنن: ص٣٢٢.
(٣) هود: آية ١١٣.
(٤) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٩، ص١٠٨.
(٥) الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن: ج ٣، ص٢١٥.
(٦) آل عمران: آية ١٠٥.

تعـالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1]، فكيـف يُعقل للدين الـذي جاء من أجل الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر ومقارعة الظلم والتعسّـف والفسـاد أن يُنظِّر ويؤسّس للظلم والفساد بإقراره حكومـة الحاكـم الجائر؟! أليس هذا نقضـاً للغرض الذي لا يفعلـه الحكيم؟! أليس هذا تقنيناً وتشريعاً للظلم؟! أليس معنى هذا أنّ الدين يمحق نفسه بنفسه عن طريق إعطاء الشرعية لمن يمحقه وهو الظالم؟! إنّ هذا الدين الذي لم يقبل ولا في واحد من تشريعاته الكثيرة الظلم لا على المسـتوى الفردي ولا على المسـتوى الاجتماعي، كيف يوافق على هذه المساحة الواسعة من الظلم في المجتمع الإسلامي؟!

قـد يقال: أليس اجتـماع الأُمّة ووحدتها من مقاصد الـشرع والدين، فكيف يجوز الخروج إذا استلزم الفتنة؟

الجواب: قد اشـترطنا في الآمر أن يهيّئ الظروف التي منها اجتماع الأُمّة على خلع الجائر، وإلّا فلا بدّ من العمل على تهيئة ذلك، وقد عمل الإمام الحسـين عليه السلام على تهيئة الأرضية للخروج كما تقدّم بيانه.

رابعاً: إنّ في القبول بولاية الجائر والمنع من الخروج نقضاً لكل ما ذكروه في تعريف الخلافة بأنّها نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله لحراسة الدين، فأيّة حراسة من قبل الجائر للدين وهو يهدم الدين وينقض عُراه ويبطش بأهله؟!

القول الثاني: جواز الخروج على الجائر

ذهب إلى هذا القول جملة من فقهاء الجمهور. قال ابن حزم الأندلسي: «**والواجب إن وقـع شيء مـن الجور، وإن قلَّ، أن يُكلَّم الإمـام في ذلك ويُمنَع منه، فإن امتنع وراجع الحـقّ وأذعن للقود من البشرة أو من الأعضـاء، ولإقامة حدّ الزنا والقذف والخمر، فلا سـبيل إلى خلعـه، وهـو إمام كـما كان لا يحـلّ خلعه، فإن امتنـع من إنفـاذ شيء من هذه**

(١) الحديد: آية ٢٥.

الواجبات عليه ولم يراجع وَجَبَ خلعه، وإقامة غيره ممّن يقوم بالحق»[1]. وقال في موضع آخر موضّحاً حدود الطاعة: «**فهو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى وسُنّة رسول الله، فإن زاغ عن شيء منهما مُنِعَ من ذلك، وأُقيم عليه الحدّ والحق، فإن لم يُؤمَن أذاه إلّا بخلعه خُلِعَ وولّي غيره»**[2].

وقال البغدادي: «**ومتى زاغ عن ذلك كانت الأُمّة عياراً عليه في العدول به من خطأه إلى صوابه، أو في العدول عنه إلى غيره»**[3].

وقال الماوردي: «**الذي يتغيّر به حاله** [أي: حال الإمام] **فيخرج به عن الإمامة شيئان: أحدهما جَرْحٌ في عدالته، والثاني نقصٌ في بدنه»**[4]. وقال أيضاً: «**وإذا قام الإمام بما ذكرناه من حقوق الأُمّة فقد أدّى حقّ الله تعالى فيما لهم وعليهم، ووجب له عليهم حقّان: الطاعة، والنصرة، ما لم يتغيَّر حاله»**[5].

وقال الرازي في تفسير آية الطاعة لأُولي الأمر: «**إنّ الأُمّة مُجمِعَة على أنّ الأُمراء والسلاطين إنّما يجب طاعتهم فيما عُلِم بالدليل أنّه حق وصواب»**[6]. وقال أيضاً: «**إنهّم** [الظالمين] **غير مؤتمنين على أوامر الله تعالى، وغير مقتدى بهم فيها، فلا يكونون أئمّة في الدين؛ فثبت بدلالة الآية بطلان إمامة الفاسق»**[7].

وقال الزمخشري: «**إنّ أُمراء الجور، الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم»**[8].

---

(١) ابن حزم، علي، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج٤، ص١٧٥ـ١٧٦.
(٢) المصدر السابق: ص١٠٢.
(٣) البغدادي، عبد القاهر، أُصول الدين: ص٢٧٨.
(٤) الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية: ص١٧.
(٥) المصدر السابق.
(٦) الرازي، محمد، التفسير الكبير: ج١٠، ص١٤٥.
(٧) المصدر السابق: ج ٤، ص٤٧. والآية المشار إليها هي قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقرة: آية١٢٤.
(٨) الزمخشري، جار الله، الكشاف: ج١، ص ٤٠٥.

وقال الطبري: «**لصحة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الأئمّة والولاة، فيما كان [لله] طاعة وللمسلمين مصلحة**»[1].

وقال البيضاوي: «**أمر النّاس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل؛ تنبيهاً على أنّ وجوب طاعتهم ما داموا على الحقّ**»[2].

وقال الشهرستاني: «**إن ظَهَرَ بعد ذلك** [أي: من الإمام] **جهلٌ أو جورٌ أو ضلالٌ أو كفرٌ، انخلع منها، أو خلعناه**»[3].

وقال الغزالي: «**إنّ السلطان الظالم عليه أن يكفّ عن ولايته، وهو إمّا معزول أو واجب العزل... وهو على التحقيق ليس بسلطان**»[4].

وقال الإيجي: «**وللأُمّة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه**». وقد شرح هذه العبارة الجرجاني بقوله: «**مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أُمور الدّين، كما كان لهم نصبه وإقامته لانتظامها وإعلائها**»[5].

وقد استُدِلَّ على هذا الرأي بما يلي:

١ـ الكتاب العزيز

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ * ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾[6]، وقوله عزّ وجل: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[8]، وقد مرّ معنى الركون سابقاً.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج٥، ص٢٠٧.
(٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي: ج٢، ص٢٠٦.
(٣) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، نهاية الإقدام: ص٢٩٦.
(٤) الغزالي، محمد، إحياء علوم الدين: ج ٢، ص١١١.
(٥) الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف: ج ٨، ص٣٥٣.
(٦) الشعراء: آية ١٥١ ـ ١٥٢.
(٧) الكهف: آية ٢٨.
(٨) هود: آية ١١٣.

وأيضاً ما جاء في وصف حال المعذَّبين في الآخرة بسبب طاعتهم الحكّام في المعصية: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3]. وقد نقل القرطبي تفسيراً عن ابن عباس لهذه الآية الكريمة: «**أمر الله المؤمنين أن لا يَقرُّوا المنكر بين أظهرهم فيعمّهم العذاب**»[4].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، وقد فسرَّ العلماء قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ بقولهم: «**التقييد بالمعروف مع أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لا يأمر إلّا به؛ للتنبيه على أنّه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق**»[6].

٢ـ السُنّة النبويّة

وهي طائفتان من الروايات:

الطائفة الأُولى: الروايات الناهية بعمومها عن طاعة المخلوق سواء أكان حاكماً أم غيره في معصية الخالق، مثل قوله صلى الله عليه وآله: «**السمع والطاعة حقّ، ما لَم يُؤمَر بالمعصية،**

(١) الأحزاب: آية٦٧ ـ ٦٨.
(٢) البقرة: آية١٦٦ـ١٦٧.
(٣) الأنفال: آية٢٥.
(٤) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج٧، ص٣٩١.
(٥) الممتحنة: آية ١٢.
(٦) أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم: ج٨، ص٢٤٠.

فإذا أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[1]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**إنّما الطاعة في المعروف**»[2]، وقوله أيضاً: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[3].

الطائفة الثانية: الروايات الخاصّة الناهية عن طاعة الحاكم الجائر، وهي القسم الثاني من الروايات السابق ذكرها، مثلما رواه أبو داود عن خالد عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «**إنّ النّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه؛ أَوْشَكَ أن يعمّهم الله بعقاب**». وما رواه أيضاً من حديث ابن مسعود عنه صلى الله عليه وآله قال: «**والله، لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهَونَ عن المنكر، ولتأخذُنّ على يدي الظالم، ولتأطرُنه على الحقّ أطْراً، ولتقصرُنه على الحقّ قصراً**»[4].

وقد روي عن أبي بكر قوله: «**أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم**»[5].

وذهب عمر إلى أبعد من ذلك؛ حيث أجاز قتل الحاكم الظالم في خطبته التي ورد فيها: «**لوددت أنّي وإيّاكم في سفينة في لجّة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن يعجز الناس أن يولّوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جنف قتلوه. فقال طلحة: وما عليك لو قلت: وإن تعوَّج عزلوه؟ قال: لا، القتل أنكل لمن بعده**»[6].

فإن قلت: هذه الروايات معارضة بالروايات الناهية عن الخروج على الجائر، وعليه لا بدّ من علاج التعارض.

قلت: نعم، يقع التعارض في مقامين:

المقام الأوّل: الروايات الناهية عن شقّ عصا الأُمّة ومفارقة الجماعة المروية عند

---

(١) البخاري، محمد بن مسلم، صحيح البخاري: ج٤، ص١٢٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٩، ص١١٣. النووي، يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي: ج١٠، ص٢٢٧.

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن: ج٣، ص١٢٢. الهيثمي، علي، مجمع الزوائد: ج٥، ص٢٢٦. السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير: ج٢، ص٢٠٣.

(٤) أبو داود، سليمان، السنن: ص٣٢٢.

(٥) ابن هشام، محمد بن إسحاق، السيرة النبويّة: ج٤، ص٣٤١.

(٦) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٣، ص٢٠.

الفريقـين، وهنا لا بدّ من تقييد إطلاقها طبقـاً لقواعد الجمع العرفي بالروايات الدالة عـلى جواز الخروج، المؤيَّـدة بعمومات الآيات السـابقة الناهية عـن الركون للظلم، وعمومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا داعي لحمل الروايات الناهية عن شقّ عصا الأُمّة ومفارقة الجماعة على التقية، كما ذكره السيّد الأُستاذ (دام ظلّه)[1].

المقـام الثـاني: الروايـات الناصّة على حرمة الخـروج على الجائـر، والتعارض بينها وبين ما دلّ على جواز الخروج محكّم ومستقر، ولا يمكن الجمع العرفي، فتصل النوبة إلى المرجِّحـات، وهـي تُرجّـح الثانية؛ لوجود المرجِّـح من الكتـاب، وحكم العقل، ومقاصد الشرع، والمخالفة لفتوى الجمهور.

٣ـ الاحتجاج بخروج الحسين عليه السلام

احتـجَّ البعض على جـواز الخروج؛ بخروج الحسـين عليه السلام، والظاهـر أنّ ذلك بناءً منهم على حجيّة عمل الصحابي. قال ابن مفلح الحنبلي: «**جَوَّز ابن عقيل وابن الجوزي الخروج على الإمام غير العادل؛ بدليل خروج الحسين على يزيد لإقامة الحق**»[2].

الشبهة الرابعة: خطأ الحسين عليه السلام في حسابات المعركة

هنـاك مَن خطّأ الحسـين عليه السلام في حسـاباته وتخطيطه، لا في أصـل شرعية خروجه، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون حيث قال: «**فرأى الحسـين أنّ الخروج على يزيد متعيّن من أجل فسـقه، ولا سيما مَن له القدرة على ذلك، وظنّها من نفسه بأهليّته وشوكته، فأمّا الأهلية فكانت كما ظنَّ وزيادة، وأمّا الشوكة فغلط يرحمه الله فيها**»[3].

---

(١) الحائري، كاظم، الكفاح المسلّح: ص١٠٢.

(٢) الحنبلي، ابن مفلح، الفروع: ج٣، ص٥٤٨.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة: ج١، ص٢١٦.

ردّ الشبهة

لم يبيِّن ابن خلدون كيف أخطأ الحسين عليه السلام في حساباته، فهذه دعوى غير بيِّنة ولا مبيَّنة؛ وذلك لأنّ الإمام عليه السلام لم يخطأ، بعدما قدّم كل المقدّمات اللازمة لنهضته كإرسال الرسل إلى البلاد، ومنهم: سفيره إلى الكوفة الذي أمره أن يُخبره بصحّة مكاتبات الكوفيين له بالقدوم، فهو عليه السلام كان محتاطاً في التعامل مع طلب الكوفيين ولم يكتف بكتبهم، بل أرسل مَن يدرس له الواقع الذي يكمن وراءها؛ وعلى هذا الأساس أُخِذَت له البيعة في الكوفة، وكتب له مسلم بمبايعة ثمانية عشر ألف رجل منهم، وفي بعض الروايات خمسة وعشرون، وفي بعضها أربعون ألفاً، ولولا خوف قتله في مكّة غيلةً لَمَا كان ليخرج منها حتى يأتيه جواب مسلم من الكوفة ويتثبَّت من الأمر، فلم يكن استعجاله الخروج إلّا خوف انتهاك حرمة الكعبة، كما صرَّح بذلك لابن الزبير حينما قال له: «**إنّ أبي حدثني أنّ بمكّة كبشاً به تُستَحلّ حرمتها، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش، ولئن أُقتَل خارجاً منها بشبر أحبّ إليَّ من أن أُقتَل فيها**»[1]. وقال في جواب عن سبب خروجه من المدينة: «**شتموا عرضي فصبرت، وطلبوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت**»[2].

وقد نقل المؤرِّخون موقف الحسين عليه السلام المتريِّث هذا قبال كُتِب أهل الكوفة، فقد ذكر الطبري أنّ الحسين عليه السلام كتب كتاباً إلى أهل الكوفة جاء فيه: «**وقد فهمت كلّ الذي قصصتم وذكرتم ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم**»[3]، فكل هذه النصوص تدلّ على محاولته عليه السلام دراسة الوضع دراسة ميدانية، وأنّه لم يكن مخطئاً في

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج٤، ص١٦.
(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص٢١٨.
(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٤، ص٢٦٢.

حركته، ولكن الأُمور قد تغيَّرت بمقتل سفيره مسلم بن عقيل.

وأمّا استمراره عليه السلام في مواصلة الطريق حتى بعد اتضاح مقتل سفيره مسلم وتغيُّر الأُمور لغير صالحه، الأمر الذي يذكره البعض كابن الخطيب[1]، فالجواب عليه ما يلي:

أوّلاً: إنّ الإمام عليه السلام على الرغم من شهادة مسلم كان ملتزماً بتعهّده لأهل الكوفة، محترماً لما قطعه على نفسه لهم من القدوم عليهم بحيث لم يكن يسعه رفض طلبهم بمجرد مقتل سفيره؛ ولذا واصل السير باتجاه الكوفة؛ لأنّه كان من المحتمل عند قدومه تتغيَّر الأُمور لصالحه كما تغيَّرت لصالح ابن زياد بعد دخوله فيها، وهذا الاحتمال وارد جدّاً؛ ويدلّ عليه قوله للطرماح ـ لما عَرَضَ عليه أن يلتجئ لقبيلته طي التي ستحميه وتقاتل لجانبه بعشرين ألف مقاتل ـ: «**إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الانصراف**»[2].

ثانياً: إنّه لو سلَّمنا عدم تمامية الجواب السابق، وأنّه كان يتحتّم عليه الرجوع، لكن السؤال المطروح هو: هل كان يملك الحسين عليه السلام أمر الرجوع؟ وهل كان يسعه ذلك وهو محاصر من قِبل الحُر في ألف فارس، فكان على الإمام إمّا القبول بشروطهم والنزول على بيعة ابن زياد في الكوفة ويزيد في الشام، أو القبول بحكم السيف، وهذا ما أشار إليه الحسين عليه السلام بقوله: «**أَلا وإنّ الدّعي ابن الدّعي تركني بين السِّلة والذِّلة**»[3]، وقد أشار المحقِّق الكركي لذلك فقال: «**في الوقت الذي تصدّى للحرب فيه لم يبقَ له طريق إلى المهادنة، فإنّ ابن زياد لعنه الله كان غليظاً في أمرهم عليهم السلام، فربّما فعل بهم ما هو فوق القتل أضعافاً مضاعفة**»[4].

---

(١) ابن الخطيب، محبّ الدين، تعليقاته على العواصم من القواصم: ص٢٣٩.
(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج ٤، ص٣٠٧.
(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج٢، ص٢٤.
(٤) الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد: ج ٣، ص٤٦٦.

لقد علم الحسين عليه السلام منذ بداية تحرّكه أنّه غير متروك، وأنّه مطلوب للقتل لا محالة، وقد صرح بذلك مراراً عديدة، فكان أمامه ثلاثة خيارات لا رابع لها:

الخيار الأوّل: البيعة الذليلة، وهذا ما كان يرفضه منذ البداية، فإنّه ذكر في المدينة لأخيه ابن الحنفية: «**يا أخي، والله، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لَما بايعتُ ـ والله ـ يزيد بن معاوية أبداً**»[1]، وهذا قرار اتخذه الإمام وثبت عليه ولم يتراجع عنه؛ لأنّ في البيعة إقراراً لمشروعية الحكم الأُموي وتهديداً لبيضة الإسلام ومحوه والقضاء عليه إلى الأبد.

وعليه؛ فكان على الإمام عليه السلام إما أن يُقتَل ويحيى الدين، وإمّا أن يموت الدين ويبقى هو عليه السلام حياً، هذا على فرض بقائه حيّاً وعدم تصفيته جسدياً كما وقع لأخيه الحسن عليه السلام بعد الاتفاق والصلح، فلم يبقَ أمامه عليه السلام إلّا خيار الشهادة.

الخيار الثاني: القتلة الذليلة التي تختارها السلطة.

الخيار الثالث: القتلة العزيزة التي يختارها الإمام عليه السلام.

ولا شكّ في أنّ كل قائد ثائر حرّ نزيه يختار الخيار الثالث؛ إذ النتيجة على كلّا التقديرين هو القتل، فلماذا لا يختار القتل بعزّة؟! وهذا ما اختاره الإمام الحسين عليه السلام بالفعل.

ثالثاً: إنّ كل ما تقدّم إنّما هو على طبق الحسابات الطبيعية والتكليف الظاهري، وأمّا بحسب التكليف الخاص، فإنّه عليه السلام كان مكلَّفاً بتكليفٍ خاصٍ من قِبل جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله على نحو الوجوب التعييني، ولم يكن الحسين عليه السلام ليحيد عنه، وهذا ما تؤكِّده النصوص الكثيرة التي صرَّح بها من أوّل تحرِّكه حتى النهاية، حيث كان يردّ على الناصحين له بعدم الخروج مخافة القتل بأجوبة متعددة منها: أنّه خَرَجَ لأجل الأمر بالمعروف. ومنها: أنّه مطلوب للسلطة على كل حال سواء قام أو قعد. ومنها: أنّه مأمور بذلك بنحو خاص على نحو الوجوب التعييني، وإليك بعض كلماته عليه السلام في هذا المجال:

---

(١) ابن أعثم، أحمد، الفتوح: ج٥، ص٢١.

١ـ لمّا أراد عبد الله بن جعفر أن يصرفه عليه السلام عن الخروج، لم يقبل وقال له: «**إنّه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأمره لا بدّ من إنفاذه**»[١].

٢ـ في ليلة خروجه عليه السلام من مكّة إلى العراق نصحه ابن الحنفية بعدم الخروج مخافة غدر أهل الكوفة، وأن يسير إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فوعده عليه السلام النظر في ذلك، لكن ابن الحنفية تفاجأ بخروجه في سحر تلك الليلة، فحدث حوار بينهما كما نقل المجلسي: «**يا أخي، ألَم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى. قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك فقال: يا حسين، اخرُج؛ فإنّ الله تعالى شاء أن يراك قتيلاً**»، فاسترجع ابن الحنفية، ثمّ أضاف له عليه السلام سبب إخراج العيال أيضاً قائلاً: «**شاء الله أن يراهنّ سبايا**»[٢].

الشبهة الخامسة: تعيّن الصلح مع يزيد لا الخروج عليه

ثمّة مَن يشكك في خروج الحسين عليه السلام ويخطّئه في تقدير المصلحة ويقول: إنّ المصلحة كانت في المصالحة مع يزيد كما صالح النبيّ صلى الله عليه وآله في الحديبية، وكما صالح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، فهذان نموذجان يصلحان للتأسّي في حال عدم تكافؤ المواجهة.

وبعبارة ثانية: كان أمام الإمام الحسين عليه السلام عدة خيارات:

الخيار الأوّل: الخروج على يزيد، وهذا ما لم يكن يرضَى به يزيد، علماً أنّ هذا الخيار لم يفضِ إلى إزالة ملكه.

الخيار الثاني: البيعة ليزيد، وهذا ما لم يكن يرضى به الحسين عليه السلام.

الخيار الثالث: الصلح مع يزيد كحل وسط بين الطرفين من دون بيعة، كما فعل الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنّ الصلح يعني الهدنة وإيقاف المواجهة، ولا يعني البيعة بالضرورة.

---

(١) اُنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأُمم والملوك: ج٦، ص٢٩٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٤.

ردّ الشبهة

أوّلاً: إنّ اقتراح المصالحة لم يكن وارداً آنذاك لا من قِبَل السلطة ولا من قِبَل الإمام عليه السلام، بل كانت السلطة تركّز على أحد أمرين: إمّا البيعة، أو السيف، وهذا ما أشار إليه الإمام بقوله المعروف: «**ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعي تركني بين السِّلة والذِّلة**»، كما رفض ابن زياد وساطة ابن سعد الذي اقترح أن يذهب الحسين عليه السلام لإحدى البلدان، فجاء الردّ من ابن زياد: أنّه لم يبعثه لكي يفاوض الحسين عليه السلام.

ثانياً: إنّه قد تقدّم أنّ الإمام عليه السلام إنّما خرج للإصلاح، بعد أن أدرك خطر حكومة يزيد وتحوّل الحكم إلى وراثة وملوكية، فلم يكن يسعه لا البيعة ولا الصلح، بل حتى لو آمنه الأُمويون واكتفوا منه بالسكوت وعدم البيعة لم يسعه السكوت أيضاً، هذا مضافاً إلى كونه مكلَّفاً على وجه التعيين بالخروج من قِبل جدّه صلى الله عليه وآله، كما صحّ عنه ذلك، وهو مصدّق في إخباره؛ لأنّه من أهل آية التطهير. قال المحقّق الكركي: «**وأمّا فعل الحسين صلوات الله عليه، فإنّه لا نعلم منه أنّ المصلحة كانت في المهادنة وتركها، ولعلّه عليه السلام علم أنّه لو هادن يزيد (عليه اللعنة) لم يفِ له، أو أنّ أمْرَ الحقّ يضعف كثيراً بحيث يلتبس على النّاس، مع أنّ يزيد (لعنه الله) كان متهتّكاً في فعله، مُعلِناً بمخالفة الدين، غير مداهن كأبيه (لعنة الله عليهما)، ومَن هذا شأنه لا يمتنع أن يرى إمام الحقّ وجوب جهاده، وإن علم أنّه يُستشهد، على أنّه عليه السلام في الوقت الذي تصدّى للحرب فيه لم يبقَ له طريق إلى المهادنة، فإنّ ابن زياد (لعنه الله) كان غليظاً في أمرهم عليهم السلام، فربّما فعل بهم ما هو فوق القتل أضعافاً مضاعفة**»[1].

ثالثاً: إنّه على فرض القبول بالصلح، فهل يلتزم يزيد بالصلح؟ وهل الصلح سيضمن حياة الإمام عليه السلام، أم سينكث يزيد الصلح كما نكث أبوه من قَبْلُ صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام، ولم يكتفِ بذلك، بل سمّ الإمام الحسن عليه السلام بعد نقض الصلح؟

---

(١) الكركي، علي بن الحسين، جامع المقاصد: ج ٣، ص ٤٦٧.

فتلخّص ممّا سبق: أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام كان صحيحاً بحسب المقاييس الشرعية والضوابط الوضعية؛ وذلك لأنّ كلّ المبرّرات كتاباً وسنّة وعقلاً وعقلائيّاً وإجماعاً تكفل هذا الخروج بما لا تُبقي مجالاً من الناحية العلميّة للتشكيك في شرعيّته، وهذا ما أجمع عليه علماء الفريقين، سوى شرذمة من متفقهة بني أُميّة الذين أرادوا تلميع صورتهم والدفاع عنهم والتجنّي على الفقه بطرح شبهات فقهية على خروجه عليه السلام، وقد عرفت تفنيدها ونقدها، ولولا طرحها لَمَا جاز التعرّض لها والخوض فيها، بعد قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة**»[1]، وقوله: «**ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا**»[2].

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٥، ص٣٢١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص٣٠.

دراسات في النهضة الحسينية

- عُمق النهضة الحسينيّة وملامحها في عصر ما قبل النهضة
- شهادة الإمام الحسين عليه السلام والتفاعل الكوني

عُمق النهضة الحسينيّة
وملامحها في عصر ما قبل النهضة

د. الشيخ عبد المجيد فرج الله*

مقدمة

بات من الجليِّ لكلِّ متأمِّلٍ مقدارُ الخطر الداهم الهادم، الآتي من التخطيط الأُموي البغيض، الساعي إلى بناء التحالفات بشتَّى الاتِّجاهات لمحق الإسلام، وقطع جذوره التي تمدُّ أُمَّة التوحيد بنسغ الحياة، وتشويه عطائه الإيماني الذي يبشِّر كلَّ أبناء الأرض بقِيَمه النبيلة، وشريعته الحيَّة السمحة، المُرشِّدة لحركة الإنسانيَّة أفراداً ومجتمعاتٍ؛ وهي تشبع احتياجاتها، وتبني حضاراتها، وتنطلق إلى مجدها المنشود.

ولولا الوجود المبارك لخط الإمامة المحافظ على كل قِيَم النبوَّة المحمديَّة وعطائها بعد استشهاد رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله مسموماً ملدوداً، لأطبق الأُمويون وحلفاؤهم من اليهود والمنافقين والمشركين والمنقلبين على الأعقاب، وبمساندة الجهد القيصري الرومي الحليف، لأطبقوا على هذا الدين، واستباحوا عاصمته القليلة العدد والعدَّة، قياساً بأعداد ذلك التحالف الهادم والإرهاب الصادم، خاصة بعد أن تسلّق (آل أبي معيط) على أكتاف الناس المسلمين، وبعد أن صفا (الملك العضوض) لبني أُمية وهم يقودون الإسلام وأهله إلى الجاهليَّة الجهلاء من جديدٍ، وينحدرون بالأُمَّة إلى هاوية الانسلاخ عن كلِّ قِيم الإسلام، وتعاليم دينه القيِّم.

---

* أُستاذ في الحوزة العلمية، من العراق.

كيف واجه الإمام الحسين عليه السلام هذا المدّ المدمِّر؟

سؤال في غاية الأهميَّة، يحتاج من الباحث المجيب أن يتحلَّى بأقصى درجات الروح الموضوعيَّة، وأن يجيد التعاطي مع أدق أدوات التحليل العلمي، كما يحتاج من السائل أن يتحلّى بأقصى درجات التبصُّر المحايد بعيداً عن الضغط المذهبي، والشدِّ الطائفي، وهما ـ الباحث والسائل ـ يتابعان حركة الإمام الحسين عليه السلام منذ نعومة أظفاره، وبدايات تأثيره في محيط (أُمَّة جدّه)، وإلى آخر أيَّامه في تلك الأُمَّة التي خسرته آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، وسائراً بسيرة جدّه وأبيه، واضعاً أبناء الإسلام أمام مسؤوليّتَيهم العُظْمَيَيْنِ الدينيَّة والتاريخيَّة؛ بأنّ مَن قَبِله بقبول الحق فالله أَولى بالحق، ومَن ردَّ عليه يصبر حتَّى يحكم الله والله خير الحاكمين، كما يعبِّر هو سلام الله على جدّه وأبيه وعليه وعلى آلهم الطاهرين.

وحتَّى يكون تحليلنا واستنتاجنا علمياً صِرفاً سنأخذ عينات بحثية مثَّلت مراحل حياة هذا الإمام الجهاديَّة التغييريَّة في مواجهة ذلك المدّ المتحالف الهادف إلى محق الإسلام.

لكن قبل ذلك يجدر بنا أن نعطي ترجمة مختصرة جدَّاً عن الإمام الحسين عليه السلام، ترجمة نريدها (نبويةً)، ويرضى بها المسلمون جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، لذا نأتي إلى شيخ من أبرز مؤرخي المسلمين ومترجمي رجالهم وهو ابن عساكر، صاحب كتاب (تاريخ دمشق الكبير)، لنقتطف من كتابه ما رواه متصلاً عن ربيعة السعدي، قال: «**لمّا اختلف الناس في التفضيل، رحلتُ راحلتي، وأخذتُ زادي حتَّى دخلتُ المدينة، فدخلتُ على حُذيفة بن اليمان، فقال لي: ممّن الرجلُ؟ قلتُ: من أهل العراق. فقال: من أيّ العراق؟ قلتُ: رجل من أهل الكوفة. قال: مرحباً بكم يا أهل الكوفة.**

قلتُ: اختلف الناسُ في التفضيل، فجئتُ لأسألك عن ذلك؟

فقال لي: على الخبير سَقَطْتَ، أما إنّي لا أُحدّثك إلّا بما سمعتْهُ أُذناي ووعاهُ قلبي وأبصرتْه عيناي: خرج علينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله، كأنّي أنظر إليه كما أنظر إليك الساعة، حاملَ الحسين بن عليّ على عاتقه، كأني أنظر إلى كفّه الطيّبة واضِعها على قدمه يُلصقها بصدره، فقال: يا أيّها الناسُ، لأعرفنّ ما اختلفتم ـ يعني في الخيار ـ بعدي. هذا الحسينُ بن عليّ؛ خير الناس جدّاً، وخير الناس جدّةً؛ جدّه مُحمّدٌ رسول الله، سيّد النبيّين، وجدّته خَديجة بنت خويلد، سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله. هذا الحسينُ بن عليّ؛ خير الناس أباً، وخير الناس أُمّاً: أبوه عليّ بن أبي طالب، أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيرُه، وابن عمّه، وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وأُمّه فاطمة بنت محمّد، سيّدة نساء العالمين. هذا الحسينُ بن عليّ؛ خيرُ الناس عمّاً، وخير الناس عمّةً: عمّه جعفر بن أبي طالب، المزيَّن بالجناحين يطيرُ بهما في الجنّة حيثُ يشاء، وعمّته أُمّ هانئ بنت أبي طالب. هذا الحسين بن عليّ؛ خير الناس خالاً، وخير الناس خالةً: خالُهُ القاسمُ بن محمّد رسول الله، وخالته زينب بنت محمّد رسول الله. ثمَّ وضعه عن عاتقه، فدرج بين يديه، وحَبى. ثمَّ قال: يا أيّها الناس؛ هذا الحسين بن عليّ؛ جدّه وجدّته في الجنّة، وأبوه وأُمّهُ في الجنّة، وعمّه وعمّتهُ في الجنّة، وخاله وخالته في الجنّة، وهو وأخوه في الجنّة. إنّه لم يُؤْتَ أحدٌ من ذرّيّة النبيّين ما أُوتي الحسين بن عليّ ما خلا يوسف بن يعقوب»[1].

إننا أمام هذا الحديث نقف مطمئنين إلى دلالته، بما يجعلنا متيقنين من معناه ومغزاه؛ وذلك لإجماع المسلمين على فحواه، ولما يعضده في مروياتهم المتواترة من الأحاديث النبوية، وكذلك لإطباقهم في سيرتهم على الأخذ بمضمونه. ومن فهم هذا الحديث الشريف، ومن تحكيم العقل المحايد، ننطلق في تحليل هذه العيّنات:

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٧٢ـ١٧٣.

مـن أعظـم ما تُمنى به الشرائـع الدينية أن يؤخَـذ التشريع كله أو بعضـه من أفراد ليسوا مشرّعين، أو أن يكونوا قيّمين عليها وهم غير معصومين؛ فيُخطئون ويُصيبون، فيلتبس الحق بالباطل، ويختلط الحابل بالنابل! خاصة إذا كان اختلافهم (بغياً بينهم)، والبغـي هو التعدّي والظلم والفسـاد، وقـد جاء في القرآن الكريم التحذير الشـديد مـن ذلك؛ في آيات تؤسـس لبنـاء معرفي عقيدي رصـين[1]، أو في أثنـاء ذكر قصص أُمـم الأنبياء السـابقين[2]، أو في معـرض التوجيه والإرشـاد[3]، أو حين التحذير من الانقلاب والارتداد[4].

---

(١) من ذلك ما جاء في سورة البقرة، الآية٢١٣: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وسورة آل عمران، الآية١٩: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

(٢) ومن الشواهد على ذلك الآية ٩٣ من سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، وكذا ما جاء في سورة الأعراف، الآية ١٦٨ فما بعدها: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

(٣) والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة، ومنها على سبيل المثال الآيتان١٤ و١٥ من سورة الشورى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

(٤) كما في الآية٥٤ وما بعدها من سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، أو الآية١٤٤ من سورة آل عمران: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِى۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

ومن أجل تثبيت مرجعية صحيحة للتشريع الإسلامي كان للإمام الحسين جهاد عظيم، وجهود كبرى مع أبيه الإمام علي المرتضى وأُمه فاطمة الزهراء وأخيه الإمام الحسن المجتبى، عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين، وآزرهم وتلاهم الصالحون المخلصون من آل البيت والصحابة والتابعين، وقد تمثّلت هذه المرجعية في حصر التشريع الإسلامي بالقرآن المجيد، وما صحّ نقله من أقوال وأفعال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، حتَّى تم لهم ما أرادوا وإن كان بأغلى التضحيات، التي وصلت إلى حدّ الاستشهاد العلني كما في قتل الإمام علي ووَلَده الإمام الحسين عليهما السلام، أو الاستشهاد المستتر كما في اغتيال السيّدة فاطمة الزهراء والإمام الحسن عليهما السلام، وقد كان الجهاد من أجل صيانة القرآن وحمايته عن التحريف ممتداً على أكثر من جبهة، ومن أهم الجبهات؛ جمع القرآن ليكون مكتوباً ومحفوظاً ومجموعاً (بين الدفّتين)، وكان ذلك علناً أوّل ما كان بعد استشهاد سيدنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله... وكذا حفظ القرآن من كل محاولات التلاعب فيه زيادة ونقيصة، وصيانة القرآن من التأويل الخاطئ، ومنع التفسير بالرأي، وفضح محاولات صرف الآيات عن مواردها، أو تقويل الآيات ما لا تقوله، أو نسبة أسباب نزول مزوّرة... إلى كثير من هذا القبيل! وقام هؤلاء الأئمة الأطهار بإعطاء التفسير الصحيح للقرآن الكريم، وهم يتحدّون منع سلطة الخلافة الجائرة التي رفضت القرآن المكتوب المجموع بيد الإمام علي عليه السلام[1]، ومنعت بكل وسائل المنع والقمع والعسف والبطش من رواية أحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بعد شهادته، بل حتَّى من قبل شهادته، ولقد وصل الحد فيما بعد بهذه السلطة المتسلطة بالحديد والنار إلى فرض الإقامة الجبرية على الصحابة حتَّى لا يخرجوا خارج المدينة المنورة، خشيةً من أن يحدّثوا الناس بأحاديث رسول الله[2]!! ولقد وجد الأُمويون في قرارات السلطة هذه ما يريح بالهم، ويساعدهم في تنفيذ مخططهم الشنيع الذي

(١) أُنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٨٩، ص٤٨.
(٢) أُنظر: الجلالي، محمد رضا، تدوين السنَّة الشريفة: ص٢٧٤.

وضعوه ليحققوا غرضين معاً:

الأوّل: خطف الخلافة واستيلاؤهم على كل بلاد المسلمين.

والثاني: أخذ الثأر من المسلمين الذين قتلوا ذوي قرباهم من المشركين.

جهاد تصحيح المسار للعودة بالخلافة إلى أهلها الشرعيين

لـمّا فشلت محاولة اغتيال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، فكّر الأُمويون وأتباعهم والمتحالفون معهم من المنافقين واليهود في أن يدسوا السمّ إلى سيدنا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، كما خططوا لإشعال الفتنة الداخلية في المدينة المنورة لو تمّ لهم اغتيال الرسول صلى الله عليه وآله، ولا يتحقق لهم اختراق بنيان المسلمين المرصوص بأحسن من فتنة خلافة الرسول.

ولـمّا استطاعت امرأة يهودية أن توصل السم إلى بيت إحدى زوجات النبي! ونجحت المحاولة الخبيثة!! وبدأ صلى الله عليه وآله يعاني من أعراضها وآثارها، عادوا من جديد للإجهاز عليه بدس سمّ آخر تحت مسمّى الدواء، فكانت تباشر إحدى زوجاته لدّه به مع أنه كان ينهى مراراً عن لدّه[1].

وهنا تعقّدت الأُمور، واختلطت الأحداث، وكانت كل الخيارات مُرّة صعبة، خاصة بعد فاجعة السقيفة المخزية، التي تمخضت عن فرض خليفة بطريقة (الفَلْتة) كما يصفها عمر بن الخطاب، والذي حكم ضمناً على مقترفيها بالإعدام «**فمن عاد لمثلها فاقتلوه**»[2]! وكان أهل البيت الطاهرون يحاولون تطويقَ نار تلك الفتنة

(١) أُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: الحديث رقم ٤١٨٩، وتكرر في الأحاديث المرقمة ٥٣٨٢، و٦٤٩٢، و٦٥٠١، كما أخرجه مسلم في صحيحه: باب كراهة التداوي باللدود، رقم الحديث ٢٢١٣، وإضافة إلى البخاري ومسلم فإن رواة الحديث أطبقوا على تأكيد لدّ عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله دون رضاه.

(٢) أُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: الحديث رقم ٦٨٣٠. وهذا حديث مشهور جداً في كتب صحاح أبناء السنَّة والجماعة، وصدره حديث عن آية رجم الشيخ والشيخة المزعومة.

الطاحنـة، وتَبطِـيْءَ عجلة تلك الحرب الضروس، فنجحـوا بقيادة الإمام عليٍّ عليه السلام في نـزع فتيل الحرب الداخلية الطاحنة التي خُطِط لها لأن تودي بالإسـلام كلّه، وتمحق كل أهله، ولكن الثمن كان غالياً، بعد أن تخاذل المسلمون عن إعادة الحق إلى نصابه، إذ لم يخلعـوا الخليفة المفروض بقوة الحديـد والنار، ولم يفوا ببيعتهم للخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام التي سبقت في غدير خم!

وكان لتحـرُّك الإمـام الحسـين مـع أخيـه الإمـام الحسـن وأُمّهـما السـيِّدة فاطمة الزهراء عليهما السلام منحى الجهر برفض هذه الخلافة، والتحرك للإطاحة بها جهاراً نهاراً، مع فضح رأس السلطة فيها، وسحب بساط أي مشروعية ملفّقة له من تحت أقدامه وأقدام أعوانه وحلفائه... حتَّى سـقطت هي شـهيدة، وسـلّمها الله من القتل لصغر سنّها!

وكذلـك كان لهـم عليهم السلام مع الإمـام علي بن أبي طالـب عليه السلام منحى التحـرُّك السرِّي لتحشيد جموع المهاجرين والأنصار، ليتحمّلوا مسؤوليتهم الشرعية، ويؤدّوا أمانتهم الدينيـة، فيثبوا وثبـة واحدة تطيح بهـذا الخليفة المفروض بلا مؤهـلات، والمتقمّص للخلافـة بـلا غطاء شرعي، فكان هـؤلاء الأربعة يطوفون ليلاً على بيوت المسـلمين من المهاجرين والأنصار لتصحيح المسار، ولإعادة الحق إلى أهله، وقد حفظ التاريخ وثيقـة مهمّـة جداً لمعاوية بن أبي سـفيان الأُمـوي تؤكّد ذلك: «**وأعهـدك أمس تحمل قعيـدة بيتـك ليلاً عـلى حمار ويـداك في يدَي ابنيك الحسـن والحسـين يوم بويـع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحداً من أهل بدر والسـوابق إلَّا دعوتهم إلى نفسـك، ومشيت إليهم بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك...**»[1].

هـذه الوثيقـة تؤكـد جهـاد الإمام الحسـين عليه السلام من أجـل تصحيح المسـار للعودة بالخلافـة إلى صاحبها الشرعي، حتَّى يقطـع الطريق أمام الإرهاب الأُموي الذي بدأ يتحرك تحت سـتار الخلافة الجديدة.. ذلـك الإرهاب المتحالف معها ظاهراً، المتحيّن

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٤٧.

الفرصة للإطاحة بها باطناً!! وتمّ للأُمويين ذلك بعد أن دسوا السم لأبي بكر بعد سنتين ونصف من خلافته، ثمَّ صعد أُموي منهم إلى سدة الحكم بعد مقتل عمر بن الخطاب بمؤامرة أحكم طبخها الأُمويون وحلفاؤهم الذين أشرنا إليهم سابقاً. ولكن مَن يجرؤ على معارضة سلطة الشيخين غاصبي الخلافة؟

الحسنان عليهما السلام يتقاسمان المهمة

على المؤرِّخ الحصيف أن لا يمرّ مروراً عابراً على إقدام الإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين عليهما السلام عدَّة مرَّات على إنزال الخليفة عنوةً عن منبر رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، ويحدِّثنا التاريخ عن شجاعةٍ فائقةٍ وذهنيةٍ حاذقةٍ للإمام الحسين عليه السلام في واحدة من تلك المرَّات، كما يعطينا انطباعاً عن تغلغل معاوية بن أبي سفيان في بيت الخليفة، ونفثه سموم الهدم في أُذنه الصغواء له في كلِّ باطلٍ! بل كان معاوية يخلو بعمر فلا يستطيع حتَّى ابن عمر من الدخول على أبيه، فضلاً عن الاستماع لما كان ينفثه معاوية الأُموي!!

يقول التاريخ على لسان ابن عساكر عن أشياخه في الرواية، راوياً أجزاء من قول الإمام الحسين عليه السلام: «**عن عبيد بن حنين، عن حسين بن علي، قال: صعدت إلى عمر بن الخطاب فقلت له: انزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك، قال: فقال: إنَّ أبي لم يكن له منبر. قال: فأقعدني معه، فلمَّا نزل ذهب بي إلى منزله، فقال: أي بُني، مَن علَّمك هذا؟ قال: قلت: ما علّمنيه أحد، قال: أي بُني، لو جعلت تأتينا وتغشانا، قال: فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابنُ عمر بالباب ولم يؤذن له، فرجعت، فلقيني بعد، فقال لي: يا بُني، لم أَرَك تأتينا! فقال: قد جئت وأنت خالٍ بمعاوية، ورأيت ابن عمر رجع فرجعت. فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنَّما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله ثمَّ أنتم، قال: ووضع يده على رأسه**»[1].

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٧٦. وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ج١، ص١٤١، وجاء في جامع الأحاديث ورقمه ٣٠٢٧٨، وفي كنز العمال ورقمه ٣٧٦٦٥، وهو مما يرويه ابن سعد، وابن راهويه، وغيرهما.

ويؤكد ابن عساكر وغيره هذا الحديث ببعض التفاصيل التي يبدو أنَّ الرواة كانوا يهابون التصريح بها، وربَّما امتدّت أيديهم ليدسوا بعض الألفاظ (الملطِّفة) على لسان الإمام الحسين عليه السلام[1].

محاولة تطويق الفتنة التي أدَّت إلى مقتل عثمان

لقد عمل الأُمويون بكلِّ دهاءٍ ومكرٍ على الاستفادة من وصول أحد أبناء قبيلتهم إلى هرم الخلافة وهو عثمان بن عفَّان، وخططوا لأن يحوّلوا الخلافة إلى (مُلكٍ أُموي عضوض) وذلك بثلاثة اتِّجاهات:

الأوَّل: التحكُّم ببيت مال المسلمين والسيطرة عليه وجعل الامتيازات المالية والاقتصادية في أيديهم حصراً.

الثاني: التغلغل في كلِّ مفاصل الدولة، واحتلال المناصب الحساسة.

الثالث: تصعيد الأحداث حتَّى تصل إلى حد احتلال المدينة المنورة بالتعاون مع الروم، أو إلى قتل عثمان ليجنوا من قتله مكاسب لا يستطيعون الحصول عليها وهو حيّ، وأهم هذه المكاسب أن يشرعنوا تمردهم باعتبارهم أولياء دم عثمان... حتَّى بات (قميص عثمان) المخضّب بالدم مضرب المثل عند العرب إلى يومنا هذا.

وكان تحرُّك الإمام الحسين عليه السلام تحت مظلة أبيه الإمام علي وبمعية أخيه الإمام الحسن عليهما السلام على صعيدين:

الأوَّل: تأشير أخطاء عثمان، والتحذير من تداعياتها، وإعطاء الحلول الممكنة لتلافي كوارثها.

الثاني: المرابطة أمام باب عثمان؛ للمنع من قتله، من أجل تفويت الفرصة على الأُمويين الذين يخططون للاستفادة من قتله بعد أن (احترقت ورقته) على حدِّ تعبير السياسيين المتأخِّرين.

---

(١) وممّا نقله ابن عساكر قوله: «فجعلت أقلب حصى بيدي». أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص١٧٦.

من الشـواهد على الصعيد الأوّل السـالف الذكر تشـييع أئمة الهدى علي والحسن والحسـين عليهم السلام الصحابي أبا ذر بعد أن نفاه عثمان ومنع حتَّى من توديعه! هذا التشييع الـذي كان بحق مظاهرة إيمانية سياسـية سـلمية، آمرة بالمعـروف، ناهية عن المنكر.. كـما يوثِّـق ذلك ابـن أبي الحديد المعتـزلي في معرض شرحه كلام الإمـام علي عليه السلام لأبي ذر، ويعنينـا هنا في هذا البحث قول الإمام الحسـين عليه السلام: «**يا عماه، إنَّ الله تعالى قادر أن يغـيِّر مـا قد ترى، والله كلُّ يومٍ هو في شـأن، وقد منعك القوم دنياهـم، ومنعتهم دينك، فما أغناك عمَّا منعوك! وأحوجهم إلى ما منعتهم! فاسـأل الله الصبر والنصر، واسـتعذ به من الجشـع والجزع، فإنَّ الصبر من الدين والكرم، وإنَّ الجشـع لا يقدِّم رزقاً، والجزع لا يؤخِّر أجلاً**»(١).

وهنا يتبيّن لنا دفاع الأئمة الثلاثة علي والحسـن والحسين عليهم السلام عن الصحابي أبي ذر (كشـخص)، وعن حق أبي ذر (كمواطن)، بل ودفاعهم عن روح الدين الإسـلامي (كتشريـع)، وقـول كلمة الحق مهما كلّف الثمن (كموقف شريـف)! هذا مع التنديد الشـديد بإرهاب النفي الأُموي العنيف إلى البلاد القاحلة التي لا سـكان فيها ولا أيّاً من مستلزمات الحياة البشرية.

أمَّـا عـلى الصعيد الثـاني وهو المرابطة أمام بـاب عثمان؛ للمنع مـن قتله، من أجل تفويت الفرصة على الأُمويين المسـتفيدين من فتنة مقتله أكثر من اسـتفادتهم من بقاء خلافته، فيكفي للتدليل عليه إجماع المؤرِّخين على مكث سـبطي رسـول الله صلى الله عليه وآله أمام باب عثمان، ونجاحهم في منع الثوار من دخول الدار حتَّى لا تقع الفتنة، وبأُسـلوب لا يخدش مشاعر الثائرين المطالبين بمطالب عادلة، هذا من جهة... ولا يعطي لعثمان

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد؛ شرح نهج البلاغة: ج٨، ص٢٥٢.

المشروعيَّـة في تصرفاتـه وتصرفات مـروان الغادرة بالثـوار. وتفاصيـل هذا الحدث تغص بها كتب التاريخ حدَّ إدماء القلب[1].

إعادة تشييد دولة الإسلام

كان للاجتهـادات الجاهليَّـة الخاطئة التـي ارتكبها غاصبو الخلافـة الشرعيَّة آثار سـلبيَّة جدَّاً على دولة الإسـلام كدولة، وعلى أُمَّة الإسلام كأُمَّة، وعلى أفراد الإسلام كأشخاص فُرِضتْ عليهم آراء شخصيَّة غير منضبطة تشريعياً، لكنها انفرضت بقوَّة الحديـد والنـار وبادَّعـاء أنَّ كلَّ ما يقوله الخليفـة هو واجب التطبيـق والتنفيذ، ومن يرفض فإنَّه يشق عصا الجماعة! ويخرج عن الطاعة!!

وقد كانت السياسة الداخليَّة تعيش اضطراباً واضحاً ما بين خليفة وخليفة، وكلُّ خليفةٍ من هؤلاء الخلفاء الثلاثة كان يبتعد عن المنهجية المحمديَّة المعصومة في القيادة والحكـم، علم أم لم يعلم، قصد أم لم يقصد. فـإذا بالمحصلة النهائيَّة التراكميَّة لأعمال هؤلاء الثلاثة تنحو منحى بعيداً جدَّاً عن المحددات القرآنيَّة التي ترسـم إطار القيادة الناجحة في دولة الدين الخاتم.

ولمـا آلت الخلافة إلى الإمام علي عليه السلام كان عليـه أن يعمل جاهداً لإعادة الأُمور إلى نصابها الشرعي، ومن ضمن ذلك: إعادة تشييد بناء دولة الإسلام على طبق الضوابط المحمديـة، وكان الإمام عـلي عليه السلام بحاجة إلى مؤازرة جماهيرية لقبـول العودة إلى تلك الضوابـط، خاصةً بعد أن خدّرت الأموال والامتيازات حتَّى بعض المحسـوبين على دائرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله كالزبير بن العوّام، ابن عمّة الرسول والإمام.

إنّ هذه التعبئة الجماهيرية الإصلاحية كانت تحتاج جهوداً كبرى وتحركات عُظمى مـن قِبَلِ أقرب شـخصيتين إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله وهما ريحانتاه الحسـن والحسـين عليهما السلام،

(١) للتدليل على ذلك تُراجع كتب التاريخ التي تناولت أحداث سنة (٣٥هـ)، ومنها: تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير.

اللذان يحظيان باحترام كل المسلمين المخلصين... ومن المؤسف أنّ مما أخفق التاريخ الإسلامي في الانتباه إليه والإشادة به هو هذا الجهد الجبّار الذي بذله الإمامان الحسنان في تحشيد التعبئة الجماهيرية الإصلاحية المؤازرة لقرارات أمير المؤمنين عليه السلام سنة(٣٦هـ)؛ فبجهود هذين الإمامين الحثيثة استطاع الإمام علي عليه السلام أن يقول بكلِّ ثقةٍ وتأكيد: «**فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، ونَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، ومَضَيْتُ بِنُورِ الله حِينَ وَقَفُوا، وكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وأَعْلاَهُمْ فَوْتاً، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، واِسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لاَ تُحَرِّكُهُ اَلْقَوَاصِفُ، ولاَ تُزِيلُهُ اَلْعَوَاصِفُ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، ولاَ لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ، اَلذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حتَّى آخُذَ اَلْحَقَّ لَهُ، واَلْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حتَّى آخُذَ اَلْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ الله قَضَاءَهُ، وسَلَّمْنَاهُ لله أَمْرَهُ**»(١).

تثبيت العدل الاجتماعي

وانطلق الإمام عليٌّ عليه السلام في نهضته الإصلاحية الكبرى العائدة بالمسلمين إلى المبادئ المحمديَّة الحقّة، وكان من نتاج النهضة العلويَّة تثبيت العدل الاجتماعي باعتبار الناس سواسيةً كأسنان المشط، وتثبيت القضاء العادل، حتَّى أمن الخائفون، وأُنصف المظلومون، وبقيت كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تدوّي في الأرجاء، وهو يقول ما قاله في أوائل أيام خلافته من كلام له فيما ردَّه على المسلمين من قطائع عثمان: «**وَالله، لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ اَلنِّسَاءُ ومُلِكَ [تُمُلِّكَ] بِهِ اَلْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ... فَإِنَّ فِي اَلْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ اَلْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ**»(٢).

مفارقة

يحدِّثنا التاريخ أنَّ الأموال التي كانت عند جماعة قليلة من رؤوس المسلمين المقرَّبين من الخلافة السابقة بلغت أرقاماً خيالية؛ حتَّى أنَّ الذهب والفضة كانت دنانيرهما

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٧.
(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٥.

والدراهـم تصدأ وهي تُخـزَّن في الأرض أو في الجرار الرطبة المخفية، وتتلاصق حتَّى يصعب فصلها عـن بعضها، فكانت تُكسّر بالفؤوس!! في المقابل كان العوز والجوع يعذبان غالبية المسـلمين من الطبقات الشـعبية المسحوقة. ولما آلت الخلافة إلى الإمام عليٍّ عليه السلام عمل بكلِّ ما في وسعه لإعادة حقوق الناس المسلوبة المغصوبة إلى أصحابها.

وهنـا ننوّه من جديد بالمهمة الرسـالية العظيمة والجهـاد الدؤوب اللذين اضطلع بهـما الإمام الحسـين بمعيـة أخيه الإمام الحسـن المجتبى عليهما السلام؛ فقد اسـتطاعا أن يؤثّرا في الـرأي العـام المسـلم، على أمل أن يقف المسـلمون مـع هذه اللحظـة الإصلاحية الحاسمة، فإذا بهذه الحركة المباركة للحسنين عليهما السلام تثمر بشق الأنفس، فتابعهما خُلّص صحابـة النبـي الأكرم صلى الله عليه وآله، والتفّت جمـوع الناس المحرومين المسـحوقين حول قيادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا جهاد بمعزل عن السيف، لكنه كان من أعظم الجهاد، حتَّى بدا واضحاً للعيان أن منهج الإمام الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه عليهما السلام هو ضدٌّ نوعيٌّ حقـاً ومخالـفٌ تماماً لمنهج الاسـتئثار الأُموي الـذي كان يقضم حقوق المسـلمين كما تقضـم الإبل نبتـة الربيع، على حد تعبير الإمام عـلي عليه السلام: «... **قَامَ ثَالِـثُ اَلْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْـهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ الله خِضْمَةَ اَلْإِبِلِ نِبْتَةَ اَلرَّبِيعِ، إِلَى أَنِ اِنْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ**»[1].

الغارات الإرهابيَّة الأُمويَّة على المدنيين الآمنين

لقد اقترف الأُمويون أبشـع الجرائم ضد الإنسـانية، وكان منهـا الترويع الجماعي لعـشرات الآلاف من المسـلمين، وقتلهم بأبشـع طـرق القتل.. حتَّـى أن أحد القادة الأُمويين أغار من الشام على البلدات والقرى الإسلامية إلى أن وصل إلى اليمن وعاد راجعاً إلى الشـام، وقد قتل في ذهابه وإيابه ثلاثين ألف مسـلم! غالبيتهم من الأطفال والنسـاء والشـيوخ! وغير بعيـدة عن ذاكرة المسـلمين الدامية صـورة الذبح المرعب

(١) المصدر السابق: الخطبة ٣.

لطفلين بريئين هما ولدا عبيد الله بن العباس، وعبيد الله هذا هو ابن عمّ النبي صلى الله عليه وآله.

إنّ هذه الغارات كانت إعلاناً للحرب على المسلمين جميعاً، كما كانت كاشفة عن الحقد والإرهاب الأُمويَين، بما لا يدع مجالاً للشك في أنّ هذا الحزب الأُموي لا يريد للإسلام أي خير! بل يعيث به كل شر!! والغريب المريب أنّنا وإلى يوم الناس هذا لا نسمع تبرُّؤاً من معاوية وحزبه وأفعاله في خُطَب الجُمَع والأعياد والأحاديث الدينية لمن يدّعون أنهم من أتباع السنّة والجماعة!!! والسنّة النبوية والجماعة المسلمة بَراء من القتَلة والمجرمين والإرهابيين الذين جنّدهم أبو سفيان وابنه معاوية وحزبهما الباغي الطاغي.

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام في طليعة المنددين بهذه الغارات الإجرامية الإرهابية، ومن ثمَّ كان هو وأخوه الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام في مقدمة صفوف المجاهدين لمقاتلة أُولئك الإرهابيين فيما بعد، حتَّى صاح الإمام علي عليه السلام بأصحابه: «**اِمْلِكُوا عَنِّي هَـذَا اَلْغُلاَمَ لاَ يَهُـدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ** [يَعْنِي اَلْحَسَـنَ وَاَلْحُسَـيْنَ] **عَـلَى اَلْمَـوْتِ، لِئَلاَّ يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ الله** صلى الله عليه وآله»(١).

تطويق الفتنة الأُمويَّة النفاقيَّة في مأساة حرب الجمل

اقتضت العدالة الإسلامية التي كان يجسّدها خير تجسيد الإمام علي عليه السلام أن لا يكون عقاب قبل الجريمة، ومع علم الإمام علي عليه السلام بأن طلحة والزبير يريدان الغدرة ولا يريدان العمرة كما أكد ذلك لهما هو بنفسه عليه السلام(٢)، إلّا أنه لم يفرض عليهما إقامة جبرية، ولا ضيّق عليهما، فضلاً عن أنه لم يقتلهما، واكتفى منهما بأن يجددا البيعة له فقط، إتماماً للحجة، وإشهاداً للتاريخ.

لكنهما وللأسف الشديد التحقا بتلك المرأة التي كانت تحرّض على الإمام علي عليه السلام، وكان مروان بن الحكم يؤزّها أزّاً لإذكاء نار تلك الفتنة، ولم تثنها حتَّى

(١) المصدر السابق: الخطبة ٢٠٧.

(٢) جاء في كتاب السيرة لابن حبان: ج١، ص٥٢١ ما نصّه: «... قال لهما: ارتحلا فقد بلغتكما حاجتكما فاجتمعوا مع عائشة بمكة وبها جماعة من بني أُمية...».

(كلاب الحوأب) عن مسيرها المرفوض من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن الحكيم[1]، بل راح الأُمويون يجمعون شهود الزور ليشهدوا أن هذه الأرض التي نبحتها كلابها هي ليست أرض الحوأب، بعد أن تحققت مقولة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين قال: «**أيتّكن تنبح عليها كلاب الحوأب**»[2].

لقد قام الأُمويون بدور قذر في إشعال نار الفتنة ليضربوا المسلمين بعضهم ببعض في حرب الجمل الطاحنة الضروس، وكان الإرهابي مروان بن الحكم في ساحة الحرب يطلق السهام مرة على جيش الإمام علي عليه السلام ومرة على جيش عائشة، وحين سُئل عن ذلك أجاب بأنه عدو لكلا الفريقين، فأينما أصابت سهامه فإنه يصيب عدواً من أعدائه!! حتّى وصل به الأمر إلى أن رمى هو بنفسه طلحة بسهم فأودى بحياته! وهذا ما تؤكده كتب التاريخ[3].

كل هذا والإمام عليّ عليه السلام يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة لحقن دماء المسلمين، والتراجع عن إشعال نيران الحرب التي ستحرق اليابس والأخضر... ولقد كان أرسل إليهم كتاب الله (القرآن الكريم) منشوراً يحمله من جيشه بملابس السلام البيضاء رجلٌ مسلم واسمه (مسلم)، فكان اسماً على مسمّى، يدعوهم إلى الاحتكام إليه، لكنهم أبوا ورفضوا، وردّوا عليه بأن قطعوا يده اليمنى، ثمَّ اليسرى، ثمَّ قتلوه وهو صابر محتسب

---

(١) جاء في سورة الأحزاب في الآيتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين أمر إلهي يأمر نساء النبي بأن يقرَن في بيوتهن، وأن يحذرن الذين في قلوبهم مرض، وأن يطعن أوامر الله ورسوله، ولو تمّ امتثالهن لما حدثت فتنة حرب الجمل، يقول الله عز من قائل في محكم كتابه المجيد: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٦، ص٩٧.

(٣) جاء في كتاب تاريخ الإسلام للذهبي: ج١، ص٤٥٥: «روى قتادة، عن الجارود بن أبي سبرة الهذلي قال: نظر مروان بن الحكم إلى طلحة يوم الجمل، فقال: لا أطلب ثأري بعد اليوم، فرمى طلحة بسهم فقتله...». وقد شاع هذا في مئات من كتب الحديث والسير والتاريخ، فليراجعها من أراد المزيد من التوثيق.

أعزل! ليس عنده سوى القرآن يضمّه إلى صدره ودماؤه تسيل عليه!! ويحدّثنا التاريخ عن أبيات من الرجز الشجيّ قالتها أُمّ ذريح العبدية راثيةً هذا الشهيد المظلوم:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهمُ ... بمصحفٍ أرسلَهُ مولاهُمُ
للعدلِ والإيمانِ قد دعاهمُ ... يتلو كتابَ اللهِ لا يخشاهمُ
فخَضَّبوا مِن دمِهِ ظُباهُمُ ... وأُمُّهُمْ واقفةٌ تَراهُمُ
تأمُرُهُمْ بالغَيِ لا تَنهاهُمُ[1].

حملات الموت الأُمويَّة تطال المسلمات وغيرهن

ويحدِّثنا التاريخ أيضاً بكلِّ مأساوية عن حملات موت أُموية إرهابية كانت قبل صفين، انطلق فيها القادة الإرهابيون الأُمويون ليروّعوا الآمنين في بلاد المسلمين من المدنيين العُزّل، وكانوا لا يتورعون حتَّى عن ظلم المرأة المسلمة، والمرأة المعاهدة (المسيحية أو التي على دين غير دين الإسلام) على حدّ سواء! فكانوا يسلبونهن ويعتدون عليهن!! مما حدا بالإمام عليعليه السلام أن يخطب خطاباً مدويّاً حاكياً عن ألمه الشديد، وأسفه العميق، وعزيمته على قتال هؤلاء المجرمين، وتنديده بالمتقاعسين عن جهادهم: «هَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ اَلْأَنبَارَ، وقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ اَلْبَكْرِيَّ، وأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ اَلرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى اَلْمَرْأَةِ اَلْمُسْلِمَةِ واَلْأُخْرَى اَلْمُعَاهِدَةِ، فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وقُلُبَهَا وقَلاَئِدَهَا ورُعُثَهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلّا بِالِاسْتِرْجَاعِ واَلِاسْتِرْحَامِ، ثمَّ اِنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ ولاَ أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فَلَوْ أَنَّ اِمْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً، بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً، فَيَا عَجَباً عَجَباً! واللهِ، يُمِيتُ اَلْقَلْبَ ويَجْلِبُ اَلْهَمَّ مِنَ اِجْتِمَاعِ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَقُبْحاً لَكُمْ وتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج٩، ص١١٢.

ولاَ تُغِيرُونَ، وتُغْزَوْنَ ولاَ تَغْزُونَ، ويُعْصَى الله وتَرْضَوْن»[1].

إنَّ هذه الحملات هي امتداد لما قام به الأُمويون سابقاً، وتبعها فيما بعد كما يحدِّثنا التاريخ مسلسل من تلك الحملات المسعورة المرعبة التي أراد بها الأُمويون إرعاب المسلمين وإرهابهم وايذاءهم من أجل تركيعهم للإرادة الأُموية، حتَّى يتسلطوا عليهم، وينهبوا خيراتهم.

بناء جيش الولاء

الإمام الحسين عليه السلام كان يتحسّس كل ذلك، ويعمل جاهداً على أكثر من مجال، لإحقاق الحق، ودحر الباطل، هذا الباطل الذي بدأ يتعملق وقد اصطف لمؤازرته كل ذوي الشر والضلال. ومن أهم تلك المجالات؛ الدفاع عن الأبرياء في حدود دولة الإسلام من مسلمين وغيرهِم، وذلك بالوقوف مع الخط المحمدي بكل صلابة ورسوخ، ومنع هذا الإرهاب السرطاني الأُموي البغيظ من الانتشار، بفضح أهدافه الجاهلية الإجرامية، وتبصير الناس مقدار خطره الذي يهدد الوجود الإنساني إذا ما أُتيح للأُمويين الانتصار في هذه الحرب الإرهابية الظالمة.. هذا أوّلاً، والمجال الثاني هو التحشيد الدقيق لصد أُولئك القتلة المجرمين الإرهابين، وتجييش جيش يتحمل مسؤوليته الجهادية في مقاتلة الأُمويين وأتباعهم وحلفائهم الذين يمدونهم بالمال والسلاح والخبرات، ومنهم الروم الذين بأيديهم كثير من المقدرات بما في ذلك ضرب العملة النقدية من الدنانير والدراهم!!

إنّ بناء جيش كهذا من قبائل عربية مسلمة ترى الإمام علياً عليه السلام خليفة شأنه شأن غيره من الخلفاء الذين سبقوه وليس إماماً معصوماً مُفترَض الطاعة يُعدّ أمراً في غاية الصعوبة، خاصة وإن محورية إمامة الإمام تقوم على العصمة المتمثلة بكل تعاليم القرآن والمنهج المحمدي النبوي.. فإذا لم تُطِع الأُمّة إمامَها على هذا المنوال

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٥.

مـن الطاعـة، وليس على منـوال خوف السـيف والعقوبة، فإنّ الأُمور سـوف تَفْلت مـن أزمّتهـا، خاصـة وأنّ أمـير المؤمنين لا يقسـم الأمـوال إلّا بالسـوية، ولا يُعاقب إلّا بعـد الجريمـة، ولا يتحرّك أيّ تحرك إلّا بالحق.. عندئذٍ سـتصبح المعادلة مغلوطةً لـدى الرعية؛ لأنهم يأخذون من الإمام عليعليه السلام كل عدل وإنصاف وخير، ويقابلونه بالتقصير والتمرّد والتخاذل!

لقـد عمل الإمام الحسـينعليه السلام بكل ما وسـعه من وسـائل متاحـة في ذلك الظرف العسـير للمسـاهمة في بناء جيش قوي يأتمر بأمر الإمام عليعليه السلام، لا لخشية من انتقامه، بل اقتناعاً بوجوب نصرته، وأحقية منهجه.. جيش مُحصَّن عقيدياً، ومدرّب ميدانياً، يجمع كل المسـلمين وليس مقتصراً على الموالين المشـايعين الذين يعرفون للإمام حق ولايتـه الدينيـة والدنيوية، ويعتقـدون بعصمته ووجوب طاعته؛ لأن أعداد الشـيعة كانـت قليلة جداً في ذلك الوقت، وجيل شـباب المسـلمين لم يعايـش عصمة القائد، بل عايش سـطوته وغلاظته منذ وفاة الرسـولصلى الله عليه وآله أوائل سنة ١١ هجرية، وإلى مقتل عثمان عام ٣٥ للهجرة.. فنشأ جيل، بل أكثر من جيل، على تربية الحاكم الذي يضرب المسيء والـبريء، ويرمـي كل مَـن لا يطبّق أوامـره بالخروج عن الإسـلام؛ لأنّه نبذ الطاعة، وشق عصا الجماعة، فيُحكَم عليه بالموت لأنه ارتكب جريمة (الحرابة)!!!

لقد عمل الأئمة الثلاثة والموالون لهم من الصحابة والمقربين على نشر ثقافة الولاء في أوساط الأُمّة المنبهرة بكمالات الإمام عليعليه السلام وكراماته، لكنها تطبّعت سنين كثيرة عـلى ثقافة الخلافة البشريـة التي تُخطئ وتُصيب، وليس عـلى ثقافة الإمامة المعصومة التـي تصيـب دائماً ولا تُخطـئ أبداً.. وكان مـن الصعب على جموع الأُمـة أن تتشرّب حقيقـة أفضليـة الإمـام علي عـلى أبي بكـر وعمر مثلاً، فضـلاً عن وجـوب الاعتقاد بالإمامة باعتبارها الامتداد المعصوم لخط النبوّة!! وفي المعترك الاعتقادي لا فائدة من الانتصار العسـكري على الأُمويين ما لم يكن موازياً له فَهْم حقيقة الحكم الإسـلامي الصحيـح؛ القائم على عصمة القائد الأعلى وإمامته، الإمامة التي هي منصب من الله

الحَكَم العَدْل، يعطيه لوليّه بالحق، وأمينه في الأرض، وحجّته على العباد..

إن التثقيف على ذلك يحتاج دقة وحنكة وسعة صدر وطول علاج... وهذا كله قاده الإمام الحسين مع أبيه وأخيه في أحلك ظروف الفتن والحروب التي أجّجها الأُمويون البغاة العتاة الطغاة.

ولقد كان شر الأُمويين وإرهابهم ينصبّ على المسلمين عامة وأغلبهم الغالب لم يكن من الشيعة، فكان الإمام الحسين عليه السلام يحشّد ويعبّئ مساهماً مع أبيه أمير المؤمنين وأخيه الإمام الحسن عليهما السلام ومع الثلة الطيبة من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وتابعيهم وأبناء الصحابة وأبناء المسلمين جميعاً، ليشكّلوا جبهة عريضة هي جبهة جيش أُمّة الإسلام بكلّه، لمناهضة ذلك الإرهاب الأُموي بقضّه وقضيضه!!

إننا إذا تأملنا في التاريخ نجد المؤرخين مشغولين بالحديث عن بعض تلك الجرائم الشنيعة المروّعة بلسان يتسامح كثيراً مع الأُمويين! بل ويمالئُهم!! بل ويترضّى عليهم!!! وما كان هواة كتابة التاريخ هؤلاء يلتفتون إلى المهام الكبرى التي قام بها الإمامان الحسنان عليهما السلام بمؤازرة ثلة المؤمنين والمسلمين من صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذين نجحوا في تجييش ذلك الجيش، وكذلك استطاعوا أن يثبتوا أركان دولة الإسلام بقيادة الإمام علي عليه السلام، وهم يقفون صفّاً واحداً جنوداً مخلصين تحت إمرته العادلة المعصومة من كل ذنب، والعاصمة من كل خطأ.

ترويع الآمنين من المسلمين وغيرهم في الأنبار

إنّ الحملات الأُموية الإرهابية ما هي إلّا جرائم موت جماعي، وإبادة عرقية بأقسى بشاعة وفظاعة، وهي صمة عار في جبين التاريخ، وشاهد على إرهاب بني أُمية ودناءتهم وهم يريدون الفتك بالمسلمين جميعاً والمسالمين، ويشيعون الدمار ببلاد المسلمين والمعاهدين، من أجل أن يتحكم آل أبي معيط وأتباعهم بمقدرات الأُمّة المسلمة، ويسرقوا أموال أبنائها ويعيشوا على جراحاتهم!

إنـه الإرهـاب الجاهلي الشركي يعود من جديد، يقـوده رؤوس الشرك والجاهلية السابقون، وأبناؤهم المتسترون بالإسلام؛ ليحققوا غاياتهم الإجرامية، ومن غاياتهم الثأر من المسلمين وقيادتهم الدينية المتمثلة بالإمامة المعصومة..

لقد كشـفت هذه الحملات عن الوجه البشـع للشـجرة الملعونة في القرآن، والتي أكثـر رسـول الله ﷺ من التنديد بهـا، والتحذير منهـا، وفضحهـا في مواطن عديدة، ومنهـا ما ينقله بعض مـدوّني الحديث النبوي الشريف والمفسِّريـن والمؤرِّخين، ومن تلـك الأحاديث المعروفـة ما جاء في كتاب (الدر المنثور): «**أخـرج ابن أبي حاتم وابن مردويـه والبيهقي في الدلائل وابن عسـاكر، عن سـعيد بن المسـيَّب رضي الله عنه، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني أُمية على المنابر فساءه ذلك، فأوحى الله إليه: إنَّما هـي دنيا أعطوها، فقرَّت عينه وهي قوله:** ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ **يعني بلاءً للناس.**

وأخرج ابن مردويه، عن عائشـة رضي الله عنها أنَّها قالت لمروان بن الحكم: سمعت رسـول الله ـ صـلى الله عليـه وسـلّم ـ يقول: لأبيك وجـدك: إنَّكم الشـجرة الملعونة في القرآن»[1].

ويصرّح ابن حيَّان في تفسـيره (البحر المحيـط) أنَّ التلازم حاصل بين (بني أُمية) و(الشجرة الملعونة في القرآن)، قائلاً: «**حتَّى إنَّ من المفسِّرين مَن لا يعبِّر عنهم إلَّا بالشجرة الملعونـة؛ لمـا صدر منهم من اسـتباحة الدمـاء المعصومة، وأخذ الأمـوال من غير حلها، وتغيير قواعد الدين وتبديل الأحكام، ولعنها في القرآن:** ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾»[2].

وكما أسلفنا فإن تلك الحملات الوحشية المسعورة كانت لا تفرّق بين أتباع الإمام عـلي عليه السلام أو أتبـاع أبي بكر وعمر، كما لا تفرّق بين المسـلمين وغيرهم من الذين كانوا

(١) السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ج٦، ص٢٩٥.
(٢) ابن حيّان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج٧، ص٣٦٩.

في بلاد الإسلام، وخاصَّةً في الأنبار التي كانت نقطة احتكاك مستمرة بين الأُمويين المتمترسين في الشام وبأهل الشام وبالروم وإمبراطورية القيصر، وبين المسلمين الذين ينضوون تحت راية دولة الإسلام بقيادة الإمام علي عليه السلام.

إن قراءة منصفة لما قام به الأُمويون تشير بما لا يقبل الشك إلى أنّ الأُمويين كانوا يحققون غايات الروم واليهود الذين يريدون الشرّ بالإسلام كله وبالمسلمين جميعاً، بل وصل الحد بأبي سفيان وأتباعه إلى أنهم في معركة اليرموك كانوا على تلٍّ معتزلين المعركة! بل كانوا يشجّعون الروم على المسلمين! ويتمنون النصر للروم! ويهتفون لهم وهم يكنونهم (بني الأصفر)!! وهذا ما يؤكّده عدد من المؤرِّخين والرواة، ومنهم ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: «**قال عبد الله بن الزبير: كنت مع أبي باليرموك وأنا صبي لا أُقاتل، فلمَّا اقتتل الناس نظرت إلى ناسٍ على تلٍّ لا يقاتلون، فركبت وذهبت إليهم وإذا أبو سفيان بن حرب ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح، فرأوني حدثاً فلم يتقوني. قال: فجعلوا والله، إذا مال المسلمون وركبتهم الروم يقولون: إيه بني الأصفر! فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون: قال: ويح بني الأصفر! فلمَّا هزم الله الروم أخبرت أبي فضحك فقال: قاتلهم الله! أبوا إلَّا ضغناً، لنحن خير لهم من الروم! وفي اليرموك أُصيبت عين أبي سفيان بن حرب**»[1].

لقد بان لكلِّ متتبِّعٍ منصفٍ أنَّ بني أُمية لا يتبعون أحداً من قيادات الإسلام، ولا أحداً من خلفاء المسلمين السابقين، بل كانوا يريدون السيطرة على كلِّ الحياة الإسلامية، ومقدّرات المسلمين! ولذلك تحالفوا مع اليهود والروم!! ولم يرعوا للمسلمين إلَّاً ولا ذمَّةً!!!

جهاد الإمامة لصدِّ الإرهاب الأُمويِّ في صفِّين

لقد جاهد الأئمة الثلاثة علي وولداه عليهم السلام بكلِّ عزمٍ ويقينٍ أعداءَ الله والدين

(١) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج١، ص٣٨٩.

الأُمويين الباغين، كما جاهدهم أغلبُ صحابة النبي محمَّدﷺ وحتَّى الذين كانوا من الصحابة ولم يكونوا تحت إمرة الإمام عليعليه السلام وفي جيشه، فإنهم اعتزلوا الحرب، ولم يدخلوا فيها مع معاوية الأُموي وجيشه المضلَّل.. وقد حاول معاوية بملايين الدنانير الذهبية والدراهم الفضية استمالة ضعاف الصحابة وأبناء المدينة المنورة لكي يُخادع بهم أهل الشام، مُدّعياً أن هؤلاء هم صحابة النبيﷺ، لعله يحصل على ما يوهمهم بمشروعية حربه الباغية، فيجيّش بأهل الشامات وأطرافها جيشاً مدعوماً من إمبراطورية الروم ضدّ الإسلام وضد خليفة المسلمين وإمامهم بالحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

إنّ الخداع الأُموي لأهل الشام يُعدّ بحد ذاته جريمة نكراء؛ لأنه ضلّلَ شعباً كاملاً، وكان يضرب بهم الإسلام وأهله، وهم لا يدرون مَن يقاتلون! أليس هذا إرهاباً جديداً من معاوية وحزبه الأُموي بحق أبناء الشام المغدورين؟!

وكان لهذا التضليل الأُموي تأثير كبير في تشويش الذهنية الإسلامية لدى أتباع أهل السُنَّة والجماعة، وكذلك في جعل المسلمين في الشام حيارى لا رأي لهم في هذه الفتنة العمياء، حتَّى يكونوا منقادين في نهاية الأمر للإرادة الأُموية الباغية الطاغية، التي أرادت وتريد سحق الإسلام واقتلاعه من جذوره، ولكي تتحكّم هذه الأُسرة المجرمة برقاب المسلمين، وتنتقم من هذا الدين الذي قُتل في محاربته رؤوس الشرك والجاهلية من الأُمويين وحلفائهم.

إنّ الأئمة في صفين جاهدوا ذلك الجهاد العظيم، لصدّ تلك الهجمة الإرهابية الأُموية العاتية، ورأينا كيف أن هذا الجهاد قد كلّف الإمام علياًعليه السلام حياته، وكذلك فيما بعد عشر سنوات قد كلّف الإمام الحسنعليه السلام حياته أيضاً، ثمَّ بعد عشر سنوات أُخرى قد كلّف الإمام الحسينعليه السلام حياته، فذهبوا شهداء مرضيين، ومع هؤلاء الأئمة الطاهرين ذهب عدد غفير من الصحابة والتابعين ومن أبناء المسلمين شهداءَ في نصرة الحق المحمّدي المتمثل بخط الإمامة المباركة. أليس في قتل هذه الأعداد

الكبيرة الكثيرة الغفيرة من الصحابة والتابعين ما يدعو إلى التنديد العلني بما فعله هذا الحزب الأُموي البغيض؟! أين إذن تنديدات خطباء منابر الجُمَع والأعياد، وإدانات المؤرّخين والكُتاب، وفتاوى فقهاء الأُمّة تحريماً وتجريماً؟!

ومن شرّ البلية الذي يُضحك ويُبكي أنّ معاوية يفرح لقتل المعروفين بالصلاح والدين من كلا معسكرَي الحرب في صِفّين، حقداً على كل ذي دين وصلاح، وحتّى يخلو الجوّ له فلا يبقى أحد يقول: أنا صحابي صحبتُ رسول الله صلى الله عليه وآله، فيكون مؤهلاً لأخذ الخلافة!

كان معاوية والأُمويون يريدون محو الإسلام، وقتل رجالات الإسلام، وكان بودّهم أن لا يبقى أحد من أُولئك الصحابة، أو من أعيان المسلمين الكبار الذين يُشار إليهم بالبنان! والدليل على ذلك أن معاوية كان قد فرح فرحاً عظيماً عندما قُتِلَ ذو الكلاع[1]، الذي كان عابداً ومعروفاً بالصلاح عند أهل الشام، ولقد ضلّله معاوية حتّى جعله في جيشه، ثمَّ بعد ذلك عندما اقتنع ذو الكلاع أو كاد يقتنع بأن معاوية على ضلال، قُتل فابتهج هو وعمرو بن العاص بمقتله أيما ابتهاج!! ولا يظننّ أحد أننا ندّعي ذلك ادّعاءً، فهذا ما يؤكّده جمع من المؤرخين ومنهم ابن الأثير في (كامله) إذ يقول ما نصّه: «**وقد كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لعمّار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربة تشربها ضياح من لبن، فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا؟! ويحك يا عمرو. فيقول عمرو: إنه سيرجع إلينا، فقُتل ذو الكلاع قبل عمّار مع معاوية، وأُصيب عمّار بعده مع عليٍّ، فقال عمرو لمعاوية: ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً، بقتل عمّار أو بقتل ذي الكلاع، والله، لو بقي ذو الكلاع بعد قتل عمّار لمال بعامّة أهل الشام إلى عليٍّ**»[2].

إنّ ذا الكلاع وأمثاله كانوا يعيشون الحيرة والتضليل، وربما كان مقتلهم اغتيالاً

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٧١.

(٢) المصدر السابق: ج٣، ص٣١٠.

عـلى أيـدي الأُمويين حتَّى يسـتفيدوا من قتلهم عدة اسـتفادات، ومنها أن قتل رجل معـروف بالصـلاح يكـون باعثاً آخـر للمتدينـين الشـكليين الذين كانـوا في الجيش الأُمـوي، حتَّى يديم معاوية بهم المعركة، ويسـتمر في إضرائها، ومن جانب آخر فإن الجـوّ سـوف يصفو لأبي يزيد ولأُولئك الذين هم من الطلقـاء وأبناء الطلقاء، أو من غير الطلقاء الذين يكيدون للإسلام ويحاربون الرسول صلى الله عليه وآله ومنهجه في سالف الأيام ولاحقها.

ضبط النفس في جريمة اغتيال الإمام عليٍّ عليه السلام

كان الإمام علي عليه السلام يشخّص خطر الأُمويين الإرهابين على صعيد التعبئة الحربية، أو التعبئة الإعلامية، أو التعبئة في الحرب النفسـية، وكان يعلم أن الدسـائس الأُموية سـتؤدي إلى إحـداث شرخ في جيشـه الـذي لم يكن جيـش الولاء له، بـل كان جيش عامـة المسـلمين المنضوين تحت رايـة خليفة المسـلمين.. ومع أن المسـلمين في جيش الإمام علي عليه السلام ما رأوا منه إلّا الصواب والحكمة، بل والعصمة في كل أقواله وأفعاله ومواقفه، إلّا أنهم لم يستطيعوا فهمَ كل ما يكتنف مصطلح (الإمامة) من معانٍ عقيدية؛ ولذلك نجد آلافاً من جيش الإمام علي عليه السلام قد خرجوا عليه وأصبحوا يُعرَفون باسم (الخـوارج)! وهؤلاء كانـوا رأس حربةٍ أُموية تطعن في خاصرة الإسـلام!! وخنجر غدر يتغلغل في ظهر دولة الإمام! سواء كانوا يشعرون أو لا يشعرون، يخطّطون أو لا يخططـون؛ ولذلك وضع عمرو بن العاص مؤامرته المجرمة لاغتيال الإمام علي عليه السلام، وكذلك استطاعت الأصابع الأُموية الخفية وطابورهم الخامس أن يجنّدوا مَن يقترف جريمة اغتيال الإمام من الخوارج.. وصوّر لهم عمرو بن العاص بطريقة غير مباشرة وبأيدي خفية وبمنتهى السرّية أنّ العملية هي عملية تخلّص من هؤلاء الثلاثة الذين سبّبوا الحرب بين المسلمين وهم (علي ومعاوية وعمرو بن العاص).. لكن في الواقع لم يُقتَل في تلك المؤامرة إلَّا الإمام علي عليه السلام.

وأمَّـا معاويـة، فقـد ادَّعي أنه أُصيب في (إليته) أسـفل ظهره، وبقـي يعالج ذلك الجرح حتَّى برئ، وأمَّا عمرو بن العاص فقد استطاع التخلص من تلك المؤامرة التي وضعها فلم يخرج إلى الصلاة في تلك الليلة (ليلة التاسـع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة)، فجعل مكانه خادمه أو مساعده ليؤمّ الناس في الصلاة نيابةً عنه، فقُتل هذا الخادم المسمّى (خارجة) بدلاً من ابن العاص!! حتَّى قال شاعر حصيف:

يا ليتَهـا إذ فَـدَتْ عَمْـراً بخارجةٍ فدَتْ علياً بمن شاءتْ من البشَرِ[1].

وبعد اغتيال الإمام علي عليه السلام كان التخطيط المعادي أن يموجَ المسـلمون ويصبحوا في هـرج ومرج بعد أن يُقتَلَ إمامهـم وخليفتهم الشرعي.. لكن خط الإمام المعصوم كان حريصاً على ضبط النفس وقد أوصى الإمام علي عليه السلام أبناءه وأبناء عمومته وباقي المسـلمين بـأن يضبطوا أنفسـهم في تلك الفتنـة الدهماء والمحنة السـوداء، حتَّى قال: «**يَـا بَنِي عَبْـدِ اَلْـمُطَّلِبِ، لاَ أُلْفِيَنَّكُـمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ اَلْمُسْـلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُـونَ قُتِلَ أَمِيرُ اَلْـمُؤْمِنِينَ... أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي**»[2].

بضبط النفسِ هذا اسـتطاع الأئمة الكرام عليهم السلام المحافظة على بيضة الإسـلام وعلى الوجود المسـلم، دون أن ينهار كل البناء بتداعيات تلـك المؤامرة الخبيثة المدوّية التي كانت لها الثقل الكبير جدّاً على المسلمين جميعاً.

استُشـهد الإمام، وقُتل أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ففقدت الإنسانية قائدها المعصـوم ورائدهـا العلمـي علي بـن أبي طالـب عليه السلام، وكان ضحية مـن ضحايا ذلك الإرهـاب الأُمـوي والتخطيـط الإجرامي المتآزر مـع الأُمويين... لقـد ذهب الإمام علي عليه السلام شهيداً لكنّ الوجود الإسلامي حُفظ بخط الإمامة من بعده.

وهكـذا انتقلت الإمامة والخلافة إلى الإمام الحسـن عليه السلام، فبايعه المسـلمون خليفةً عليهم، ولذلك فإنَّ بعض المؤرِّخين من غير الشـيعة كانوا يلقِّبون الإمام الحسـن عليه السلام بـ (الخليفة الراشدي الخامس).

---

(١) ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان: ج٧، ص٢١٧-٢١٨.

(٢) نهج البلاغة: رسالة ٤٧.

التحرُّك لجهاد الإرهاب الأُمويِّ مجدَّداً

قـام الإمام الحسـن عليه السلام بعد تولّيـه الإمامة والخلافـة بمواصلة التحـرُّك الجهادي لصـدِّ الإرهـاب الأُموي مجـدّداً، وكان جيـش معاوية الأُمـوي يتقدم باتجـاه بلدات دولة الإسـلام المسـتظلة بظل قيادة الخلافة الشرعية، وهُدّدت بلدات عديدة على نهر الفرات، خاصَّةً في وسـط العراق وشـماله الغربي؛ إذ كان الأُمويون يريدون مواصلة تلـك الهجمات الإرهابية والتحركات الإجرامية التي تروّع المدنيين الآمنين، فحشّـد الإمام الحسـن عليه السلام جيشـه، وقد سـيّر أمامه مجموعة من قطعات الجيش حتَّى يمنعوا ويصـدّوا ذلك الإرهاب الشرير.. وكان الإمام يقود بنفسـه بقيـة الجيش، دفاعاً عن أُمّـة الإسـلام، لكنّـه كان في الواقع يواجه المؤامـرة الأُموية الأخبـث، والتي انطلت للأسف الشديد على كثير من أفراد جيش الإمام، الذي لم يكن في أغلبه شيعياً موالياً، بل كان من عامة المسـلمين غير المكترثين بمن يتـولّى الخلافة! وفيهم أعدادٌ كثيرةٌ من الخـوارج، وهؤلاء نفّذوا الإرادةَ الأُموية بعلمهم أو بغبائهم، حتَّى وصلت الحال إلى أنّ الإمام الحسن عليه السلام عُرّضَ لمؤامرة اغتيال انتهت بجرحه في رجله، فيما كان يتسرّب ويتهـرّب كثـير من أفراد جيشـه الذين لم يكونـوا يؤمنون بالإمامة والـولاء العقيدي للإمام المعصوم، هربوا باتجاه معاوية الذي أغراهم بالأموال والمناصب!

وهنا ينكسر التاريخ انكسارة مخجلة جداً، وهو يرى قائد الحق كيف يُخذَل، وقادة الـشرّ كيف يُصفّق لهم بحـرارة، لكنها حرارة لهيب النفاق والمصالح الشـخصية غير المشروعة.

تـرك الأُمَّة وخيارها ولو بالتنحّي

لم يجـد الإمام الحسـن عليه السلام بُدّاً من العمل على حقن دماء المسـلمين ليرفعَ سـيوف القتـل الأُمويـة، ويمنع خناجر الغـدر المعيطية عن أبناء الأُمة الإسـلامية، من خلال

معاهـدة كان الغـرض الأسـاس منهـا، والهدف المنشـود فيهـا، هو إبعـاد الإرهاب الأُمـوي عن أُمة الإسـلام ولو بالتنحـي عن الحكم! فلذلك ترك الإمام الحسـن عليه السلام الأُمة المتقاعسة واختيارها!!

لقـد جعل الأُمّة التـي تخاذلت عن نصرته وتركت منهجـه، جعلها أمام اختيارها وقرارهـا، لكنـه مع ذلك أخذ العهود المؤكّدة والمواثيـق المغلّظة على معاوية، حتَّى لا يروّع أبناء الأُمة الإسلامية بإرهابه البغيض!

أجـل، تـرك الإمام الحسـن عليه السلام الحكم، لكنـه لم يـترك الإمامة، ولم يترك السـلطة المشروعـة نهائيـاً؛ بل جعـل شرطاً في المعاهدة عـلى معاوية بأنّ الخلافة والسـلطة من بعد موت معاوية سـوف ترجعان إلى الإمام الحسـن عليه السلام، فإذا حدث بالحسـن حدَث (أي: إذا استُشـهِد أو مـات) فـإن الخلافـة والسـلطة سـتأول بعد معاويـة إلى الإمام الحسـين عليه السلام.. وبذلك جعل مشروعية أُخرى لخلافة الإمـام بالحق. كما قطع الطريق أمـام الأُمويين، فأفقدهـم أيّ غطاء قانوني أو شرعي يدعم تنصيب أحد من بني أُمية حاكماً أو خليفة بعد هلاك طاغيتهم معاوية.. وبذا اسـتطاع الإمام الحسـن سلام الله عليه أن يسحب البساط من تحت أقدام ابن أبي سفيان وحزبه، وهم يحاولون شرعنة شرّهم الذي جرّعوا الأُمّة الإسلامية زعافه القاتل، حتَّى يصفو لهم الملك.

إلى هنا تنتهي مرحلة لها أهميتها الكبرى في قيادة أُمّة الإسلام قيادةً معصومة تسلك بها مسار الهدى وسط بحر متلاطم بالفتن والحروب والانقلاب على الأعقاب.. وتبدأ مرحلة في غاية الأهمية؛ إذ يتسلّط الأُمويون على الأُمة كلّها، فيصبح إرهابهم إرهابَ دولةٍ بعد أن كان إرهاب فئة باغية في إقليم متمرّد، وإرهاب عصابات إجرامية تعتمد أُسلوب الغارات وإشـعال الحروب والمكر والخداع.. إنه الملك الأُموي العضوض، بـكل أدواته الإرهابيـة الإجرامية يضرب بجرانه على كل أصقاع البلاد الإسـلامية، بعد أن تقاعست الأُمّة عن صدّه وردّه، فذاقت وبال أمرها، وتبدّى جلياً قول السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام عندما حذّرت المسـلمين من استسـهالهم مهادنة أوائل مغتصبي

الخلافة قائلةً: «**وسيعرف التالون غبَّ ما أسَّس الأوَّلون**»[1].

أما الإمامة المعصومة، فكان لها في هذه المرحلة ترتيب جديد في قيادة الأُمة المسلمة، وقد اضطلع الإمام الحسين عليه السلام بأُسلوبين من العمل استمرّ كل واحد منهما ما يقرب من عشر سنوات:

الأوّل: بمعية أخيه الإمام الحسن عليه السلام وتحت إمامته وقيادته.

الثاني: بعد شهادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، لتكون الإمامة والقيادة بيد الإمام الحسين عليه وعلى جده المصطفى وآله أفضل الصلاة والسلام. وعن تلك المرحلة وعن هذين الأُسلوبين نأمل أن نتعرّض بحديث مفصّل في بحوث قادمة إن شاء الله.

(١) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص١٦٠.

شهادة الإمام الحسين عليه السلام والتفاعل الكوني

الشيخ غزوان العتابي*

المقدمة

يتمتع الإنسان بقيمة عُليا ومكانة مُثلى عند الله سبحانه وتعالى، فقد أحسن خلقه، وأبدع صورته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[2]، وكرّمه بالعقل والإدراك، ورزقه، وفضّله على كثير من مخلوقاته: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3]، وسخّر له ما في هذا الكون ليعيش في محيط آمن ومناسب: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[4]، وأنعم عليه بنعم لا عدّ لها ولا حصر: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

* باحث إسلامي، من العراق.

(١) التين: آية ٤.

(٢) الانفطار: آية ٧.

(٣) الإسراء: آية ٧٠.

(٤) إبراهيم: آية ٣٢-٣٣.

(٥) النحل: آية ١٨.

وأرسل إليه الرسل بالبينات والشرائع؛ ليزكّيه ويعلّمه الحكمة، ويرفعه من حضيض الجهل إلى عزّ العلم، وشرف السؤدد: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ ...﴾[1]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وهناك تناسب طردي بين مكانة المؤمن وحرمته، فكلما ارتقى معنوياً عظمت حرمته حتى نصل إلى مقام الأنبياء والأئمة والأولياء؛ لذا تميّز الأئمة المعصومون عليهم السلام بمنزلة عند الله لا يعلمها إلّا هو سبحانه، فحرمتهم من أعظم الحرمات، والتعدّي عليهم وقتالهم وسفك دمائهم من أعظم الجنايات، ولأجل قتلهم وانتهاك حرمتهم يحزن كلّ مَن أحبهم، وكذلك تحزن جميع موجودات عالم التكوين والجن والملائكة...، فتتغير السماء على خلاف عادتها وطبيعتها؛ بأن تمطر دماً وتتغير الأرض، وتسير بعض الكواكب على خلاف عادتها، وتنكسف الشمس، وتظهر بعض الكواكب!

ومن هنا، أردنا بحث علاقة هذه الآثار التكوينية والتفاعل الكوني باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وماهية علاقة التكوين بهذا الإمام المظلوم.

ولوجود نوع تشابه بين هذه الآثار التكوينية والولاية التكوينية والمعجزة، سنبيّن أوّلاً الفرق بين هذه المفاهيم، ثم نعرض النصوص الخاصة بالآثار التكوينية، وبعد ذلك نسلط الأضواء على علاقة الكون وما فيه بأهل البيت عليهم السلام عموماً والإمام الحسين عليه السلام خصوصاً. وسنعتمد في ذلك على مصادر المسلمين من غير الشيعة؛ لأنّ هذه الآثار والكرامات جاءت في مصادر عامة المسلمين أيضاً.

الآثار التكوينية وفرقها عن الولاية التكوينية والمعجزة

قبل الدخول في بيان الآثار التكوينية التي حصلت بعد واقعة الطف، لا بدّ من التفريق بين هذا التفاعل الكوني ـ كمطر السماء دماً، وما رُفِعَت حجارة إلّا وكان

(١) الروم: آية ٥١.

(٢) البقرة: آية ١٥١.

تحتها دم عبيط...ـ وبين الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام؛ لأنه قد يُظنّ أنّ هذه الآثار هي نفسها الولاية التكوينية، وكذلك التفريق بينها وبين المعجزة؛ باعتبار أنّ هذه الآثار هي أُمور خارقة لنواميس الطبيعة وعادتها أيضاً، فلربما يُظنّ أنّ هذه الآثار فيها إعجاز، فلأجل أن لا يكون خلط بين تلك المفاهيم سنبدأ بتوضيح معنى المعجزة، والولاية التكوينية، ليتضح بعدها حقيقة الآثار التكوينية وما جرى من تفاعل كوني.

أوّلاً: المعجزة

يرى المشهور في تعريف المعجزة أنّها: أمرٌ خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، مع عدم المعارضة[1]. ويشترط في تحقق المعجزة أن تكون في مقام ادّعاء النبوّة[2].

قال العلّامة البلاغي: المعجز هو الذي يأتي به مدّعي النبوّة بعناية الله الخاصة، خارقاً للعادة، وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم؛ ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوّة ودعوته[3].

وإذا تحققت قيود تعريف المعجزة بالمعنى المتقدم ولم تكن في مقام ادعاء النبوّة فهي كرامة حينئذ[4].

ومن جهة أُخرى عُرِّفت المعجزة بأنّها: ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة، ومطابقة الدعوى[5].

وقال السيّد الخوئي: أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة، ويعجز عنه غيره، شاهداً على صدق دعواه[6].

---

(١) السبحاني، جعفر، الإلهيات: ص٢٥٨.

(٢) الإيجي، عبد الرحمن، المواقف: ج٣، ص٣٤٣.

(٣) البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن: ج١، ص٣.

(٤) السبحاني، جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ص١٢٣.

(٥) الحلي، الحسن بن يوسف، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص٤٧٤.

(٦) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن: ص ٣٣.

وهذا معنى أوسع للمعجزة؛ لأنّه إتيان بشيء خارق للعادة لكنّه لأجل ادّعاء مقام إلهي، وسيكون معنى المعجزة حينئذ أوسع من اختصاصه بالنبي، ويشمل كل مَن ادعى المقام الإلهي، فيدخل المعصوم تحت هذا العنوان، ويُسمّى ما يصدر منه من أمر خارق للعادة معجزة.

فالمعجزة أمرٌ خارق للعادة، يصدر من خواص الخلق، بشرط ادّعاء المقام الإلهي.

يقول شيخ الطائفة: المعجز يدلُّ على إبانة الصادق ممّن ليس بصادق، فإن كان مدّعياً للنبوّة علمناه نبياً، وإن ادّعى إمامة أو صلاحاً علمنا صدقه فيه وعلمناه كذلك[1].

ثانياً: الولاية التكوينية

الولاية لفظ يُعبِّر عن أولوية التصرف بالمتعلق، من قبيل: ولاية الأب على الابن وهو أَولى في التصرف بشؤون الابن، وكولاية السيّد على عبده، وهذه الولاية العرفية.

وإذا جئنا إلى الولاية الحقيقية التي تكون بين البارئ تعالى وعبده فسوف نجد الولاية المطلقة في التصرف، وإنّ متعلق ولاية الله تعالى كل عالم الوجود تكويناً وتشريعاً: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وبما أنّ الولاية تعني أولوية التصرف، لا بدّ أن تتعلق بشيء، فإذا تعلّقت بأُمور تشريعية وتقنينية سُمِّيت (ولاية تشريعية)، وإذا تعلقت بأُمور التكوين من حيث الإماتة والإحياء والخلق والتصرف بالكواكب وبسط الأرض...سُمِّيت (ولاية تكوينية).

ولا خلاف بين المسلمين في أنّ الولايتين لله عزّ وجلّ مطلقاً، لكن وقع الإشكال والخلاف في ثبوت الولايتين لغير الله تعالى، وعلى فرض الثبوت فما هي حدودهما؟

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد: ص١٥٩.

(٢) الشورى: آية٩.

وقد أُجيب بثبوت الولاية التكوينية لغير الله تعالى بإذنه، فقد قال تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[1]؛ والمدبرات هي الملائكة التي تدبِّر الأشياء الموكلة إليها، من قبيل تدبير الرياح والأمطار...[2]، وقد نسب القرآن الكريم إلى نبي الله عيسى عليه السلام ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ﴾ لكن بإذن الله ومشيئته: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[3]، فالخلق والإحياء تصرّف تكويني.

وقد ثبتت لبعض أوصياء الأنبياء: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾[4]، والذي عنده علم من الكتاب هو وصي ووزير وابن أُخت نبي الله سليمان عليه السلام، وبسبب امتلاكه علم من الكتاب استطاع أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن أو الشام ـ على اختلاف الأقوال ـ إلى سليمان[5]. وبهذا الاعتبار تثبت للأئمة المعصومين عليهم السلام بالأولوية، باعتبار أنَّ الذي عنده علم بعض الكتاب وهو آصف بن برخيا أصبح التكوين تحت تصرفه، وجاء بعرش بلقيس أمام النبي سليمان عليه السلام، وكل ذلك بسبب (علم من الكتاب)، وإذا لم يكن للعلم ببعض الكتاب خصوصية في قدرته سيكون ذكره في الآية لغواً، وهو قبيح.

وإذا استطاع مَنْ عنده علم من الكتاب أن يفعل كل ذلك فكيف بمَنْ عنده علم كل الكتاب! فقد قال الله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[6]، وقد صّرح أئمة الهدى عليهم السلام بذلك.

---

(١) النازعات: آية ٥.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران: ج١٠، ص٢٥٣.

(٣) آل عمران: آية ٤٩.

(٤) النمل: آية ٤٠.

(٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج٧، ص٣٥٨.

(٦) الرعد: آية ٤٣.

قال الشيخ الطبرسي: «**والثالث: إنّ المراد به علي بن أبي طالب، وأئمة الهدى عليهم السلام، عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام. وروي عن بريد بن معاوية، عن أبي عبد الله أنه قال: إيّانا عنى، وعليٌّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله**»[1].

وقد وردت عدة روايات تدل على ثبوت الولاية التكوينية لهم، من قبيل ما أورده قطب الدين الراوندي في الخرائج: «**عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بين مكة والمدينة، وهو على بغلة وأنا على حمار، وليس معنا أحد، فقلت: يا سيدي ما علامة الإمام؟ قال: يا عبد الرحمن لو قال لهذا الجبل: سرْ؛ لسار. قال: فنظرت ـ والله ـ إلى الجبل يسير، فنظر إليه، فقال: إني لم أُعنك**»[2].

فالولاية التكوينية ـ التصرف بالأُمور الكونية بإذن الله تعالى ـ ثابتة للإمام المعصوم عليه السلام. وهي أمرٌ خارق للعادة والطبيعة، لكنها تختلف عن الإعجاز؛ لأنّ هذه الخوارق إذا لاحظنا مناسباتها الشخصية الخارجية، لا نجد فيها تبليغ رسالة سماوية، ولا ادّعاء مقام إلهي يستوجب الإعجاز.

ثالثاً: الآثار التكوينية

بعد توضيح المعجزة، والولاية التكوينية، يتضح جلياً أنهما يحتاجان إلى فاعل؛ بمعنى: أنّ المعجزة تفترض وجود نبيّ فتأتي لتدعمه، وفي الولاية التكوينية هناك معصوم يتصرف بالكون لأجل غايات وأهداف معينة، فهناك فاعل في كل من الولاية التكوينية والإعجاز، بينما التفاعل الكوني والآثار التكوينية التي هي خارقة للعادة الطبيعية لا تتوقف ولا تحتاج إلى فاعل، ولا تحتاج لمن يوجدها من نبي أو إمام معصوم، من قبيل الوقائع الكونية التي حدثت بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، مثل مطر السماء دما وانكساف الشمس وبدو الكواكب، وما رُفعت حجارة إلّا وكان

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج٦، ص٥٤-٥٥.
(٢) الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح: ج٢، ص ٦٢١.

تحتها دم...، بل يمكن حصولها بكيفيتين اثنتين:

الأُولى: أن تُعطى الطبيعة وعالم التكوين الرخصة للحركة وللتغيير بنفسها، فتتغير على خلاف عادتها الطبيعية لأجل أسباب خاصة سنذكرها لاحقاً بشواهدها؛ وهذا يعني أنه لا يوجد في عالم الوجود شيء بلا حياة في المنطق الإلهي، بل كل يسبِّح لله ولا نفقه تسبيحهم، ويعني أيضاً أنّ لكل شيء حياة، لكن كل بحسبه، كما أشارت الآية القرآنية لذلك: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[1].

لكنّ إعطاء مثل هذه الرخصة لعالم التكوين حتى يتغير على خلاف طبيعته وبدون فاعل بشري لا يحصل دائماً ولأي مناسبة كانت، بل هناك ما يستأهل هذا عند الله وله الوزن الذي لا يقدّره إلّا الله تعالى، بل وله الثِّقل عند هذه الجمادات الحية كذلك!

الثانية: إن الله عزّ وجلّ هو الفاعل المباشر لهذه الآثار، ولم يعط الرخصة للتكوين في التغيير لأسباب خاصة، ويحصل ذلك في مناسبات معدودة، تُدرس بشكل منفصل لمعرفة خصوصياتها وأصحابها.

وكلتا الكيفيتين متوقَّعة، وإن كانت بين الكيفيتين طولية، فالكيفية الأُولى في طول الكيفية الثانية، لكن يمكن أن تحدث الكيفية الثانية بدون الأُولى، بينما الأُولى تحتاج إلى بعض حيثيات الكيفية الثانية؛ لأنها تحتاج للإذن والرخصة من خالقها، فهناك نوع تعلق طولي بينهما.

فالمعجزة تختلف عن الولاية التكوينية، وهما يختلفان عن الآثار التكوينية أيضاً.

إلى هنا اتضح الفارق بين الآثار التكوينية والمعجزة والولاية التكوينية بصورة إجمالية، ويبقى السؤال عن العلقة بين التكوين والإمام الحسين عليه السلام عنوان الموضوع الآتي.

---

(١) الإسراء: آية ٤٤.

التفاعل الكوني في المصادر الحديثية والتاريخية

روت المصادر التاريخية كثيراً من الحوادث الكونية التي حدثت إثر واقعة عاشوراء، ولم تكن تلك الظواهر حالات نادرة، ولم تخص فئة دون أُخرى، كما أنّها اتخذت أشكالاً متعددة. نعرض فيما يلي من تلك الحوادث ما يناسب المقام:

١ـ مطر السماء دماً

جاءت حادثة مطر السماء دماً في جملة من المصادر التاريخية، حيث نقلها الطبري، وابن عساكر، والهيثمي، والطبراني وغيرهم الكثير. يقول الطبري: «...**عن نضرة الأزدية أنها قالت: لمّا قُتِل الحسين بن علي، أمطرت السماء دماً، فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً**»[١]، وذكر ابن عساكر مثل ذلك[٢]، ونقل الطبراني: «...**عن جميل بن زيد، قال: لمّا قُتِل الحسين احمرت السماء. قلت: أي شيء تقول؟ فقال: إنّ الكذاب منافق، إنّ السماء احمرت حين قُتِل**»[٣]، وروى أيضاً الهيثمي ذلك[٤].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام إنّ بكاء السماء دام أربعين صباحاً، فعن زرارة عن الصادق عليه السلام قال: «...**بكت السماء على يحيى بن زكريا وعلى الحسين بن علي أربعين صباحاً، ولم تبك إلّا عليهما. قلت: فما بكاؤها؟ قال: كانت الشمس تطلع حمراء وتغيب حمراء**»[٥]، وقد نقل السيوطي في تفسيره الدر المنثور عن ابن عساكر أنّ بكاء السماء هو حمرتها، فقال: «...**ما بكت السماء على أحد إلّا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي، وحمرتها بكاؤها**»[٦].

---

(١) أُنظر: الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص١٤٤.
(٢) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٣٧٧.
(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١٣.
(٤) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٣.
(٥) أُنظر: ابن شهرآشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٢١٢.
(٦) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور: ج٤، ص٢٦٤.

٢ ـ لم يُرفع حجر إلّا وُجِدَ تحته دم

قال الطبري: «...**وعن ابن شهاب، قال لما قُتِل الحسين (رضي الله عنه) لم يُرفع أو لم يُقلع حجر بالشام إلّا عن دم**»[١].

وقال ابن عساكر: «...**حدثني عمر بن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه قال: أرسل عبد الملك إلى ابن رأس الجالوت**[٢]**، فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ قال ابن رأس الجالوت: ما كُشف يومئذ حجر إلّا وُجِدَ تحته دم عبيط**»[٣]. وعن الهيثمي[٤] والبيهقي[٥] والإصبهاني[٦] مثله.

٣ ـ انكساف الشمس وبدو الكواكب

روت جملة من مصادر المسلمين واقعة انكساف الشمس، ولعل هذه الواقعة من أكثر الوقائع غرابة وإعجازاً، وقد شبّهها مَن شاهدها بيوم القيامة!! قال الهيثمي: «... **وعن أبي قبيل، قال: لما قُتِل الحسين بن علي: انكسفت الشمس كسفة، حتى بدت الكواكب نصف النهار، حتى ظننا أنها هي. رواه الطبراني وإسناده حسن**»[٧].

وقال البيهقي: «... **عن أبي قبيل، قال: لما قُتِل الحسين بن علي (رضي الله عنه) كُسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار، حتى ظننا أنها هي**»[٨]، وروى أيضاً مثله أبو نعيم الإصبهاني[٩]، والمزي[١٠].

---

(١) أُنظر: الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص ١٤٥.
(٢) رأس الجالوت: هو لقب أمير الجماعة اليهودية في بلاد الرافدين قبل الإسلام وبعده.
(٣) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٣٠.
(٤) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٦.
(٥) أُنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوّة: ج٧، ص٣٧٣.
(٦) أُنظر: الإصبهاني، أبو نعيم، معرفة الصحابة: ج٥، ص ٣٢٩.
(٧) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ص١٩٧.
(٨) البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوّة: ج٧، ص٣٧٣.
(٩) أُنظر: الإصبهاني، أبو نعيم، معرفة الصحابة: ج٥، ص ٣٢٥.
(١٠) المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال: ج٦، ص٤٣٢.

ووصف المزي هذه الحادثة عن طريق نقله لرواية ابن عساكر؛ بأنّ السماء قد اسودّت، وظهرت الكواكب نهاراً، وحتى تم مشاهدة الجوزاء عصراً! وأنّه قد سقط التراب الأحمر كذلك[1].

٤ ـ ما حصل عندما نُحرت إبل معسكر الإمام الحسين عليه السلام

لم يسلم من أعوان يزيد حتى البهائم، فأراد الله (عزَّ وجلَّ) أن يبيّن لهم سوء فعلتهم مع الإمام الحسين عليه السلام في كل ما يتعلّق بواقعة الطف، حتى هذه البهائم، فما دامت ملكاً للإمام عليه السلام فإنّ الكرامة الإلهية قد طالتها كذلك، حيث نقل ابن عساكر: «...**حدثني: جميل بن مرة قال: أصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قُتِل، فنحروها وطبخوها. قال: فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً**»[2].

وذكر الهيثمي: «**لما قُتِل الحسين انتُهبت جزور من عسكره، فلمّا طُبِخَت إذا هي دم. رواه الطبراني ورجاله ثقات**»[3].

٥ ـ ما جرى لمن شتم الإمام الحسين عليه السلام

روى الطبري حادثة الرجل الذي رُمي بحجرين في عينيه ـ وكذلك رواها كثير من المؤرّخين المسلمين ـ فقال: «...**وعن أبي رجاء أنه كان يقول: لا تسبّوا علياً ولا أهل هذا البيت، إنّ جاراً لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة، فقال: ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق إنّ الله قتله ـ يعنى الحسين (رضي الله عنه) ـ فرماه الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره. أخرجه أحمد في المناقب**»[4]. ونقل ذلك أيضاً ابن عساكر[5]، والمزي[6]،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٣٠.

(٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج٩، ١٩٦. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج: ٣، ص ١٢١.

(٤) الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص١٤٤.

(٥) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٣٠.

(٦) المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال: ج٦، ص٤٣٨.

والطبراني[1]؛ ممّا يجعلنا نطمئن بصحة هذه الحادثة ووقوعها.

وذكر المزي في تهذيب الكمال: «...**عن الربيع بن المنذر الثوري، عن أبيه: جاء رجل يبشِّر الناس بقتل الحسين فرأيته أعمى يقاد**»[2]. وذكر مثله ابن عساكر[3].

٦ ـ حادثة الرأس الشريف

روى الطبراني في المعجم الكبير: «**لما قُتِل الحسين بن علي (رضي الله عنه) احتزوا رأسه وقعدوا في أوّل مرحلة يشربون النبيذ يتحيون بالرأس، فخرج عليهم قلم من حديد من حائط، فكتب بسطر دم:**

أترجو أُمّة قتلت حسيناً ... شفاعة جدّه يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس، ثمّ رجعوا»[4].

علاقة التكوين بأهل البيت عليهم السلام

من المعروف أنّ الكائن الحي هو الموجود الذي ينمو ويتكاثر، لكن هناك معنى آخر للكائن الحي والحياة؛ إذ قد لا تتوفر في موجود صفات الكائن الحي المتقدمة لكن القدرة الإلهية تمنحه نوعاً من الشعور يؤدي بها وظائف خاصة، وهذا ما يفسر لنا عبادة الجماد لله تعالى حيث يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾[5]؛ ومن خلال هذه الآية ندرك أنّ للأرض والسماء والحجر والشجر و... حياة وتسبيحاً، لكن كل بحسبه، فتسبيح الإنسان غير تسبيح الحيوان، وتسبيح

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج٣، ص١١١.

(٢) المزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال: ج٦، ص٤٣٣.

(٣) أُنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤، ص٢١٧.

(٤) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١٢٣. الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ص ١٤٤.

(٥) الإسراء: آية ٤٤.

الشجر غير تسبيح السماء والأرض....

و مـن الواضح أنّ غاية خلقـة عالم التكوين خدمة الإنسـان، حيث فطره الله على ذلـك، وكل هذا تفضيلاً للإنسـان على سـائر الموجودات، فقد قـال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...﴾[1].

وهنـاك خدمة أُخـرى يقدّمهـا التكوين لطائفـة المؤمنين من الناس، وحسـب ما نعتقـد لا يكـون ذلـك إلّا لمن آمن بالنبـي المصطفى صلى الله عليه وآله عليهم السلام، وهـي أيضاً خدمة تتفاوت بحسـب إيمان كل شـخص، وكلّما ازداد المؤمن قرباً من الله أزداد خدمة من قبـل المخلوقـات، ففي الحديث القدسي المشـهور قال عـزّ من قائـل: «**عبدي أطعني أجعلك مثلي، أنا مهما أشأ يكن، أجعلك مهما تشأ يكن**»[2]. ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**... مَن خاف الله أخاف منه كل شيء، ومَن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء...**»[3].

وعلى هذا الأسـاس؛ فالإنسان المؤمن له كرامة وحرمة، وبها يكون عالم الإمكان في خدمتـه، وكلّـما ازداد الإنسـان قربـاً من الله أصبـح كالملك تخدمـه الكائنات، ولا نعرف إيماناً وورعاً وطاعة أكثر من إيمان وورع وطاعة الأنبياء والأوصياء سيّما أهل البيـت عليهم السلام، فهم المثل الأعـلى في ذلك، وعالم الإمكان يتـشرف بخدمتهم، بل بعض المخلوقات من غير البشر قد نصبت الأفراح والمسرّات في ولادة كل واحد من الأئمة المعصومين عليهم السلام[4].

وقـد نصبت الحزن والأسـى على استشـهاد ووفـاة كل منهم كذلـك، ولا ينبغي الريـب في ذلك أبداً، فإنها موجودات حية بمعنى ما، مستشـعرة ومدركة لعظم هذه الشـخصيات في عالم الوجود، وتعرف هذه الشـخصيات جيداً، وتتوسل بهم إلى الله خالقها، بحسب إدراكها واستشعارها الخاص لا بحسبنا!

---

(١) لقمان: آية ٢٠.

(٢) البرسي، رجب بن محمد، مشارق أنوار اليقين: ص١٠٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٧٤، ص١٦١.

(٤) اُنظر: الجويني، إبراهيم بن محمد، فرائد السمطين: ج٢، ص١٥٢.

الإمام الحسين عليه السلام والتكوين

إنّ الإمام الحسين عليه السلام بمظلوميته التي لا نظير لها ـ من الذبح، وسبي النساء، وقتل الأحبة والأصحاب ـ هو الإمام المعصوم وسيد شباب أهل الجنة، فإنّ عالم التكوين بمخلوقاته قد انشغل به وركَّز عليه تركيزاً كبيراً، قبل وبعد استشهاده، فالتربة التي أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أُمّ سلمة قد تغيَّر فيها طبعها وناموسها من تربة معهودة إلى دم عبيط يفور! وهذا وإن كان فيه إشارة إلى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، لكن طبيعة التربة قد تغيّرت من تلقاء نفسها تفاعلاً مع الإمام المعصوم، كيف لا وإنّ زوال الأرضين والسموات أهون عند الله من قطرة دم مسلم تسفك ظلماً وجوراً!

ونعني بالقبلية هنا؛ ليست القبلية الزمانية فحسب، بل هي قبلية الترتب؛ لأنّ فوران التربة بحسب التعقل الفلسفي لم يكن قبل الاستشهاد والمقتل، بل بعده، فالقبلية المقصودة هي ذلك الاستعداد لهذه التربة أن تكون دماً، فالاستعداد كان موجوداً ـ المعبر عنه بالمقتضي ـ لكن المانع كان موجوداً، وهو الوقت المناسب لتحوّل وقت المقتل والاستشهاد، فما نقصده وجود الاستعداد والاقتضاء لذلك.

أمّا انشغال عالم التكوين بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فمصاديقه كثيرة وقد تقدم ذكرها.

لكن يبقى السؤال عن السبب والعلة التي من أجلها مطرت السماء دماً؟ وهل حصل هذا مع الإمام الحسين عليه السلام فقط؟ أم كانت هناك سابقة تشابه هذا الحدث؟

يمكن تلخيص الجواب في ثلاث نقاط:

١ـ إنّ هذا الأمر التكويني هو مما أجمع عليه المسلمون، وبما أننا مؤمنون بالغيب لا بدّ من قبول هذه الواقعة من دون تردد، كقبولنا للمغيبات، من قبيل الجنة والنار، والقيامة، والجن، ومعاجز الأنبياء... فإن وردت في القران الكريم وفي نصوص

متّفق عليها وتناقلتها كتب المسلمين، فيجب علينا التصديق بها.

٢ـ يضاف إلى ما تقدم أنّ هذه الواقعة بالذات، قد حصلت كذلك مع الأُمم السابقة بقتلهم للأنبياء والعلماء، فقد روى ابن كثير نقلاً عن الطبري هذه الحادثة، برواية صحيحة ومشهورة على حد تعبيره، فقال: «... **حدثني يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس، وقتلهم، ثم أتى دمشق، فوجد بها دماً يغلي على كبا، فسألهم ما هذا الدم: فقالوا أدركنا آباءنا على هذا، وكلّما ظهر عليه الكبا ظهر. قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من المسلمين وغيرهم، فسكن. وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور...**»[1].

٣ـ كلنّا نعتقد بمعاجز الأنبياء ووقوعها تمام الاعتقاد، ونبرر هذه المعاجز والكرامات، بأنها مؤيدة لرسالاتهم وداعمة لها، وأيضاً لبيان مقامهم السامي عند الله. وحينئذ نقول:

إنّ الحسين عليه السلام باعتباره سيد شباب أهل الجنة، وهو الإمام قام أو قعد، وإنه الخليفة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الامتداد الطبيعي للنبوة، وقد قدّم نفسه وعياله في معركة لم يكن لها مثيل؛ لأجل إعلاء الحق وإحقاقه، وإماتة الباطل وإزهاقه، وإنّ كل ذلك في سبيل الله وفي عين الله، فأعطاه كرامة الأنبياء والمرسلين، وإذا كان للمؤمن حرمة أعظم من الكعبة، فما بالك بالحسين عليه السلام؟!

وكما أنّ موسى النبي عليه السلام عندما نهض ضد فرعون أعطاه الله من المعجزات ما شق به البحر وغيرها، كذلك أعطى للحسين عليه السلام كرامة؛ أَلا وهي بقاء دمه الطاهر في أعناق هؤلاء القتلة المرتدين عن دين الله، وأراد سبحانه أن يبيِّن للناس حق الحسين عليه السلام وفضله، وأنّه على صواب بأن يجعل السماء تمطر دماً، حتى تمتلئ الجرار

(١) أُنظر: ابن كثير، إسماعيل، تفسير ابن كثير: ج٣، ص٢٨.

ويسيل على البيوت، وأنها أصبحت من الاحمرار كالعلقة، وكل هذا بعد مقتله، وليس بغريب بحق سيد شباب أهل الجنة كل ذلك.

وقد يقال: إذا كانت هذه الوقائع لأجل الحسين عليه السلام، وإنّ الله يحب الحسين عليه السلام بهذا القدر، فلماذا لم تنزل معجزة لنصرته؟

لا شك في أنّ الأنبياء والكثير منهم قد قتلهم قومهم شرّ قتلة، ولم يستطيعوا تحقيق نصر أو إقامة دولة ـ كأنبياء بني إسرائيل ـ فهل الله لا يحب أنبياءه؟!

كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[1]؛ والتي تدل على أنّ حسن الأعمال وكمالها واكتمال إيمان الإنسان عن طريق الابتلاء، وكلّما ازداد إيمان المرء زاد احتمال الابتلاء في هذه الدنيا، وواضح أنّ القران الكريم قصّ علينا في مواضع ابتلاء الأنبياء بأموالهم وأنفسهم وأهليهم، وكان هذا الابتلاء تكميلاً لهم، وأنّهم يرون أنه بعين الله ولأجله. فالمؤمن هذه نظرته إلى الابتلاء وأنّه يرحِّب به ما دام في طاعة الله، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام؛ ليصل إلى أعلى المراتب، فحتى يصل الإمام عليه السلام لتلك المراتب لا بدّ أن يكون ابتلاؤه بهذه الطريقة.

فتركه ليُقتل ـ إن صحَّ التعبير ـ لأجل غاية مترتبة على النقطة السابقة، وهي: دفع توهّم مفاده: كيف حصل الإمام عليه السلام على هذه المراتب العالية والسامية، من دون ابتلاء شديد واختبار؟

فالإمام عليه السلام كانت حصته من الاختبار والابتلاء أن يفدي نفسه الطاهرة وأهله ويُذبح عطشاناً، ويُقدّم أولاده قربة لله تعالى؛ لأجل إقامة دولة الحق والعدل الإلهي، فكيف لا يعطيه الله درجة الأنبياء.

وتدل الروايات على أنّ الملائكة جاءت لنصرة سيد الشهداء، لكنه اختار طريق الله بنفسه المقدسة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**لمّا سار أبو عبد الله من المدينة لقيه أفواج من**

(١) الملك: آية ٢.

الملائكة المسـوّمة، في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلّموا عليه، وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه، إنّ الله سبحانه أمدّ جدك بنا في مواطن كثيرة، وإنّ الله أمدك بنا. فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني. فقالوا: يا حجة الله، مرنا نسمع ونُطع، فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك؟ فقال: لا سبيل لهم عليَّ ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي...»[1].

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٣٠.

دراسات دينية

التوحيد والشرك في الفكر التكفيري

التوحيد والشرك في الفكر التكفيري

د. الشيخ فلاح الدوخي*

مقدمة

يُعدّ التوحيد أساسُ كلّ الدعوات الإلهية في طول تاريخ الأنبياء، فليس ثمّة شكّ في أنّ التوحيد هو الأصل الوحيد الذي انطلق منه الرسل لجميع الديانات، والإسلام واحد من هذه الديانات التي لم تشذّ عن ذلك المبدأ، فكانت حقيقة الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله، ونفي أيّ شريك يحول دون حقيقة هذه الشهادة، ووصل مستوى الاهتمام بالتوحيد في الإسلام إلى حدّ قد جعل التلفّظ والنطق بالشهادة كافياً في ترتّب آثار الإسلام الظاهرية، ومعه يُمنَح الناطق بها حصانة في أعلى مستوياتها، فلا يجوز قتله، ويمتنع معها انتهاك عرضه، ويجب احترام جميع ماله، وتُترَك حقيقة إيمانه باطناً لمن هو مطّلِع على السرائر، فلو كان واقعاً غير مؤمن بذلك، بل كان تلفّظه لأهداف ومصالح دنيوية كفى ذلك في دخوله في الإسلام، ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام: «**الإسلام شهادةُ أن لا إله إلّا الله... به حُقِنَت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس**»[1].

وكأنّ التوحيد بهذا التلفّظ له مُعطىً يتمثّل في حقّ الحياة في جميع صورها ومجالاتها؛

---

* دكتوراه في الفقه الإسلامي المقارن، أُستاذ في جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية، من العراق.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٥.

ولهذا حينما نريد أن نفهم التوحيد لا بدّ أن نفهمه في ضمن هذا الإطار الذي يُعبَّر عنه بالمقصد العام، وحين نطلب تفسيراً للتوحيد لا بدّ أن يكون في هذا الفضاء من الفهم العام، وهذا التفسير المقاصدي يعضده كثير من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[1]، هذه الآية التي جعلت غايةَ وعلّةَ كل الأوامر الإلهية هو إحياء الناس بها، وكأنّ عدمها موتٌ حقيقةً، وأنّ فلسفة استجابة الناس للتوحيد والإقرار به إنّما هو الإحياء؛ مهما فسّرنا الحياة، سواء أكانت الحياة الدنيا أم الأُخرى، ومهما فسّرنا أثر الاستجابة في تحقّق الحياة هل هو بسبب العلم والمعرفة أم غيره؟

تعريف التوحيد والشرك

التوحيد لغةً: مصدر وَحَدَ، والوحدة: الانفراد، يقال: رأيته وحده. أي: منفرداً. والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له. ووَحَّدَهُ تَوْحِيداً: جَعَلَهُ واحِداً[2].

وتوحيد الله تعالى في جملة (لا إله إلّا هو) يقتضي نفي ماهية أيّ إله حقيقي، وإذا انتفت انتفى معها جميع أفرادها، وبهذا يفيد هذا القول التوحيد التام المحقّق[3].

والشرك لغةً: جمعه أشراك، وهو بمعنى النصيب كما في الحديث: «**مَن أعتق شركاً له في عبد**»، أي: حصّة ونصيباً[4]. والشرك والشركة: أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، يقال: شاركت فلاناً في الشيء. إذا صرت شريكَه، وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكاً لك[5].

---

(١) الأنفال: آية٢٤.

(٢) أُنظر: الجوهري، إسماعيل، الصحاح: ج٢، ص٥٤٧. وأيضاً: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٣، ص٤٥٠. وأيضاً: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج١، ص٤١٤.

(٣) الرازي، محمد بن عمر، تفسير الرازي: ج٤، ص١٩٦.

(٤) الفيومي، محمد بن علي، المصباح المنير: ج٤، ص٤٩٩.

(٥) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٢٠٦.

فالـشرك في الله بحسـب الأصـل اللُّغـوي يكون باتخـاذ النِّد معـه، فمعنى أشرك بـالله تعـالى: أنّـه قد خلط وضمّ له شـيئاً آخـر، وهذا الـشيء قد يكون صنـماً أو مِلكاً ونحو ذلك، والخلط قد يكون بلحاظ الربوبية والتدبير، وقد يكون بلحاظ الإلوهية والعبودية.

وسـوف نسـلِّط الضوء على المعنى الاصطلاحي عند العلماء للشرك لاحقاً؛ كونه يمثِّل النقطة المهمّة في تفسـير التوحيد، والمثيرة للجـدل، فيما يتعلّق بالفكر التكفيري المعاصر.

أقسام الشرك وأحكامه

يمكن تقسـيم الشرك بحسـب ما ورد في القرآن والسنّة إلى قسمين: شرك عظيم، وشرك صغير.

١ـ الـشرك العظيـم: هو إثبات شريك لله تعالى في ذاته أو أفعاله أو صفاته، وذلك أعظـم كفـر، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾[١]، ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾[٢]، ﴿مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[٣].

٢- الـشرك الصغـير: فهـو مراعـاة غـير الله معـه في بعض الأُمـور، وهـو الرياء والنفاق، المشار إليه بقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[٥].

وقـد عرّفـه البعـض: «**كـل مـا نهى عنـه الـشرع، ممّا هـو ذريعة إلى الـشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيـه، وجـاء في النصوص تسميته شركاً**»[٦].

---

(١) النساء: آية٤٨.

(٢) النساء: آية١١٦.

(٣) المائدة: آية٧٢.

(٤) الأعراف: آية١٩٠.

(٥) أُنظر: الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن: ص ٢٦٠.

(٦) المعتق، عواد، بعض أنواع الشرك الأصغر، مجلة البحوث الإسلامية: ج٢٠، ص١٥١.

أمّا حكمهما، فإنّ القسم الأوّل يُخرِج من الملّة، ولا حصانة لدم مرتكبه ولا لماله، وفي الآخرة يدخل النّار، ويُعتبَر من أكبر الكبائر الموبقة، وفي الحديث سُئل النبي صلى الله عليه وآله: «**أيّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله ندّاً**[1] **وهو خلقك**»[2]. ومن هنا؛ مَن اتخذ صنماً أو غيره معتقداً أنّه نظير لله تعالى وضدٌّ له، فقد كفر وأشرك وفَعَلَ حراماً عظيماً. وسوف نُشير لاحقاً إلى هذا القسم، وأنّه هو المنحصر في التكفير والإشراك.

أمّا حكم القسم الثاني، فهو محرَّم، ولكن لا يخرج مَن ارتكبه عن ملّة الإسلام؛ ولذا ورد التحذير منه في الكتاب والسنّة[3].

وجاء في لسان بعض الروايات تقسيم آخر للشرك، وهو: شرك الطاعة، وشرك العبادة، ففي تفسير القمي، عن أبي جعفر عليه السلام: في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[4]، قال: «**شرك طاعة، وليس شرك عبادة، والمعاصي التي يرتكبون، فهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان، فأشركوا بالله الطاعة لغيره، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله**»[5].

تقسيم آخر

يرى العلّامة الطباطبائي أنّ الشرك أربعة أقسام، فهو نظير الكفر والإيمان يتنوّع بحسب الظهور والخفاء:

١ـ الشرك ظاهر: كمن يعتقد بتعدّد الآلهة واتخاذ الأصنام والشفعاء.

٢ـ وشرك أخفى من الأوّل؛ كما عليه أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[6]، ﴿نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[7].

---

(١) النِّد: الضدّ والشبيه. أُنظر: ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب: ج٣، ص٢٦٤.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج٥، ص١٤٨.

(٣) أُنظر: المعتق، عواد، بعض أنواع الشرك الأصغر، مجلة البحوث الإسلامية: ج٢٠، ص١٥١.

(٤) يوسف: آية١٠٦.

(٥) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج١، ص٣٥٨.

(٦) التوبة: آية٣٠.

(٧) المائدة: آية١٨.

٣ـ وشرك أخفى من الأوّلين؛ كما عند مَن يعتقد استقلال الأسباب والركون لها.

٤ـ وقسم رابع من الشرك يتمثّل في الغفلة عن الله تعالى والالتفات إلى غيره، وهو شرك أخصّ من الجميع.

ومن هنا؛ يبرّر اجتماع الشرك مع التوحيد والإيمان مع أنّهما معنيان متقابلان، وذلك من جهة كونهما من المعاني التي تقبل في نفسها القوّة والضعف، فتختلف النسبة والإضافة كالقرب والبُعد، فإنّ القرب والبُعد المطلقين لا يجتمعان، إلّا أنّهما إذا كانا نسبيين لا يمتنعان الاجتماع والتصادق، كمدينة مكّة مثلاً فإنّها قريبة بالنسبة إلى المدينة بعيدة بالنسبة إلى الشام.

وهكذا الإيمان بالله والشرك به. وحقيقة الأوّل: تعلّق القلب بالله بالخضوع له، وحقيقة الثاني تعلّق القلب بغيره تعالى ممّا لا يملك شيئاً إلّا بإذنه تعالى، وهما يختلفان بحسب النسبة والإضافة؛ فإنّ من الجائز أن يتعلّق الإنسان مثلاً بالحياة الدنيا الفانية وينسى مع ذلك حقيقة الله تعالى، كما أنّه من الجائز أن ينقطع عن كل ما يصدّ النفس ويشغلها عن الله سبحانه ويتوجّه بكلّه إليه ويذكره ولا يغفل عنه، فلا يركن في ذاته وصفاته إلّا إليه، ولا يريد إلّا ما يريده، كالمخلَصين من أوليائه تعالى.

وبين المنزلتين مراتب مختلفة بالقرب من أحد الجانبين والبُعد منه، وهي التي يجتمع فيها الطرفان بنحو من الاجتماع، فقد تجد شخصاً يدّعي الإيمان بالله لكنّه يخاف وترتعد فرائصه من أيّ نائبة أو مصيبة تهدّده، وهو يذكر أن لا قوّة إلّا بالله، وفي الوقت ذاته يلتمس العزّة والجاه من غيره، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1] [2].

ويرى بعضٌ أنّ التلبّس بالشرك ـ بنحو ما ـ لا يكون نظير استقرار الشرك في النفس، فلا يمكن أن يتساويا في نفس الحكم، فإنّ إطلاق الفعل غير إطلاق الوصف

(١) يونس: آية٦٥.

(٢) اُنظر: الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١١، ص٢٧٦.

والتسمية به، فللتوصيف والتسمية حكم، ولإسناد الفعل حكم آخر[1]، فلا يُسمّى بالمشرك مثلاً وغيره من الأوصاف التي تحتمل البقاء والاستمرار إلّا مَن استقرّ فيه الوصف[2]؛ وذلك لأنّ إطلاق الفعل لا يدلّ إلّا على تلبّس ما، بخلاف الوصف؛ فإنّه يدلّ على استقرار التلبّس وصيرورة المعنى الوصفي ملكة لا تفارق الإنسان، ففرق بين قولنا: الذين أشركوا والذين صبروا والذين ظلموا. وبين قولنا: المشركين والصابرين والظالمين. فالمشركون هم الذين ثبت فيهم وصف الشرك واستقرّت فيهم هذه الصفة[3].

وقد وردت بعض الروايات تؤكّد أنّ إطلاق وصف الشرك لا يشمله الشرك الخفي، بل ثمّة أُمور هي التي تُحقّق وصف الشرك، فقد جاء في (الخصال): «**عن عباس بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: إنّ هؤلاء العوام يزعمون أنّ الشرك أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على المسح الأسود. فقال: لا يكون العبد مشركاً حتى يصلّي لغير الله، أو يذبح لغير الله، أو يدعو لغير الله عزّ وجلّ**»[4].

التوحيد والشرك في العقيدة السلفيّة

السَّلَفيّة من (سَلَف)؛ بمعنى: تقدّم ومضى، والأُمم السالفة: الماضية[5]، تُقرَأ بفتح السين واللام. ويُقال: سلفيّ؛ انتحالاً لمذهب السلف وطريقتهم[6].

والسَّلَف اصطلاحاً: هو اسمٌ لكلّ مَن يُقلِّدُ مذهبُه في الدين ويُتَّبعُ أثرُه[7]. وعليه؛

---

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٢٠٣.
(٢) المصدر السابق: ج١٢، ص١٧٢.
(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٣٩.
(٤) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص١٣٧.
(٥) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٩، ص١٥٨.
(٦) اُنظر: السمعاني، عبد الكريم، الأنساب: ج٣، ص٢٧٣.
(٧) التهانوي، محمد بن علي، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ج١، ص٩٦٨.

فالسلفيّة: هم الذين يعتقدون معتقد السَّلَف وينتهجون منهجهم، ويحتذون حذو السلف بالمعنى المتقدِّم[1].

لكن هذا التعريف لا يرفع الغموض والإبهام عن المعنى الدقيق للسلفيّة؛ بسبب الإبهام والتعدّد الذي حصل مؤخَّراً في معنى السَّلَف، الذي يُشكِّل العنصر الأساسيّ في تعريفهم.

فالسَّلَف تارةً يُراد به هنا: خصوص الكتاب والسنّة، وأُخرى: مذاهب المتقدّمين، وثالثةً: المأثور من خصوص الصحابة، ورابعةً: المأثور بما يشمل الصحابة والتابعين ومَن تابعهم[2]. ويرى بعضٌ[3] أنّ السَّلَف اصطلاحٌ قد استقرّ على خصوص الصحابة والتابعين وتابعيهم، والتحديد بهؤلاء ناشئ ممّا ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «**إنّ خيركم قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم**»[4].

وعلى أيّة حال؛ لو أُريد بالسَّلَف خصوص نصوص الكتاب والسنّة، فإنّ الجميع سيكون سلفيّاً بهذا المعنى؛ لأنّ ثمّة إجماعاً على أنّ المسلمين قاطبة مصدرهم الأساس هو ذلك، هذا أوّلاً.

وثانياً: كيف يتحقّق معنى السلفيّة بهذا المعنى مع وجود اختلاف الرؤى والتفسيرات لهذه النصوص؟! وكذلك فيما يتعلّق بالمأثور من الصحابة والتابعين، فهذا أيضاً متضارب ومتهافت في كثير منه، فأيٌّ منه يكون هو المتَّبَع؟ وكذلك الحال فيما لو كان المقصود مذاهب المتقدّمين وآراءهم الاجتهاديّة.

إذن؛ تعدُّد الرؤى للموروث الإسلاميّ يُفضي إلى الغموض في اصطلاح السلفيّة،

---

(١) اُنظر: أحمد فريد، السلفيّة قواعد وأُصول: ص٧. واُنظر: عمارة، محمد، السلفيّة: ص٨.

(٢) اُنظر: عمارة، محمد، السلفيّة،: ص٨.

(٣) أحمد فريد، السلفيّة قواعد وأُصول: ص٧. واُنظر: البوطي، محمد سعيد، السلفيّة مرحلة زمنيّة لا مذهب إسلامي: ص٩.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٣، ص١٥١. واُنظر: أحمد فريد، السلفيّة قواعد وأُصول: ص٦.

وهذا يستلزم بحثاً تاريخياً لجذور هذه الكلمة لكي تتّضح معالمها بنحو دقيق.

المبادئ العامّة للعقيدة السَّلَفية

يُعتبر أحمد بن حنبل(١٦٤-٢٤١هـ) من الذين وضعوا الخطوط والمبادئ العامّة للاتجاه السلفيّ، في مواجهة ما كان يعتقده من البدع والمحدثات التي أوجدت الغربة في الإسلام[١]. ومن جملة هذه المبادئ :

١- الإيمانُ قولٌ وعمل.

٢- كلام الله تعالى ليس بمخلوق، كما أنّه ليس شريكاً للذات الإلهيّة في القِدَم.

٣- كلّ ما وَصف الله تعالى ذاته من أوصاف فينبغي وصفه بها، فلا تعطيل ولا تأويل.

٤- رؤية أهل الجنّة لله تعالى عقيدة حقّ يجب الاعتقاد بها دونما أيّ تأويل أو تمثيل.

٥- علم الكلام علم منكر ولا يجوز استلهام العقائد منه.

٦- الاعتقاد بالقضاء والقدر ممّا يكتمل بهما الإيمان، وهما من الله تعالى.

٧- الكبائر لا تجعل المؤمن كافراً.

٨- خلافات الصحابة يجب العدول عن التعرّض لها والاقتصار على ذكر محاسنهم.

٩- أفضليّة الخلفاء الأربعة بحسب تسلسلهم في تسلّم الخلافة.

١٠- طاعة وليّ الأمر واجبة حتى لو كان فاسقاً فاجراً[٢].

هذه هي مجمل أفكار أحمد بن حنبل، والتي ظهرت بوادرها في زمن الدولة العباسيّة، ولم يكن لها حظّ من الاهتمام، إلى أن جاء المتوكّل العباسيّ(٢٣٢هـ)، فاستبدل المعتزلة بأصحاب الحديث، فانتعش آنذاك الفكر السلفيّ وساد منهجه، وأصبح علماء الحديث أبرز أعلام الحركة السلفيّة وروّادها.

---

(١) اُنظر: عمارة، محمّد، السلفيّة: ص١٣.

(٢) اُنظر: اللالكائي، هبة الله، شرح أُصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة: ص١٥٦-١٦٤. وأيضاً: ابن حنبل، أحمد، أُصول السنّة: ص١٤ وما بعدها. وأيضاً: أبو يعلى، محمد بن الحسين، الأحكام السلطانيّة: ص١٢.

واستمرّ الفكر السلفيّ بذات المبادئ العامّة، وعلى نفس النهج الذي خطّه ابن حنبل إلى القرن السابع الهجري، إلى أن ظهرت شخصيّة ابن تيميّة وابن القيّم الجوزيّة، اللذين زعما أنّ ثمّة بدعاً وخرافات تُشكّل خطراً على التوحيد خصوصاً وعلى العقيدة عموماً؛ ممّا يستلزم إعادة صياغة العقيدة السلفيّة وإلباسها ثوباً جديداً.

ويمكننا القول: إنّ أبرز سمات الفكر السلفيّ في عصر ابن تيميّة تتمثّل في التشديد على توحيد العبادة، وحصر الوسائل المفضية لها فيما هو مشروع، وفقاً لأدلّة يعتقدون بصحّتها. قال ابن تيميَّة: «**جماع الدين أصلان: ألّا نعبد إلّا الله، ولا نعبده إلّا بما شرَّع، لا نعبده بالبدع**»[1]. وعلى هذا يتفرّع: «**إنّ دعاء الله تعالى من جملة العبادات، ومَن دعا المخلوقين من الموتى أيّاً كانوا واستغاث بهم؛ كان مبتدعاً في الدين ومشركاً، ومَن سأل الله تعالى بالمخلوقين، أو أقسم عليه بالمخلوقين؛ كان مبتدعاً بدعة ما أنزل الله بها من سلطان**»[2].

وحاصل هذا الاعتقاد:

١- منع التقرّب إلى الله تعالى بالصالحين والأولياء.

٢- منع الاستغاثة والتوسُّل بالموتى وغيرهم.

٣- منع زيارة قبور الصالحين والأنبياء للتبرُّك والتقديس[3].

وقد نتج عن ذلك توسُّعٌ في التكفير، ومن ثمَّ جواز قتل المخالف المقدور عليه؛ يقول ابن تيميّة: «**فأمّا قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج، كالحروريّة والرافضة ونحوهم، فهذا فيه قولان للفقهاء؛ هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح: أنّه يجوز قتل الواحد منهم، كالداعية إلى مذهبه، ونحو ذلك ممّن فيه فساد**»[4].

---

(١) ابن تيميّة، أحمد، مجموع الفتاوى: ج١٠، ص٢٣٤.

(٢) أُنظر: ابن تيميّة، أحمد، قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة: ص٢٥٦.

(٣) أُنظر: أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلاميّة: ص٢٠٥.

(٤) ابن تيميّة، أحمد، مجموع الفتاوى: ج٢٨، ص٤٩٩.

وفي الحقيقـة؛ لم يكـن هناك من جديد في تجديد ابـن تيميّة غير التركيز على الدعوة إلى أفـكار ورؤى أحمـد بـن حنبل، بعد مـرور أكثر مـن ثلاثة قرون عليها، وتشـديد الخناق على مناخ السجالات بأدوات الفلسفة والمنطق، التي اعتقدوا أنّها قد زعزعت الأفـكار الأصيلة للإسـلام، ومنحت وثوقاً كبيراً في أحـكام العقل؛ فأفضى ذلك إلى تأثُّر وتحمُّس الكثير له، وفيهم من العلماء أيضاً.

الفكر الوهابيّ والتكفير

الوهابية عقيدةٌ استلهمت جُلَّ أفكارها من التيار السلفي الحنبلي، واختزلت عقيدة أهل السـنّة والجماعة في فكرها، بيد أنّها تطرَّفت كثيراً في فهم هذه العقيدة؛ ممّا أوقعها في التطـرّف والتكفـير، فهي وصـفٌ ينتمي إلى شـخص ظهر في الجزيـرة العربيّة من مدينة نجد يُدعى محمّد بن عبد الوهاب(ت١٢٠٦هـ)، حنبلي المذهب، اعتقد أتباعه أنّـه حمل لواء التجديـد في الفكر الدينيّ، بذريعة أنّ غربة الإسـلام قد بلغت ذروتها؛ من خلال مُمارسـة طقوس يزعمون أنّها وثنيّة، وأنّ ثمّة حاجة كانت وضرورة لإزالة هذا الاغتراب، والعودة بالإسـلام إلى سـابق عهده، في إطار ما يؤمنون به من الآراء الحنبليّة، وآراء ابن تيميّة ومعتقداته التي قاربت من الاندثار والاضمحلال[1].

ولم تكـن الحركـة الوهابيّـة مقتـصرة على مسـتوى التنظـير الديني، بـل اختلطت الممارسـات العمليّة مـع الجانب النظريّ للعقيدة، وأصبحت جـزءاً منها، حيث نجد أنّ محمّـد بـن عبـد الوهاب أوّل ما عمد إلى قبّـة زيد بن الخطّاب فهدمهـا؛ مدّعياً أنّها وُضِعَـت على الباطل، وأنّها منطلقٌ للضلال والزيغ عن الهدى[2]، بل تعدّى ذلك إلى التفكـير في هدم قبـور الأنبياء وسـائر الأئمّة عليهم السلام، انطلاقاً من تفسـيرهم للأحاديث

(١) اُنظر: أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلاميّة: ص١٩٠، ص٢١١. وأيضاً: ظاهر، محمد كامل، الدعوة الوهابيّة وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث: ص٨ـ١٩. وأيضاً: رشيد رضا، محمد، الوهابيّون والحجاز: ص٦، ص٤٧.

(٢) اُنظر: رشيد رضا، محمد، الوهابيّون والحجاز: ج١، ص٣٨ـ٤٢.

التي تنهى عن اتخاذ القبور مساجد، مضافاً إلى تحريمهم الاستغاثة بأصحابها، حتى لو كان نبيّاً، مثل نبيّنا محمدﷺ، الذي ثبت بالصحيح أنّه حيٌّ يسمع السلام ويردّه[1]. حتى صار ذلك الفعل شعاراً يُنادي به أتباعه.

كما نُلاحظ رؤيته في كون فريضة الجهاد ضرورة ومُلزمة ضدّ المسلمين الذين يزعم أنّهم لا يوحِّدون الله، وكأنّ الإسلام قد اندثر وعاد الناس إلى الجاهليّة الأُولى، وأنّ محمّد بن عبد الوهاب قد بعثه الله تعالى لإنقاذهم من الكفر والضلال.

يقول ابن بشر في كتابه عنوان المجد: «**ولما مَنَّ الله سبحانه بظهور هذه الدعوة، وهذا الدين، واجتماع شمل المسلمين، وإشراق شمس التوحيد على أيدي الموحِّدين، أمر الشيخ بالجهاد لمن أنكر التوحيد من أهل الإلحاد**»[2].

وهكذا فقد اصطبغت دعوة ابن عبد الوهاب بالدماء، وما انفكّ يحصد رؤوس المسلمين بذريعة الشرك والإلحاد، وبرز للواجهة مصطلح الغزوات والوقائع وتقسيم الغنائم والبيعة، وقد وقع الكثير من الضحايا الأبرياء نتيجة تلك الغزوات الهمجيّة والدمويّة، والتي وقعت تحت ستار مخالفة الدين، الذي أضحى مُبرّراً لقتل كلّ المُخالفين والرافضين له ووصمهم بالمشركين، فهتك أعراضهم، ونهب أموالهم، وسبى نسائهم، تحت عنوان الغنائم[3]. وهو الذي يؤصِّل أنّ كلّ: «**مَن غلا في نبيٍّ أو رجل صالح أو غير صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهيّة، مثل أن يقول: يا سيّدي فلان، أغثني وأجرني وانصرني، أو اقض دَيني، أو أنا فقير إليك، أو أنا في حسبك، أو متوكِّل عليك، أو يذبح له، أو ينذر له، أو يرجوه أو يخافه، فهذا كلّه شرك وضلال وجنون وخبال، يُستتاب صاحبه وتُقام عليه الحجّة؛ فإن تاب وإلّا ضُربت عنقه... وكلّ مَن**

(١) اُنظر: ابن بشر، عثمان بن عبد الله، تاريخ نجد: ص٣٦، وأيضاً: الألباني، محمد ناصر، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: ص٩ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ص٤٨.

(٣) اُنظر: غنّام، حسين، تاريخ نجد: ص٩٥ـ١٠٩.

قصد قبراً أو حجراً أو شجرة، حيّاً أو ميّتاً، وعظّمه ودعاه، واستغاث به، وتبرّك به، وعكف عليه؛ فقد اتّخذه إلهاً مع الله»[1].

خلل التيار التكفيري في فهم حقيقة الشرك والتوحيد

المتتبِّع للفكر الوهابي لا يشكّ في أنّ ثمّة انسياقاً وتقليداً أعمى لمنظومة أفكار ابن تيمية مع ما تضمّنت من أخطاء واضحة، وفي مجال عقيدة التوحيد نجد أنّ محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه قد انطلقوا في فهم التوحيد والشرك في إطار ما كان يؤمن به ابن تيمية أيضاً، فهو يعتقد أن التوحيد الذي بُعث به النبي نوعان: توحيد قولي، وتوحيد عملي؛ إذ يقول: «**التوحيد الذي بَعَثَ الله به رسوله قولاً وعملاً: التوحيد القولي؛ مثل سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالتَّوْحِيدُ الْعَمَلِيُّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾**»[2].

فلا يعتقد ابن تيمية أنّ التوحيد يتحقّق بمجرّد النطق بالشهادة وقول: (لا إله إلّا الله)، بل هناك بُعدٌ عملي لا بدّ من توفّره، يتمثّل في الجانب العبادي، والذي اصطلح عليه بتوحيد الإلوهية، مقابل الإقرار بأنّ الله واحد وخالق ومدبّر، والذي اصطلح عليه بتوحيد الربوبية، ورأى انطلاقاً من فهمه لبعض آيات القرآن أنّ التوحيد الذي يكون المعيار بين الشرك والكفر هو التوحيد في الجانب العبادي (توحيد الإلوهية)؛ ضرورة أنّ الكفّار في زمن النبي ﷺ كانوا يقرّون بتوحيد الربوبية لكن لم ينفعهم ذلك.

وسار على هذا المبدأ أتباع ابن تيمية، خصوصاً محمد بن عبد الوهاب الذي قَعَّد وأصَّل لهذا المبدأ في كثير من كتبه؛ كما يُنقل عنه قوله: «**التوحيد لا بدّ أن يكون بالقلب واللّسان والعمل، فإن اختلّ شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً**». ولا يخفى ما في هذا الكلام من تقعيد لتكفير سائر المسلمين ممّن لا يعرف الحقائق والإلزامات التي ذكرها

(١) المصدر السابق: ص٤٧ ـ ٥٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى: ج١، ص٣٧٦.

ابن عبد الوهاب، وبهذا يستطيع أتباعه أن يختبروا الناس في عقائدهم عند كلّ بلدة يدخلونها أو يكاتبونها، فإن وجدوا عندهم تحفّظاً أو أخطاءً استحلّوا قتالهم؛ لأنّهم غير مسلمين[1]. ولك أن تُراجع كتاب (الدّرر السنيّة) لتجد أنّه قد كفّر الكثير من المسلمين[2].

نظرة في تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية والإلوهية

فيما يتعلّق بهذا الأمر، فإنّ هناك اتجاهين في قبول تقسيم التوحيد إلى ربوبية وأُلوهية، فالأوّل يرى أنّ هذا التقسيم من ابتداع ابن تيمية، وأنّه ليس ثمّة ما يشار له في القرآن ولا في السنّة ولا في كلام السلف قبل ابن تيمية، بل القرآن يُكذِّب هذا التقسيم وهذا الوصف[3].

وفي مقابل هذا، فقد اشتُهر في العقيدة السَّلَفية تبعاً لابن تيمية تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد أُلوهية، وأنّ الاعتقاد لا بدّ أن يتضمّنهما معاً. ويقصدون بالأوّل: «**توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك، وتوحيد الإلوهية: هو إفراد الله بالعبادة من صلاة وصوم وحج وزكاة ونذر وذبح ونحو ذلك**»[4].

يقول ابن تيمية في الاستقامة: «**التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو: أن يُعبَد الله وحده لا شريك له، فهو توحيد الإلوهية، وهو مستلزم لتوحيد الربوبية، وهو أن يعبد الحق ربّ كل شيء، فأمّا مجرّد توحيد الربوبية وهو: شهود ربوبية الحقّ لكلّ شيء، فهذا التوحيد كان في المشركين، كما قال تعالى:** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾»[5].

---

(١) أُنظر: المالكي، حسن فرحان، محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبياً: ص٧٧.

(٢) أُنظر: المصدر السابق: ص٨١ وما بعدها. وقد فصَّل المؤلّف في مذهب التكفير عند ابن عبد الوهاب، وذكر نماذج كثيرة صريحة وواضحة في تكفيره المسلمين، وقد اعتمد على كتاب الدرر السنيّة.

(٣) أُنظر: السقاف، حسن بن علي، صحيح العقيدة الطحاوية: ص١٠٥ـ ١٠٦.

(٤) أُنظر: فتاوى اللجنة الدائمة: ج٢٦، فتوى رقم ٩٧٧٢.

(٥) ابن تيمية، أحمد، الاستقامة: ج٢، ص٣١.

ويقول في منهاج السنّة في سياق مناقشته للفلاسفة: «**خرجوا عن بعض الحق المشترك بينهم وبين غيرهم، ودخلوا في بعض الباطل المبتدع، وأخرجوا من التوحيد ما هو منه، كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله وصفاته، ولم يعرفوا من التوحيد إلّا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنّ الله خالق كلّ شيء وربّه، وهذا التوحيد كان يُقرّ به المشركون الذين قال الله عنهم:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾»[1].

وقد تبعه في ذلك ابن عبد الوهاب أيضاً؛ إذ قال: «**الكفّار الذين قاتلهم رسول الله(صلّى الله عليه وسلّم)، وقتلهم، وأباح أموالهم، واستحلّ نساءهم؛ كانوا مقرّين لله سبحانه بتوحيد الربوبيّة... ولكنّ الأمر الثاني هو الذي كفّرهم وأحلّ دماءهم وأموالهم، وهو: أنّهم لم يشهدوا لله بتوحيد الإلوهية**»[2].

إنّ جذور تقسيم التوحيد إلى ربوبية وأُلوهية، وأنّ الكفّار في زمن الدعوة كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية، تعود للمفسِّر المعروف ابن جرير الطبري، يقول: «**الله جلَّ ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها العرب أنّها كانت تُقرّ بوحدانيّته، غير أنّها كانت تُشرك في عبادته ما كانت تُشرك فيها، فقال جلّ ثناؤه:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، **وقال:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾»[3].

والإنصاف أنّ أصل التقسيم لا ضير فيه، بعدما شهد له القرآن الكريم، فلا مانع من القول به؛ اعتماداً على الاستقراء القرآني، وإن كان التوحيد لا ينحصر بما ذُكِرَ من قسمين فقط، وقد صرَّح بذلك الشنقيطي في تفسير البيان، قال: «**وقد دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأوّل: توحيده في ربوبيته... الثاني: توحيده في العبادة...**»[4].

---

(١) ابن تيمية، أحمد، منهاج السنّة: ج٣، ص١٧١.

(٢) ابن عبد الوهاب، محمد، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان: ص٣٦٥ـ٣٦٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج١، ص ٢٣٨.

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان: ج٣، ص١٧.

هل كان الكفّار يعتقدون بتوحيد الربوبيّة أم لا؟

هـل صحيح أنّ الكفّار كانوا يعترفون بتوحيد الربوبية وأنّ المرفوض عندهم كان خصـوص توحيـد الإلوهية؟ لأجل الجواب عن هذا السـؤال ينبغي التوقّف في هذه المسألة، ودراسة أُسسها ومنطلقاتها.

معنى توحيد الربوبيّة

للربّ في اللّغة مجموعة من المعاني، منها: المالِك، والسـيّد المُطاع؛ والمُصْلِح ونحو ذلـك[1]. ولا يُطلَق هذا الاسـم إلّا عـلى الله، وفي غيره لا بدّ من تقييـده، فيقال: ربّ الدار، وربّ الضيعة[2].

وفي اصطـلاح الفكـر السـلفي: إنّه إفـراد الله تعـالى بأفعاله، من الخلـق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، وسـائر أنـواع التصريف والتدبير، وإفراده تعالى بالحكم والتشريع بإرسال الرسل وإنزال الكتب[3].

وفي هـذا التعريـف إشـكال حاصـل من إدخـال (الخلـق) ونحـوه في التعريف، وعـدم الاقتصـار على التدبـير؛ فإنّ التوحيـد في الربوبيـة يعني: انحصـار التدبير في الله سـبحانه[4]، أمّا الخلق والإيجاد فهو متعلّق بمعنى آخر للتوحيد، وسـوف يتّضح تفصيل ذلك بنحو أكثر لاحقاً.

خطأ ابن تيمية في تقرير توحيد الربوبيّة

يعتقـد الفكر الوهـابي أنّ توحيد الربوبيّة لا يلازم توحيـد الإلوهية ولا ينعكس، كـما هو الحال في كفّـار قريش، فقد كانوا يؤمنون بتوحيـد الربوبية؛ وذلك عن طريق

(١) أُنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج١، ص٤٠٠.
(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج١، ص٥٥.
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ج١، ص٢٠.
(٤) أُنظر: السبحاني، جعفر، الإلهيات: ص٤٠٣.

الفطرة، لكنّهم لم يكونوا يوحِّدون الله في الإلوهية والعبادة، فالتوحيد في الإلوهية هو مورد الخلاف عندهم.

كما يعتقد أنّ الأنبياء لم تكن بعثتهم من أجل توحيد الربوبية، ولا من أجل الإيمان بالله تعالى، بل كان همّهم الوحيد هو إبلاغ توحيد الإلوهية.

يقول ابن تيمية: «**وقول صاحب الشرع: أُمرتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلّا الله. لم يقل: حتى يقولوا: إنّ ربّهم ربّاً؛ إذ هم عارفون بذلك، وإنّما أمَرتْهم الرسل أن يصلوا معرفة التوحيد بمعرفة الربوبية والوحدانية. فأبوا**»[1].

وقال: «**والمشركون كانوا يُقرّون بهذه الشهادة** [أن لا ربّ إلّا هو]، **لم يشهدوا أن لا إله إلّا الله، والرسل (عليهم الصلاة والسلام) بُعِثوا بتوحيد الإلوهية المتضمّن توحيد الربوبية، وأمّا توحيد الربوبية مجرّداً فقد كان المشركون يُقرّون بأنّ الله وحده خالق السموات والأرض كما أخبر الله بذلك عنهم في غير موضع من القرآن**»[2].

من الأدلّة القرآنية التي ساقها أصحاب هذا النهج في إثبات أنّ توحيد الربوبية لا يلازم توحيد الإلوهية، قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[4]، وغيرها من الآيات.

ولا شكّ في أنّ ظاهر هذه الآيات هو إقرار المشركين بأنّ الله تعالى هو الخالق، وكأنّه أمرٌ قد جُبِلَت عليه فطرتهم. لكن الإشكال إنّما يكون في معنى الربوبية، فهل تعني الخالقية أم تعني التدبير أم ما يعمّهما؟

يرى بعضٌ أنّ إقرارهم إنّما كان في خصوص الخالقية، وعلى هذا لا يصحّ القول: إنّ الكفّار كانوا يُقرّون بتوحيد الربوبيّة، بل كان إقرارهم على مستوى الاعتقاد بأنّ

(١) ابن تيمية، أحمد، درء تعارض العقل والنقل: ج٤، ص٣٥٢.
(٢) ابن تيمية، أحمد، منهاج السنّة: ج٥، ص٢٣٣.
(٣) لقمان: آية٢٥.
(٤) الزخرف: آية٨٧.

الله تعالى هو خالق الكون حصراً. يقول صاحب تفسير الميزان في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: «**شروع في إقامة الحجّة، وقد قدّم لها مقدّمة تبتني الحجة عليها، وهي مسلّمة عند الخصم، وهي أنّ خالق العالم هو الله سبحانه؛ فإنّ الخصم لا نزاع له في أنّ الخالق هو الله وحده لا شريك له، وإنّما يدّعي لشركائه التدبير دون الخلق**»[1].

فمسألة توحيده في الخلق هي حقيقة قد اعترف بها المشركون، ولكنّهم ابتُلوا بالانحراف فيما يتعلّق بمسألة توحيده في الربوبيّة، ففي بعض الأحيان اعتبروا الأصنام هي التي تحفظهم وتحميهم وتدبّر أمرهم، وكانوا يلجؤون إليها عندما يواجهون أيّ مشكلة[2].

بينما يذهب الكثير من أتباع المدرسة السَّلَفية كما أشرنا إلى الشمول، وأنّ الكفّار كانوا يُقرّون في الخالقية والتدبير معاً.

ومن هنا؛ فمَن رأى أنّ توحيد الربوبية كان ممّا يُقرّ به المشركون إنّما جاء هذا نتيجة الخلط الذي وقع فيه بين توحيد الربوبية وتوحيد الخالقية.

وقد أشار بعض علماء الشيعة المعاصرين كالسبحاني إلى هذه المسألة، وصرَّح أنّ الوهابية قد وقعوا في إشكال، ورتّبوا على ذلك نتائج مغلوطة؛ وذلك حينما خلطوا بين التوحيد في الربوبية والتوحيد في الخالقية، في حين أنّ المشركين أنفسهم يعتقدون بكون النجوم والأصنام ونحو ذلك رباً لا خالقاً.

يقول السبحاني: «**والحقّ أنّ اتّفاق جميع مشركي عهد الرسالة في مسألة التوحيد الخالقي ليس موضع شك، ولكن تسمية التوحيد الخالقي بالتوحيد الربوبي خطأ واشتباه؛ وذلك لأنّ معنى الربوبية ليس هو الخالقية كما توهّم هذا الفريق، بل هو ـ كما أوضحنا وبيّنا سلفاً ـ ما يفيد التدبير وإدارة العالم، وتصريف شؤونه، ولم يكن هذا**

(١) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ج١٧، ص٢٦٦.

(٢) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٥، ص١٣٧.

ـ كما بيّنا ـ موضع اتفاق بين جميع المشركين والوثنيين في عهد الرسالة كما ادّعى هذا الفريق»[1]. وقال أيضاً: «**يستفاد بجلاء من مطالعة عقائد الوثنية في كتب الملل والنحل أنّ مسألة التوحيد في الخالقية كانت موضع اتفاق، وأنّ الانحراف كان في مسألة التدبير أوّلاً، والعبادة ثانياً. فكان الوثنيون موحِّدين في أمر الخلقة، مشركين في الربوبية، ثمّ في العبادة. وكان الشرك في العبادة عاماً، بخلاف الشرك في التدبير، فلم يكن مثله في السعة والشمول...**»[2].

وقد حاول أن يُثبت بكثير من الآيات القرآنية خطأ استعمال التوحيد الربوبي بدل التوحيد الخالقي، وأنّ الأصل في كلمة الربّ هو التدبير لا الخالقية.

وعليه؛ يتّضح بأنّ الكفّار لم يكونوا موحِّدين للربوبية في جميع أفعال الله تعالى، بل غاية ما يمكن إثباته هو التوحيد في بعض أفعاله، كالخلق والرزق والتدبير العام.

كما أنّ الدليل قائم على أنّ توحيد الربوبية لمن يعتقد به يكفي في نجاة الإنسان؛ وهذا يكشف تلازماً بينه وبين توحيد الإلوهية والعبودية، لا كما يقول أتباع الفكر التكفيري من عدم التلازم، وهناك شواهد على هذا أيضاً، ويكفي ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[3]، فالحزن والخوف ينتفي بالاعتقاد بربوبية الله جلّ وعلا، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[4]، فيكفي الإقرار بالربوبية في ترتّب النجاة والفوز بالجنّة وعدم الخوف والحزن، وهي تلازم توحيد العبودية.

---

(١) السبحاني، جعفر، التوحيد والشرك: ص٦٢.

(٢) السبحاني، جعفر، الإلهيات: ص٦٥.

(٣) الأحقاف: آية١٣.

(٤) فصّلت: آية٣٠.

توحيد الربوبيّة أعمّ من الخلق والتدبير

ولكـن ثمّة غفلة عن بعـض الآيات القرآنية التي ألحقت التدبير أيضاً بالخالقية في إقـرار المشركين، كـما في الآية التي اسـتدلّ بها محمد بن عبد الوهـاب، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾[1]. فالقـرآن يؤكّـد أنّ المشركـين كانـوا يُقـرّون بأنّ الله تعالى هو رازقهم، وهو المالك لسـمعهم وأبصارهم وهو الذي يمنحهم الحياة وهو أيضاً يدبّر أُمورهم.

فالربوبيـة تعـمّ الخالقيـة والتدبـير، وهو ما يشـهد له خـبراء اللغـة في أنّ الأصل اللُّغوي لكلمة الربّ تعمّ: المالك والخالق والمدبِّر (المصلح). يقول ابن فارس: «**الراء والبـاء يدلُّ على أُصولٍ. فالأوّل إصـلاح الشيءِ، والقيامُ عليه. فالرّبُّ: المالكُ، والخالقُ، والصَّاحب. والرّبُّ: المُصْلِح للشّيء**»[2].

ويفسّر صاحب الميزان التدبير في الآية السابقة: «**هو الإتيان بالشيء عقيب الشيء؛ ويراد به ترتيب الأشياء المتعدّدة المختلفة ونظمها بوضع كل شيء في موضعه الخاص به، بحيـث يلحـق بكل منها ما يقصد به من الغرض والفائدة، فتدبير أمر العالم: نظم أجزائه نظـماً جيـداً متقناً، بحيث يتوجّه به كل شيء إلى غايتـه المقصودة منه، وهي آخر ما يمكنه مـن الكـمال الخاص به، ومنتهى ما ينسـاق إليه مـن الأجل المسـمّى**»[3]. فهذا المعنى من التدبير كان ممّا يُقرّ به أهل الشرك كما هو مفاد الآية.

نعم، قد يقال: إنّ هذا التدبير هنا هو التدبير العام مقابل التدبير الخاص التفصيلي في كلّ شأن من شؤون حياة الإنسان، كما أشار لهذا الطباطبائي، يقول: «**هذا اعتراف بأنّـه هو الذي ينتهي إليه جميع هذه التدبيرات في الإنسـان وغـيره؛ لأنّ الوثنيين يعتقدون**

(١) يونس: آية٣١.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٣٨٢.

(٣) الطباطبائي، محمد حسن، تفسير الميزان: ج١١، ص٢٩٠.

ذلك؛ فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يوبّخهم أوّلاً على ترك تقوى الله بعبادة غيره»[1]. أي: إنّ الكفّار كانوا يعتقدون أنّ منتهى التدبير هو الله تعالى، مع أنّهم يعتقدون أنّ الله تعالى قد فوّض تدبير الإنسان للأصنام أو للملائكة. وحمل التدبير على التدبير العام صحيح، لضرورة أنّ الكثير من الآيات كما سوف يأتي تؤكّد شركهم في التدبير الخاص لكل مفاصل الحياة وجزئياتها.

ونحن في هذا المقال سوف نغض الطرف عمّا قيل: إنّه يتنافى مع التوحيد الربوبي؛ من قبيل أنّ بعض الطوائف الإسلامية يعتقدون بنحو من التدبير والتصرّف لبعض الأئمة والأولياء ونحو ذلك، فهذا على تقدير صحّة ثبوته عندهم يجمعه جواب واحد حاصله: أنّ التدبير وكذلك الخلق وغيره من أفعال الله تعالى، إنما ينبغي الإقرار بفردانيتها أصالة لا تبعاً، بمعنى أنّه لا ضير في أنّ نعترف أن الله تعالى هو المدبّر لهذا الكون، لكنّه في الوقت ذاته يمكن له أن يتيح ويبيح ويرخّص في ذلك لبعض خلقه كالملائكة مثلاً، أو لبعض البشر المنتجبين كالأنبياء والأئمة، فهذا لا يتنافى مع التوحيد.

توحيد الإلوهية

وعلى أيّة حال، سواء كان المشركون يقرّون بتوحيد الخالقية بالخصوص أم بما يشمل التدبير، فإنّ الركيزة التي ينطلق منها الفكر التكفيري هي أنّ حقيقة التوحيد تتمثّل في توحيد الإلوهية الذي يعني التوحيد في العبادة، فهو المعيار في تمييز المسلم عن المشرك، وعندئذ كل ما يُعتبر عبادة لغير الله تعالى فهو شرك وكفر، فينبغي على المسلم أن يترك جملة من الأُمور التي زُعم أنّها عبادة لغير الله، كالتوسل وزيارة القبور والنذر والحلف بغير الله تعالى ونحو ذلك.

فينبغي التدقيق في هذا النحو من التوحيد، ومعرفة معناه، والبحث عمّا قيل: إنّه يقع في دائرة عبادة غير الله تعالى.

---

(١) المصدر السابق: ج١٠، ص٥٣.

معنى توحيد الإلوهية

أشرنا سابقاً إلى تعريف توحيد الإلوهية بشكل مختصر، وقلنا: هو إفراد الله بالعبادة.

والإلوهية: هي العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾، وبناءً على صحّة قراءة ابن عباس فقد ورد أنّه قرأ: **(ويذرك وإلهتك)** بكسر الهمزة، أي: وعبادتك. والإله: بمعنى المألوه؛ أي: المعبود.

وتوحيد الإلوهية: هو الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى هو المستحقّ للعبادة وحده، مع التزام ذلك والعمل به، وعُرّف أيضاً بأنّه: إفراد الله بجميع أنواع العبادة[1].

وتوحيد الإلوهية متضمّن لتوحيد الربوبية؛ بمعنى أنّ توحيد الربوبيّة داخل ضمن توحيد الإلوهية، فمَن عَبَدَ الله وحده ولم يُشرك به شيئاً فلا بدّ أن يكون قد اعتقد أنّه ربّه ومليكه لا ربّ له غيره، ولا مالك له سواه[2].

إنّ مضمون التوحيد المقصود لم يكن مورد شك عند جميع المسلمين، فجميعهم يعتقدون أنّ الله ينبغي إفراده بالعبادة، وأنّ كلّ عبادة لغيره هي شرك عظيم ومعصية كبيرة. لكن المهم هو البحث في طبيعة العبادة وحدودها، ليتسنّى معرفة بعض التطبيقات الخارجية التي زعم الفكر الوهابي أنّها عبادة لغير الله؛ المستلزم ذلك لتصنيف طائفة من المسلمين في مجموعة الكفّار والمشركين.

معنى العبادة لغةً وشرعاً

يقول ابن منظور: «**العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبَّد إذا كان مذلّلاً بكثرة الوطء... وكل مَن دان لملك فهو عابد له، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾؛ أي: دائنون**»[3].

---

(١) أُنظر: المعتق، عواد، توحيد الإلوهية، مجلة البحوث الإسلامية: ج٧٦، ص٩٤.

(٢) المصدر السابق: ج٧٦، ص١٠٥.

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج٣، ص٢٧٣.

فالمعنى اللُّغوي للعبادة إذن : هو الخضوع والتذلّل، لكن هذا المعنى لا يمكن أن يكون هو المعنى الشرعي لها، فليس كل تعظيم وخضوع وتذلّل يكون عبادة شرعاً؛ ضرورة أنّ هناك ما لا يُطلَق عليه عبادة مع تحقّق الخضوع والتذلّل فيه، فالإنسان الذي يهجم عليه عدو ويخضع له ويتذلّل لا يقال له: قد عبده. كما أنّ تذلّل الشخص في حضرة الملك وخضوعه له سواء كان بإرادته أم مكرهاً على ذلك لا يُعدّ عبادة عرفاً، كما لم يكن تعظيم الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وتذلّلهم له وخشوعهم من العبادة في شيء، وهكذا تعظيم العلماء والتذلّل لهم ونحو ذلك، فالعبادة في الشرع تُفارق العبادة في اللّغة، كما هو الحال في مثل الصلاة، فهي في اللّغة عبارة عن: الدعاء، بينما في الشرع عبارة عن: مجموعة من الأفعال والأقوال المخصوصة.

من خلال الاستقصاء والاستقراء التاريخي للمفردة، يمكن القول: إنّ الخضوع الذي كان يمارسه المشركون تجاه الأصنام ونحوها، والذي وُصف بأنّه عبادة لها، لم يكن خضوعاً وتذلّلاً مجرّداً، بل ناجماً عن عقيدة خاصة في الآلهة والأرباب، والاعتقاد بأنّ لهم حظّاً من الربوبية والتدبير.

وهذا المعنى هو الصحيح والقريب من المعنى اللُّغوي، فإنّ الشخص في المرتبة الأُولى لا بدّ أن يعتقد أنّ ثمّة صفات ذاتية تستوجب عبادة شيء، ثمّ في المرتبة اللاحقة يتّجه لتحقيق تلك العبادة فعلاً وخارجاً؛ أي: إنّه لا بدّ من اعتقاده بأُلوهية شيء حتى يخضع له ويتذلّل ويكون ذلك عبادة. وهذا يعني أنّ العبادة لا تكون إلّا في شيء يُعتقد أنّه يستحق العبادة.

وعندئذ تكون العبودية والإلوهية قد أُخِذَت قيداً بمرتبة سابقة في معنى العبادة؛ أي: إنّ العبادة هي الخضوع والتذلّل والتعظيم والطاعة لشيء يُعتَقد أنّه يستحقّ العبادة والإلوهية؛ أي: فيه خصوصية الربوبية. فمعنى العبادة شرعاً كما عرّفها بعض العلماء هو الإتيان بأقصى الخضوع قلباً وقالباً، **فالقلبية**: اعتقاد الربوبية أو خصيصة من خصائصها كالاستقلال بالنفع أو الضرّ ونفوذ المشيئة لا محالة لمن اعتقد فيه ذلك.

والقالبيـة: هـي الإتيان بأنواع الخضـوع الظاهري من قيام وركوع وسـجود وغيرها مـع ذلك الاعتقـاد القلبي، فإن أتى بواحد منها من دون ذلـك الاعتقاد لم يكن ذلك الخضوع عبادة شرعاً ولو كان سجوداً.

وبهذا التعريف يتّضح أنّ الاعتقاد هو الأساس في صيرورة الفعل المُتعبَّد به عبادياً؛ ولهذا فمن يحكم بكفر السـاجد للصنم؛ إنّما لكونه أمارة وعلامة على ذلك الاعتقاد، لا لأنّـه كفـرٌ من حيث ذاته؛ إذ لو كان لذاته كفراً لما كان جائزاً ومباحاً في شريعة قط، وسـيكون من موارد الفحشـاء، والله تعالى لا يأمر بالفحشاء، بينما كان السجود لغير الله عـزّ وجلّ على وجـه التحية والتكريم مشروعاً في الشرائع السـابقة، وإنّما حُرِّم في هذه الشريعة، فمن فعله لأحد تحية وإعظاماً من غير أن يعتقد فيه ربوبية وإن كان آثماً بذلك السجود، لكنه لا يكون به كافراً، إلّا إذا قارنه اعتقاد الربوبية للمسجود له.

ويشـهد لهـذا مـا أورده القرآن في قصّـة نبيّ الله يعقـوب عليه السلام وامرأتـه وبنيه حين دخلـوا على يوسـف، يقول تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾، ويفسِّر ابن كثير هذه الآية: «**أي: سـجد له أبـواه وإخوته الباقـون، وكانوا أحد عشر رجلاً... وقد كان هذا سـائغاً في شرائعهـم إذا سـلَّموا عـلى الكبير يسـجدون لـه، ولم يزل هـذا جائزًا من لـدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحُرِّم هذا في هذه الملّة، وجُعِل السجود مختصاً بجناب الربّ سبحانه وتعالى**»[1]؛ ويشـهد على صحّة ذلك أيضاً ما ورد في القرآن من أمر الله تعالى لملائكته بالسجود لآدم؛ إكراماً لآدم عليه السلام.

وبما مرّ يتّضح أنّه ليس كل تعظيم لشيء عبادة له شرعاً، حتى يكون شركاً[2].

وفي المحصّلة؛ فإنّ حقيقة العبادة تقوم بأمرين:

الأوّل: يرجع إلى جوارح الإنسان المشعرة بالتعظيم والخضوع.

---

(١) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٥٠٩.

(٢) أُنظر: القضاعي، سلامة، البراهين الساطعة في ردّ بعض البدع الشائعة: ص٣٧٦ـ ٣٨٠.

الثاني: يرجع إلى عقيدة الخاضع في حقّ المخضوع له بنحو من الأنحاء، من كونه خالقاً أو ربّاً أو مَن بيده مصير الإنسان كلاً أو جزءاً.

فلا يتحقّق مفهوم العبادة إلّا بتحقّقهما معاً[1]. فلا يكون من العبادة فعلُ السجود والركوع والوقوف والقنوت والطواف والسعي، وكذلك إطلاق المجامر وإيقاد الشموع ونحوها، إلّا إذا صُرِفَ لمن يُعتقَد فيه الإلوهية والربوبية[2].

فعندئذ يكون ما ذُكِرَ من تعاريف يظهر منها العموم، لا بدّ أن يكون المقصود منها مقيَّداً بهذا القيد. ومن هذه التعريفات ما ذكره ابن تيمية من أنّ العبادة: «**اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالصلاة والزكاة، والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام... والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة**»[3].

مضافاً إلى أنّ هذا التعريف فيه خلطٌ بين العبادة وبين ما يوجب القربى، فهناك أُمور توجب رضا الله وتستوجب ثوابه قد تكون عبادة كالصوم والصلاة والحج ونحوها، وقد تكون موجبة للقربى إليه دون أن تُعدّ عبادة كالإحسان إلى الوالدين، والعطف على اليتيم، والتصدّق على الفقير ونحو ذلك، وتسميتها بالعبادة إنّما بلحاظ كونها نظير العبادة في ترتّب الثواب عليها. ويمكن التسامح وإطلاق اسم العبادة بالمعنى الأعمّ عليها في مقابل العبادة بالمعنى الأخص التي تتعلّق بما ثبت أنّه عبادة فعلاً من الشارع.

وبعد معرفة حقيقة العبادة ومقوّماتها، سيكون التقييم عندئذ واضحاً لما ذكره ابن تيمية ومَن تبعه أمثال محمد بن عبد الوهاب ومَن كان على نهجهم التكفيري من الموارد التي زعموا أنها عبادة لغير الله، كزيارة القبور والأضرحة والتوسّل ونحو ذلك.

---

(١) أُنظر: السبحاني، جعفر، بحوث قرآنية في التوحيد والشرك: ص ٤٤.

(٢) أُنظر: المسعري، محمد بن عبد الله، التوحيد: ص٢٦٧.

(٣) ابن تيمية، أحمد، العبودية: ص٤٤.

الفكر التكفيري وزيارة القبور

هنـاك هوسٌ وحسّاسـية مفرطة في الفكـر التكفيري تجاه زيـارة القبور مع ثبوت جـواز زيارتهـا[1] وربّما يمكن التعبير عن ذلـك بالأزمة القبوريـة، فالعقل التكفيري قـد عُبِّـئ بمفاهيـم خاطئة وبشـكل مسـتمر بما يكفـي لتأصيـل نزعة تتجـه للحكم بالكفـر والـشرك على كل مَن يزور القبور، ويُخرجه عن الملّة، بحيث أضحت مسـألة شرك القبـور هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى التـي ينبغي صرف الجهود المادية والعلمية لمعالجتها، وأصبحت الشـغل الشـاغل في حياة المسلمين، بينما تُرِكَت الكثير من المشـاكل الخطيرة والأكثر أهمّية بلا حلول، والمنطلق كما قلنا هو رؤيتهم القاصرة للتوحيـد والـشرك، وأنّ في زيـارة القبور تعظيـماً للميّت وتذلّلاً وخشـوعاً يجعله في مطـاف العبادة لغـير الله تعالى، بينما الحقيقـة أنّه عندما يزور المسـلمون قبر نبيهم صلى الله عليه وآله تعظيماً له واعتقاداً منهم أنّه حيٌّ يسمع ويرد السلام، كما يرجون شفاعته يوم القيامة، لا شكّ في أنّ هذا ليس شركاً؛ لخلوّه من اعتقاد الإلوهية كما ذكرنا، كما أنّ متفرّعات زيـارة القبـور كالبنـاء عليها، واتخاذها مسـجداً ليس ممّا له صلة بالعقيدة الإسـلامية حتـى تكـون مناطاً للتوحيد والشرك، وإنّما هي من المسـائل الفقهية التي يدور أمرها بين الإباحة والكراهة والاسـتحباب وغيرها، ولا يصحّ لمسـلم أن يتّخذ تلك المسألة ذريعة للشرك والتكفير[2].

الفكر التكفيري والتوسّل

يزعـم التيّار التكفيري انطلاقاً من رؤيته الضيِّقة في التوحيد والشرك أنّ التوسّـل بالأولياء والصالحين عبادة لغير الله تعالى؛ لأنّ الدعاء عبارة عن النداء وطلب الحاجة، ولا شـكّ عندهـم في أنّ الدعاء عبـادة للمدعو؛ لأنّه يتضمّن قصـداً وتوجّهاً، وهذه

(١) أُنظر على سبيل المثال: النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم: ج٣، ص٦٥.
(٢) السبحاني، جعفر، بحوث قرآنية في التوحيد والشرك: ص٦٩.

الأُمـور هي روح العبادة وقوامها؛ ولذا ورد في الحديـث: «**إنّ الدعاء مخّ العبادة**»[1]، وبالتالي يكون دعاء غير الله تعالى وندبته وطلب الحاجة منه عبادة له، وهو من أوضح أنـواع الـشرك في العبادة، ويُعبَّر عنه بالشرك الصريـح أو الشرك الأكبر الذي يوجب الرّدة والارتداد عن الدين. ولا ينبغي جعل وسـائط مع الله تعالى، وهناك من القرآن ما يمنع هذا النحو من التوسّل، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[2].

والجـواب يتّضح بما ذكرنا من تعريف العبـادة المتقوّمة بأمرين: الأوّل منها يرجع إلى جوارح الإنسان المشعرة بالتعظيم والخضوع. والثاني: أن يتوفَّر لدى الفرد اعتقادٌ بـأنّ المدعـو فيه خصيصة الربوبية، كـما إذا اعتقد الداعي أنّ المدعو مسـتقلٌّ بالقدرة، غنيٌّ بالذات، وأمّا إذا اعتقد الداعي أنّ المدعو يسـتمدّ القدرة من الله تعالى، وأنّه إنّما حصل عليها لتقواه وقربه من الله تعالى، وأنّ الداعي إنّما يدعوه نظراً لقربه ووجاهته عنـد الله تعـالى، وأنّ تكريـم الله لـه بالقـرب والوجاهـة يكـون إذناً منه للاستشـفاع والتوسّـل والتوجّـه به إليه عزّ وجلّ، فإنّ دعاء ذلك الغـير يُعدّ حينئذ توجّهاً وقصداً إلى الـذات الإلهية؛ فلا يوجد عندئذ عبادة تسـتوجب الـشرك[3]. والآية التي ذُكِرَت لا تمـتّ للاسـتدلال بشيء؛ كونهـا تختص بالمشركين الذيـن كانوا يعبـدون أولياءهم ويتقرّبـون بهم إلى الله، يقول الطبري: «**وقوله:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾، **يقـول تعالى ذكره: والذيـن اتخذوا من دون الله أولياء يتولّونهم، ويعبدونهم من دون الله، يقولون لهم: ما نعبدكم أيّها الآلهة إلّا لتقرّبونا إلى الله زُلفى، قربة ومنزلة، وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا**»[4].

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج٥، ص١٢٦. الحر العاملي، محمد بن الحسن، الوسائل: ج٧، ص٢٧.

(٢) الزمر: آية٣.

(٣) أُنظر: السند، محمد، الإمامة الإلهية: ج٤، ص٢٣٠.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان: ج٢٣، ص٢٢٧.

أمّا الآيات القرآنية التي تمنع دعاء غير الله، كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾[3]، فإنّ الدعاء في هذه الآيات وغيرها إن قصرناه على المعنى المتعارف للدعاء ولم نفسِّره بالعبادة فهو يرجع إلى دعاء المشركين لمن يعتقدون فيهم الإلوهية وخصائص الربوبية؛ ولهذا يعبدونهم، فهو الذي يكون دعاء العبادة، بينما المتوسِّل لا يعبد إلّا الله الواحد الأحد، ودعاؤه ليس اعتقاداً منه بقدرة المتوسَّل به الذاتية على الاستجابة كما مرّ، بل يتوسّل بالصالحين؛ لتقواهم وعظيم إيمانهم؛ لأجل قضاء حاجته واستجابة دعائه من الله تعالى؛ ظنّاً منه أنّ ذنوبه التي ارتكبها تكون حائلاً بينه وبين ربّه في قضاء حاجته، فلا يستجيب الله له مباشرة؛ فيُقدِّم ما يعتقد أنّه وسيلة لقضاء حاجته من عند الله تعالى. وقد ثبت جواز ذلك ولا حرمة فيه.

ولا فرق في ذلك بين كون الطلب لأمر لا يقدر عليه إلّا الله تعالى، المعبَّر عنه بدعاء العبادة، وبين أمر يقدر عليه غير الله تعالى، المعبَّر عنه بدعاء المسألة، أو بين دعاء الحي ودعاء الميت، فالجميع خاضع لمعيار واحد، وهو: أنّ السائل إن اعتقد فيمن يسأله بالإلوهية فهو شرك، وإلّا فلا.

(١) الأعراف: آية١٩٧.

(٢) الرعد: آية١٤.

(٣) الإسراء: آية٥٦.

خلاصة المقالات

باللغة العربية والانجليزية

سياسة الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الإرهاب الحكومي

القسم الثاني (دراسة وثائقية)

الشيخ قيصر التميمي

تحدّثنا في القسم الأوّل للمقال عن حقيقة الإرهاب الحكومي ومعناه في اللغة والاصطلاح الإنساني والشرعي والقانوني. وأمّا في هذا القسم فقد تطرّقنا إلى الإرهاب الحكومي في خصوص كلمات الإمام الحسين عليه السلام، فانتظم المقال في إطار أبحاث ثلاثة، استنتجنا منها ما يلي:

١ـ إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استنكر في أقواله وخطبه ورسائله وأدان بشدّة أهمّ عناصر الإرهاب الحكومي ومكوّناته، وهي: أوّلاً: ممارسة الأساليب العنيفة والمنظّمة في قمع الشعب ونشر الذعر والفزع وإثارة الرعب بين الناس. وثانياً: تسليط الأجهزة القمعيّة على أفراد الشعب. وثالثاً: تحقيق الغايات الإجرامية للإرهاب الحكومي؛ كتغليب الرؤية السياسية الحاكمة، وفرض السيطرة على المجتمع ومفاصل الدّولة، وتخويف المعارضة وإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام للنظام الاستبدادي الحاكم. ورابعاً: التمييز بين مكوّنات الشعب على أُسس إثنية غير قانونيّة، سياسيّة أو اجتماعيّة أو عرقيّة أو دينيّة أو ثقافيّة أو مناطقيّة أو غير ذلك. وخامساً: تجاوز القوانين الدّولية والعرفية والإنسانيّة التي تُنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم.

٢ ـ إنّ هناك مجموعة أُخرى من العناوين المهمّة والعناصر التعريفيّة لمفردة الإرهاب الحكومي، أضافها الإمام الحسين عليه السلام في سياق ذكر العناصر السابقة، ومن أهمّها: الظلم والجور والعدوان، والفساد في الأرض، ونقض العهود والمواثيق، وسرقة أموال الشعب

والاستئثار بالفيء، وتنصيب غير الكفوئين في المناصب السياديّة.

٣ ـ إنّ كلامه عليه السلام ومواقفه الخالدة شكّلت منظومة من المبادئ والأساليب العامّة في كيفيّة مواجهة مخاطر الإرهاب الحكومي، ما يفسح المجال واسعاً أمام المفكّرين والباحثين المعنيين بدراسة مظاهر العنف والإرهاب في البلدان والمجتمعات، ويضع في متناول الشعوب المعارضة المناهج الصحيحة في الوقوف بوجه جرائم السلطات الحاكمة ومكافحتها، فكان من أهمّ تلك المبادئ والأساليب: الصبر، والشجاعة، والعزّة والإباء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الإصلاح وتوعية الأُمّة بالطرق السلميّة)، والهجرة في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله (الخيار العسكري المسلّح)، والتضحية بكل شيء، والسعي لإقامة الحكومة العادلة.

واستخلصنا من مجموع ذلك: أنّ من المبادئ والأهداف المهمّة للنهضة الحسينيّة مكافحة الإرهاب الحكومي الأُموي، الذي كاد أن يقضي على الأُمّة الإسلاميّة، ويُهلك الحرث والنّسل، لولا التضحيات الكبيرة التي قدّمها الإمام الحسين عليه السلام في تلك النهضة المباركة.

IMAM AL-HUSAYN'S STRATEGY OF CONFRONTING THE GOVERNMENTAL TERRORISM PART II (DOCUMENTED STUDY)

Shaykh Qayṣar al-Tamīmī

In the first part of the essay, the writer discussed the fact of governmental terrorism plus its lexical meaning and terminological meaning in the fields of humanity, religious law in specific and law in general. In this part, the writer touches on governmental terrorism in the words of Imam al-Husayn expressly. Thus, the essay is put in the frame of three studies, the conclusions of which can be summed up in the following points:

1. *In all of his statements, speeches, and epistles, Imam al-Husayn denied and condemned intensely the most important components and elements of governmental terrorism. The features of terrorism that was practiced by the ruling authorities included: First, those ruling authorities practiced organized violent means for suppressing the people, spreading horror and terror in their milieus, and provoking fear amongst them. Second, the government gave free hand to the oppressive systems on the people. Third, the ruling authorities worked towards bringing about the criminal purposes of the governmental terrorism, such as imposing the political course of the government on the people, having a sway over the community and the systems of the state, frightening and threatening the oppositionists, and forcing the people to submit and surrender to the oppressive ruling authorities. Fourth, creating a state of discrimination between the people on the basis of illegal ethnic, political, social, religious, cultural and regional backgrounds. Fifth, infringing all international, conventional and human laws that organize the people-ruler relationships.*

2. *Within the aforesaid features of governmental terrorism, Imam al-Husayn added another group of important titles and definitional elements that identify the meaning of governmental terrorism. These titles embodied such practices like injustice, inequality, transgression, making mischief in the lands, breaking all covenants and promises, robbing the people's fortunes, seizing the treasures, and nominating inefficient people to seigniorial offices.*

3. *Imam al-Husayn's words and invaluable attitudes to the ruling authorities expressed a system of principles and general means of confronting the menaces of governmental terrorism. This fact opens wide the door before intellectuals and researchers who are interested in studying the features of violence and terrorism in countries and societies. It also proffers to the opposing peoples the most accurate courses of standing against and resisting the crimes of the ruling authorities. Thus, the most important of these principles and means are patience, courage, dignity, disdain, and vanity in addition to feeling the spirit of enjoining the good and forbidding the evil, which is another expression of reformation and awakening the people through peaceful means. Other principles are immigration in the way of God, fight for the sake of God, which is another form of the armed military choice, sacrifice of everything for the principles, and sparing no effort in establishing a government based on justice.*

In brief, one of the principles and vital goals of Imam al-Husayn's reformative movement and uprising was resisting the terrorism of the Umayyad government, which was about to annihilate the Muslim nation and eradicate people, but it was Imam al-Husayn's movement and great sacrifices that prevented all these consequences.

التطرّف الفكري في المجتمع الإسلامي

(مظاهره وتداعياته المدمّرة في عصر النهضة الحسينية)

العلّامة الشيخ علي الكوراني

حاورت مجلّتنا العلّامة الشيخ علي الكوراني حول موضوع التطرّف الفكري، ومظاهره، وآثاره، وخصوصاً في الحقبة التي شهدتها نهضة عاشوراء، فتناول سماحته أُسس التطرّف الفكري، وأنّه نتاج عُقدة قاتمة من عُقد النّفس المضطربة (عقدة حُبّ الذات)، مبيّناً أنّ هذه العُقدة سيّالة قديماً وحديثاً.

وأكّد سماحته ـ في معرض جوابه عن حرمان أهل البيت عليهم السلام من حقهم المنصوص لهم لتولّي زمام الأُمّة، ومدى تأثيره في صناعة التطرّف ـ أنّ ذلك كان أحد أسباب التطرّف، فعاشت الأُمّة بسببه التيه الحقيقي.

وأضاف سماحته: إنّ تسلّط بني أُميّة ـ باعتبارهم الخط المناوئ لأهل البيت عليهم السلام ـ كان العامل المهم الآخر لترويج التطرّف، فقد عملوا، ونظّروا، وأسّسوا لذلك أُسساً لا تزال قائمة في كثير من بقاع الإسلام، فكل تلك العوامل، وما يُضاف لها من حبِّ الدنيا، وطمع الكثير في فتاتها على حساب المبادئ، ساهم في صناعة مأساة البشرية الكبرى (عاشوراء). وما إرهاب اليوم إلّا امتداد لخطّ الإرهاب الأُموي. نعم، في قبال ذلك فإنّ الإمام الحسين عليه السلام نجح نجاحاً منقطع النظير في صناعة خطٍّ يواجه ذلك الخطّ المنحرف على مدى التاريخ.

INTELLECTUAL EXTREMISM IN THE MUSLIM COMMUNITY; ITS ASPECTS AND DEVASTATIVE CONSEQUENCES DURING THE AGE OF IMAM AL-HUSAYN'S REFORMATIVE UPRISING

Shaykh Ali al-Kurani

The Magazine interviewed His Eminence the well-versed scholar Shaykh Ali al-Kurani about the topic of intellectual extremism, its aspects and consequences, especially during the era of Imam al-Husayn's reformative uprising and the tragic event of Karbala. Answering the Magazine, His Eminence Shaykh al-Kurani mentioned the fundaments and basics of the intellectual extremism, corroborating that it was the product of one of the disordered ego complexes; namely, the complex of self-esteem. He then explained that this complex is still lived by some people.

Within his answer to our question about depriving the Holy Prophet's Household of their rights of leadership that was granted to them by the command of God and through many confirmations of the Holy Prophet and the scope of the influence of this issue on the making of extremism, His Eminence Shaykh al-Kurani confirmed that this issue was one of the reasons of the emergence of extremism and due to which the Muslim nation had to experience a true loss and deviation from the truth. He then added that the absolutism practiced by the Umayyads, in their capacity as the opponent line of the Holy Prophet's Household, was the most important factor that propagated for extremism. In fact, the Umayyad ruling authorities theorized, practiced, and laid the foundations of extremism that are still active in many Islamic regions. All these factors, plus love and greed for worldly pleasures on the expense of the principles, contributed greatly to the making of the greatest tragic event ever witnessed by humanity; that is, the tragedy of Karbala. The terrorism suffered by the world in the present day is nothing but an extension of the line of terrorism founded by the Umayyads. Yet, on the other side, Imam al-Husayn succeeded uniquely and matchlessly in making another line that faced the perverted line all over history.

أخلاق المقاتلين بين الإيجاب والسلب وانعكاساتها في معركة الطف

(القسم الثاني)

د. الشيخ طلال الحسن

يأتي هذا المقال مكمِّلاً لما نُشِر في العدد السابق في الموضوع ذاته، حيث تناول الباحث سابقاً الجانب الإيجابي في أخلاق المقاتلين وانعكاسها في واقعة كربلاء، وفي هذا القسم سلَّط الأضواء على الجانب السلبي من أخلاق المقاتلين في عاشوراء، والذي جسّده المعسكر الأُموي.

قسّم الباحث مقاله إلى ثلاثة محاور، تحدّث في المحور الأوّل عن الملامح العامّة للجنديّة المنحرفة، وحدّدها في أربع نقاط هي: حضور حالة النّفاق، وحضور الحالة الانتهازية، والحالة الإسقاطية، وكون قادة الجُّند هم من الأراذل. وتحدّث في المحور الثاني عن حقيقة تعاملهم مع القيادة؛ والذي كان على أساسٍ نفعي. أمّا في المحور الثالث فقد ذكر أنّ أهداف هؤلاء من القتال لم تكن أهدافاً نبيلة سامية، بل انحصرت بأُمور دنيوية تُضاف إليها الأحقاد الدفينة، وعزّز ذلك بمواقف وشواهد. وجاء المحور الرابع ليُسلّط الأضواء على أخلاقهم داخل المعركة، كاشفاً عن صورٍ تدلّ على خسّة مقاتلي الجيش الأُموي. ثمّ عرض المقال في محوره الأخير نماذج التحوّل السلبي: فهناك مَن كاتَبَ الإمام ولم يفِ بوعده، وهناك الانهزاميون الذين تركوا الإمام، والفارّون من المعسكر قبل وصول الإمام عليه السلام إلى كربلاء.

WARRIORS' POSITIVE AND NEGATIVE ETHICS AND HEIR REFLECTIONS DURING THE BATTLE OF AL-TAFF (PART II)

Dr. Shaykh Talaal al-Hasan

This essay is a completion of a previous essay that was published in the previous issue of the magazine on the same topic, where the author talked about the positive aspect in the warriors' ethics and their representations during the Battle of Karbala. In this part of the essay, the author sheds light on the negative aspect of the warriors' ethics on the Day of Ashura, embodied by the troops of the Umayyad army.

The writer thus divides the essay into three major parts, discussing in the first part the general features of the perverted soldiers, defining these features in four points; namely, the embodiment of hypocrisy as a manner, the embodiment of opportunism as a manner, the state of defamation, and the commandership of the lowly people.

In the second part, the writer thrashes out the actuality of these soldiers' reaction to their commanders, which was based on personal interests of them.

In the third part, he stresses on the fact that the purposes of these soldiers were never noble or respectable; rather, their one and only goal was to gain worldly benefits, not to mention their latent malice towards the Holy Prophet and his family members. Proving his claim, the writer raises many situations and points of evidence.

The fourth part of the essay comes to shed lights on the misbehaviors of these soldiers during the battle. The writer thus unveils many situations that clearly exposed the abjectness and lowliness of the warriors of the Umayyad army.

Finally, the essay displays samples of negative conversion from the truth to the falsity, mentioning as examples those who wrote letters to Imam al-Husayn promising to support him, but they broke their promises and failed to support the Imam, those defeatists who forsook the Imam, and those who absconded the Imam's camp even before the Imam's arrival in Karbala.

نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام ودوره في صناعة الإرهاب

(فاجعة كربلاء أُنموذجاً)

الشيخ محمد الكروي القيسي

تناول الكاتب في مقاله مفردة فكرية حساسة، ومرضاً عقدياً خطيراً، ألا وهو (النّصب)، ومدى علاقة هذا المرض بصناعة وتوليد الإرهاب.

فقد أثبت في المحور الأوّل من مقاله أنّ أهل البيت عليهم السلام كانوا على مدى التاريخ رمزاً وعنواناً للوسطية والاعتدال؛ ولازم ذلك أنّ أيّ انحرافٍ عنهم، وأيّ معاداةٍ لهم، هو انحراف وعداء للوسطية والاعتدال، ومَيلاً نحو التطرّف.

وفي المحور الثاني بيَّن معنى النصب لغةً واصطلاحاً، ثمَّ عرض شيئاً من تاريخ عُتاة النّواصب، وإرهابهم، وهي مصاديق شاهدة على ما يراد إثباته من علاقة النّصب بالتطرّف.

ثمَّ عرض في المحور الثالث علل النّصب، وأسباب نشوء تلك الظاهرة المقيتة، ولخّصها بالحقد، والطمع، والجهل، وكل تلك العلل تجسّدت في مواقف أعداء الإمام الحسين عليه السلام، خصوصاً في تعاملهم مع معسكره، مع ما به من نسوة وأطفال.

ثمَّ انتقل بعد ذلك لبيان سبب صيرورة النّاصب إرهابياً، ببيان أنَّ النّاصب منافق بحكم الشريعة، والنصوص القطعية، ولا شكّ في أنَّ المنافق يعيش حالة من الاضطراب، والازدواجية، وعدم الاستقرار النّفسي، فشخصيّته تعيش الشذوذ بكل ما للكلمة من معنى، فتكون حينئذٍ مهيّأة لكل تطرّفٍ، وذلك ممّا يُنتج الإرهاب لا محالة.

INVOKING THE ANIMOSITY OF THE HOLY PROPHET'S HOUSEHOLD AND ITS ROLE IN THE MAKING OF TERRORISM THE TRAGEDY OF KARBALA AS A MODEL

Shaykh Muhammad al-Karawi al-Qaysi

In this essay, the writer focuses on an extremely sensitive and thought-related term, which has become a serious doctrinal disease; that is, nasb, or antagonism towards the Holy Prophet' Household (terminologically, the Ahl al-Bayt). This intellectual disease has in fact a very firm relationship with the making and production of terrorism.

In the first part of the essay, the author proves that the Holy Prophet's family members have always and throughout history been representing a symbol and role-model of moderation and reasonableness, which leads us to the fact that any deviation from them and any sort of antagonism towards them is considered a deviation from and antagonism of moderation and fairness; therefore, it is classified as tendency to extremism.

In the second part, the writer clarifies the meaning of nasb in language and in terminology, displaying a few lines about the black history of the most vehement enemies of the Ahl al-Bayt and their terroristic activities, which are clear-cut examples that prove the firm relationship between antagonism towards the Ahl al-Bayt and extremism.

In the third part, the writer shows the reasons for such antagonism and the factors that led to the emergence of this malicious phenomenon, summing these reasons and factors in malice, greed, and ignorance, proving that all these reasons were best embodied in the situations taken by the enemies of Imam al-Husayn, especially in their attitudes to the Imam's camp, including the women and children that joined that camp.

After that, the writer shows how the enemies of the Ahl al-Bayt became terrorists, proving that the enemies of the Ahl al-Bayt are decided as hypocrites according to the laws of the Islamic Law and the texts that were decisively proven to have been said by the Holy Prophet. Undoubtedly, a hypocrite suffers from a state of disorder, dualism, and lack of mental settlement; therefore, the personality of the hypocrite experiences the utmost form of irregularity and thus it is already prepared to incline towards whatever is extremist, producing terrorism unquestionably.

انتهاك حرمة الأجساد الطاهرة في كربلاء

الشيخ أحمد العلي

تناول الكاتب في هذا المقال واحدة من أهمّ الحوادث المروِّعة في تاريخ الإنسانية، وهي تمثيل الجيش الأُموي بالأجساد الطاهرة في واقعة الطف؛ إذ بدأ المقال بتعريف التمثيل في اللغة والاصطلاح، ثمّ بيَّن أنّ الشريعة الإسلامية تُحرِّم المُثلة، وعرض الباحث رأي الإمامية القائل بحرمة التمثيل حتّى بالكافر. أمّا المذاهب الإسلامية الأُخرى، فمنهم مَن ذهب إلى الحرمة، ومنهم من ذهب إلى الكراهة، ومنهم من جوّز ذلك بشرط.

بعدها عرض أحكام المُثلة في القانون الوضعي، وأساس العقوبات؛ وانتهى إلى أنّ الشريعة تُحرّم التمثيل بجسد الميّت بخلاف القانون الوضعي الذي تنبّه لذلك بعد القرن الثامن عشر، ثمّ بيَّن الباحث أفعال الأُمويين من التمثيل؛ كفعلة هند الشنيعة وأوامر معاوية بقطع رؤوس معارضيه والتمثيل بهم. ثمّ سلّط الأضواء على التمثيل بشهداء معسكر الإمام الحسين عليه السلام؛ كوطء جسد سيّد الشهداء، والتمثيل بقطع الرؤوس والسير بها في طرقات الكوفة وإرسالها إلى الشام، وسلب الأجساد الطاهرة وتركها في العراء، وجرّ الأجساد المطهَّرة في الشوارع والأسواق، كل ذلك في ضوء الروايات والنّصوص التاريخية.

وفي الختام، بيَّن الباحث أسباب سياسة التمثيل هذه، فذكر عدّة أسباب، منها: بُغضهم لأمير المؤمنين علي عليه السلام، والانتقام، والتأثّر بالروم، وتأثير النزعة الجاهلية، ومحاولة إثبات النّصر، وخلق حالة من الخوف والرعب، بالإضافة إلى خسّة طباع الأُمويين ونفوسهم.

ABUSING THE INVIOLABILITY OF THE DEAD BODIES IN KARBALA

Shaykh Ahmad al-Ali

In this essay, the writer discusses one of the most horrifying events in the history of humanity that took place directly after the Battle of Karbala when the Umayyad army violated the inviolability of the dead bodies of the martyrs and cut off them into pieces, severing the heads from the other parts of the bodies.

The essay thus begins with defining this brutal act in both language and terminology, proving that the Islamic Law forbids cutting off the dead bodies. The writer then presents the judgment agreed upon unanimously by all Shiah jurisprudents who said in one word that it is illegal and forbidden to cut off any part of any dead body, including the dead bodies of non-Muslims and atheists. On the other hand, the other schools of Muslim jurisprudence have had different opinions about this case; so, some of them deemed illegal this act, others deemed discommended but not forbidden, while a third party deem lawful this act on certain conditions.

Then, the writer mentions the laws of cutting off the dead bodies in the positive law and in the penal laws, concluding that the Islamic Law forbids any violation of the dead bodies, unlike the positive law, which paid attention to this case only after the eighteenth century.

The writer then refers to the shameful deeds of the Umayyad army who cut off the bodies of the martyrs, providing examples on this savage deed. For instance, Hind, Mu'awiyah's mother cut off the body of Hamzah after his martyrdom, and her son Mu'awiyah cut off the heads of those who opposed them and cut off parts of their bodies. The writer then sheds lights on the deeds of the Umayyad army with the martyrs of Imam al-Husayn's camp and their disgraceful deed of making their horses tread on the dead body of Imam al-Husayn, cutting off the heads

of the martyrs, raising them on lances and wandering in the streets of the city of al-Kufah, and then sending them as gifts to Damascus, the capital of the state, not to mention robbing the clothes of the martyrs and leaving their bodies naked in the desert, and pulling the bodies in the streets at the sight of people. The writer documents all these deeds through historical narrations and authentic reports.

In the end, the writer touches on the reasons for the policy of cutting off the dead bodies of the martyrs, mentioning a number of reasons, some of which were the Umayyad's hatred towards Imam Ali the true successor to the Holy Prophet, their feelings of revenge, their imitation of the Romans, the impact of the pre-Islamic wicked tendency on them, their attempt to prove that they were victorious, creating a state of terror and fright, and their lowly and mean nature.

تغييب القيم وانتهاكها في سياسات الحُكم الأُموي

د. السيّد خالد سيساوي

يتناول المقال سياسة تغييب القيم باعتبارها مفردة من مفردات سياسة الحكم الأُموي، ودور النهضة الحسينيّة في مواجهة ذلك؛ فبدأ الباحث بتحديد معنى القيم في اللغة، وتتبّع مشتقاتها في القرآن الكريم. وفي المعنى الاصطلاحي حدّد معنى القيم بأنّها المعايير الحاكمة على المنظومة بما فيها النظام الأخلاقي والاجتماعي، وكذا النّسق الثقافي والسياسي. ثم بيَّن أنّ القيم في المجتمع الإسلامي تنشأ في أحضان الدين، وتغييب القيم يعني دفنها وطمسها، وهي السياسة التي انتهجها الحكم الأُموي من خلال تأسيس قيم جوفاء تنسجم مع الروح الأُموية، وجعل المجتمع في دائرة لا يدخلها غير هذه المفردات، حتى أصبحت مستساغة. سلّط الباحث الأضواء على الآليات التي اتخذها الحكم الأُموي لتغييب القيم الحقيقية وترسيخ قيمه التي أرادها، فذكر التحريف العقدي، ثم إدخال ما ليس من الدين في الدين؛ وهو البدعة، وتشويه صورة النبي صلى الله عليه وآله المشرقة من خلال تزوير وبثّ أحاديث كاذبة، وشقّ عصا المسلمين وتفريق وحدتهم؛ كي يسهل فرض سلطتها.

ثمّ تطرّق إلى المحبة في كربلاء ـ بعنوان أنّها من القيم ـ وانتهى إلى كونها أيدولوجية تصنع الحاضر والمستقبل. وفي الختام بيّن الكاتب أنّ كربلاء أجهضت سياسة تغييب القيم من خلال إعادة إحياء القيم النبيلة وبثّها عبر القنوات الإعلامية الأمينة، وقد قام الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام للقيام بالمهمّة الأُولى، وتصدّت للمهمّة الثانية السيّدة زينب عليها السلام.

OBLITERATION AND VIOLATION OF VALUES IN THE POLICIES OF THE UMAYYAD REGIME

Dr. Khalid al-Sisawi

The essay handles with one of the key policies followed by the Umayyad regime; namely, the policy of obliterating and violating all principles and human values. The writer of the essay then explains the role of Imam al-Husayn's reformative uprising in defying this procedure, beginning with defining the meaning of value in language and following up its derivatives in the Holy Quran. Dealing with the terminological meaning of this word, the writer confirms that values are the criteria that manage the system of life, including the ethical and social systems, plus the cultural and political strings.

He then moves to establish that values in the Islamic community arise from the religion basically; therefore, any obliteration of these values will unquestionably lead to burying and abolishing the religion, which is the very policy followed by the Umayyad regime through founding shallow values that were harmonious with the Umayyad spirit. Those ruling authorities imprisoned the Muslim community inside a circle preventing anything genuine from entering there except the terms established by the ruling authorities. Thus, by passage of time, these superficial terms became palatable for the people.

The writer of the essay then sheds lights on the mechanisms used by the Umayyad ruling authorities for the purpose of obliterating the genuine values and strengthening the false values they wanted for the society to adopt, on the top of these was the distortion in the beliefs of Islam, which was followed by a stage of entering into the religion what does not belong to it, which is termed as innovation, or bid'ah. Besides, they worked painstakingly on deforming the image of the Holy Prophet through fabricating and spreading words and situations that were forged against him so as to sow disunity among Muslims and divide them into many groups so that it would be easy for them to rule over people.

The writer then stresses on amicability, in its capacity as one of the values, especially the amicability that was shown and practically seen

in Karbala in the camp of Imam al-Husayn. The writer then concludes that values, especially the value of amicability, are ideology that makes the present and plans for the future.

Finally, the writer substantiates that the Event of Karbala aborted the policy of obliterating the values and recuperated the noble values when it succeeded to re-spread these values via honest informational channels. It was Imam al-Husayn and his family members who started this mission, and it was Lady Zaynab who completed it.

المعسكر الأُموي في كربلاء

(غياب القيم والمبادئ)

الشيخ عبد الرزاق النداوي

انطلق الباحث في هذا المقال من كون الصراع في كربلاء هو صراع بين القيم؛ فقد مثَّل الإمام الحسين عليه السلام خطّ الأنبياء وقيمهم، ومثَّل الأُمويون خطّ الشيطان وقيم الباطل. عرض الكاتب محاور حركة الأنبياء من خلال آيات القرآن الكريم، ورأى أنّها تتركّز على ثلاثة محاور هي: التوحيد، والوعي، وإقامة حُكم الله في الأرض، وهذه الأهداف بعينها حملها الإمام الحسين عليه السلام، وأكّد عليها في كلماته وناضل في سبيل تحقيقها. وبالضدّ من ذلك فإنّ أهداف بني أُميّة هي السلطان، والمال، والشهرة. ثمّ بيّن الباحث الإجراءات التي اتخذها معاوية بعد أن أصبح حاكماً، وهي: إشاعة الإرهاب، وتسخير الطاقات لمصلحة الحاكم، وإثارة النزعة القبلية، واستغلال المنابر، وتحويل الخلافة إلى مملكة، وزرع بذور الطاعةِ للسلطان مطلقاً، وتبنّي سياسة النّفاق. وأشار إلى أنّ معاوية حين سلّط ابنه يزيد على الأُمّة، سلك الأخير طريق أبيه واستمرّ بالغيِّ نحو أهدافه الخبيثة والوسائل المنسجمة معها. وأوضح المقال أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد وقف أمام هذه الأهداف ووسائلها، غير أنّ بني أُميّة لم يرعوا أيّ حرمة ولا قيمة من القيم الإنسانية، وارتكبوا أبشع جرائم عرفها التاريخ غابت فيها أبسط نماذج القيم، منها: الهجوم على النّساء، وقتل الأطفال، ومصرع الحسين عليه السلام، وسلب الإمام عليه السلام بعد ذبحه، ونهب الخيام وحرقها.

THE UMAYYAD CAMP IN KARBALA; ABSENCE OF VALUES AND PRINCIPLES

Shaykh Abd al-Razzaq al-Naddawi

Basing his essay on the fact that the Battle of Karbala was a conflict of values, the writer proves that Imam al-Husayn represented the line of the prophets and embodied all of their values, while the other party represented the line of Satan and embodied all the features of falsity and wrong.

The writer thus presents the major points of the movement of the prophets, deriving them from the Quranic verses, proving that these points are mainly based on three major topics; that is monotheism, recognition, and establishment of God's government on the earth. These were the very goals for which Imam al-Husayn led his uprising, held, and confirmed through his words and applied them to the reality, fighting for applying them practically. On the other hand, The Umayyad's one and only goal was to overpower and rule over all people, seizing their properties and gaining fame.

The writer then moves to propose the procedures adopted by Mu'awiyah when he came to power illegally. These procedures were spread of terror, misusing all powers for the interest of the ruling regime, reviving the tribal tendencies, making use of stages and platforms of the mosques for the good of the regime, turning the system of caliphate into royalty, sowing the seeds of ultimate obedience to the ruler, and adopting hypocrisy as a major strategy of the ruling regime. The writer thus states that Yazid was nominated to the next leadership after his father, he followed the very steps of his father and continued in the path of aggression trying to achieve all his wicked goals and using all means that were compatible with these dreadful goals.

The essay thus proves that Imam al-Husayn, the chief of martyrs, stood against these wicked goals and their means, but the Umayyads and their followers did not care for any inviolability and did not pay attention to any human value; rather, they committed the most hideous crimes ever witnessed by humanity, disregarding the simplest value. They thus raided on women, killed children, slew Imam al-Husayn, robbed him after that, and robbed and burnt the tents of his camp.

العنف والإرهاب في أُصول الإسلام الوهابي
(الهجوم على مدينة كربلاء أُنموذجاً)

الشيخ ماهر الحكاك

تحدّث الكاتب في هذا المقال عن الإرهاب الوهابي في ضوء الهجوم على كربلاء، فبدأ بتعريف الإرهاب لغةً واصطلاحاً، ثمّ تتبَّع الاستعمال القرآني لهذه المفردة، وانتهى إلى أنّ الاستعمال القرآني لمشتقّات هذه الكلمة يتباين مع الإرهاب المصطلح في الموضوع والوسائل والغرض. ثمّ بيَّن الفارق بين الجهاد والإرهاب ليتناول تاريخ الفرقة الوهابية وعقيدتها. بعد ذلك عرض حادثة الهجوم على كربلاء وتفاصيلها، ثمّ تطرّق إلى أسباب هذا الهجوم وبيَّن أنّها ثلاثة أسباب: تمثّل السبب الأوّل منها في ميول الوهابية الدنيوية والبدوية المعتمدة في تحقيق العيش على الغزو والإغارة. بينما تمثّل السبب الثاني في ضعف جبهة المواجهة لمدينة كربلاء. وأمّا السبب الثالث فقد تمثّل في الاعتقاد الطائفي للوهابية بكفر سكنة كربلاء واستباحة دمائهم.

VIOLENCE AND TERRORISM IN THE PRINCIPLES OF WAHHABI ISLAM RAIDS ON THE CITY OF KARBALA AS A MODEL

Shaykh Mahir al-Hakkak

The writer of the essay discusses the topic of Wahhabi terrorism through their raids on the city of Karbala. He thus begins with defining terrorism lexically and terminologically, following that with the use of this word in the Holy Quran to conclude that the Holy Quran used this word and its derivatives in a way totally different from the actual meaning of terrorism as a term, proving that the word terror used in the Holy Quran is in clear violation of the term terrorism in means and goals.

He then throws light on the difference between jihad (the state of holy war) and terrorism, moving to discuss the history and beliefs of Wahhabism as an Islamic faction. He then touches on the event of the Wahhabi raid on Karbala along with all of its details, mention the reasons of these raids, which were mainly three, as follows: The first reason was the Wahhabis' worldly and nomadic tendency that depended totally on raids in their living. The second reason was the weakness of defense in the city of Karbala, while the third reason was totally religious, since the Wahhabis believed that the people of Karbala were atheists and it was legal to shed their blood.

أخلاق الحرب في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

د. الشيخ عدي السهلاني

يُعدّ هذا المقال إطلالة على جانبٍ من جوانب النهضة الحسينية المضيئة؛ إذ ركَّز الكاتب على إبراز الجانب الأخلاقي للإمام الحسين عليه السلام في تعامله المليء بالقيم الأخلاقية مع الآخر قبل وقعة الطّف وأثنائها، وكان ذلك في محاور ثلاثة:

فقد تطرّق في المحور الأوّل إلى أخلاقه عليه السلام في تعامله مع الأعداء؛ وكان له صور شتّى، منها: الحوار مع الخصم بمنتهى الشفافية، ورفض البدء بالقتال، وسقاية طلائع جيش ابن سعد عند عطشهم، وقبول توبة التائب منهم، وعدم الإجهاز على أيّ جريح من ذلك الجيش المعادي.

وفي المحور الثاني تناول أخلاق الإمام الحسين عليه السلام في تعامله مع أتباعه، ومن صوره: وفاء الإمام عليه السلام بالعهود، وصدقه وصراحته مع جيشه في جميع المواقف، وعدم الضغط على أتباعه، وتخييرهم بين البقاء معه أو الرحيل، وخطاباته لأتباعه التي فاضت رحمة وشفقة، ومواساته عليه السلام لأصحابه بكل ما تعني الكلمة، وغيرته على نساء معسكره.

أمّا المحور الثالث فقد برَّز الكاتب أخلاق الإمام الحسين عليه السلام في تعامله حتى مع الحيوان، وكيف أنّه لم يهمل إرواء خيول جيش الحر الرياحي الذي جعجع به، وسقاها كما سقى جيش الحرّ، ولم يغفل عن تقديم فرسه في شرب الماء حتّى على نفسه.

WAR ETHOS IN IMAM AL-HUSAYN'S CONDUCTS

Dr. Shaykh Uday al-Sahlani

The writer of this essay, which can be regarded as an outlook at one of the luminous aspects of Imam al-Husayn's reformative uprising, exerts an outstanding effort in bringing into light the ethical component of Imam al-Husayn through his behavior with the others before and during the Event of al-Taff - a behavior that was full of ethical values. The essay is thus divided into three major parts, as follows:

In the first part, the writer of the essay touches on Imam al-Husayn's ethics and moral principles in his behavior with his enemies. In fact, this behavior took numerous pictures. For instance, he treated his opponents with the utmost level of translucence, refused to start fighting, ordered his followers to offer water to the warriors of the other party when they suffered from thirst, accepted the repentance and retreat of those who joined him, and refused to kill any wounded from the enemies.

In the second part of the essay, the writer discussed the morality of Imam al-Husayn through his behavior with his followers. Examples of such morality were embodied in the Imam's fulfillment of his promises and commitment to his pledges, and his honesty and frankness with his army under all circumstances and in all situations. He did not practice any pressure on his army; rather, he gave them the freedom to choose between staying with him or departure. Through his speeches, Imam al-Husayn expressed an infinite mercy and compassion to his followers and he treated them equally and felt jealous for their women in the same amount of jealousy that he felt for him family members.

In the third part of the essay, the writer highlighted Imam al-Husayn's ethics and morals towards every creature including the animals. In one of his situations, the Imam did not neglect giving water to the horses of the army of the enemy; rather, he ordered his followers to give water to these animals as same as he ordered them to give water to the troops who were under the leadership of al-Hurr ibn Yazid who forced the Imam to change his course and camp in the land of Karbala. On another occasion, Imam al-Husayn preferred to give water to his horse before he himself drank water.

الفصل بين التطرف والثورة

(قراءة فقهية في مشروعيّة النهضة الحسينية)

د. الشيخ صفاء الدين الخزرجي

يتحدّث الكاتب في هذا المقال عن مشروعية النهضة الحسينيّة في مبحثين أساسيين؛ فقد عرض في المبحث الأوّل أربعة من المبررات الشرعية لنهضة سيّد الشهداء: الأوّل: المبرر الشرعي؛ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثمّ ذكر بعض الشبهات التي تُثار حول هذا المبرر، كشبهة فقدان شرط احتمال التأثير، وشبهة فقدان أمن الضرر على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. وقد أجاب عنها بالأدلّة الواضحة.

ثمّ عرض المبرر الثاني وهو الجهاد في سبيل الله، وأنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي ضدّ الكفر والعدوان. أمّا المبرر الثالث فكان عن النصوص الآمرة بالخروج على المنكر. وجاء المبرر الرابع ليقول: إنّ موقف الإمام الحسين عليه السلام تجاه الحكومة الأُموية كان في بعض صوره موقفاً دفاعياً عن النفس.

وأمّا المبحث الثاني فقد تناول الكاتب فيه بعض الشبهات حول النهضة الحسينية وهي: الخروج على الشرعية، وشقّ عصا المسلمين، وحرمة الخروج على الحاكم الجائر، وخطأ الإمام عليه السلام في حسابات المعركة، وتعيُّن الصلح مع يزيد لا الخروج عليه. وكل هذه الشبهات كانت في معرض النقد والمناقشة من قبل الكاتب، وقد أجاب عنها بالأدلّة والبراهين، مُثبتاً من خلالها شرعية النهضة الحسينية بكلّ أبعادها.

DISCRIMINATION BETWEEN EXTREMISM AND REVOLUTION; A JURISPRUDENTIAL STUDY IN THE LEGALITY OF IMAM AL-HUSAYN'S REFORMATIVE UPRISING

Dr. Shaykh Safa' al-Din al-Khazraji

The writer of this essay confers the issue of the legality of Imam al-Husayn's reformative uprising in two major points, in the first of which he presents four reasons based on and derived from the Islamic Law that justify the uprising of Imam al-Husayn, the chief of martyrs.

The first justification represents the religious duty of Imam al-Husayn towards the Muslim nation; that is, the duty of enjoining the right and forbidding the wrong. The writer then refers to some spurious and baseless arguments that were raised against this justification, such as the claim that the prerequisites of carrying out this religious duty were not met, since Imam al-Husayn's uprising would not leave any impact on the people. The other spurious arguments was that Imam al-Husayn would not immunize himself against harm, while the one who should carry out the religious duty of enjoining the right and forbidding the wrong would first of all make sure that carrying out this duty would not bring about harm to him. Yet, the writer of this essay gave reasonable answers to such arguments and refuted them totally.

The second justification is the duty of jihad; that is fighting for God's sake, since Imam al-Husayn's uprising was mainly aimed to fighting against atheism and transgression.

The third justification is the many Quranic and Prophetic texts that ordered people to revolt against the wrong.

The fourth justification is that Imam al-Husayn's attitude to the Umayyad government took the form of self-defense in many of its forms.

The second part of the essay deals with refuting some spurious argu-

ments raised against Imam al-Husayn's reformative movement. Some people claimed that Imam al-Husayn mutinied against a legal government and contributed to sowing disunity of the Muslim community, and it is illegal to revolt against the unjust ruler. Finally, some people claimed that Imam al-Husayn committed some mistakes with regard to the battle and it was necessary for him to reach an agreement with Yazid instead of revolting against him. Of course, the writer of the essay refuted all these unfounded arguments, criticized their adopters, and discussed them reasonably and logically, providing many points of evidence and proofs through which he proved the legality of Imam al-Husayn's reformative uprising in all of its aspects and elements.

عُمق النهضة الحسينيّة وملامحها في عصر ما قبل النهضة

د. الشيخ عبد المجيد فرج الله

تصدّى الكاتب في مقاله إلى بيان دور الإمام الحسين عليه السلام وموقفه من الاتجاه الأُموي الإرهابي؛ من خلال الولوج في التاريخ الإسلاميِّ وقراءة الموقف الحسينيِّ منها، فأكَّد على مواجهة الإمام عليه السلام لهذا المدّ الإرهابي فكرياً وعملياً، فكانت المواجهة عن طريقين:

الأوَّل: المحافظة على تأسيس النبيِّ صلى الله عليه وآله لمرجعيَّة القرآن الكريم والرجوع إلى حديثه كمبيِّن للقرآن، والحفاظ على هذين المصدرين من التحريف والضياع، وهناك نماذج ذُكرت في البحث تدخل ضمن هذا الطريق.

الثاني: المواجهة العمليَّة، التي كانت تضيِّع الفرص على هذه المنظومة الإرهابيَّة، من قبيل: تطويق الفتنة التي أدَّت إلى مقتل عثمان، وضبط النّفس في جريمة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام.

وكانت هناك طُرق أُخرى أشار إليها الكاتب في ثنايا بحثه تُسلِّط الضوء على كيفيَّة مواجهة الإمام الحسين عليه السلام لهذا المدّ الجارف الهادم للدِّين والإنسانيَّة.

PROFUNDITY OF IMAM AL-HUSAYN'S REFORMATIVE UPRISING AND ITS FEATURES IN THE PRE-UPRISING ERA

Shaykh Abd al-Majeed Farajullah

In this essay, the writer tends to show the role played and the attitude taken by Imam al-Husayn to the terroristic system of the Umayyads, through a deep insertion into the history of Islam and studying Imam al-Husayn's attitude to it. Hence, he brings into light Imam al-Husayn's confrontation of this terroristic tendency ideologically and practically. Thus, the confrontation took two courses:

The first course was to maintain the Holy Prophet's methodology of adopting the Holy Quran as the referential authority and adopting his words, deeds, and confirmations as explainers of the Holy Quran, making sure that these two references must be saved from distortion and waste. The writer then mentions a number of examples to prove the accuracy of this course.

The second course was the practical confrontation, which worked towards cancelling any opportunity that would be seized by the Umayyad terroristic system of rule, such as suppressing the sedition that led to the assassination of Uthman ibn Affan and self-control after the crime of assassinating Imam Ali ibn Abi-Talib.

Besides, the writer of the essay mentions other courses within his discussion of certain points to shed light on the method Imam al-Husayn followed in standing against the Umayyad terroristic policy that would have annihilated both the religion of Islam and humanity.

شهادة الإمام الحسين عليه السلام والتفاعل الكوني

الشيخ غزوان العتابي

إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه في كربلاء لم يتفاعل معها الوجدان البشري فحسب، بل تعدّت تلك الحدود، لتُقيم الملائكة مآتمَ ترثي الإمام الشهيد وتبكي عليه، ولم يقف التفاعل عند هذا الحدّ، فجاءت الأرض وما عليها لتُعبِّر عن حزنها بطريقتها الخاصّة؛ ومن هنا جاء المقال الذي بين أيدينا ليتناول حقيقة التفاعل الكوني مع شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، فبدأ بتوضيح الآثار التكوينية وفرقها عن الولاية التكوينية والإعجاز، ثمّ بحث نصوص تلك الآثار التكوينية في المصادر الحديثية والتاريخية، وبعد ذلك ركّز على علاقة التكوين بأهل البيت عموماً والإمام الحسين عليه السلام خصوصاً، واختُتِمَ المقال بالإجابة عن بعض الإشكالات.

THE UNIVERSAL INTERACTION TO IMAM AL-HUSAYN'S MARTYRDOM

Shaykh Ghazwan al-'Attabi

Not only did human conscience interact with the issue of Imam al-Husayn's martyrdom and the events to which he was exposed on that day in Karbala, but also all creatures contributed to and interacted with that event in such a way that trespassed all natural limits. The angels, for example, held ceremonies to mourn and weep for Imam al-Husayn. Moreover, the earth along which whatever is above it came to express their sorrow for this tragic event on their own way. Based on this fact, the current essay has come to deal with the reality of the universal interaction to Imam al-Husayn's martyrdom as well as the misfortunes to which his family members were exposed on that day. The author thus begins with displaying the universal signs and their difference from the universal control of the Holy Imams on the universe and their ability to make any miraculous deed by the permission of God the Almighty.

The writer then studies the texts that mentioned some of these universal interactions as mentioned in reference books of history generally and the history of Islam particularly. After that, he highlights the interrelationship between the universe and the Holy Prophet's Household generally and Imam al-Husayn particularly, concluding the essay with giving answers to some spurious arguments.

التوحيد والشرك في الفكر التكفيري

د. الشيخ فلاح عبد الحسن الدوخي

تناول الكاتب في مقاله موضوعين في غاية الحساسية والأهمية قديماً وحديثاً، وهما: التوحيد الذي يُعدّ الأصل الذي كان محور دعوات الأنبياء والأوصياء والصالحين، ويقابله الشرك. فبعد أن عرض الكاتب الإطار المفهومي لكلا المصطلحين، وبيَّن أقسام الشرك وأنواعه الظاهرة والخفية، تناول المفهومين بحسب رؤية العقيدة السلفية، بعد عرض الأُسس العامّة لتلك العقيدة، كما بيَّن التوسّع الخطير في مفهوم التكفير عند السلفية والوهابية ـ باعتبارها امتداداً للسلفية ـ وما نتج عنه من لوازم مرعبة كتجويز القتل، وسلب الأموال، وانتهاك الأعراض. ثمّ ناقش خلل ذلك الفكر في فهم مفهومي التوحيد والشرك.

كما عرض الكاتب مفهومي توحيد الإلوهية، وتوحيد الربوبية، باحثاً أصل التقسيم المزبور، وحدود كلا التوحيدين، ثمّ بيّن خطأ ابن تيمية في تقرير توحيد الربوبية، ومناشئ الخلط التي وقع فيها.

كما استطرد الكاتب في بحثه ليتناول معنى العبادة لغةً وشرعاً، وبيان حدودها، ليضع بذلك ميزاناً دقيقاً يفصل بينها وبين غيرها.

وأخيراً، تمّ التطرّق إلى نظرة الفكر التكفيري لمصداقين طالما لهج بهما على أنّهما نوعٌ من الشّرك، ألا وهما: زيارة القبور، والتوسّل، وبيَّن مواطن الخلل الكبير في فهم ذلك الفكر التكفيري لذينك المصداقين.

MONOTHEISM AND POLYTHEISM IN THE TAKFIRI THOUGHT

Dr. Shaykh Falah al-Dukhi

In this essay, the writer alludes to two extremely important and sensitive issues in the past and in the present day; namely, monotheism, which is the root on which all the missions of prophets, their successors, and the righteous people revolve, and secondly the opposite of monotheism; that is, polytheism. The writer thus begins with taking the reader inside the conceptual frame of both of these terms and then explains the parts and types of polytheism, both the extrinsic and the intrinsic. He thus deals with these two concepts according to the view of the Salafi belief. Before that, he displays the general bases of this belief and refers to the serious expansion in the concept of Takfir (accusing all others of atheism) in the Wahhabi thought, which is considered an extension of Salafism, and the horrifying consequences of this thought that allowed killing, robbing the properties, and raping. The writer thus discusses the mistakes adopted by this thought in its understanding of monotheism and polytheism.

The writer then discusses the two concepts of the unity of Godhead and the unity of Lordship, making great efforts in explaining the origin of the differentiation between these two concepts and the limits of each of them, proving the mistakes committed by Ibn Taymiyah who tried to prove, yet falsely, the unity of Lordship, and the confusion in which he fell.

The writer then continues to deal with the meaning of worship in language and in the religious law, showing its limits and founding a very meticulous criterion that differentiates between true worship and false worship.

In the end of the essay, the writer touches on the view of the Takfiri thought about two applications that the Salafists provided as types of polytheism; namely, visiting the tombs and asking the intercession of the prophets and the saints. He thus demonstrates the place of the big mistake in which the Salafi thought falls in understanding these two examples.

إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي

الإصلاح الحسيني

مجلة فصلية متخصصة في النهضة الحسينية وتعنى بالدراسات الدينية